

كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذمهم

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يحيى بن هاشم الغساني عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصعب بن سعد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم . قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدرداء : «وجدتُ الناس أخبر ثقَلَهُ» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن المُعافي بن عمر أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بقوم يتبعون رجلاً قد أخذ في رية فقال : لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في الشر .

قال وحدثني محمد بن داود قال ، حدثنا الصلت بن مسعود قال حدثنا عثام ابن علي عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبيدة أن الوليد السوائي قال : لفظ قوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ف قيل : يا رسول الله لو نهيتهم ! فقال : "لو نهيتهم أن يأتوا الحجون لأتاه بعضهم ولو لم تكن له حاجة" .

١٥ (١) القلي البغض وهو من باب نصر وري ورضى والهاء فيه للسكت اذا أصله اخبر الناس تقلهم غذف الضمير وحل محله اذا . وقد روى برفع الناس على الحكاية كقوله * سمعت الناس يتبعون غيثا * البيت . ومعناه وجدت : الناس مقول فيهم ذلك . وروى أيضا بنصبه ، وتقديره وجدت : الناس اخبر ثقله أى وجدت الأمر كذلك ، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، يريد أنك اذا خبرتهم قلبهم ، وهو منسل بضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال وحَدَّثَنَا عَنْ عَفَّانَ عَنْ مَهْدِيَّ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ قَالَ مَطْرَفُ :
 هُمُ النَّاسُ وَهُمْ النَّسَنَسُ وَنَاسٌ غُمِسُوا فِي مَاءِ النَّاسِ .
 قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ : لَوْ أَمَرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا .
 وَكَانَ يُقَالُ : لَوْ نَهَى النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتَّوْهُ ، وَقَالُوا : مَا نُهِنَا عَنْهُ إِلَّا وَفِيهِ
 شَيْءٌ . وَقَالَ الشَّاعِرُ

وَمَا أَنْ أَتَيْتُ بَنِي جُوَيْنٍ * جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ
 يَنْتَسِتُ مِنَ الَّتِي أَقْبَلْتُ أَبْيَغِي * لَدَيْهِمْ ، إِنِّي رَجُلٌ يَشُوسُ
 إِذَا مَا قُلْتُ أَيُّهُمْ لِي أَيُّ * تَشَابَهَتِ الْمَنَاكِبُ وَالرَّءُوسُ
 وَيُقَالُ : "لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَبَايَنُوا فَإِذَا تَسَاوَوْا هَلَكُوا" ^(١) .

وقال آخر

النَّاسُ أَسْوَأُ وَشَقِيٌّ فِي الشِّيمِ * وَكُلُّهُمْ يَجْعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمِ

وقال آخر — يَذْكُرُ قَوْمًا —

سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ وَلَا تَرَى ^(٢) * لِيَذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلًا

وقال آخر «سَوَاسِيَةُ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ» ^(٥)

وكان يقال «المرءُ تَوَاقَى إِلَى مَا لَمْ يَنْتَلِ» ^(٥)

والعجم تقول : كُلُّ عَزٍّ دَخَلَ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ ذَلِيلٌ .

(١) أوردته الميداني في جمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وسأفه ابن الأثير في النهاية والمرتضى في تاج العروس على أنه حديث وأورداه بلفظ «لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا» الخ .

(٢) رواه في اللسان : الناس أخيف الخ ، والأخيف الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفي اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفي اللسان «فا» . وفي جمع الأمثال «فلا» ، ولا يخفى أنَّ الفاء هنا أحسن

موقعاً من الواو وأنسب للسياق . (٥) كلاهما مثل كما في جمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلٌّ مقدورٌ عليه مملولٌ محقورٌ .

وقال الشاعر

وزاده كلَّفَا بالحبِّ أنْ منعتُ * أحبُّ شَيْءٌ^(١) إلى الإنسان ما مُنعاً

وقال آخر

تَرَى النَّاسَ أَسْوَأَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا * وَفِي النَّاسِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ
وَيَقَالُ : النَّاسُ سَيْلٌ وَأَسْرَابٌ طَيْرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

وقال طرفة

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتُهُ * لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاصِحَهُ
كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مِنْ نَعْلٍ * مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال آخر

فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوْلِ * أَطْبِئْ كَانَ أَمَّكَ أَمْ حِمَارُ
فَقَدْ لَحِقَ الْأَسْفَلُ بِالْأَعَالِي * وَمَا جِئْتُ لِيُخَالِطَ النِّجَارُ
وَعَادَ الْعَبْدُ مِثْلَ أَبِي قُبَيْسٍ * وَسِيقَ مَعَ الْمُعْلَهَجَةِ الْعِشَارُ^(٢)
يقول : سِيقَتِ الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ فِي مَهْرِ اللَّثِيمَةِ .

١٥

(١) كذا بالأصول . وفي لسان العرب في مادة «حب»

* وَحَبَّ شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا *

وأصله حَبَبَ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت في الثانية ، وما في قوله ما مُنعاً في موضع الرفع بحَبَّ .

(٢) وفي رواية حكاه صاحب خزنة الأدب في ج ٣ ص ٢٣١ «الفند» بكسر الفاء وسكون النون
بدل العبد ، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولا ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قيس جبل بمكة والمراد به الرجل

٢٠

الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضع .

(٣) المعلهجة : المرأة اللثيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه في كتابه عن خداس بن زهير

ج ١ ص ٢٣ * وصار مع المعلهجة العشار *

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن مجادة عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمعُ حسيسا ولا أرى أنيسا، صبيانٌ حيارى ما لهم تفاقدوا [عقولهم] ^(١) وفرأش نار وذبأن طمع.

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: لو قسمتُ في الناس مائة ألف درهم كان أكثر ^(٢) للائمي من لو أخذتها منهم.

ونحوه قولُ محمد بن الجهم: منعُ الجميع أرضى للجميع.

وقال ابن بشير

سوءٌ للناس كُلِّهِمْ * أنا في هذا من أولِهِمْ
لست تدرى حين تنسبُهُم * أين أدناهم من أفضلِهِمْ

وقال نهار بن توسعة

عَبْتُ على سَلَمٍ فلَمَّا فَقَدْتُه * وَجَرَبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ على سَلَمٍ
وهذا مِثْلُ قولِهِمْ : ما بَكَيْتُ من زَمَانٍ إلا بَكَيْتُ عليه.

وقال الأحنف بن قيس

وما مَرَّ يومٌ أرتجى فيه راحةً * فَأَخْبَرُهُ إلا بَكَيْتُ على أَمْسٍ

وقال آخر

وَنَعَتِبُ أحياناً عليه ولو مضى * لكَنا على الباقي مِنَ الناسِ أَعْتَبًا

وقال آخر

سَبَّكَاهُ وَنَحَسَبَهُ لِحِينًا * فَأَبْدَى الكِيرُ عن جَبْتِ الحديدِ

قال، وحدثني أبو حاتم، قال حدثني الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال:

لا يزالُ في الناسِ بَقِيَّةٌ ما تُعْجَبُ مِنَ العَجَبِ.

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٧٧ (٢) في النسخة الفتوغة «أن» بدل من.

رجوع المتخلق الى طبعه

بلغنى أن أعرابيا رَّبِّي جَرَوْ ذَنْبَ حَتَّى شَبَّ وَظَنَّ أَنَّهُ يَكُونُ أَغْنَى عَنْهُ مِنَ
الْكَلْبِ وَأَقْوَى عَلَى الذَّبِّ عَنِ الْمَاشِيَةِ فَلَمَّا قَوَّى وَتَبَّ عَلَى شَاةٍ فَقَتَلَهَا وَأَكَلَ مِنْهَا
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ

أَكَلْتُ شُوَيْتِي وَرَيْتَ فِينَا * فَمَا أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبُ

وَيُرَوَّى

* وَلِدْتَ بِقَفْرَةٍ وَنَشَأْتَ عِنْدِي *

إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ * فَلَيْسَ بِنَافِعٍ أَدَبُ الْأَدِيبِ ^(١)

وَقَالَ الْخُرَيْمِيُّ

يَلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي جُودِهِ * وَهَلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ إِلَّا يَفِيضُ

وَقَالَ أَبُو الْأَسَدِ

وَلَأَيُّمَةٌ لَا مَتَكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى * فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
أَرَادَتْ لِتُثْنِي الْفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى * وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْثِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفِيرِ

وَقَالَ كَثِيرٌ

وَمَنْ يَتَنَدَّعُ مَا لَيْسَ مِنْ سُوسٍ نَفْسِهِ ^(٢) * يَدَّعُو وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا

وَقَالَ زَهِيرٌ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ * وَإِنْ خَالَهَا تَخَفِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ إِقْوَاءٌ، وَرَوَى فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ ج ١ ص ٣١٢

* فَلَيْسَ بِنَافِعٍ فِيهَا الْأَدِيبُ * وَهَذَا يَكُونُ الْبَيْتُ سَالِمًا مِنْ هَذَا الْعَيْبِ .

(٢) الَّذِي فِي اللِّسَانِ : « مِنْ خِيَمٍ » وَالْخِيَمُ الطَّيْمَةُ وَالْأَصْلُ كَالسُّوسِ .

وأنشدني ابن الأعرابي لدى الإصبع العدواني
كل أمرئ راجع يوماً لشيئته * وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
وقال آخر

إرجع إلى خلقك المعروف ديدنه * إن التخلق يابى دونه الخلق
وقال كثير في خلاف هذا

وفي الحلم والإسلام للرءوازع * وفي ترك أهواء الفؤاد المتي
بصائرُ رشيد للفتى مستبينة * وأخلاقُ صديق علمها بالتعلم

ونحوه للتلخيص

تجاوز عن الأدنين وأسبق ودهم^(١) * ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً
وقال الطائي

ليس الشجاعة إنها كانت له * قدماً نشوعاً في الصبا ولدوداً
بأساً قبيلياً وبأس تكريم^(٢) * فينا وبأس قريحة مولوداً
وقال أبو جعفر الشطرنجي مولى المهدي في سوداء

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعده
لا شك إذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحد

وقال أبو نواس

تلقي الندى في غيره عرَضاً * وتراه فيه طبيعة أصلاً
وإذا قرنت بعاقيل أملاً * كانت نتيجة قوله فعلاً

وأنشدنا الرّياشي

لا تصحبن امرأة على حسب * إن رأيت الأحساب قد دخلت

(١) الذي في اللسان في مادة «حلم» وكتاب سيويه ج ٢ ص ٢٤٠ «تحلم» .

(٢) الذي في الديوان «جم» بدل «فيما» .

مَالِكٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لَهُ * أَبَا كَرِيمٍ فِي أُمَّةٍ سَلَفَتْ
بَلْ أَحْبَبْنَاهُ عَلَى طِبَائِعِهِ * فَكُلُّ نَفْسٍ تَجْرِي كَمَا طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إِنَّكَ لَمْ تَكْ كَابِنُ الشَّرِيدِ * وَلَكِنْ أَبُوكَ أَبُو سَالِمٍ
حَمَلْتَ الْمِثْنَ وَأَنْقَالَهَا * عَلَى أَذُنِي قُنْفُذٍ رَازِمٍ
وَأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شَرَّ الْجُدُو * دِوَالِ عِرْقٍ يَسْرِي إِلَى النَّائِمِ

وقال بعض العبدين

وَمَا يَسْتَوِي الْمَرْءَانِ هَذَا ابْنُ حُرَّةٍ * وَهَذَا ابْنُ أُخْرَى ظَهَرُهَا مُتَشَرِّكُ
وَأَدْرَكَهُ خَالَاتُهُ نَفَذْنَاهُ * أَلَا إِنْ عِرْقُ السُّوءِ لَا بَدَّ يُدْرِكُ

باب الشئ يفرط فينتقل الى غير طبعه

قرأت في كتاب للهند : لا ينبغي اللجاج في إسقاط ذى الهمة والرأى وإذالته فانه
إِذَا شَرَسَ الطَّبْعُ كَالْحَيَّةِ إِنْ وُطِئَتْ فَلَمْ تَلْسَعْ لَمْ يُغْتَرَّبْهَا فِعَادَ لَوِطُهَا ، وَإِذَا سُبَّحُ
الطَّبْعِ كَالصَنْدَلِ الْبَارِدِ إِنْ أُفْرِطَ فِي حَكِّهِ عَادَ حَازًا مُؤْذِيًا . وقال أبو نواس
قُلْ لَزْهِيرٍ إِذَا حَدَا وَشَدَا * أَقْلِيلٌ وَأَكْثَرُ فَأَنْتَ مِهْدَارُ
سَخْنَتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَجِبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي * كَذَلِكَ النَّلْجُ بَارِدٌ حَارُ

ويقال : إِنَّمَا مَلَحَ الْقِرْدُ عِنْدَ النَّاسِ لِإِفْرَاطِ قَبْعِهِ . قال الطائي

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكَرِهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ * وَالنَّارُ قَدْ تَنْتَضِي ^(١) مِنْ نَاضِرِ السَّلَمِ

(١) في الأصل « تقتضي » والتصويب عن الديوان .

أَمِنْ عَمَى نَزَلَ النَّاسُ الرَّبِّيَ فَتَجَوَّا * وَأَتَمُّ نَصْبُ سَبِيلِ الْفِتْنَةِ الْعَرِيمِ
أَمْ ذَاكَ مِنْ هِمِّمْ جَاشَتْ فِكْمُ ضِعَّةٍ * حَذَا إِلَيْهَا غُلُوُّ الْقَوْمِ فِي الْهِمِّمْ
وَكَانَ يُقَالُ : مِنْ التَّوَقَّى تَرَكُ الْإِفْرَاطَ فِي التَّوَقَّى

باب الحسد

٥ قال حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية
قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلُمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ الطَّيْرَةُ وَالظَّنُّ
وَالْحَسَدُ" قيل: فما المخرجُ منهم؟ قال: "إِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا تَرْجِعْ وَإِذَا ظَنَنْتَ
فَلَا تُحَقِّقْ وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَتَّبِعْ". وقال بكر بن عبد الله: حَصَّتْكَ مِنَ الْبَاغِي حَسَنُ
الْمُكَاشَرَةِ، وَذَنْبُكَ إِلَى الْحَاسِدِ دَوَامُ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ. وقال زَوْجُ بْنُ زَيْنَبٍ الْجَدَائِمِيُّ:
كُنْتُ أَرَى قَوْمًا دُونِي فِي الْمَتَلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَاخِلَ لَا أَدْخُلُهَا فَلَمَّا
١٠ أَذْهَبْتُ عَنِّي الْحَسَدُ دَخَلْتُ حَيْثُ دَخَلُوا . وقال ابنُ حُمَامٍ
تَمَنَّى لِي الْمَوْتَ الْمَعْجَلَّ خَالِدٌ * وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدَهُ
وقال الطائي

وإذا أراد الله نشر فضيلة * طُوِيَتْ أُنَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ
لولا أشتعالُ النارِ فيما جاورت * ما كان يُعرفُ طيبُ عَرَفِ الْعُودِ
١٥ لولا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ * لِلْحَاسِدِ التَّعَمُّي عَلَى الْمَحْسُودِ

وقال عبد الملك للججاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فعب نفسك
قال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال: لتفعلن. قال: أنا لجوح حقود حسود، قال عبد الملك:
ما في الشيطان شرٌّ مما ذكرت. قال بعض الحكماء: الحسد من تعادي الطبائع واختلاف
التركيب وفساد مزاج البنية وضعف عقد العقل والحاسد طويل الحسرات .
٢٠

قال ابن المقفع : أقل ما لئارك الحسد في تركه أن يصرف عن نفسه عذابا ليس
يُذكر به حظًا ولا غائظ به عدوًّا، فإنما لم نر ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد، طولُ
أسفٍ ومخالفةُ كآبةٍ وشدةُ تحرقٍ، ولا يبرحُ زارياً على نعمة الله ولا يجِدُ لها مراً إلا
ويُكدرُ على نفسه ما به من النعمة فلا يجدُ لها طعمًا ولا يزالُ ساخطاً على مَنْ لا يترضاه
ومتسخّطاً لما لن ينالَ فوقه، فهو مُنقَصُ المعيشة دائمُ السخطة محرومُ الطلبة، لا بما قسِمَ
له يتمنع ولا على ما لم يُقسَم له يغلب، والمحسود يتقلب في فضل الله مبشراً للسرور
مستغفلاً به ممهلاً فيه إلى مدة ولا يقدرُ الناس لها على قطعٍ وانتقاصٍ .

قيل للحسن البصري : أيحسدُ المؤمنُ أخاه ؟ قال : لا أباً لك ، أنسيتَ إخوة
يوسف . وكان يقال : إذا أردت أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمورك . ويقال :
إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسدا . وقال العتيبي
— وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتى بكى لي حسادهم * وقد أقرحوا بالدموع العيوناً^(١)
وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حاسديه له راحيناً
قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرع حسدَ الناس إلى قومك ! فقال
إن العرائن تلقاها محسدة * ولا ترى للائم الناس حساداً
١٥

وقال آخر

وترى اللبيب محسداً لم يحترم * شتم الرجال وعرضه مشؤم
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه * فالتقوا أعداء له وخصوم^(٢)
كضرائر الحسنة قل لو فجعها * حسداً وظلماً إنه لديم

(١) في النسخة الألمانية «أترعوا» . (٢) هكذا في النسختين بالذال المعجمة وهي رواية
ثعلب، قال صاحب اللسان : وقد رد ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لديم» بالذال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدو مهين لا يدرك وثره إلا بالتقى . قيل لبعضهم :
 أي الأعداء لأتحب أن يعود لك صديقا ؟ قال : من سبب عداوته النعمة . وقال
 الأحنف : لا صديق لملول ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل
 ولا سؤدد لسيئ الخلق . وقال معاوية : كل الناس استطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة
 فانه لا أرضيه إلا زوالها . وقال الشاعر

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا * إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ

وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌ لنعمتي مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غَيْرُ رَاضٍ
 بِقَسَمِي بَيْنَ عِبَادِي . وكان يقال : قد طلبك من لا يقصّر دون الظفر وحسدك من
 لا ينأى دون الشفاء . وخطب الحجاج يوما برستقباد بقول سويد بن أبي كاهل

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَ مَا * جَلَّ الرَّأْسُ بَيَاضٌ وَصَلَعٌ
 رَبِّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا صَدْرَهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ
 وَرَأَى كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ * عَسِرًا مَخْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ
 مُزِيدًا يَحْطُرُ مَا لَمْ يَرِنِي * فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَعَ
 لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي * فَهُوَ يَزُقُّ مِثْلَ مَا يَزُقُّ الضُّوعُ^(١)
 وَيُجَيِّئُنِي إِذَا لَا قِيَّتُهُ * وَإِذَا يَخْلُولُهُ لَحْمِي رَتَعُ
 قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ * وَإِذَا مَا يَكْفِي شَيْئًا لَا يُضَعُ^(٢)

وقال آخر

إِنْ تَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُكُمْ * قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا

(١) الضوع : طائر ليلي .

(٢) كذا بالأصول . وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة * ومتى ما يكف شيئا لم يضع *

فَدَامَ لِي وَلَكُمْ مَا بِي وَمَا بَكُمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي تَجِدُونِي فِي حُلُوقِكُمْ * لَا أُرْتَقِي صُعْدًا فِيهَا وَلَا أَرُدُّ

وقال بعضهم : الحسدُ أوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ ، يَعْنِي حَسَدَ إِبْلِيسَ آدَمَ ، وَأَوَّلُ
ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ ، يَعْنِي حَسَدَ ابْنِ آدَمَ أَخَاهُ حَتَّى قَتَلَهُ . وَأُنْشِدَنِي شَيْخٌ لَنَا عَنْ
أَبِي زَيْدٍ الْأَعْرَابِيِّ

لَا تَقْبَلُ الرُّشْدَ وَلَا تَرَعِي * ثَانِي رَأْسٍ كَابِنٍ عَوَاءَ
حَسَدَتْنِي حِينَ أَفَدْتُ الْغَنَى * مَا كُنْتُ إِلَّا كَابِنَ حَوَاءَ
عَادَى أَخَاهُ مُحَرِّمًا مُسْلِمًا * بَطْعَنِي فِي الصُّلْبِ تَجَلَاءَ
وَأَنْتَ تَقْلِبُنِي وَلَا ذَنْبَ لِي * لَكِنِّي حَمَالُ أَعْبَاءَ
مَنْ يَأْخُذُ النَّارَ بِأَطْرَافِهِ * يَنْضَحُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

مَرْ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بِلَادَ غُظْفَانَ فَرَأَى ثُرُوءَ وَجَاعَاتٍ وَعَدَدًا فَكَّرَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ
لَهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ : إِنَّهُ يَسْؤُوكَ مَا يَسُرُّ النَّاسَ ! فَقَالَ لَهُ : يَا أُنْحَى إِنَّكَ لَا تَدْرِي ، إِنَّ
مَعَ الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ التَّحَاسُدَ وَالتَّخَاذُلَ ، وَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ التَّحَاشُدَ وَالتَّنَاصُرَ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا قَدْ أَتَتْ لَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَقُلْتُ لَهُ :
مَا أَطْوَلُ عَمْرُكَ ! فَقَالَ : تَرَكْتُ الْحَسَدَ فَبَقِيْتُ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ

تَمَلَّأْتُ مِنْ غِيظٍ عَلَى فَلَمْ يَزَلْ * بَكَ الْغِيظُ حَتَّى كَدَتْ بِالْغِيظِ تَنْشَوِي
وَمَا يَرَحْتُ نَفْسَ حَسُودٍ حُشِيَّتَهَا * نُذِيكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي
وَقَالَ النَّطَاسِيُّونَ إِنَّكَ مُشْعَرٌ * سَلَالًا أَلَا بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوِي

(١) فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : مَا طَوَّلَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « دَوِي » وَالتَّصْوِيبُ عَنْ خَزَانَةِ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ج ١ ص ٤٩٧ وَ« جَوِي » مِنْ
الْجَوَى وَهُوَ السَّلْ وَدَاءُ فِي الصَّدْرِ .

بدا منك غش طامبا قد كتمته * كما كتمت داء أنها أم مدي
جمعت وحشا غيبة ونيمة * خلا لا ثلاثا لست عنها موعوي
وكان يقال : ستة لا يخلون من الكابة : رجل افتقر بعد غنى ، وغنى يخاف على
ماله التوى ، وحقود ، وحسود ، وطالب مرتبة لا يلفها قدره ، ومحالط الأدباء
بغير أدب .

باب الغيبة والعيوب

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء عن ابن خثيم^(٢)
عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
«ألا أخبركم بشراركم» قالوا : بلى ، قال : «من شراركم المشاءون بالنية المفسدون بين
الأحبة الباغون البراء العنت» .

قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
الأجلح عن الشعبي قال : سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر : يا أيها الناس خذوا
على أيدي سفهاكم ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن قوما ركبوا
البحر في سفينة ، واقتسموها فأصاب كل واحد منهم مكان ، فأخذ رجل منهم الفأس
فنقر مكانه ، فقالوا : ما تصنع ؟ فقال : مكاني أضع به ما شئت ، فإن أخذوا على
يديه نجوا ونجوا ، وإن تركوه غرقوا وغرق» .

بلغني عن حماد بن زيد عن ابن عون قال ، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أصبح
فيه لا يرميني الناس بداهية إلا كان نعمة من الله علي . وقال حسان : قلت شعرا
لم أقل مثله

وإن امرأ أمسى وأصبح سائما * من الناس إلا ما جنى لسهيد

(١) في النسخة الفوتوغرافية «ومحالطة» .

(٢) في الأصل : «المطاء» بالتعريف والتصويب عن تهذيب التهذيب .

وبلغني عن ابن عيينة قال، قال مسعر : ما نصحتُ أحداً قطُ إلا وجدته يُقَشِّشُ عن عيوبي . وقال بعضهم : مَنْ عَابَ سَفَلَةً ^(١) فَقَدْ رَفَعَهُ ، وَمَنْ عَابَ شَرِيفاً فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ . وقال عمر بن الخطاب : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَى عُيُوبِي

أحمد بن يونس عن الفضيل أنه سمعه يقول : إن الفاحشة لِتَشِيعُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خُرَّاناً . قال وسمعتَه يقول أيضاً : حَسَنَاتُكَ مِنْ عَدْوِكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ صَدِيقِكَ ، لِأَنَّ عَدْوَكَ إِذَا ذُكِرْتَ عَنْده يَغْتَابُكَ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ إِلَيْكَ الْمِسْكِينَ حَسَنَاتِهِ

محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا ابن عون قال : مرَّ ابنُ سيرينَ بقوم فقام إليه رجل فقال : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَدْ نَلْنَا مِنْكَ خُلَلْنَا ، فقال : إِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَأَمَّا مَا كَانَ إِلَى فَهُوَ لَكَ .

محمد بن مسلم الطائفي ^(٢) قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : بَلَّغْنِي أَنْتَ نِلْتَ مِنِّي ، فقال : نَفْسِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ .

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : أَخُ لَكَ كُلُّمَا لَقَيْكَ أَخْبِرَكَ بِعَيْبِ فَيْكَ خَيْرُكَ مِنْ أَخُ لَكَ كُلُّمَا لَقَيْكَ وَضَعَ فِي كَفِّكَ دِينَاراً .

شريك عن عَقِيلٍ قال، قال الحسن : لَا غِيْبَةَ إِلَّا لثَلَاثَةٍ ، فَاسِقٍ مُجَاهِرٍ بِالْفِسْقِ ، وَذِي بَدْعَةٍ ، وَإِمَامٍ جَائِرٍ . وَكَانَ يُقَالُ : [مَنْ أَغْتَابَ ^(٣) نَحَقَ وَمِنْ آسْتَغْفَرَ اللَّهُ رَفَأَ .

(١) كذا في الأصل ، وفي اللسان نقلاً عن الجوهري : يقال : هُوَ مِنَ السَّفَلَةِ وَلَا يُقَالُ : هُوَ سَفَلَةٌ لِأَنَّهُ جَمْعُ وَالْعَامَّةُ تَقُولُ : رَجُلٌ سَفَلَةٌ مِنْ قَوْمٍ سَفِلٍ . قال ابن الأثير : وليس بعربي . ثم أورد صاحب اللسان حكاية وقال : ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفَلَةٌ .

(٢) في الأصول «سالم» والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ ويؤيده أن الموجود في كتب التراجم «محمد بن مسلم الطائفي» ولم يوجد فيها من يسمى «محمد بن سالم» منسوباً إلى الطائف .

(٣) الزيادة عن لسان العرب في مادة «رَفَأَ» .

وفي بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عَابَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ" . كان يقال : إِيَّاكَ وَمَا يُصِمُّ الْأُذُنَ . العتيق قال : قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كنت أُسَايِرُ أَبِي وَرَجُلٌ يَقَعُ فِي رَجُلٍ ، فالتفت إلى أبي فقال : يَا بُنَيَّ نَزَّ سَمْعُكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَلْقِ كَمَا نَزَّتْ لِسَانُكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِيعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَخِي مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةٌ جَاهِلٌ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا .

فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقْهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَّرَهُ عِيَوْهُ . قال فضيل : وربما قال الرجل : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَوْ سُبْحَانَ اللَّهِ فَأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ ، قَالَ : يُغْتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُعْجِبُهُ ذَلِكَ فَيَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ ، إِنَّمَا مَوْضِعُ هَذَا أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ .

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ أَمْرًا تَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلَتَا تَعْتَابَانِ النَّاسَ ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : "صَامَتَا عَمَّا أُحِلَّ لَهَا وَأُفْطِرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا" . وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ : مَا كُنْتُ تَقُولُهُ لِلرَّجُلِ وَهُوَ حَاضِرٌ فَقُلْتُهُ مِنْ خَلْفِهِ فَلَيْسَ بِغِيْبَةٍ .

عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تُكْثِرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ يَظْهَرُ غَيْبٌ * عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُو الْعُيُوبِ

وأنشد ابن الأعرابي

اسْكُتْ وَلَا تَنْطِقْ فَإِنَّ خَيَّابٌ ^(١) * كُلُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيْبٌ

وأنشدني أيضا

رَبِّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الْخَلِيبِ * وَأَبْنِ أَبٍ مُتَهَمِ الْغَيْبِ
وَكُلَّ عَيْبٍ لَهُ مَنْظَرٌ * مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ عَلَى الْعَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يغتاب الناس ولا يصبر، ثم ترك ذلك، فقيل له :
أتركتها؟ قال : نعم، على أني والله أحب أن أسمعها .

أتى رجل عمرو بن مَرْثَدٍ فسأله أن يكلم له أمير المؤمنين، فوعده أن يفعل، فلما
قام قال بعض من حضر : إنه ليس مُسْتَحِقًّا لما وعدته، فقال عمرو : إن كنت
صدقت في وصفك إياه فقد كذبت في أدعائك مودتنا، لأنه إن كان مُسْتَحِقًّا كانت
اليُد موضعتها، وإن لم يكن مُسْتَحِقًّا فما زدت على أن أعلمتنا أن لنا بمغيبنا عنك مثل
الذي حضرت به من غاب من إخواننا .

وفي الحديث : "إِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا" . قيل : كيف ذلك؟ قال :
"لأن الرجل يزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له
صاحبها" ^(٢) .

١٥

قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إني اغتبت رجلا وأريد أن أستحله، فقال له :
لم يكفك أن اغتبه حتى أردت أن تبته . اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم
فقال له قتيبة : أمسك أيها الرجل، فوالله لقد تلمظت بمضغة طالمًا لفظها الكرام .

(١) في النسخ التي بأيدينا « حباب » بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان
فانه ذكر هذا البيت في « أمدى » و « خاب » و « عاب » وقال في تفسير « خَيَّاب » — بعد أن ذكر أن
الخياب القدح الذي لا يورى — : يجوز أن يكون فعلا من الخيبة ويجوز أن يعنى به أنه مثل هذا القدح
الذي لا يورى . (٢) في الإحياء ج ٣ ص ٩٩ « صاحبه » .

٢٠

مر رجلٌ يجارِئُ له ومعه ربيّةٌ، فقال أحدهما لصاحبه: أفهِمْتَ مامعه من الرّبيّة؟
فقال الآخر: غلامي حرّ لوجه الله شكرًا له إذ لم يُعرّفني من الشرّ ما عرّفك .

شعبةٌ عن يحيى بن الحصين عن طارق قال : دار بين سعيد بن أبي وقاص وبين
خالد بن الوليد كلامٌ ، فذهب رجلٌ ليقع في خالدٍ عند سعيدٍ، فقال سعيدٌ: مه إن
ما بيننا لم يبلغ ديننا . أى عداوةٌ وشرٌّ . وقال الشاعر

ولستُ بِذِي نَيْرٍ فِي الْكِرَامِ * وَمَنَاعَ خَيْرٍ وَسَبَّاهَا
ولا مَنْ إِذَا كَانَ فِي جَانِبِ * أَضَاعَ الْعَشِيرَةَ وَأَغْتَابَهَا
ولكن أَطَاوَعُ سَادَاتِهَا * ولا أَتَعَلَّمُ أَلْقَابَهَا

وقال آخر

لا يَأْمُلُ الْجَارُ خَيْرًا مِنْ جَوَارِهِمْ * ولا مَحَالَةً مِنْ هُزْءٍ وَأَلْقَابِ

وقال الفرزدقُ

تَصَرَّمَ مِنِّي وَدُّ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ * وما خِلْتُ عَنِّي وَدَّهْمٌ يَتَصَرَّمُ
فَوَارِضُ تَأْتِينِي وَيَحْتَفِرُونَهَا * وقد يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيَفْعَمُ

أُتَشَدُّ أَبُو سَعِيدٍ الضَّرِيرُ لِبَعْضِ الضَّيِّينِ

أَلَا رَبِّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَتَيْ * أبوه الذي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
على رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَغِيَةٍ * فَيَحْلُبُهَا فُحْلٌ عَلَى النَّسْلِ مُنْجِبُ
فِي الْخَيْرِ لَا بِالشَّرِّ فَاطْلُبُ مَوَدَّتِي * وأى أَمْرِي يَغْتَالُ مِنْهُ التَّرْهَبُ

(١) في الأصول « حصين » بدون ال . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في الأصول . وفي اللسان « في الصديق » . ثم قال ابن برى : وصواب انشاده

ولست بذى نيرب في الكلام * ومناع قوى وسببها

واظن اللسان في مادة « نيرب » .

وقال آخر في نحوه :

(١) ولما عَصَبْتُ العاذِلِينَ ولم أُبَلِّ * مَلَأْتَهُمُ الْقَوَا على غاربي حبلِي
وهازِيَةٌ مِنِّي تَوَدُّ لَوْ أَبْنَهَا * على شِمَتِي أو أن قِيمَهَا مِثْلِي

قيل لُبُرُّ جِهَرٍ : هل من أحدٍ ليس فيه عيبٌ؟ قال : لا، إن الذي لا عيب فيه
لا ينبغي أن يموت . وقال في مثل هذا مُوسَى شَهَوَاتٍ :

ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ * عابه الناسُ غير أنك فآني
أنت خير المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

وقال أبو الاسود الدؤلي :

(٢) وَتَرَى الشَّقَّ إِذَا تَكَمَّلَ عَيْبُهُ * يُرْمَى وَيُقَرَّفُ بالذي لم يفعل

- ١٠ لَقِيَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخَاهُ فَقَالَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَى مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْهَا
عَلَيْهِ وَهُوَ أَشْكُرُ لِلنِّعْمَةِ لَقَيْتَهُ ، وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى مَنْ أَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ جُرْمًا وَهُوَ أَخَوْفُ
لِلَّهِ مِنْكَ لَقَيْتَهُ . أَرَأَيْتَ لَوْ صَحَبَكَ رَجُلَانِ : أَحَدُهُمَا مَهْتِكٌ لَكَ سِتْرُهُ وَلَا يُدْنِبُ ذَنْبًا
إِلَّا رَأَيْتَهُ وَلَا يَقُولُ هَجْرًا إِلَّا سَمِعْتَهُ فَأَنْتَ تُحِبُّهُ عَلَى ذَلِكَ وَتُؤَافِقُهُ وَتَكْرَهُ أَنْ تُفَارِقَهُ ،
وَالْآخَرُ مَسْتُورٌ عَنْكَ أَمْرُهُ غَيْرَ أَنَّكَ تَظُنُّ بِهِ السُّوءَ فَأَنْتَ تُبْغِضُهُ ، أَعَدَلْتَ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ :
- ١٥ لَا ؛ قَالَ : فَهَلْ مِثْلِي وَمِثْلُكَ وَمِثْلُ مَنْ أَنْتَ رَأَيْتَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَذَلِكَ ؟ إِنَّا نَعْرِفُ الْحَقَّ
فِي الْغَيْبِ مِنْ أَنْفُسِنَا فَتُحِبُّهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَتَظَنُّ الظُّنُونِ عَلَى غَيْرِنَا فَنُبْغِضُهُمْ عَلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ قَالَ : أَنْزَلَ النَّاسَ مِنْكَ ثَلَاثَ مَنَازِلَ ، فَاجْعَلْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ سِنًا بِمَنْزِلَةِ أَبِيكَ ،
وَمَنْ هُوَ تَرْتُّبُكَ بِمَنْزِلَةِ أَخِيكَ ، وَمَنْ هُوَ دُونَكَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِكَ ، ثُمَّ أَنْظِرْ أَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ
أَنْ تَهْتِكَ لَهُ سِتْرًا أَوْ تُبْدِيَ لَهُ عَوْرَةً !

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفنوغرافية «رحلى» . (٢) يقرف، أي يُعَابَرُ وَيُتَمَمُ .

سعيد بن واقد المزني قال حدثنا صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال :
 وفد العلاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "أقرأ من القرآن شيئاً؟"
 فقرأ "عبس" وزاد فيها من عنده : وهو الذي أخرج من الحلي ، نسمة تسعى ، من
 بين شرا سيف وحشي ؛ فصاح به النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : "كف فإن
 السورة كافية" . ثم قال : "هل ترى من الشعر شيئاً؟" فأنشده :

حَيَّ ذَوَى الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبَهُمْ * تَحِيَّتِكَ الْقُرْبَى فَقَدْ تَرُفَعُ النَّعْلُ
 وَإِنْ دَحَسُوا بِالْكَرِهِ فَأَعْفُ تَكْرُمًا * وَإِنْ خَسُوا عَنْكَ الْخَدِيثَ فَلَا تَسْلُ
 فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ * وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يَقْلُ
 فقال النبي عليه السلام : "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال رجل لبكر بن محمد بن علقمة : بلغني أنك
 تقع في ؛ [قال] : أنت إذا أكرم على من نفسى ! . وقال بعض الشعراء :
 لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا * فَيَكْشِفَ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ
 وَأَذْكَرَ حَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذَكَرُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
 وقال أبو الدرداء : لَا يُخْرِزُ الْإِنْسَانَ مِنْ شَرِّهِ النَّاسُ إِلَّا قَبْرُهُ .

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم موله : إن الولاية جعلوا العيون على العوام وأنا
 أجعلك عيني على نفسي ، فإن سمعت مني كلمة ترأبني عنها أو فعلاً لا تحبه فعظني
 عنده وأنهي عنه .

العُتْبِيُّ قَالَ : تَقَصَّ ابْنُ لَعَامِرٍ بِنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛
 فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : لَا تَتَقَصَّه يَابُنَيَّ ، فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مَا زَالُوا يَسْتَمُونَهُ سِتِينَ سَنَةً فَلَمْ

(١) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفي اللسان في مادة دحس «بالشر» .
 (٣) خنسوا : أخفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .
 (٥) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تهكن» ، وفيه أيضا : «فيتهك» بدل «فيكشف» .

يَزِدُّهُ اللهُ إِلَّا رَفْعَةً، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا فَهَدَمْتَهُ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا إِلَّا عَادَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمْتَهُ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا * فَإِذَا أَتَيْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَنَّاكَ تُعْذِرُ إِنْ وَعْظْتَ وَيُقْتَدَى * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لَا تُنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ * عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ * مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

لَكَ الْآخِرُ، لَمْ نَفْسًا عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا * وَدَعْ لَوْمْ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تَلِيمٌ^(١)
وَكَيْفَ تَرَى فِي عَيْنِ صَاحِبِكَ الْقَذَى * وَيَخْفَى قَذَى عَيْنِكَ وَهُوَ عَظِيمٌ

كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَزَمِّتِينَ لَا يَزَالُ يَغِيبُ النَّبِيدَ وَشَرَابَهُ فَإِذَا وَجَدَهُ سِرًّا شَرِبَهُ؛ فَقَالَ
فِيهِ بَعْضُ خِيَرَاتِهِ :

وَعِيَايَةَ الشُّرْبِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ * تَبُولُ نَبِيدًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا
قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ : إِنِّي لَأَرْحُكَ مِمَّا تَقُولُ النَّاسُ فِيكَ؛ قَالَ : أَتَسْمَعُنِي
أَقُولُ فِيهِمْ شَيْئًا؟ قَالَ : لَا؛ قَالَ : إِيَّاهُمْ فَارْحَمْ.

قَالَ أَعْرَابِيٌّ لَأَمْرَأَتِهِ :

وَأَمَّا هَلَكْتُ فَلَا تَتَكَبَّرِي * ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا
يَرَى مَجْدَهُ ثَلَبَ أَعْرَاضَهَا * لَدَيْهِ وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم : من ألام الرجل إذا أتى ذنبا يلام عليه .

(٢) من تزمت إذا توقرفى مجلسه ، ومنه التزمت كأمير ، أى الوقور الساكن القليل الكلام ، والتزمت

كسكين أوفرته .

باب السَّعَايَةِ

روى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقِنِي الشَّعْبِيُّ فَقَالَ : يَا أَبَا زَيْدٍ أَطَرَفْنَا مَا سَمِعْتَ ؟ قُلْتُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ يَقُولُ : لَا تَسْكُنُ مَكَّةَ سَافِكُ دِمٍّ ، وَلَا تَكُلُ رَبًّا ، وَلَا مَشَاءُ بَنِيمٍ ؛ فَعَجِبْتُ مِنْهُ حِينَ عَدَلَ النَّمِيمَةَ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ وَأَكَلَ الرَّبَّاءِ ؛ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا ! وَهَلْ تُسَفِّكُ الدِّمَاءَ وَتُرْكِبُ الْعِظَامَ إِلَّا بِالنَّمِيمَةِ !

عَاتَبَ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ مِنْ ذَلِكَ وَدَفَعَهُ ؛ فَقَالَ مُضْعَبُ : أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَةُ ؛ فَقَالَ الْأَحْنَفُ : كَلَّا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ الثَّقَةُ لَا يُبَلِّغُ . قَالَ الْأَعَشَى :

وَمَنْ يُطْعِمِ الْوَاشِينَ لَا يَتَرُكُوا لَهُ * صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَا

وَذَكَرَ السَّعَاةُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حُضُرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِيَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ لَكَفَّاهُمْ^(٢) .

سَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بِرَجُلٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : انصَرِفْ حَتَّى أَسْأَلَ عَمَّا ذَكَرْتَ ، وَبَعَثَ فِي أَلْسَالَةٍ عَنِ السَّاعِي فَإِذَا هُوَ لَغِيرِ أَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ ، فَقَالَ بِلَالٌ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " السَّاعِي بِالنَّاسِ لَغِيرِ رُشْدَةٍ " . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْوَاشِي نَعَى يَوْمًا صَدِيقًا * فَلَا تَدْرِعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشِي

(١) هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ (إِلَّا أَنَّهُمْ) لَيْسَتَا بِالْأَصْلِ ، وَقَدْ تَقْلَنَاهُمَا عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِلَى النَّاسِ » .

(٣) يُقَالُ : هَذَا وَلَدُ رُشْدَةٍ إِذَا كَانَ لَزَوَاجٍ صَحِيحٍ ، وَجَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١

ص ٢٣٦ وَلِسَانُ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ «رُشْدَ» بِلَفْظِ «السَّاعِي لَغِيرِ رُشْدَةٍ» .

أتى رجلٌ الوليد بن عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لابييه ، فقال : للأمير عندي نصيحةٌ ، فقال : إن كانت لنا فأظهرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ، قال : جارئي عَصَى [وَفَرَّ^(١) مِنْ بَعْتِهِ] ، قال : أما أنت فتخبر أنك جارٌ سوء ، فإن شئت أرسلنا معك ، فإن كنت صادقاً أقصيناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت تاركناك ، قال : بل تاركني .

وقال عبدة بن الطبيب :

وَأَعْصُوا الَّذِي يُسَدِّي النِّيمَةَ بَيْنَكُمْ * مُتَنَصِّحًا وَهُوَ السَّيِّئُ الْمُتَّقِعُ^(٣)
يُزِجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ * حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقُ الْأَخْدَعُ^(٤)
حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ * عَسَلُ بَمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْعِشُ^(٥)
لَا تَأْمِنُوا قَوْمًا يَتَشَبَّ صَبِيهِمْ * بَيْنَ الْقِبَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْسِعُ^(٦)
إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ خُلَّانَكُمْ * يَشْفِي صُدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا^(٧)
فَضَلَّتْ عَدَاوتُهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ * وَأَبَتْ ضَبَابُ صُدُورِهِمْ لَا تُنْزِعُ^(٨)
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظُّلَامُ عَلَيْهِمْ * حَدَجُوا قَنَافِدَ بِالنِّيمَةِ تَمْزَعُ^(٩)

(١) في النسخة الفوتوغرافية «من يعنه» وفي الألمانية «من يعينه» . وما وضعناه والزيادة عن

العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضليات : يزجي النائم ، أي يسوقها .

(٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السَّيِّئُ . (٤) الأخدع : عرق في العنق في موضع

الحجامة . (٥) مشعشع : ممزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هذا

البيت في المفضليات هكذا : * بين القوابل بالعداوة ينسع *

ويُنْسَعُ من شُع فلان بكذا : أولع به . (٧) كذا في الأصل . وروى في المفضليات وشواهد "المسند

إليه" من تلخيص المفتاح :

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ * يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا

(٨) الضباب جمع ضَبٍّ ، والمراد به : الغل المنع في الصدر إيمان الضب في حجره . (٩) دمس :

اشتدت ظلمته . (١٠) حدجوا قنائف : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنيمة والاحتياال في الشر كما

يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينام ليله أجمع . كذا في شرح المفضليات . (١١) تمزع : تسرع .

وقال أبو ذَهَبٍ الْجَحِيَّ :

وقد قَطَعَ الواشونَ ما كانَ بيننا * ونحن إلى أن يُوصَلَ الجبلُ أحوجُ
رَأَوْا عورةً فاستقبلوها بِالْبَهْمِ^(١) * فراحوا على ما لا يُحِبُّ وأدْجَحُوا
وكانوا أناساً كنتُ آمنُ غيَهم * فلم ينههم حِلْمٌ ولم يتَحَرَّجُوا

وقال بَشَّارُ :

تَسْتَهِي قُرْبَكَ الرَّبَابُ وَتَحْشَى * عَيْنَ وَاشٍ وَتَقِي أَسْمَاعَةَ
أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا مَحَلُّ شَرَابٍ * تَسْتَهِي شُرْبَهُ وَتَحْشَى صُدَاعَهُ

وقال أبو نُؤَاسٍ :

كنتُ من ألحَبِّ في دُرَى نَبِقٍ^(٢) * أَرُوْدُ مِنْهُ مَرَادَ مَوْمِقٍ^(٣)
حتى تَنَانِي عَنْهُ تَحْلُقُ وَاش * يَشِ كَذِبَةً لَفَهَا بِتَرْوِيقٍ
جَبْتُ قَفَا مَا نَمْتُهُ مُعْتَذِرًا * مِنْهُ وَقَدْ فُزْتُ بَعْدَ تَخْرِيقٍ^(٤)
كقول كسرى فيما تَمَثَّلَهُ * مِنْ فُرْصِ اللَّصِّ صَبْحَةُ السُّوقِ

وقرأت في كتاب للهند: قلما يمنع القلب من القول إذا تردد عليه، فإن الماء أليّن من القول والحجر أصلب من القلب، وإذا انحدر عليه وطال ذلك أثر فيه، وقد تقطع الشجرة بالفؤوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيوف فيندمل واللسان لا يندمل بجرحه، والنصoul تغيب في الجوف فتزعزع والقول إذا وصل إلى القلب لم ينزع، ولكل حريق مطفي: للنار الماء، وللسم الدواء، وللحزن الصبر، وللعشق الفُرقة، ونار الحقد لا تحبؤ.

(١) بالهم : بجمعهم . (٢) نَبِق : مرتفع .

(٣) في النسخة الفتوغرافية « فيه » .

(٤) في الأصلين ونسخ الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تخريق * وما أثبتناه

رواية في هامش النسخة الألمانية . وبها يستقيم الوزن .

وقال طَرْفَةُ بن العبد :

وَتَصَدُّ عَنْكَ مَخِيلَةُ الرَّجُلِ السَّعِيرِ بِيضُ مُوَضَّحَةٍ عَنِ الْعَظِيمِ
يُحْسِمُ سَيْفَكَ أَوْ لِسَانَكَ وَالسَّكَمُ الْأَصِيلُ كَأَوْسَعِ الْكَلِمِ

ونحوه قوله :

* وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ إِلَّا بَرُّ *

وقال أمرؤ القيس :

* وَجَرَحُ الْلِسَانِ بِجَرَحِ الْيَدِ *

سأل رجلٌ عبدَ الملك بن مروان أَنَحْلُوهُ ؛ فقال لأصحابه : إِذَا سِتِمَ ^(٢) تَحَوُّا ؛ فلما
تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِلْكَلَامِ قَالَ لَهُ : إِيَّاكَ وَأَنْ تَمْدَحَنِي فَإِنِّي أَعْرِفُ بِنَفْسِي مِنْكَ ، أَوْ تَكْذِبَنِي
فإنه لَا رَأْيَ لِكَذُوبٍ ، أَوْ تَسْعَى بِأَحَدٍ إِلَيَّ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقِيلَكَ أَقْلَتُكَ ؛ قَالَ : أَقْلِنِي .
وقال ذو الرِّياسَتَيْنِ : قَبُولُ السَّعَايَةِ شَرٌّ مِنَ السَّعَايَةِ ، لِأَنَّ السَّعَايَةَ دِلَالَةٌ
وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ كُنَّ قَبِيلَ وَأَجَازَ ، فَاثْمَتِ السَّاعِي عَلَى سِعَايَتِهِ
وإن كَانَ صَادِقًا لِلزُّمَةِ فِي هَتِكِ الْعَوْرَةِ وَإِضَاعَةِ الْحَرَمَةِ ، وَعَاقِبُهُ إِنْ كَانَ كَاذِبًا لَجْمَعِهِ
بَيْنَ هَتِكِ الْعَوْرَةِ وَإِضَاعَةِ الْحَرَمَةِ مُبَارَزَةٌ لِلَّهِ بِقَوْلِ الْبَهْتَانِ وَالزُّورِ .

وقال بعضُ المُحَدِّثِينَ لعبد الصمد بن المعدَّل :

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ * وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ

وقال رجلٌ للوليد بن عبد الملك : إِنْ فَلَانًا شَتَمَكَ ؛ فَأَكْبَتْ ثُمَّ قَالَ : أَرَاهُ شَتَمَكَ .
وَأَتَى رَجُلٌ أَبْنَ عَمْرٍ فَقَالَ لَهُ : إِنْ فَلَانًا شَتَمَكَ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي وَأَخِي عَاصِمًا لَا نُسَابُ أَحَدًا .
عَوَانَةُ قَالَ : كَانَ بَيْنَ حَاتِمِ طَيْئٍ وَبَيْنَ أَوْسَ بْنِ حَارِثَةَ الطُّفْ مَا يَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ؛
فَقَالَ النِّعْمَانُ بْنُ أَلْمَنْدَرِ بِلِجْسَانِهِ : وَاللَّهِ لَا تُفْسِدَنَّ مَا بَيْنَهُمَا ؛ قَالُوا : لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؛

(١) فِي كِتَابِ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ : « وَتَرَدَّ » ، وَالْعَرِيضُ : الرَّجُلُ الَّذِي يَتَعَرَّضُ النَّاسُ بِالْشَّرِّ .

(٢) زِيَادَةٌ فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ .

قال : بلى فقلما جرت الرجال في شيء إلا بلغتته ؛ فدخل عليه أوس ؛ فقال : يا أوس ما الذي يقول حاتم ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول إنه أفضل منك وأشرف ؛ قال : أبيت اللعن ، صدق ! والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأنهبنا في مجلس واحد ، ثم خرج وهو يقول :

يقول لي النعمان لا من نصيحة * أرى حاتما في قوله متطاولا

له فوقنا باع كما قال حاتم * وما النصح فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقالته لأوس ؛ قال : صدق ، أين عسى أن أقع من أوس ! له عشرة ذكور أحسنهم أفضل مني ، ثم خرج وهو يقول :

يسألني النعمان كي يسترلني * وهيات لي أن أستضام فأصرعا

كفاني نقصا أن أضيم عشيري * بقول أرى في غيره متوسما

فقال النعمان : ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين .

ذكر يعقوب بن داود أيام كان مع المهدي أنه وافاه في يوم واحد ثمانون رقعة كلها سعاية ، منها ستون لأهل البصرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وشى وأش برجل إلى الإسكندر ؛ فقال له : أتحب أن أقبل منك ما قلت

فيه على أن تقبل منه ما قال فيك ؟ قال : لا ؛ قال : فكف عن الشر يكف عنك الشر .

كتب بعض إخواننا من الكتاب إلى عامل وكان سعي به إليه : لست أنفك فيما بيني وبينك من إحدى أربع : إما كنت محسنا وإنك لكذلك فاربب ، أو مسيئا ولست به فأبقي ، أو أكون ذا ذنب ولم أتعمد فتعمد ، أو مقروفا وقد تلحق به حيل الأشرار فتبث (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء يميم)

باب الكذب والقحة

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا سليمان بن داود عن مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند عن شهر بن حوشب عن الزبرقان عن النّوّاس بن سَمْعَانَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ الْحَرْبِ فَإِنَّمَا خِدْعَةٌ وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَالرَّجُلُ يُرْضَى أَمْرَاتُهُ" .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا بربر بن هارون^(١) قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لَمْ يَكْذِبْ مَنْ قَالَ خَيْرًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ" .

قال : حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا أبو داود عن عمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلي : إِذَا سَرَّكَ أَنْ تُكْذِبَ صَاحِبَكَ فَلَقْنَهُ .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قال : "نعم" قال : أَيْكُونُ بَخِيلًا ؟ قال : "نعم" قال : أَيْكُونُ كَذَابًا ؟ قال : "لا" . قال حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : عاتب إنسان كذابا على الكذب ؛ فقال : يابن أخى لو تَغَرَّغْتَ بِهِ مَا صَبَرْتُ عَنْهُ . قال : وقيل للكذوب : أَصَدَقْتَ قَطُّ ؟ قال : أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ لَا فَأَصْدُقُ . وقال ابن عباس : الْحَدِيثُ حَدَّثَانِ : حَدَّثُ مِنْ فَيْكَ وَحَدَّثُ مِنْ فَرْجِكَ . وقال مديني : مَنْ ثَقُلَ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَمَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ . ومثله قول الشاعر :

(١) وفي رواية : «مواطن» . (٢) كذا في الأصول ولم تقف في كتب التراجم على من يسمى بربر

ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨ .

(٣) تَغَرَّغْتَ بِهِ : رَدَدْتَهُ فِي حَلْقِكَ .

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّةٍ * ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مَقَالَةُ السَّوِّءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُنْهَدِرٍ سَائِلِ

بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كل] ما أصاب البصائم شوى^(٢)
ما خلا الغيبة والكذب. وقال سليمان بن سعد: لو صحبني رجل فقال: أشرت ط خصلة
واحدة لا يزيد عليها، لقلت لا تكذبني. كان ابن عباس يقول: الكذب جفور، والنميمة
سحر، فمن كذب فقد فجر، ومن لم فقد سحر. وكان يقال: أسرع الاستماع وأبطئ التحقيق.
قال الأحنف: ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن. وكانوا يحلفون
فيحشون ويقولون فلا يكذبون. ذم رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعة^(١)
العقق^(٣) يعني السرقة، وروغان الثعالب يعني الخب، ولمعان البرق يعني الكذب. ويقال
الأذلاء أربعة: النمام والكذاب والمدين والفقير. قال ابن المقفع: لا تهاون بإرسال
الكذبة في الهزل فإنها تسرع في إبطال الحق. وقال الأحنف: أثنان لا يجتمعان أبدا:
الكذب والمروءة. وقالوا: من شرف الصدق أن صاحبه يصدق على عدوه. وقال
الأحنف لأبنة: يا بني اتخذ الكذب كثرا، أي لا تخرجه. وقيل لأعرابي كان
يسهب في حديثه: أما لحديثك هذا آخر؟ فقال: إذا أقطع وصلته. وقال ابن
عمر: "زعموا" زاملة الكذب^(٤). كان يقال: علة الكذب أقبح علة، وزلة المتوفى
أشد زلة. كان المهلب كذابا وكان يقال له: راح يكذب. وفيه يقول الشاعر

(١) الزيادة عن اللسان في مادة «شوى». (٢) أي: شى. يسير هين. وأصل الشوى الأطراف

ومعنى الحديث أن كل شى. أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست مقاتل، ما عدا الغيبة
والكذب فإنهما في تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان. (٣) العقق: طار على قدر

الحمامة وهو على شكل الغراب ويقال له: الققعق، والعرب تشام به وتضرب به المشل في السرقة
والخيانة والخبث. (٤) الزاملة: الدابة التي يحمل عليها، يريد أن لفظ «زعموا» مطية الكذب

تَبَدَّلَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ قُرَيْشٍ * مَزُونِيًّا بَفَقَحَتِهِ الصَّلِيبُ
فَأَصْبَحَ قَافِلًا كَرُمٌ وَجُودٌ * وَأَصْبَحَ قَادِمًا كَذِبٌ وَحُوبٌ

قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبتُ كَذْبَةً قَطَّ ؛ قال : أمَّا هذه فواحدةٌ يُشْهَدُ بها عليك . قال ميمون بن ميمون : مَنْ عُرِفَ بالصدق جاز كذبه ، وَمَنْ عُرِفَ بالكذب لم يَجْزِ صدقه . قال أبو حية التَّمِيمِيُّ - وكان كذابا - : عَنْ لِي طَبِيٍّ فَرَمِيْتُهُ فَرَاغَ عَنْ سَهْمِي ه
فَعَارَضَهُ وَاللَّهِ السَّهْمُ ، فَرَاغَ فَرَاوَعَهُ السَّهْمُ حَتَّى صَرَعَهُ بَعْضُ الْخَبَارَاتِ . وَقَالَ أَيْضًا :
رَمَيْتُ ظُيَّةً فَلَمَّا نَفَذَ السَّهْمُ ذَكَرْتُ بِالطُّبِيَّةِ حَبِيْبَةً لِي فَشَدَدْتُ وَرَاءَ السَّهْمِ حَتَّى
قَبِضْتُ عَلَى قُدْذِهِ (٣) . وَصَفَ أَعْرَابِيَّ امْرَأَةً فَقِيلَ : مَا بَلَغَ مِنْ شِدَّةِ حُبِّكَ لَهَا ؟ قَالَ : إِنِّي
لَأَذْكُرُهَا وَبَنِيَّ وَبَيْنَهَا عَقَبَةُ الطَّائِفِ فَأَجِدُ مِنْ ذِكْرِهَا رِيحَ الْمِسْكِ .

أَنشَدَ الْفَرَزْدَقُ سَلِيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

ثَلَاثٌ وَأَثْنَتَانِ فَهِنَّ خَمْسٌ * وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى شِمَامِ
فَيْتَنٍ يَجَانِي مُمْصَرَعَاتٍ * وَبِتُّ أَفْضُ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ
كَأَنَّ مَقَالِقَ الرِّمَانِ فِيهِ * وَجَمْرَ غَضَا قَعْدَنَ عَلَيْهِ حَامِي

فَقَالَ لَهُ سَلِيْمَانُ : وَيْحَكَ يَا فَرَزْدَقُ ، أَحَلَّتْ بِنَفْسِكَ الْعُقُوبَةَ ، أَقَرَّرْتَ عِنْدِي بِالزَّنا وَأَنَا
إِمَامٌ وَلَا بَدَّ لِي مِنْ أَنْ أَحْدَثَكَ ؛ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَوْجِبْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ ؟ قَالَ :
بِكِتَابِ اللَّهِ ؛ قَالَ : فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَدْرَأُ عَنِّي الْحَدَّ ؛ قَالَ : وَأَيْنَ ؟ قَالَ : فِي قَوْلِهِ :
(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)
فَأَنَا قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَمْ أَفْعَلْ ؛ وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَأِنَّمَا الشَّاعِرُ مَجْنُونٌ كَلْبٌ * أَكْثَرُ مَا يَأْتِي عَلَى فِيهِ الْكَذِبُ

٢٠ (١) كذا في لسان العرب في مادة «مزن» والذي في الأصل «المازل» .

(٢) في الأصل «الحيارات» وفي الأغاني «الجبانات» وفي البيان والتبيين «الجنارات» والنصوب عن
الشعر والشعراء لابن قتيبة . والحيارات جمع خبارة وهي ما لان واسترنجى من الأرض وساخت فيها القوائم
وفي المثل «من تجنب الخبر أرين العثار» . (٣) القذذ جمع قذذة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ من البليَّةِ بعضُ ما يُنْحَى عليه
مهما سمعتَ بِكَذِبَةٍ * مِنْ غيرِ نُسِبَتِ إليه

وقال بشار :

وَرَضِيْتُ من طُوبِ العَناءِ بِيأسِهِ * واليأسُ أيسرُ منِ عَدَاتِ الكاذِبِ
والعرب تقول : « أَكْذَبُ من سَالِئَةٍ ^(١) » وهي تكذب مخافة العين على سَمْنِهَا . و« أَكْذَبُ
من مُجَرَّبٍ » لأنه يخاف أن يُطْلَبَ من هِنائِهِ . و« أَكْذَبُ من يَلْمَعِ » وهو السراب . منصور
ابن سَلَمَةَ الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا شَيْبُ بن شَيْبَةَ أَبُو مَعْمَرٍ الخَطِيبُ قال : سمعت
أَبَنَ سِيرِينَ يقول : الكلامُ أوسعُ من أن يكذبَ ظَرِيفٌ . وقال في قول الله عز وجل :
(لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معاريض الكلام . وقال القيني : أَصْدُقُ
في صِغار ما يضرُّني لِأَصْدَقَ في كبار ما ينفُئني . وكان يقول : أنا رجل لا أبالى
ما آسَفتُ به الأحرارَ . نافرَ رجل من جَرَمِ رجلا من الأنصار الى رجل من قريش ،
فقال للجُرْمِيِّ : أيا الجاهلية تُفَاخره أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام ، فقال : كيف تُفَاخره وهم
آوُوا رسولَ الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلام ؟ قال الجُرْمِيُّ : فكيف تكون قلةُ الحياءِ .
وقال آخر : إِنَّمَا قَوِيْتُ على خصومي بَأَنِّي لم أَسْتَرِ قَطْ شَيْءَ من القبيح . وذكر أعرابي
رجلا فقال : لو دُقَّ وجهُهُ بالحجارة لَرْضَها ، ولو خلا بأستار الكعبة لَسَرَقَها . قيل لرجل
من بني أسد : بأى شَيْءَ غلبتَ الناسَ ؟ قال : أَبْهَتُ الأحياءَ وَأَسْتَشْهِدُ الموتى .
وقال طَرِيحٌ التَّقْفِيُّ يَذَمُّ قوما :

إِنْ يَعْلَمُوا الخَيْرُ يُخْفَوهُ وَإِنْ عَلِمُوا * شَرًّا أَذِيعَ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَّبُوا

(١) في جمع الأمثال "السائلة" بالتعريف ، وهي التي تسلا السمن أو تطبخه وتعالجه ، قال الميبداني
في جمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجن ، قد احترق . والارتجان ألا يخلص سمنها .
(٢) الهناء : القطران .

وكان يقال : آثان لا يتفان أبداً : القناعة والحسد، وآثان لا يفرقان أبداً : الحرص والقبحة، وقال الشاعر :

إِن يَخْلُوا أَوْ يَغْدِرُوا * أَوْ يَفْخَرُوا لَا يَخْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجِّلِينَ^(١) كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا
كَأَنِّي بَرَأَقِشَ كُلِّ لَوْ * إِن لَّوْنُهُ يَتَخَيَّلُ^(٢)

هجا أبو الهول الحميريُّ الفضل بن يحيى ثم أناه راغباً إليه ، فقال له الفضل : ويلك بأبي وجه تلقاني ! قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر؛ فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب في الوقاح «رمتني بدائها وأنسلت» . وقال الشاعر :

أَكُوْلُ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا شَتَا * صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الشَّاءِ وَقَاحٌ^(٣)

- ١٠ قال رجل لقوم يفتابون ويكذبون : تَوَضُّؤُوا فَإِن مَاتَ قَوْلُونَ شَرٌّ مِنَ الْحَدِّثِ . وبلغني عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلت لعبيدة : ما يوجب الوضوء؟ قال : الحدِّثُ وأذى المسلم . روى الصَّلْتُ بن دينار عن عُقْبَةَ عن أَنَسِ بن مالك قال : يعني أبو موسى الأشعريُّ من البصرة الى عمر؛ فسألني عن أحوال الناس ثم قال : كيف يصلح أهل بلدٍ جُلُّ أَهْلِهِ هَذَانِ الْحَيَّانِ : بكرٌ بن وائل وبنو تميم ، كَذَبَ بَكْرٌ وَبَجَلٌ تَمِيمٌ . ذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزييد البحرين فقال : البحر كثير العجائب ، وأهلُه أصحاب تزييد ، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصِّدْق ، وأدخلوا ما يكون فيما يكاد لا يكون ، وجعلوا تصديق الناس لهم في غريب الأحاديث سُلماً الى أدعاء المحال .
- ١٥ حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيِّ قال : كان يقال : الصِّدْقُ أحياناً مُحَرَّمٌ .

(١) جُزِمَ « يندوا » لأنه بدل من « لا يخفلوا » فان غدوهم مرجلين هو في معنى أنهم لم يخفلوا . كذا يؤخذ من اللسان . والترجيل : مشط الشعر وإرساله . (٢) أبو براقش : طائر يتلون ألوانا شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . كذا في اللسان . (٣) كما يستعمل الشاء في ذكر المرء بالخير يستعمل في ذكره بالشر .

حدثني شيخنا لنا عن أبي معاوية قال حدثنا أبو حنيفة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذبة واحدة ، كنتُ أرسلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخاء رجلٍ من الطائف فقلت : هذا يغلبني على الرجال ، فقال : أيُّ الرجال أحبُّ إلى رسول الله ؟ فقلت : الطائفة المكيَّة ، فرحل بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”مَنْ رَحَّلَ لَنَا هَذَا“ فقالوا : الطائفة ، فقال : ”مُرُوا عَبْدَ اللَّهِ فَلْيُرَحِّلْ لَنَا“ فعدتُ إلى الرجال .

باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ سَوْءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ“ .

قال وحدثني أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل بن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال] : قيل : يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال : ”سَوْءُ الْخُلُقِ“ .

قال وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا^(٢) مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ» .

قال وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : حدثني شيخ يمني قال : صحبَ أيوبَ رجلٌ في طريق مكة فأذاه الرجلُ بسوء خلقه ، فقال أيوبُ : إني لأرجمه لسوء خلقه .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الإحياء «حتى يعتدى ...» .

قال وحديثي عبدالرحمن عن الأصمعي قال : قال أبو الأسود : لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم . وأوصى بنيه فقال : لا تُجاوِدُوا الله فإنه أجمد وأجود ، ولو شاء أن يُوسّع على الناس كُلّهم حتى لا يكون محتاج لَفَعَل ، فلا تَجْهَدُوا أَنْفُسَكُمْ في التوسّع فتهلكوا هزلا . قال : وسمع رجلا يقول : مَنْ يُعْشَى الجائع ؟ فقال : على به ، فعشاه ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أهلك ؛ قال : هيات ، على ألا تؤذي المسلمين الليلة ، ووضع في رجله الأدهم حتى أصبح . قال : وأكل أعرابي معه تمرا فسقطت من يد الأعرابي ثمرة فأخذها وقال : لا أدعها للشيطان ؛ فقال أبو الأسود : لا والله ولا لجبريل . نظر ابن الزبير يوما الى رجل وقد دق في صدور أهل الشام ثلاثة أرماج فقال : أعتزل حربنا فإن بيت المال لا يقوم لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه كان يأكل في كل سبعة أيام أكلة ويقول في خطبته : إنما بطني شبر في شبر وما عسى أن يكفيني . وقال أبو وجزة مولى آل الزبير :

لو كان بطنك شبرا قد شيعت وقد * أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
فإن تُصَبِّكَ مِنْ الْآيَامِ جَائِحَةً * لَأَتَبِكَ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينَ

وفيها يقول :

ما زِلْتُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ تَدْرُسُهَا * حَتَّى فَوَادِكَ مِثْلُ الْخَزْفِ فِي اللَّيْلِ

وفيها يقول :

إِنْ أَمْرًا كُنْتُ مَوْلَاهُ فَضِيعَنِي * يَرْجُو الْفَلَاحَ لِعِنْدِي حَقَّ مَغْبُونٍ

وفيه يقول آخر :

رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ - وَرَبُّكَ غَالِبٌ * عَلَى أَمْرِهِ - يَبْغِي الْخِلَافَةَ بِالْتَّمَرِ

هذا حين قال : أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دُونَ سَيِّئِكَ لَوْ أَنَّ لَيْلٍ مُّظْلِمٍ * وَحَفِيفُ نَافِثَةٍ وَكَلْبٌ مُّوسِدٌ ^(١)
وَأَخْوَكُ مُحْتَمِلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةٌ * وَمُسِيفٌ قَوْمِكَ لَا تُمُّ لَا يَحْمَدُ ^(٢)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَانِخٍ * لَا بَلَّ أَحْبَهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ ^(٣)
وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ سَعِيدَ بْنِ سَلَمٍ فَقَالَ :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ لَا تَخَشِ ضِلَّةً * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ ^(٤)
لَنَا سَيِّدٌ أَرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ * جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ ^(٥)

فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

لِكُلِّ أَنْحَى مَدِجٍ ثَوَابٌ يُعْده * وَلَيْسَ لِمَدِجِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ ^(٦)
مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِجُ مَهْرَةٌ * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ

وقال فيهم المَرْزُوقُ الْحَضْرَمِيُّ :

إِذَا وَلَدَتْ حَلِيلَةٌ بَاهِلِيًّا * غَلَامًا زَيْدٌ فِي عَدَدِ اللَّطَامِ
وَعِزْرُضُ الْبَاهِلِيِّ وَإِنْ تَوَقَّى * عَلَيْهِ مِثْلُ مَنَدِيلِ الطَّعَامِ
وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بَاهِلِيًّا * لَقَصَّرَ عَنْ مُسَامَاةِ الْكِرَامِ

ودخل قُدَامَةُ بْنُ جَعْدَةَ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، بِالْبَابِ الْأَمِّ
العرب، قال : ومن ذاك؟ قال : سَلَوْتُ رَسُولَ مُحَارَبِي إِلَى بَاهِلِيٍّ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةُ . وقال آخر

(١) السبب : العطاء، وفي النسختين الفتوغرافية والألمانية : « شيبك » بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) النابغة بالهم (كما في الألمانية) وبالهاء (كما في الفتوغرافية) : الريح الشديدة فكثرتها صحبة .

(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فافتقر .

(٥) الأسود السانخ : الأفعى ، ووصف بالسانخ لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) في النسخة

الألمانية « جنى » والفتوغرافية « حنى » وكلاهما تحريف والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخَفَوْا كَلَامَهُمْ * وَأَسْتَوْثِقُوا مِنْ رِثَاجِ الْبَابِ وَالذَّارِ
لَا يَقْبِيسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ * وَلَا تُكَفِّ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص :

سُمْتُ الْمَدِيحَ رَجُلًا دُونَ قَدْرِهِمْ * صَدُّ قَبِيحٌ وَلَفْظٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ * رَجُلٌ الْبَعُوضَةُ مِنْ نَخَّارَةِ اللَّيْلِ

وقال آخر :

أَلَامٌ وَأُعْطِيَ الْبَخِيلُ مُجَاوِرِي * إِلَى جَنْبِ بَيْتِي لَا يَلَامُ وَلَا يُعْطَى

ونحو هذا قولهم : مَنْعُ الْجَمِيعِ أَرْضَى لِلْجَمِيعِ . وقال بشار :

أَعْطَى الْبَخِيلُ فَمَا آتَتْفَعْتُ بِهِ * وَكَذَلِكَ مَنْ يُعْطِيكَ مِنْ كَدْرِهِ

١٠ قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تُتَفَقِ فَإِنَّ مَالَكَ عَرِيضٌ ؟ قال : الدهرُ أَعْرِضٌ
منه ؛ قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ؛ قال : ولا أخاف أن أموتَ في أوله .

قال الجاحظ : قُلْتُ مَرَّةً لِلْحِزَامِيِّ : قَدْ رَضِيتَ بِقَوْلِ النَّاسِ : عَبْدُ اللَّهِ بَخِيلٌ ؛ قَالَ :

لَا أَعْدَمَنِي اللَّهُ هَذَا الْأَسْمَ ؛ قُلْتُ : كَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فَلَانٌ بَخِيلٌ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ،

فَسَلَّمْ لِي الْمَالَ وَأَدْعِنِي بِأَيِّ أَسْمٍ شِئْتُ ؛ قُلْتُ : وَلَا يُقَالُ سَخِيٌّ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ، فَقَدْ

١٥ جَمَعَ هَذَا الْأَسْمَ الْمَالَ وَالْحَمْدَ وَجَمَعَ هَذَا الْأَسْمَ الْمَالَ وَالذَّمَّ ؛ قَالَ : بَيْنَهُمَا فَرْقٌ ؛

قُلْتُ : هَاتِهِ ؛ قَالَ : فِي قَوْلِهِمْ بَخِيلٌ تَثْبِيتٌ لِإِقَامَةِ الْمَالِ فِي مِلْكِهِ ، وَفِي قَوْلِهِمْ سَخِيٌّ

إِخْبَارٌ عَنْ خُرُوجِ الْمَالِ عَنْ مِلْكِهِ ، وَأَسْمُ الْبَخِيلِ أَسْمٌ فِيهِ حَزْمٌ وَذَمٌّ ، وَأَسْمُ السَّخَاءِ أَسْمٌ

فِيهِ تَضْيِيعٌ وَحَدٌّ ، وَالْمَالُ رَاهَنٌ نَافِعٌ وَمُكْرِمٌ لِأَهْلِهِ مُعِزٌّ ، وَالْحَمْدُ رِيحٌ وَسُخْرِيَةٌ وَأَسْتِمَاعُهُ

ضَعَفَ وَفُسُولُهُ^(١)، وما أَقَلَّ واللهِ غَنَاءَ الحمد عنه إذا جَاعَ بطنُهُ وعِرِيَ جِلْدُهُ وضَاعَ عِيَالُهُ وَشِمَتَ عَدُوهُ^(٢) ! .

وكان محمد بن الجهم يقول : مِنْ شَأْنٍ مَنْ أَسْتَعْنَى عَنْكَ أَلَا يُقِيمَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ أَلَا يَذْهَبَ عَنْكَ ، فَمَنْ ضَنَّ بِصَدِيقِهِ وَأَحَبَّ^(٣) الْأَسْتِثَارَ مِنْهُ وَأَحَبَّ التَّمَتُّعَ بِهِ أَحْتَالَ فِي دَوَامِ رَغْبَتِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَا يَقْوَتُهُ وَيَمْنَعَهُ مَا يُغْنِيهِ عَنْهُ ، فَإِنْ مِنَ الزَّهْدِ فِيهِ أَنْ تُغْنِيَهُ عَنْكَ وَمِنَ الرِّغْبَةِ فِيهِ أَنْ تُحَوِّجَهُ إِلَيْكَ ؛ وَإِبْقَاؤُكَ مَعَ الضَّنِّ بِهِ أَكْرَمُ مِنْ إِغْنَائِكَ لَهُ مَعَ الزَّهْدِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ فِي مِثْلِ : « أَجْعَلْ كَلْبَكَ يَتَّبِعُكَ » . فَمَنْ أَغْنَى صَدِيقَهُ فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى الْغَدْرِ وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الشُّكْرِ ؛ وَالْمَعِينُ عَلَى الْغَدْرِ شَرِيكُ الْغَادِرِ ، كَمَا أَنَّ مُزَيْنَ الْفُجُورِ شَرِيكُ الْفَاجِرِ . قَالَ : وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ : يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الثَّلَاثُ ، وَالثَّلَاثُ كَثِيرٌ » ؛ وَأَنَا أَزْعِمُ أَنَّ ثَلَاثَ الثَّلَاثِ كَثِيرٌ ، وَالْمَسَاكِينُ حَقُوقُهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، إِنْ طَلَبُوا طَلَبَ الرِّجَالِ أَخْذُوهُ ، وَإِنْ جَلَسُوا جَلَسَ النِّسَاءُ مِنْعُوهُ ، فَلَا يُرْغِمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُمْ وَلَا يَرْحِمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحَمُهُمْ .

تَقَدَّمَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى سَوَّارٍ أَحَدَهُمَا سُنَازِعُ مَوْلَى لَهُ فِي حَدِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوهُ مَوْلَاهُ ؛ فَقَالَ سَوَّارٌ : أَسُنَازِعُ مَوْلَاكَ فِي حَدِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوكَ لِإِيَاهُ ؛ فَقَالَ : الشَّحِيحُ أَعَذَّرُ مِنَ الظَّالِمِ ؛ فَرَفَعَ سَوَّارٌ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَرُدُّهُ عَلَى قُرَيْشٍ أَخْطَرَهَا^(٤) .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، والفسولة : النذالة وقلة المروءة ، وفي الفتوغرافية « قشولة » وهو تحريف .
(٢) كتب بهامش الأصل الفتوغرافية بمناسبة الدفاع عن البخل ما نصه : « سبحان الله ! ما رأيت أنهض جانباً للبخل والبخلاء وأبين كلاماً وأصدق حجة وأبسن من المقدمات الواهية والقضايا المزدودة من هذا الرجل ولولا [أن] السخاء سجيية من السجايا الراضخة في أنفاس الأستخياء كاد والله يهدم ركنه ويميل عماده ويكدر موره بل ويمنع السحاب من المطر والبحر من رشح القطر وإن هذا لمن إحدى الكبير » اهـ .
(٣) في النسختين « تصديقه » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خطر وهو الشرف ، وبهامش الأصل الفتوغرافية هذه الجملة : « إنما قال ذلك حتى لا يظلموا الناس لقلة ما بيدهم » .

وقال الخَزَرَجِيُّ :

إِنَّ جُودَ الْمَكِّيِّ جُودٌ حِجَازِيٌّ * وَجُودُ الْحِجَازِيِّ فِيهِ اقْتِصَادٌ
كَيْفَ تَرْجُو النَّوَالَ مِنْ كَفِّ مُعْطٍ * قَدْ غَذَّتْهُ الْأَقْرَاصُ وَالْأُمْدَادُ

نظر سليمان بن مَرْاحِمٍ إلى درهم فقال : في شِقِّ « لا إله إلا الله محمد رسول الله »
وفي وجه آخر « الله لا إله إلا هو الحَيُّ الْقَيُّومُ »^(١) ، ما ينبغي أن يكون هذا إلا
مَعَاذَةً وَقَذْفَةً فِي الصُّنْدُوقِ . أَنشَدَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هَانِيٍّ صَاحِبُ الْأَخْفَشِ عَنْ

الْأَخْفَشِ لِلْخَلِيلِ :

كَفَّاهُ لَمْ يُخْلَقْ لِلنَّدَى * وَلَمْ يَكُ يَخْلُهُمَا بِدَعَةٍ
فَكَفَّ عَنْ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةً * كَمَا نَقَصَتْ مِائَةٌ تِسْعَةً^(٢)
وَكَفَّ ثَلَاثَةً آلَا فِيهَا * وَتَسْعُمِيهَا لَهَا شَرْعُهُ^(٣)

١٠

(١) في الأصلين بعد قوله الْقَيُّومُ كلمة « فقال » والسياق يأبى وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية في نهاية
الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكر بها هذه الكلمة . (٢) كذا في اللسان
مادة شرع . وفي الأصلين « يخلقا » والكف مؤنث لا مذكر . وفي المصباح مادة كفف :
« قال ابن الأثير : وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه .

(٣) في تاج العروس واللسان مادة شرع : * كما حط عن مائة سبعة * ١٥

وقد قيل : إن للعرب حسابا خاصا غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلاً منها
بمآزاء عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع أحادا وعشرات ومئات وألوفاً ، فيشار عن الواحد مثلاً بقبض
الخنصر وعن الاثنين بقبض البنصر وهكذا ، فالعدد الذي أرادته الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم
في هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجعل السبابة حلقة
غير مجوفة لتدل على عدد تسعين ، ولهذا نرجح رواية اللسان على رواية الأصل . وكذلك تقضى قواعدهم في عدد
الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبنصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى
حلقة غير مجوفة لتدل على عدد تسعمائة . انظر « بلوغ الأرب في أحوال العرب » ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩

٢٠

(٤) يقال : هذا شرعة ذلك أي مثاله ؛ عن اللسان .

قال أبو علي الضير :

لعمري أهلك ما نُسب المَعْلَى * إلى كرم وفي الدنيا كريمُ
ولكن البلاد إذا أقشعت * وصَوَّحَ نَبْها رُعي الهشيمُ

وقال آخر :

أَمِنْ خوف فقرٍ، تعجلته * وأخرتَ إنفاقَ ما تَجَمُّعُ
فَصِرْتَ الفقيرَ وأنتَ الْغَنِيُّ * وهل كنتَ تَعْدُو الذي تَصْنَعُ

خوف رجلُ رجلا جوادا الفقرَ وأمره بالإبقاء على نفسه ؛ فكتب إليه : إني أكره
أن أترك أمرا قد وقع ، لأمر لعله لا يَقَعُ . وقال أبو الشَّعْمَقُ :

رَأَيْتُ الْخَبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى * حَسِبْتُ الْخَبْزَ فِي جَوِّ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا لِتَدْبُ عَنَّا * وَلَكِنْ خِفْتَ مَرِزَةَ الذُّبَابِ

وقال دَعْبِلُ :

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِذْ قَالَ مُجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفَ ، فَذَلِكَ الْبُرْءُ مِنْ قَسَمِهِ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ * عَلَى جَرَادِيهِ كَانَتْ عَلَى حَرَمِهِ^(٢)
فَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ قَافَتْكَ بِحُبْرَتِهِ * فَإِنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ نَحْمِهِ وَدَمِهِ

وقال الشاعر :

أُرْفِقْ بِحَقِصِ حَيْنِ تَأْ * كُلُّ يَامِعَاوَى مِنْ طَعَامِهِ
الْمَوْتُ أَيْسَرُ عِنْدَهُ * مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَالتَّقَامَةِ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزِيلِ بِهِ يُرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
سَيَّانَ كَسْرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية "الخير" بدل "الخبز" .

(٢) جمع جرذقة أو جرذقة ، وهو الرغيف ، وفي النسخة الألمانية «جرادقة» وهو اللغة الأصلية فيه .

لا تَكْسِرَنَّ رَغِيفَهُ * إن كنتَ تَرَعِبُ في كَلَامِهِ
وإذا مَرَرْتَ بِبَابِهِ * فاحفظ رَغِيفَكَ من غُلَامِهِ

وقال أبو نُوَاس :

خُبِرُ إِسْمَاعِيلَ كالوشى إذا ما أنشَقَّ يَرْفَا
عَجَبًا من أثر الصَّنعة فيه كيف يَنْحَفَى
إن رَفَاءَكَ هَذَا * أحذقُ الأُمَّة كَفَا^(١)
فإذا قَابَلَ بالنَّصَفِ من الجُرْدَقِ نَصَفَا^(٢)
أَحْكَمَ الصَّنعة حَتَّى * لا تَرَى مَوْضِعَ إِنْشَى^(٣)
مِثْلَ ما جاء من التَّنْشُورِ ما غادر حَرْفَا
وله في المَاءِ أيضًا * عَمَلٌ أَبْدَعُ ظَرْفَا
مَرْجُهُ العَذْبَ بماءِ الْبَرِّ كَيَّ يَزْدَادُ ضِعْفَا
فهو لا يَشْرَبُ مِنْهُ * مِثْلَ ما شَرِبُ صَرْفَا^(٤)

باب الحُمَقِ

قال الشعبي لرجل آستجهله : ما أحوَجَكَ إلى مُحَدَّرَجٍ شَدِيدِ الْقَتْلِ جَيِّدِ الْجَلَّازِ^(٥)
عَظِيمِ الثَّمَرَةِ لَدُنِ الْمَهْزَةِ يَأْخُذُ مِنْكَ فِيمَا بَيْنَ عَجَبِ الذَّنْبِ وَمَغْرِزِ الْعُنُقِ فَتَكْثُرُ لَهُ رَقَصَاتُكَ^(٦)
من غير جدل ؛ فقال : وما هذا ؟ فقال : بعضُ الأمرِ .

(١) في النسخة الفتوغرافية : « أرفق » . (٢) في ديوان أبي نواس " مغرز " .

(٣) الإشفى : الحَقَب (٤) في ديوان أبي نواس : " لا يسقيك " ، وفي هامش النسخة الفتوغرافية ما يوضح الرواية التي هنا ، وهو أن يقدَّر مفعول للفعل الثاني هو ماء البر ويصير المعنى : لا يشرب من

المزوج مثل ما يشرب من ماء البر ، لأن في المزوج من العذب ما يحمله على الحرص والتفتير .

(٥) في هامش النسخة الفتوغرافية " المحدرج : السوط ، والجلَّاز : جودة القتل ، ولدن ، أى لين " .

(٦) ثمرة السوط : عقد أطرافه . (٧) عجب الذنب : العظم الذي في أسفل الصاب عند العجز .

قال حدثني القومسي عن محمد بن الصلت الأسدي عن أحمد بن بشير عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عطاء عن جابر قال : كان في بني إسرائيل رجل له حمار ، فقال : يا رب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري هذا ، فهم به نبي ، فأوحى الله إليه : إنما أُيِّبُ كل إنسان على قدر عقله .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى في المنام أن له غنما وكأنه يُعطى بها ثمانية ثمانية ، ففتح عينه فلم ير شيئا ، فغمض عينه ومدّ يده وقال : هاتوا أربعة أربعة .

مرّ رجل من العباد وعلى عنقه عصا في طرفيها زبيلان قد كادا يحطمانه ، في أحدهما برؤوفى الآخر تراب ، ف قيل له : ما هذا ؟ قال : عدلتُ البر بهذا التراب ، لأنه كان قد أمانني في أحد جانبي فأخذ رجل زبيل التراب فقلّبه وجعل البر نصفين في الزبيلين وقال له : أحمل الآن ، فحمله ، فلما رآه خفيفا قال : ما أعقلك من شيخ ! حفر أعرابي لقوم قبرا في أيام الطاعون بدرهمين ، فلما أعطوه الدرهمين قال : يا بى دعوهُما عندكم حتى يجتمع لى ثمن ثوب . كانت أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن جُمعة السدوسي عند عثمان بن عفان ، وكانت حمقاء تجعل الخنفساء في فيها ثم تقول : حاجيتك ما في في ؟ وهى أم عمرو وأبان أبني عثمان

إبراهيم بن المنذر قال حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال : رأيت طارقا وهو وإن لبعض الخلفاء من بني أمية على المدينة يدعو بالغداء فينغدى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه العظم الممخ فينكته على رمانة المنبر فيأكله .

قالت أُم غَزْوَان الرِّقَاشِيَّ لَابْنِهَا — وراثة يقرأ في المصحف — : يا غَزْوَانُ، أَمَا تَجِدُ فِيهِ بَعِيرًا لَنَا ضَلَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ فَمَا كَهَرَهَا ^(١) وَقَالَ : يَا أُمُّهُ، أَجَدُ وَاللَّهِ فِيهِ وَعَدًّا حَسَنًا وَوَعِيدًا شَدِيدًا .

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى قَالَ : قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ لِرَجُلٍ : مَا أَسْمُكَ ؟ قَالَ : وَثَّابٌ ، قَالَ : فَمَا كَانَ أَسْمُ كَلْبِكَ ؟ قَالَ : عَمْرُو ، قَالَ : وَاحِلَا فَا !

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : عَلَامَةُ الْجَاهِلِ ثَلَاثٌ : الْعُجْبُ ، وَكَثْرَةُ الْمُنْطِقِ فِي مَا لَا يَعْنِيهِ ، وَأَنْ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ وَيَأْتِيَهُ . أُغْمِيَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ فَصَاحَ النِّسَاءُ وَاجْتَمَعَ الْجِيرَانُ وَبَعَثَ أَخُوهُ إِلَى غَاسِلِ الْمَوْتَى بِخَاءٍ فَوَجَدَهُ حَيًّا بَعْدُ ، فَقَالَ أَخُوهُ : آغْسِلْهُ فَإِنَّكَ لَا تَفْرُغُ مِنْ غَسْلِهِ حَتَّى يَقْضَى . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ : يَحْسِبُكُمْ دَلَالَةً عَلَى عَيْبِ الْجَهْلِ أَنْ كُلَّ إِنْسَانٍ يَنْتَفِي مِنْهُ وَيَغْضَبُ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَغْرَنُكَ مِنْ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ وَلَا أَخَوَةٌ وَلَا إِلْفٌ فَإِنْ أَحَقَّ النَّاسَ بِتَحْرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُهُمْ مِنْهَا .

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : خَصْلَتَانِ لَا تَعْدَمَانِكَ مِنَ الْجَاهِلِ : كَثْرَةُ الْإِنْفَاتِ وَسُرْعَةُ الْجَوَابِ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : إِيَّاكَ وَمَوْخَاةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضْرِكُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِأَنَّ أَزَاوِلَ أَحْمَقٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنَّ أَزَاوِلَ نَصَفٍ أَحْمَقٍ ، يَعْنِي الْأَحْمَقَ الْمُتَعَاقِلَ . وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : يُعْرِفُ حَقُّ الرَّجُلِ بِأَرْبَعَةٍ : بِطَوْلِ لِحْيَتِهِ ، وَبِشِنَاعَةِ كُنْيَتِهِ ، وَنَقِشِ خَاتَمِهِ ، وَإِفْرَاطِ شَهْوَتِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ شَيْخٌ طَوِيلُ الْعُتُونِ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَمَا هَذَا فَقَدْ جَاءَ بِوَاحِدَةٍ ، فَانْظُرُوا أَيْنَ هُوَ مِنَ الثَّلَاثِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنْيَتُكَ ؟ فَقَالَ : أَبُو الْيَاقُوتِ ، وَقَالُوا : مَا نَقِشُ خَاتَمِكَ ؟ قَالَ : (وَجِئُوا عَلَى

(١) كَهَرَكُنْج : انْتَهَر . (٢) فِي النُّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : ”لَا تَعْدَمَانِكَ“ ، وَفِي الْفَتْوَرِافَةِ

”لَا يَبْدُ مَا بَكَ“ وَلَعَلَّ مَا أُتْبِنَاهُ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ .

فَيَصِيهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) . وفي حكاية أخرى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ) ؛
فَقِيلَ لَهُ : أَىَّ الطَّعَامِ تَسْتَهِي ؟ فقال : جَلَنَجَيْنَ^(١) ، وفي حكاية أخرى مصاصة^(٢) .

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى رجلا : يا أبا العُمَين ، فقال : لو كان له عقلُ
كفاه أحدهما . وقال أبو العَاج يوما لجاسائه — وكان يلى واسِطَ — : إن الطويل لا يخلو
من أن يكون فيه إحدى ثلاث : أن يفرق الكلاب ، أو يكون في رجله قُرْحَةٌ ، أو يكون
أحمق ، وما زلت وأنا صغير في رجل قُرْحَةٌ ، وما فرق الكلاب أحد فرقي ، وأما الحمق^(٣)
فاتم أعلم بوالكم . ويقال : الأحمق أعلم بشأنه من العاقل بشأن غيره . وقال بشار :

خَلِيلُ إِنْ الْعَسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ خَلِيقُ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمانِ إِذَا صَحَا * صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمانُ أُمُوقُ
ذَرِينِي أَشْبَ هُمَى بِرَاجٍ فَإِنِّي * أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ كُرْبَةٌ وَمَضِيقُ

وقال رجل : فلان إلى من يُداوى عقله أحوج منه إلى من يُداوى بدنه . قيل لبعض
الحكماء : متى يكون الأدب شرا من عدمه ؟ قال : إذا كثُرَ الأدبُ ونقصَ العقلُ .

وقرأت في كتاب للهند : من ألحق ألتأس الرجل الإخوان بغير وفاء ، والأجر
بالرياء ، ومودة النساء بالغلظة ، ونفع نفسه بضر غيره ، والعلم والنضل بالدعة
والخفيض . وفيه : ثلاثة يهزأ بهم : مدعى الحرب ولقاء الزخوف وشدة النكابة
في الأعداء وبدنه سليم لا أثر به ، ومُستحل علم الدين والاجتماع في العبادة وهو غليظ

(١) في مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٠٦٦ أنه الورد مربى بالعدل أو بالسكر . وفي أقرب الموارد أنه
معجون يعمل من الورد والعدل ، فارسي معرب عن «كل» ومعناه ورد و«انكدين» ومعناه غسل .

(٢) لعلها محذوفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كافي القاموس طعام من لحم يطبخ وينقع
في الخل أو يكون من لحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه» لأن الكلام
في ذم الحمق .

- الرقبة أسمن من الأئمة، والمرأة الخلية تعيب ذات الزوج . وفيه : مَنْ يَعْمَلُ بِجَهْلٍ
 خمسة : مُسْتَعْمِلُ الرَّمَادِ فِي جَنَّتِهِ بَدَلًا مِنَ الزَّبَلِ ، وَمُظْهِرُ مَسْتَوْرِ عَوْرَتِهِ ، وَالرَّجُلُ
 يَتَرَيَّا يَزِيَّ المرأة والمرأة تَتَرَيَّا يَزِيَّ الرجل ، وَالْمَتَمَلِّكُ فِي بَيْتِ مُضِيفِهِ ، وَالْمَتَكَلِّمُ بِمَا
 لَا يَعْنِيهِ وَلَا يُسْأَلُ عَنْهُ . وفيه : الْأَدَبُ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ السُّكْرَ وَيَزِيدُ الْأَحْمَقَ سُكْرًا ،
 كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ بَصْرًا وَيَزِيدُ الْخَفَافِشَ سُوءَ بَصَرٍ . وَكَانُوا يَكْرَهُونَ
 أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ .

قال الشاعر في جاهل :

مَالِي أَرَى النَّاسَ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَسْتَمْتَعُونَ بِالنَّشَبِ
 وَأَنْتَ مِثْلُ الْحَمَارِ أَبْهَمُ لَا تَشْكُو جِرَاحَاتِ السِّنِّ الْعَرَبِ

- ١٠ سمع الأحنف رجلا يقول : مَا أَبَالِي أَمْدَحْتُ أَمْ هَجَيْتُ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ :
 أَسْتَرَحْتَ مِنْ حَيْثُ تَعِبَ الْكَرَامُ .

- كَانَ عَامِرُ بْنُ كُرَيْزٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ مِنْ حَمَقٍ قُرَيْشِيٍّ ، نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ
 يَخْطُبُ فَأَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ خَرَجَ مِنْ هَذَا وَأَشَارَ إِلَى ذِكْرِهِ .
 وَمِنْ حَمَقٍ قُرَيْشِيٍّ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ أَخُو أَبِي جَهْلٍ وَكَانَ أَبُو هَلْبٍ قَامِرَهُ
 فَقَمَرَهُ مَالَهُ ثُمَّ دَارَهُ ثُمَّ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ وَأَهْلَهُ وَنَفْسَهُ فَأَتَخَذَهُ عَبْدًا وَأَسْلَمَهُ قَيْنًا ، فَلَمَّا كَانَ
 يَوْمٌ بَدَرَ بَعَثَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَقَتَلَ بَيْدَرَ كَافِرًا ، قَتَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ خَالَ عُمَرَ .
 وَهَذَا حَمَقٌ قُرَيْشِيٍّ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ ، قَالَ لَهُ يَوْمًا مَجَالِسُوهُ :
 مَا بَالُ وَجْهِكَ أَصْفَرَ ! أَتَشْتَكِي شَيْئًا ؟ وَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ يَلُومُهُمْ
 وَيَقُولُ لَهُمْ : أَنَا شَاكٍ وَلَا تُعَلِّمُونَنِي ! أَلْقُوا عَلَى الثَّيَابِ وَابْعَثُوا إِلَى الطَّيِّبِ . وَتَمَارَضَ
 مَرَّةً فَعَادَهُ أَصْحَابُهُ وَجَعَلَ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَدَخَلَ شُرَاعَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّرْدَبُودِ وَكَانَ أَمْلَحَ

(١) عبارة الأغاني « فأسلمه قينا وكان يأخذ منه ضريبة » ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة، فعرف أنه متمازض فقال : يا فلانُ كما أمس بالحيرة فأخذنا الخمر ثلاثين قنينة بدرهم، والخمر يومئذ ثلاث قناتي بدرهم، فرفع الأحوص رأسه وقال : كذا مني في كذا من أتم الكاذب، وأستوى جالسا، فنثر أهله على شُراعة السكر؛ فقال له شُراعة : اجلس لا جاست وهات شرابك، فشربا يومهما .

ومن حمق قريش بكَّارُ بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهاه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاوية لما يعرف من حمق ابنه ، فجلس يوما إلى خالد ، فقال بكَّار : أنا والله كما قال الأول :

* مُرَدَّدٌ فِي بَنِي اللَّخْنَاءِ تَرْدِيدًا *

وكان له بازٍ فقال لصاحب الشرطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرج البازي .

ومن حمق قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحانٍ نظر إلى حمار الطحان يدورُ الرحا في عنقه جُلجلُ ، فقال للطحان : لم جعلت في عنق الحمار جُلجلا ؟ فقال : ربما أدركتني سامةٌ أو نَعْسَةٌ فإذا لم أسمع صوت الجُلجلِ علمتُ أنه قام فصَحْتُ به ؛ فقال معاوية : أرايت إن قام وحرك رأسه ما علمك أنه قائم ؟ قال الطحان : ومن لحماري بمثل عقل الأمير ! .

وقال معاوية هذا لأبي أمرأته : ملأتنا آبتك البارحة بالدم ؛ فقال : إنها من نسوة يحبَّان ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحت آبتك بعصبة ما رأيت مثلها قط ؛ قال : لو كنت عتيئا ما زوجناك .

ومن حمق قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن الله الوليد أُنحى فإنه كان فاجرا ، والله لقد أَرادني على أن يفعل بي ؛ فقال له قائل : آسكتُ فوالله لئن كان هم لقد فعل .

خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحق
لا أتزوجه أبداً ، له برذونان أشهبان فهو يحتمل مئونة اثنين وهما عند الناس واحد .
وأخبرني رجل أنه كان له صديق له برذونان في شية واحدة فكنا لا نظن إلا أن له
برذونا واحداً ، وغلما نيسميان جميعاً بفتح ، وكان إذا دعا واحداً قال : يا فتح الكبير ،
وإذا دعا الآخر قال : يا فتح الصغير .

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لعجل بن لجيم فرساً له في حلبة بغاء سابقاً ، فقال لأبيه :
يا أبت ، بأي شيء أسمىه ؟ فقال : ألقاً إحدى عينيه وسمه الأعور . وقال الشاعر :
رمتني بنو عجل بداء أيهم * وأي عباد الله أنوك من عجل !
أليس أبوهم عار عين جواده * فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل

١٠ ومن عجل "دغة" التي يضرب بها المثل في الجهل ، فيقال : هي دغة بنت مغنج ؛
ويقال : دغة لقب ، واسمها مارية بنت زمعة . قال أبو القظان : ومن عجل حيان
ابن غضبان ورث نصف دار أبيه فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري
النصف الباقي فتصير كلها لي .

ومن القبائل المشهورة فيها الحق "الأزد" . قال رجل منهم في المهلب بن أبي صفرة :

١٥ نعم أمير الرفقة المهلب * أبيض وضاح كتيس الحلب^(٢)
* ينقض بالقوم أنقضاض الكوكب *

(١) يقال : "أحق من دغة" أورده الميداني في جمع الأمثال وقال في شرحه : إنها مارية بنت مغنج
بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان في مواد «غنج ودغا وجعر» بالعين المعجمة ، وفي شرح القاموس
مادة جعر نقلا عن البركي في شرح أمالي القالي أن المفضل بن سلمة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن
أهملها كسر الميم . ولها قصة مشهورة أوردها الميداني في جمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣

٢٠ (٢) يقال تيس حلب وتيس ذو حلب . والحلب بقلعة جعدة غبراء في خضرة تنبسط على الأرض يسيل
منها اللبن إذا قطع منها شيء ، وهي تنبت في القبط بالقيعان وشطآن الأودية .

فلما أنشدته المهلب، قال : حسبك رحمك الله ! .

ومن أشعارهم :

يأربّ جارية في الحى حالية * كأنها عومة^(١) في جوف راقود

وقال آخر منهم :

زيادُ بن عمرو عينه تحت حاجبه * وأسنانه بيض وقد طرّ شاربته

وقال عمرو بن لُحيا يصف إبلا :^(٢)

تَصْطَكُ^(٣) الحِيَاءَ على دِلَائِهَا * تَلَاظِمُ الْأَزْدَ على عَطَائِهَا

وقال أبو حية الثميري :

وكان غلى دنانيرهم في دورهم * لَغَطُ الْعَتِكِ^(٤) على خِوَانِ زياد

١٠ كتب مسلمة بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب : والله ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مغمور موتور وأنت مشهور غير موتور؛ فقام إليه رجل من الأزد فقال : قدّم ابنك مخلداً حتى يقتل فتصير موتوراً .

قام رجل من الأزد إلى عبيد الله بن زياد فقال : أصلح الله الأمير، إن امرأتى هلكت وأردت أن أتزوج أمها وأزوج أبى أبتها وهذا عريفي^(٥)، فأعنى في الصّدّاق؛ فقال : في كم أنت من العطاء؟ قال : في سبعمائة؛ قال : حطاً عنه أربعمائة، يكفيك ثلثائة .

(١) دويّة تسبح في الماء . (٢) ورد بالأصلين « عمرو » والتصويب عن الكامل للبرد ص ٣٢٤، ٥٦٣ طبع ليسج وأمالى القالى ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان مادة « لجأ » . (٣) ألحيا جمع لحى على أفعل، وكسرت الحاء لمناسبة الياء، والحقى : منبت الخية . (٤) العتيك بالألف واللام : نخذ من الأزد والنسبة إليها عتيكى .

٢٠ (٥) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس بلى أمورهم ويعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزد قَيْصَةُ بن المهلب ، رأى جرادا يطيرُ فقال : لا يَهْوِلُنْكُمْ ما تَرَوْنَ
فإن عاقبتها موتى . وقال يوما : رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بَيْت . وقال لغلامه : أذهب إلى
بَيَاضِ المَلَأِ .

ومن حمق العرب كلابُ بن صَعَصَعَةَ ، خرج إخوته يَشْتَرُونَ خَيْلاً وخرج معهم
كِلابٌ بجاءٍ يَعْجَلُ يَقُودُهُ ، فقال له إخوته : ما هذا ؟ قال : فرسٌ أَشْرَيْتُهُ ، قالوا :
يا مائِئُ ، هذه بقرةٌ أَمَا تَرى قَرْنِهَا ! فرجع إلى بيته فقطعَ قَرْنِهَا ، فأولاده يُدْعَوْنَ
« بَنى فارس البقرة » . قال الكُمَيْتُ :

ولولا أمير المؤمنين وذُئْبُهُ * يَحْيِلُ عن العِجْلِ المبرقعِ ماصِهلٍ^(١)

وكان شَذْرَةُ بنُ الزَّرِيقَانِ من الحمقى ، دخل يوم الجمعة المسجدَ فأخذَ بِعَضَادَتِي البابِ^(٢)
ثم قال : السلامُ عليكم ، أَيْلَحُ شَذْرَةُ ؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يُسْتَأْذَنُ فيه ، قال : أَيْلَحُ
مثلى على جماعةٍ مثلِ هؤلاءِ ولا يُعرَفُ مكانُهُ !

عَوَانَةُ قال : أَستعملَ معاويةَ رجلاً من كَلْبٍ ، فذكر المجوسَ يوماً فقال : لعنَ
اللهُ المجوسَ يَنْكِحُونَ أمهاتهم ، والله لو أُعْطِيتُ عَشْرَةَ آلافِ ما نَكَحْتُ أُمِّي ، فبلغ
ذلك معاويةَ ، فقال : قَبِّحَهُ اللهُ ! أَتَرُونَهُ لو زَادُوهُ فَعَلَ ! وعزَّله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : سأل القومُ الحارثَ بنَ جِرَّانٍ أن يُعِينَهُمْ فى تأسيسِ
مسجدٍ ، فقال : قَيِّروهُ وعلى الودَّعُ .

خطب إلى البهامة فقال : إن الله لا يُقَارُّ على المعاصي عباده ، وقد أهلك أُمَّةً
عظيمةً فى ناقةٍ ما كانت تُساوى مائتي درهمٍ ، فُسِّمى مُقَوِّمَ الناقةِ .

شَرَدَ بعيرٌ لَهْبَنَقَةٍ ، وأسمه يزيد بنُ ثَرَوَانَ ، فقال : مَنْ وَجَدَ بعيرى فهو له ، فقبل
له : وما يَنْفَعُكَ مِن هذا ؟ قال : إنكم لا تَدْرُونَ ما حَلَاوَةُ الوِجْدَانِ .

(١) المبرقع : الذى أخذت غرته جميع وجهه . (٢) عضاداتا الباب : الخشبَتان المنصوبتان
عن يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للرَّبِيع: كيف تَعْرِفُ الرِّيحَ؟ قال: أَنظُرُ إِلَى خَاتَمِي فَإِنْ كَانَ سَلِسًا فَهِيَ شَمَالٌ وَإِلَّا فَهِيَ جَنُوبٌ؛ فَسَأَلَ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ الطَّلْحِيَّ عَنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: أَضْرِبْ بِيَدِي إِلَى خُصْبَتِي فَإِنْ كَانَتْ قَدْ قَلَصَتْ فَهِيَ شَمَالٌ وَإِنْ كَانَتْ مُتَدَلِّتَيْنِ فَهِيَ جَنُوبٌ.

قال أبو كعب القاص في قَصَصِهِ: إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي كَيْدِ حَمْزَةَ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يُطْعِمَنَا مِنْ كَيْدِ حَمْزَةَ. وَكَانَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: لَيْسَ فِي خَيْرٍ وَلَا فِيكُمْ، فَتَبَلَّغُوا بِي حَتَّى تَجِدُوا خَيْرًا مِنِّي. وَقَالَ هُوَ أَوْ غَيْرُهُ فِي قَصَصِهِ: كَانَ أَسَمُ الذَّنْبِ الَّذِي أَكَلَ يَوْسُفَ كَذَا وَكَذَا؛ قَالُوا: فَإِنْ يَوْسُفَ لَمْ يَأْكُلِ الذَّنْبَ؛ قَالَ: فَهَذَا أَسَمُ الذَّنْبِ الَّذِي لَمْ يَأْكُلْ يَوْسُفَ.

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمِّه قال: كَانَ قَاصٌّ يَقُصُّ فِي الْمَسْجِدِ فيقول: مَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ قَصْرِ الْإِسْكَافِ خَارِجُهُ حَسَنٌ وَدَاخِلُهُ مَخْرَءٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ قَصْرِ زَرْبِيٍّ^(١) جِدَارُهُ كَالْحُلِيِّ وَدَاخِلُهُ زَهْرَةٌ. ويقول: وَمَا الدُّنْيَا! أَخْرَجَ اللَّهُ الدُّنْيَا! إِنَّمَا مَثَلُهَا مَثَلُ أَيْرٍ حَمَارٍ، بَيْنَا هُوَ قَدْ أَنْعَطَ إِذْ طَفِيَ. وَقَالَ: الْمُؤْمِنُ غِذَاؤُهُ فَلَقَةٌ وَسَمَكَةٌ سِلْقَةٌ وَدَوَاؤُهُ عُلْقَةٌ وَمَرْقَتُهُ سِلْقَةٌ^(٢).

أَصَابَتْ دَاوُدَ الْمَصَابَ مُصِيبَةٌ فَأَغْتَمَّ؛ فَقَالَ لَهُ صَاحِبٌ لَهُ: لَا تَغْتَمَّ اللَّهُ فِي قَضَائِهِ؛ فَقَالَ دَاوُدُ: أَقُولُ لَكَ شَيْئًا وَتَكْتُمُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: وَاللَّهِ مَا صَاحِبِي غَيْرُهُ. وَأَسْتَشَارُهُ رَجُلٌ فِي حَمَلِ أُمِّهِ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَقَالَ: إِنْ حَمَلْتُهَا فِي الْبَرِّ خَفْتُ عَلَيْهَا الْأَلْصُوصَ، وَإِنْ حَمَلْتُهَا فِي الْمَاءِ خَفْتُ عَلَيْهَا الْغُرُقَ؛ فَقَالَ: خُذْ بِهَا سَفْتَجَةً^(٣).

(١) قصر بالبصرة في سكة المربد لمسلم بن عمرو بن الحصين بن قتيبة بن مسلم، وكان بليه غلام يقال له: زَرْبِيٌّ. (٢) الفلقة: الكسرة، والشلق: شيء على خِلْقَةِ السمكة صغير له رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع لا يَدِينُ له يكون في أنهار البصرة وليست بعريية. كذا في اللسان. والعلقة: شجر يبق في الشتاء. تنبَّع به الإبل حتى تُدْرِكَ الربيع. والسلقة: الجراة، لعله يريد أنه يجترى من المرق بالقليل منه حتى إنه ليكفيه مرق جراة واحدة. (٣) السفتجة: أن تعطى مالا للرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خطاً لمن عنده المال في ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته إليه قبل سفرك، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشيء المحكم، سمي به هذا القرض لإحكام أمره.

دعا بعض السلاطين مجنونين ليضحك منهما، فأسمعا ففَضِبَ فدعا بالسيف ؛ فقال أحدهما للآخر : كُنا آثنين وقد صرنا ثلاثة . قال رجل لابن سيابة مولى بنى أسد : ما أراك تعرف الله ؛ قال : أتراني لا أعرف مَنْ أجاعني وأعراني وأخراني . قيل لأعرابي : كيف برك بأهلك ؟ قال : ما قرعتها سوطاً قط . وقيل لآخر وهو يضرب أمه : ويحك ! تضرب أهلك ! فقال : أحب أن تنشأ على أدبي . وقال بعض الشعراء :

جُنُونُكَ مجنونٌ ولست بواجِدٍ * طبيباً يداوي من جُنُونِ جُنُونِ

وقال آخر :

وكيف يُفِيقُ الدهرَ كعبُ بنِ نَاشِ * وشيطانُهُ بينَ الأهلةِ يَضَرَعُ

وقال أعرابي وذكر الله عز وجل :

١٠

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَهْلَهَا فِي جُمُعَةٍ * وَأَبوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ فِي عَامِ^(١)

كان أبو العاج والي واسط، وأتاه صاحب شرطته بقوادة فقال : أصلح الله الأمير، هذه قوادة ؛ قال : وأى شيء تصنع ؟ قال : تجمع بين الرجال والنساء ؛ قال : لماذا ؟ قال : للزنا ؛ قال : وإنما أتيتني بها لتعرفها منزلي ! خل عنها لعنة الله . وأتاه يوماً بمجننة ؛ فقال له : ما هذا ؟ قال : مجننة ؛ قال : وما يصنع ؟ قال : ينكح كما تنكح المرأة ؛ قال : يبدل هذا أسته وأحضر أنا عليه ! أذهب يا بن أخي فارتد لها .

١٥

خَطَبَ وَكِيعُ بْنُ أَبِي سُودٍ بَحْرَاسَانَ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ ؛ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا سِتَّةُ أَيَّامٍ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ قَلَّتْهَا وَأَنَا أَسْتَقِلُّهَا .

(١) مدرت الحوض أمدره ، أى أصلحته بالمدر وهو قطع الطين اليابس .

(٢) كذا في الأصل الفتوغرافي ، وفي النسخة الألمانية : « فارتد بها » .

تغذى رجلٌ عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهدٍ وقُدَّامه جدى، فقال له سليمان : كُلْ من كُلِّيته فإنها تزيد في الدماغ؛ فقال : لو كان هذا هكذا كان رأس الأمير مثل رأس البغل .

أبو عبيدة : أُجْرِيتَ الخيلُ فطُلعَ منها فرسٌ سابقٌ فجعل رجل من النظَّارة يُكَبِّرُ وَيُثَبُّ من الفرخ؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا قَتِي، هذا الفرسُ فرسُكَ؟ قال : لا ولكنَّ البَلَّامَ لى . دخل أبو عَتَّاب على عمرو بن هَدَّاب وقد كُفَّ بصرُهُ والنَّاسُ يُعْزُونَهُ، فقال : يا أبا زَيْد، لَا يَسُوءُكَ ذَهَابُهُمَا، فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتَ ثَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَيَّنْتَ أَنَّ اللَّهَ قَطَعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَدَقَّ ظَهْرَكَ . كان رجلٌ يَقُودُ أَعْمَى يَكْرَاهِي، فَكَانَ الْأَعْمَى رُبَّمَا عَثَرَ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهِ قَائِدًا خَيْرًا مِنْهُ؛ وَيَقُولُ الْقَائِدُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي أَعْمَى خَيْرًا مِنْهُ .

أَدْعَى أَبُو بَكْرٍ الشَّيْبَانِيَّ إِلَى الْعَرَبِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ عَلَى الشَّمْسِ فَقَعَدَ فِيهَا فَتَارَتْ بِهِ مِةٌ^(١)، فَجَعَلَ يَحْكُ جَسَدَهُ بِأَظْفَارِهِ نَحْمًا وَيَقُولُ : إِنَّمَا نَحْنُ إِبِلٌ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : وَاللَّهِ إِنَّكَ تُشَبِّهُ الْعَرَبَ؛ فغَضِبَ وَقَالَ : أَيْقَالَ لِي هَذَا ! أَنَا وَاللَّهِ حِرَابُؤُ^(٢) تَنْضُبِيَّةٌ، يَشْهَدُ لِي سَوَادُ لَوْنِي وَغُورُ عَيْنِي وَحُجِّي لِلشَّمْسِ .

قِيلَ لِأَبِي السَّقَّاحِ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَوْصِهِ؛ فَقَالَ : إِنَّا لِكِرَامُ قَوْمٍ طَخِخَةُ^(٣)؛ قَالُوا : قُلْ خَيْرًا يَا أبا السَّقَّاحِ؛ فَقَالَ : إِنْ أَحْبَبْتَ أَمْرًا قِي فَأَعْطُوهَا بَعِيرًا؛ قَالُوا : قُلْ خَيْرًا؛

(١) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفي الأصلين «عمر بن هلاب» وهو تحريف .

(٢) في الأصلين «مُنْضِيَّةٌ» والتصحيح عن لسان العرب في مادة «نضب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والتَنْضُبِيَّةُ واحدة التَنْضُب وهو شجر له شوك قصار تالفه الحراي .

(٣) طخفة بالسر والفتح : جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومنهل . ومنه يوم طخفة لبني يربوع على

قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

قال : إذا مات غلامى فهو حرّ . وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله ، فأعرض ، فأعادوا عليه مرارا ، فقال : أخبروني عن أبى طالب أقالها عند موته ؟ قالوا : وما أنت وأبو طالب ! قال : لا أرغبُ بنفسى عنه . ولما احتضر العجير السلولى قال لقوم عنده : أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، والله لئن وجدتُ لى عند الله موضعا لأكلمته فيكم . وقيل لأوس بن جارثة عند موته : قل لا إله إلا الله ، فقال : لم يأن لها بعد . وقيل لآخر عند موته : ألا تُوصى ؟ قال : أنا مغفور لى ، قالوا : قل إن شاء الله ، قال : قد شاء الله ذلك ، قالوا : لا تدع الوصية ، فقال لبنى أخيه :

بَنِي حُرَيْثٍ أَرْفَعُوا سَادِي * وَأَحْتَفِظَا بِالْجَلَّةِ الْجَلَادِ

١٠ * فَإِنَّمَا حَوْلَكُمُ الْأَعَادِي *

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان والغيران والسكان ، قالوا : فما تقول فى المنعيط ؟ فضحك وقال :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمِيرو * بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا

قال الوليد : ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جلدة ما بين عيني ، ألا وإن الحجاج جلدة وجهى كله .

١٥

خطب عتاب بن رِفَاءَ فَحَثَّ عَلَى الْجِهَادِ وَقَالَ : هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا * وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ

وقال آخر فى الربيع والى الإمامة :

شَهِدْتُ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ * وَأَنَّ الرَّبِيعَ الْعَامِرِيَّ رَقِيعٌ^(١)

٢٠

أَقَادَ لَنَا كَلْبًا بِكَلْبٍ وَلَمْ يَدْعُ * دِمَاءَ كِلَابِ الْمُسْلِمِينَ تَضِيعُ

(١) كذا بالنسخة الألمانية وهو الموافق لما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للمحافظ

ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ ، وفى الأصل الفتوغرافى : « رفيع » بالفاء ، وهو تحريف .

دخل شابٌ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ، فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكذا ، وكان مرضه رضى الله عنه كذا وكذا ، وترك عفا الله عنه من المال كذا وكذا ، فاتهره الربيع وقال : أبين يدى أمير المؤمنين توالى الدعاء لأبيك ! فقال الشاب : لا ألومك ، إنك لم تعرف حلاوة الآباء ، فما علم أن المنصور صحك مثل صحك يومئذ . وكان الربيع لقيطاً .

دخل رجلٌ من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ودعا بغدائه فقال للفتى : أدنه ؛ فقال : قد تغديت ؛ فلما خرج استخف به الربيع ودفع في فقهه ، وقال : هذا كان يسلم من بعيد وينصرف ، فلما استدناه أمير المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه الى طعامه تبدل بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التى صيره فيها أن قال : قد تغديت ، وإذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سد حلة الجوع .

يونس الهجرى قال : مات رجلٌ من جنيد أهل الشام فحضر الحجاج جنازته ، وكان عظيم القدر ، فصلى وجلس على قبره وقال : ليتزل قبره بعض إخوانه ، فترل نفر منهم ، فقال أحدهم وهو يسوى عليه : رحمك الله أبا فلان ! إن كنت ما علمتكم لتجيد الغناء وتسرع رب الكأس ، ولقد وقعت فى موقع سوء لا تخرج منه الى الدكة ؛ فما تمالك الحجاج أن صحك فاكثراً ، وكان لا يكتر الضحك فى جد ولا هزل ، ثم قال له : لا أم لك ! هذا موضع هذا ! قال : أصلح الله الأمير ، فرسى حبيس لو سمعه يتغنى : * يالبنى أوقدى النارا * لا تنشر الأمير على سعة ، وكان الميت يلقب سعة ، وكان من أوحش خلق الله صورة وأدمهم ؛ فقال الحجاج : إنا لله ! أخرجه عن القبر ، ثم قال : ما أبين حجة أهل العراق فى جهلكم يا أهل الشام . ولم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ صحكاً .

تبع داود بن المعتز امرأة ظن أنها من الفواسد، فقال لها : لولا ما رأيت عليك من سيما الخير لم أتبعك؛ فضحكت المرأة وأسندت ظهرها إلى الحائط ثم قالت : إنما يعتصم مثل من مثلك بسيما الخير ، فإذا صار سيما الخير هو الدال لمثلك على مثلي فأنه المستعان . كان بهلول المجنون يتغنى بغير إبط ولا يسكت إلا بدانيق . وكان رجل يهوى جارية تختلف في حوائج أهلها ، وكانت إذا خرجت إلى السوق ولم يعلم بخرجها ثم رجعت فراها قال وهو يسئرها : (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ، وإن وعدته شيئا فأخلفت قال : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) ، فإن تغضبوا لشيء بلغها عنه قال : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) .

مر بعض الحمقى بأمرأة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فرق لها وقال : من هذا الميت ؟ قالت : زوجي ؛ قال : فما كان عمله ؟ قالت : يحفر القبور ؛ قال : أبعد الله أما علم أن من حفر حفرة وقع فيها ! أحدث رجل من الحمقى ليلة على باب رجل ، فلما خرج الرجل رلق ووقع على ذراعه فأنكسرت ، واجتمع الحيران وجعلوا يختصمون ويوقعون الظنون وهو ناحية يسمع كلامهم ، فلما أكثروا قال :

رأيت الحرب ينجيها رجال * ويصلي حرها قوم براء
فأخذوه وقالوا : أنت صاحبنا . قال داود المصاب : رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل ، رأيت كأن على عنق بدرة ^(٢) فمن ثقلها أحدثت فاستيقظت فرأيت الحدث ولم أر البدرة . ربي أعرابى يبكي بكاء شديدا ، فسئل عن سبب بكائه فقال : بلغني أن جالوت قتل مظلوما . رأى رجل أحمق شيخا في الحمام ^(٣) أعكن

٢٠ (١) القيراط : نصف الدانق ، والدانق سدس الدينار . (٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) أعكن البطن ، أى في بطنه عكن وهي ثناياها .

البطن، فقال له : يا عم إني أشتهى أن أضَعَ هذا — يعني ذَكَرَه — في سُرَّتِكَ ؛ فقال له الشيخ : يابن أخى فأين يكونُ أَسْتُكَ حينئذ . نزل يهودى على أعرابى فمات عنده ، فقام الأعرابى يُصَلِّي عليه فقال : اللهم إنه ضيفٌ وحقُّ الضيف ما قد علمت ، فَأَمِهْلَنَا إلى أن تَقْضَى ذِمَامُهُ ثم شَأْنَكَ والكلب .

وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعيّ قال : كان بين اثنين عبدٌ فقام أحدهما فجعل يَضْرِبُهُ ، فقال له الآخر شريكه : ما تَصْنَعُ ! قال : إنما أَضْرِبُ حِصَّتِي . قال أعرابى لرجل : ما أَسْمُكَ ؟ قال : عبد الله ، قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابنُ عبيد الله ، قال : أبو مَنْ ؟ قال : أبو عبد الرحمن ، قال : أَشْهَدُ إِنَّكَ لَتَلُوذُ بِاللَّهِ لَوْ أَدَّيْتُمْ جَبَانٍ . قال بعضهم : رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مَوَيْسٍ يتنازعان في العنب النيروزى والرازقي : أيهما أَطْيَبُ ، فخرى بينهما كلامٌ إلى أن تَوَاثَبَا ، فقطع الكوفي إصبعَ البصريِّ وفقاً للبصريِّ عينَ الكوفيِّ ، ثم لم أَلْبَثْ إلا يسيراً حتى رأيتُهما مُتَصَايَيْنِ مُتَنَادِمَيْنِ .

قال : وقال ثُمَامَةُ : مررتُ في غِبِّ سماءٍ والأرضُ نَدِيَّةٌ والسماءُ مُتَغَيِّمَةٌ والريحُ شَمَالٌ وإذا شيخٌ أَصْفَرُ كأنه جَرَادَةٌ ، وقد قعد على قارعة الطريق وحجَّامٌ يَحْجِمُهُ على كاهله وأَخَذَ عَلَيْهِ بِحَاجِمٍ كَأَنَّهُا فِعَابٌ وقد مَضَّ دَمُهُ حَتَّى كَادَ يَسْتَفْرِغُهُ ، فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ : يَا شَيْخُ لِمَ تَحْتَجِمُ ؟ قال : لِمَكَانِ الصَّفَارِ الَّذِي بِي . أتى الطَّمَحَانُ قَوْماً يعودُ عليهم فَعَزَّاهُمْ بِهِ ؛ قَالُوا : إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ؛ فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ : يَمُوتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، يَمُوتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

أبو حاتم عن الأصمعيّ عن نافع قال : كان الغاضريُّ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِفَقِيلٍ لَهُ : مَا مُحَقُّهُ ؟ فجعل يَتَرَبَّثُ^(٢) ، فلما أَكْثَرَ عَلَيْهِ قال : قال لى مرّة : البحرُ مَنْ حَفَرَهُ ؟ وَهَا حُفِرَ فَأَيْنَ نَبِيَّتُهُ^(٣) ؟ أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَحْفِرَ مِثْلَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ؟

(١) في النسخة الألمانية « مونس » . (٢) يترَبَّثُ : يتلبث .

(٣) النبيّة : تراب البرّ والنهر .

دخل رجلٌ من الحمقى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقال في نسبه، فقال :
إني قد آمتدحتك بشعرٍ لم تُمدح قطُّ بأنفع لك منه ؛ قال : ما أحوَجني إلى المنفعة
فهايتي ؛ فقال :

سألتُ عن أصلك فيما مضى * أبناء سبعين وقد نيفوا
فكلهم يُخبرني أنه * مهذبٌ جوهره يُعرف

فقال له : قُم في لعنة الله وفي سُخطه ! لعنك الله ولعن من سالت ومن أجابك .
وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمه فقال :
يا عمّ ، إن ولدَ جاريةٍ آلِ فلانٍ مِنّي فافتدِه ، ففعل ؛ ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل
ذلك ؛ فقال له عمه : لو عزَلت ! قال : بلغني أن العزلَ مكروهٌ .

قال : وحدثنا الأصمعيّ قال : بلغني عن شيخٍ جَزَعَ على ميتٍ جَزَعًا شديدًا ؛ فقليل
له في ذلك ؛ فقال : نحن قومٌ لم نَتَعَوّد الموت .

أبو الحسن الجعفریّ قال : قيل لكَرْدَمِ السَّدُوسِيّ : كُلُّ ؛ قال : ما أُريدُ ؛ قيل :
ولم ؟ قال : أَكَلْتُ قَلِيلَ أرزٍ فأكثرُ منه . ضلَّ بعيرٌ لأعرابيٍّ فجعلَ يَنشُدُه إلى أن
دخلَ الإمارةَ فأخذَ منها بعيرًا ؛ فقليل له : إن بعيرَكَ كان أعرابيًا ؛ قال : إنه لما
أَكَلَ مِن مالِ الإمارةِ تَبَخَّتْ ^(١) .

الهيثم عن ابن عباس قال : لما وَلِيَ مروانُ وجّهَ جيشَ ابنِ دُلْجَةَ القَيْنِيّ إلى المدينة
وكان يصعدُ المنبرَ ومعه الكُكْلَةُ من التمرِ فأكلها ثم يُلْقِي التوى على وجوه أهل المدينة
يمينًا وشمالًا ، ثم يقول : يا أهلَ المدينة ، إني لأعلمُ أن هذا المكانَ في حرمةٍ وموضعه

(١) تَبَخَّتْ صار مُجَنِّيًا جمعه بخاقى وهي الإبل الخراسانية .

ليس موضع أكلٍ ولا شربٍ، ولكني أُحِبُّ أَنْ أُرِيَكُمْ هَوَانَكُمْ عَلَى اللَّهِ . قيل للمعلم بن معلم : مالك أحمق ؟ قال : لولم أكن أحمق كنتُ وَلَدَ زَنَّا . قال بعضُ الشعراء :
فإن كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائِعًا * فصرتُ إذا بعد المشيبِ مُعَلِّمًا

وقال آخر :

وكيف تُرَبِّجِي العقلَ والرأى عند مَنْ * يَرُوحُ عَلَى أُنثَى وَيَغْدُو عَلَى طِفْلِ

ابن المدائني قال : تحول أبو عبد الله الكرخي^(١) إلى الخُرَيْبَةِ فادعى الفقهَ وظنَّ أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسمته ، فألقى على باب داره البواري وجلس بجلس إليه قومٌ فقال له رجلٌ منهم : يا أبا عبد الله ، رجلٌ في الصلاة أدخل إصبعه في أنفه فخرج عليها دمٌ ، أي شيء يصنع ؟ قال : يَحْتَجِمُ رَحِمَكَ اللَّهُ ، فقال له السائل : ظننتُ أنك فقيهٌ ولم أدرك أنك طبيبٌ . قال رجلٌ للشَّعْبِيِّ : إني أجدُ في قَفَايَ حِكْمَةً فَتَرَى لِي أَنَّ أَحْتَجِمُ ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحِجَامَةِ . وقال له آخر : رجلٌ آسَمَنِي فِي يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هَلْ يُوجَرُ ؟ قال : أَوَمَا يَرْضَى أَنْ يُفْلِتَ رَأْسًا بِرَأْسٍ . نازع التيمي رجلٌ من بني عَمِّهِ فِي حَائِطٍ بَيْنَهُمَا فَبَعَثَ إِلَى قَوْمٍ يُشْهِدُهُمْ ، فَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَبَائِلِ ، فَوَقَّفَ بِهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَائِطِ وَقَالَ : أَشْهَدُكُمْ جَمِيعًا أَنَّ نَصَفَ هَذَا الْحَائِطِ لِي . وَقَدَّمَ آخَرَ رَجُلًا إِلَى الْقَاضِي فِي شَيْءٍ يَدَّعِيهِ عَلَيْهِ ، فَأَنكَرَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي أَكْتُبْ إِنكَارَهُ ، فَقَالَ الْقَاضِي : الْإِنكَارُ فِي يَدِكَ مَتَى شِئْتَ .

قال مسعدة بن طارق الذراع^(٢) : إِنَّا لَوُقُوفٌ عَلَى حَدُودِ دَارٍ لِنَقْسِمَهَا وَنَحْنُ فِي خُصُومَةٍ ، إِذَا قَبِلَ سَيِّدُ بَنِي تَيْمٍ وَمُؤَسَّرُهُمُ وَالْمُصَلِّي عَلَى جَنَائِزِهِمْ ، فَأَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ ، فَقَالَ :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البواري جمع بارية : الحصار المنسوج .

(٣) في الأصل : الزارع . ولعل الصواب ما أثبتناه هنا نقلًا عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الذرع وهو القياس بالذراع .

(١)
حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا؟ قَالَ مُسْعِدٌ: فَإِنَّا مِنْذُ سِتِينَ سَنَةً أَفْكَرُ فِي كَلَامِهِ فَمَا أَدرَى مَا عَنَى. أَتَتْ جَارِيَةً أَبَا ضَمِّمٍ فَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا قَبْلَنِي، فَقَالَ: يَا قَتِي، أَذْغِنِ لَهَا بِحَقِّهَا، قَبْلِيهِ عَافَاكَ اللَّهُ كَمَا قَبْلَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ).

• حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أُلْقِيَتْ عَلَى رَجُلٍ فَرِيضَةٌ فَاسْتَدَّتْ عَلَيْهِ بِفِعْلِ يَحْسُبُ غَيْرَهَا، فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ تَرَكَ غَيْرَ مَا ذَكَرُوا.

• حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي نُكَاسَةَ قَالَ: قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ لِأَشْعَبَ: لَوْ رَوَيْتَ الْحَدِيثَ وَتَرَكْتَ النُّوَادِرَ كَانَ أَنْبَلَ لَكَ؛ قَالَ: وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ؛ قَالَ: فَحَدَّثْنَا؛ قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَلَّتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَانَتْ مِنْ خَالِصَةِ اللَّهِ؛ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ فَمَا هُمَا؟ قَالَ: نَبِيٌّ نَافِعٌ وَاحِدَةٌ وَنَسِيْتُ أَنَا الْآخَرَى. وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْ وَلَدِ عَنَابِ بْنِ أَسِيدٍ كَانَ أَحَدُهُمْ يَحْجُّ عَنْ حَمَزَةٍ وَيَقُولُ: أَسْتَشْهِدُ قَبْلَ أَنْ يَحْجَّ، وَكَانَ الْآخَرُ يُضَحِّي عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو يَقُولُ: أَخْطَأَ السَّنَةَ فِي تَرْكِ الْأُضْحِيَّةِ، وَكَانَ الْآخَرُ يُفْطِرُ عَنْ عَائِشَةَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَيَقُولُ: غَلَطْتُ فِي صَوْمِهَا أَيَّامَ الْعِيدِ، فَمَنْ صَامَ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَإِنَّا أَفْطَرُ عَنْ أُمِّي عَائِشَةَ.

١٥

(٢)
قَالَ ثُمَامَةُ: كُنَّا فِي مَتَزَلٍ رَجُلٍ مِنَ الدَّهَاقِينِ وَفِينَا شَيْخٌ مِنْهُمْ، فَأَتَى رَبَّ الْبَيْتِ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ وَبَعْضُنَا لَحْيَتَهُ وَمَسَحَ بَعْضُنَا شَارِبَهُ وَبَعْضُنَا يَدَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَذْهَبُوا أَسْتَأْهِمَ تَأْمِنُوا الْحَزَازَ، وَأَمْرُوهَا عَلَى وَجْهِكُمْ؛ فَأَخَذَ شَيْخٌ

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٣ ص ٣١٣: هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا.

٢٠

(٢) الدَّهَاقِينُ جَمْعُ دِهْقَانٍ: رُبُوسِ الْإِقْلِيمِ.

(٣) الْحَزَازُ: هَبْرِيَّةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مُخَالَةٌ، وَاحِدَتُهُ حَزَازَةٌ.

منهم بطرف إصبعه فأدخله في أنفه ومسح حاجبيه، فعمد الشيخ إلى بقية الدهن فصبه في أذنه؛ فقلنا له: ويحك! هل رأيت أحدا أتى بدهن طيب فصبه في أذنه؟ قال: إنه مع هذا يضرني.

قال عبد الله بن المبارك: كان عندنا رجل يُكنى أبا خارجة، فقلت له: لم كنوك أبا خارجة؟ قال: لأنني ولدت يوم دخل سليمان بن علي البصرة. قال عمرو بن بحر: ذكر لي ذا كُر عن شيخ من الإباضية أنه جرى ذكر الشيعة عنده فأنكر ذلك واشتد غضبه؛ فقلت له: ما أنكرت؟ قال: أنكر مكان الشين في أول الكلمة لأنني لم أجدها قط إلا في مسخوط عليه مثل سُوم وشر وشيطان وشع وشغب وشيب وشك وشرك وشتم وشيعة وشطرنج وشاكي وشاني وشحج وشوصة وشابشتي وشكوى؛ فقلت: ما تقوم بهؤلاء قائمة أبدا. قال: وسمعت رجلا يقول: عجبت لمن يأخذه النوم وهو لا يزعم أن الاستطاعة مع الفعل؛ فقلت له: ما الدليل على ذلك؟ فقال: سبحانه الله! الأشعار الصالح؛ قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قول روبة:

* ما إن يقعن الأرض إلا وبقا *

وقوله: * يهوين شتى ويقعن وقفا *

وقوله: * مكرهم فمر مقيلا مديرا معا *

وقولهم في المثل: «وقعا كعكمي عير»^(٤)، ثم قال: هل في هذا تقنع؟ قلت: بلى وفي دُون هذا.

- (١) في الأصلين: «في أول كلمة» بالتكثير وظاهر أن السياق يأباه؛ فقل الصواب ما ذكرناه أو أن في الكلام حذفاً. (٢) كذا بالأصلين ولم نجده في مادة «شحج» في اللسان والقاموس مصدران أو غيره. ولعله محرف عن «شحج» وهو أثر الشجة في الجبين. (٣) كذا في النسخة الألمانية، وفي الأصل الفتوغرافي «بعدها» بدل «أبدا». (٤) كذا بالأصلين، وفي اللسان في مادة عكم: «هما كعكمي العير» والعكم: العدل مادام فيه المناع.

وَعَدَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنَ الْحَمَقِ أَنْ يُهْدِيَ لَهُ مِنْ مَكَّةَ نَعْلًا، فَطَالَ عَلَيْهِ الْإِنْتِظَارُ،
فَأَخَذَ قَارُورَةً فَبَالَ فِيهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا الطَّيِّبَ ثُمَّ قَالَ : أَنْظِرْ فِي هَذَا الْمَاءِ هَلْ يُهْدَى لِي
بَعْضُ إِخْوَانِي نَعْلًا حَضْرَمِيَّةً؟ . وَقَالَ الزَّيَادِيُّ : مَرَّ أَشْعَبُ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ طَبَقًا وَقَالَ
لَهُ : زِدْ فِيهِ طَوْقًا؛ قَالَ : وَلِمَ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ يُهْدَى لِي فِيهِ شَيْءٌ .

٥ أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَعْقَاعِ قَالَ : رَأَيْتُ أَشْعَبَ بِسُوقِ
الْمَدِينَةِ مَعَهُ قُطِيفَةٌ قَدْ ذَهَبَ نَحْلُهَا وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي الرِّمْدَةَ^(١)؟ فَأَتَاهُ رَجُلٌ
فَسَاوَمَهُ؛ قَالَ : أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَيْبٍ فِيهَا؛ قَالَ : وَمَا هُوَ؟ قَالَ : تَحْتَرِقُ إِنْ أَنْتَ لَبِسْتَهَا .
سَقَطَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَعِيرٍ لَهُ ، فَانْكَسَرَتْ ضِلْعٌ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَتَى الْجَابِرَ يَسْتَوْصِفُهُ ؛
فَقَالَ : خُذْ تَمْرًا جَيِّدًا فَانْزِعْ أَفْسَاعَهُ وَنَوَاهُ وَأَعْجِنْهُ بِسَمْنٍ ثُمَّ أَضْمِدْهُ عَلَيْهِ؛ قَالَ : أَيْ
يَا بَنِي أَنْتَ مِنْ دَاخِلٍ أَمْ مِنْ خَارِجٍ؟ قَالَ : مِنْ خَارِجٍ؛ قَالَ : لَا أَبَا لَشَانِيكَ هُوَ مِنْ
دَاخِلٍ أَنْفَعُ لِي؛ قَالَ : صَبَّغْتُ حَيْثُ تَعْلَمُ أَنَّهُ أَنْفَعُ .

١٠ مَاتَ ابْنُ صَغِيرٍ لِأَعْرَابِيٍّ ، فَقِيلَ لَهُ : نَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَكَ شَفِيعًا؛ فَقَالَ :
لَا وَكَلَّنَا اللَّهُ إِلَى شَفَاعَتِهِ ، حَسْبُهُ الْمَسْكِينُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ نَفْسِهِ .

جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى الْمَسْجِدِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ ، فَقَالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ : مَا هَذَا؟ قَالَ :
يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الطَّعَامِ ؛ قَالَ : فَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْمَنْبَرِ؟ قَالَ : يَقُولُ مَا يَرْضَى
الأعرابُ أَنْ يَأْكُلُوا حَتَّى يَجْلُوهَا مِنْهُمْ ؛ فَتَخْطِئُ الْأَعْرَابِيَّةُ النَّاسَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْوَالِي
فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنْ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مَا تَقُولُ سَفَهَاءُؤُنَا .

أَخَذَ الْحِجَاجُ لَصًا أَعْرَابِيًّا فَضْرِبَهُ سَبْعِينَ سَوْطًا فَكَلَّمَا قَرَعَهُ بِسَوْطٍ قَالَ : اللَّهُمَّ
شُكْرًا؛ فَأَتَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا دَعَا الْحِجَاجُ إِلَى التَّمَادَى فِي ضَرْبِكَ إِلَّا كَثْرَةً

٢٠ (١) كَذَا فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَفِي الْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَانِي : «الْوَمْدَةُ» وَالرَّمْدَةُ : الْكَدْرَةُ الَّتِي صَارَتْ كَلُونُ
الرَّمَادِ . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ «أَوْ» وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي «أَمْ» .

شكرك، لأن الله يقول : (لَنْ شَكْرُكُمْ لَا زِيَادَتَكُمْ) ؛ فقال : إن هذا في كتاب الله؟
فقال : اللهم نعم ؛ فأنشأ الأعرابي يقول :

يَا رَبِّ لَا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِي * أَسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَاعْفُ عَنِّي

بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

فبلغ الحجاج نفلى سبيله . جاء أعرابي إلى صيرفي بدرهم ؛ قال : هذا سُتُوقٌ ؛ فقال
الأعرابي : وما هو السُّتُوقُ بأبي أنت ؟ قال : داخلُه نُحَّاسٌ وخارجُه فَضَّةٌ ؛ قال :
ليس كذلك ؛ قال : أَكْسِرُهُ فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ؟ قال : نعم ؛ فكسره فلما
رأى النحاس قال : بأبي أنت ، متى أموت ؟ فأنا أشهدُ أنك تعلم الغيب .

لما حضرت الحُطَيْيئةَ الوفاةَ قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط

فلعل أن أبقى ، ثم تمثّل :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَتَنِي * رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيدٍ

المدائني قال : دعا رجلاً بمكة لأُتمه ؛ فقال له قائل : فما بالُ أهلك ؟ قال : هو
رجلٌ يحنّالٌ لنفسه . قيل لأشعب : أَرَأَيْتَ أَحَدًا قَطَّ أَطْمَعَ مِنْكَ ؟ قال : نعم
خرجتُ إلى الشام فزلتُ أنا ورفيقٌ لي بدير فيه راهبٌ ، فلاحينا في أمرٍ فقلتُ :
الكاذبُ مِنَّا كذا من الراهب في كذا من أُمّه ، فأتى الراهبُ وقد أنعط وهو يقول :
بأبي من الكاذبُ منكما ؟ . مرَّ إسحاقُ بنُ سليمان بن علي الهاشمي بِقَاصٍّ وهو يقرأ :
(يَجْعَلُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَيِّغُهُ) ، فتنفّس ثم قال : اللهم أجعلنا ممن يَجْعَرُهُ وَيُسَيِّغُهُ .

الأصمعي عن أبيه : قلتُ لأعرابي : أفيمك زنا ؟ قال : بالحرائر ؟ ذاك عند الله
عظيمٌ ، ولكن مُسَاعَاةً بهذه الإمام . موسى بن طلحة قال : جاءنا علي بن أبي طالب
رحمه الله ونحن في المسجد شَبَابٌ من شَبَابِ قريش . ففتحنا له عن الأسطوانة

وقلنا : هاهنا ياعم ، فقال : يا بني أحمى ، أتم لشيؤكم خير من مهرة ^(١) فإنه إذا كبر الشيخ فيهم شدوه عقالا ثم يُقال له : ثب فيه ، فإن وثب خلوا سيبله وقالوا : فيه بقية من علالة ، وإن لم يثب قدموه فضربوا علآوته وقالوا : لا يصيبك عندنا بلاء .

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعك أن تكون مثل أبيك؟ قال : الكسل . وقال

- يوما لزبراء جارية أبيه : يا زانية ، فقالت : لو كنت كذلك جئتُ أباك بمنلك .
• أبو الحسن قال : جاء قوم إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارك فلان فمرنا بكفني ، فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن تعودون ، قالوا : أفنملي إلى أن يتيسر عندك شيء! . وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحك الله ، تغيرنا ثوبا نكفن فيه ميتا؟ قال قام التمار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .
• وقال أيضا : رأيت إيوان كسرى فإذا هو كأنما رُفعت اليد عنه أول من أمس .

- كان عبد الملك بن هلال الهينابي له زيبيل مملوء حصا للتسييح ، فكان يسبح بواحدة واحدة ، فإذا ملّ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد ملأه طرحه قبضة قبضة وقال : سبحان الله عددك ، فإذا صجر أخذ يعرى الزيبيل وقال : الحمد لله بعدد هذا كله . دخل قوم منزل الرستمى لأمر وقع ، فحضر وقت صلاة الظهر فقالوا : كيف القبلة في دارك هذه؟ فقال : إنما نزلناها منذ شهر .

- المدائني عن علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البختري ^(٤) أن الشعبي قال : مريضة فلقيت ابن الحر فأمروني أن أمشي كل يوم إلى الثوية ، فكنت أغدو كل يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب وإليه تنسب الإبل المهرية .

(٢) العلالة : أعلى الرأس والعنق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد لهذه النسبة أصلا في أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا في الأصل الفتوغرافي وتويزه كتب اللغة والأنساب ، وفي الألمانية «البحري» بالخاء المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلما كنت في جُهينة الظاهرة ^(١) إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسة مَتَكِيٌّ على وِسادة ، فسَلَّمَت ثم أَلْقِيَت نفسى على الرمل ؛ فقال : لقد جَلَسْتَ جِلْسةَ عاجزٍ أو ضعيفٍ ؛ قلت : قد جَمَعْتُهما ؛ قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهلى كانوا يَتَخَوَّفون على ثلاثا : نقصان البصر وترك النساء والِقَطَافِ فى المشى ، فوالله إنهم ليرون الشخص واحدًا وأراه اثْنين ، ولقد تركت النساء فما لى فيهن من حاجة ، وإنى لأمشى فأهملج ؛ قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائنى : ركب يزيد بن نَهْشَل النَهْشَلِيَّ بعيرا وقال : اللهم إنيك قلت (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّرِينَ) وإني لبُعيرى هذا الْمُقَرَّرِ ؛ فنَفَر به فطرحه وبقيت رجله فى العَرَزِ ، فجعل يضرب برأسه كل حَجَرٍ ومَدْرَمَحَتِي مات .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : آخِصَمَت الطُّفَاوَةُ وَبَنُو رَاسِبٍ فى رجل يدعيه الفريقان إلى ابنِ عِرْبَاض ، فقال : الحكم بينكم أيُّن من ذلك ؛ يُلْقَى فى النهر فإن طفا فهو لطفَاوَة ، وإن رَسَب فهو لبني رَاسِب .

المدائنى قال ؛ لما حَضَرَت الحُطَيْيْثَةُ الوفاةُ قِيلَ له : أوص ؛ قال : بم أوصى ! مالى للذكور دون الإناث ؛ فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ؛ فقال : لكننى أُمِرُ به ، ثم قال : ويُلُّ للشعر من راوية الشعر ؛ فقيّل له : أوص يا أبا مُليكة للساكين بشئ ؛ قال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور . قيل : أعتق عبدك يَسَارًا ؛ قال : أشهدوا أنه عبد مايق . قيل : فلان اليتيم ما تُوصى فيه ؟ قال : أوصى أن تأكلوا ماله وتَنكِحوا أُمَّه ؛ قالوا : ليس إلا هذا ! قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعل أنجو ؛ ومات مكانه .

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى الأصل الفتوغرافى : « الطاهرة » .

(٢) الطفاوة وبنو راسب : حيان من العرب .

لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بني أوصيكم بالناس شراً ،
كلّهم تزرأ ، وأنظروا إليهم شزراً ، ولا تقبلوا لهم عُذراً ، قَصِّروا الأَعْنَةَ ، وأشَحَذُوا الأَسِنَّةَ ،
تأكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ولما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال : يا بني
إني لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أقرحوا جباههم وعرضوا لحاهم يدعون أن لهم على
أبيكم ديناً فلا تقضوهم ، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضره ،
والآفهى مع ما تقدم .

تقدم رجل من بني العنبر الى سوار فقال : إن أبي مات وتركني وأخاً لي ، وخط
خطين ناحية ، ثم قال : وهييناً لنا ، ثم خط خطاً آخر ناحية ، ثم قال : كيف ينقسم
المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارث غيركم ؛ فقال له : لا أحسبك
فهمت ، إنه تركني وأخى وهييناً لنا ؛ فقال سوار : المال بينكم سواء ؛ فقال الأعرابي
أياخذ الهجين كما أخذ ويأخذ أئحى ؟ قال أجل ! فغضب الأعرابي وقال : تعلم والله
أنك قليل الخالات بالدهناء ؛ فقال سوار : إذا لا يضرنى [ذلك] عند الله شيئاً .

قال بعض العمال لأعرابي : ما أحسبك تدري كم تصلى في كل يوم وليلة ؛ فقال :
أرأيت إن أنباتك بذلك تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ قال الأعرابي :

إن الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع
* ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : قد صدقت ، فسئل ؛ قال : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدري ؛ قال : أفتحكم
بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن الجهم البرمكي أنه دخل عليه رجل يكتب
في حوائج له ؛ فقرأها ووعده قضاءها ؛ فنهض وهو يدعو له وقال : أبك الله وحفظك
وأتم نعمته عليك ؛ فقال له محمد بن الجهم : كتابي إليك وأنا في عافية .

طبائع الإنسان

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مَنبَه أنه وجد في التَّوراة:
 إِنِّي حين خلقتُ آدم رَكَّبْتُ جَسَدَهُ من أربعة أشياء ثم جعلتها وِراثَةً في ولده تَمَيَّ
 في أجسادهم وَيَتَمَوَّنُونَ عليها الى يوم القيامة: رُطْبٌ وَيَابِسٌ وَتُخْنٌ وَبَارِدٌ، وذلك لِأَنِّي
 خلقتُه من ترابٍ وماءٍ ثم جعلت فيه نفساً وروحاً، فَيُوسِئُ كُلُّ جَسَدٍ من قَبْلِ الترابِ،
 ورُطوبَتُهُ من قَبْلِ الماءِ، وحرارته من قَبْلِ النَّفْسِ، وبرودته من قَبْلِ الروحِ، ثم خلقت
 الجسد بعد هذا الخَلْقِ الأوَّلِ أربعة أنواعٍ من الخَلْقِ الآخرِ وهي مَلَأْتُ الجسدَ بِإِذْنِي
 وقِوَامِهِ، لا يقوم الجسد إلا بهنَّ ولا تقوم واحدة إلا بهنَّ، المِزَّةُ الصفراءُ والمِزَّةُ السوداءُ
 والدمُ والبَلغمُ، ثم أسكنتُ بعضَ هذه الخَلْقِ في بعضٍ فجعلت مَسَكِنَ اليبوسة في المِزَّةِ
 السوداء ومَسَكِنَ الرطوبة في الدم ومَسَكِنَ البرودة في البلغم ومَسَكِنَ الحرارة في المِزَّةِ
 الصفراء، فأَيُّما جَسَدٍ أَعَدَلْتُ فيه هذه الفِطْرُ الأَرْبَعُ فكانت كُلُّ واحدةٍ مِنْهُنَّ رُبْعاً
 لا يزيد ولا ينقص بكمات صحته وأَعَدَلْتُ بُنْيَانَهُ، وإن زادت واحدة مِنْهُنَّ غلبَتْهُنَّ
 وقهرتْهُنَّ ومالت بهنَّ ودخل على أخواتها السَّقَمُ من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت
 ناقصةً تَقَلُّ عَنْهُنَّ مِلَنٌ بها وعَلَوْنَهَا وأَدْخَلَنَ عَلَيْهَا السَّقَمُ من نواحيهنَّ لَقَلَّتْهُنَّ عَنْهُنَّ حَتَّى
 تَضَعُفُ عَنْ طاقتهنَّ وتَعْجِزَ عَنْ مُقاومتِهِنَّ؛ قال وهب: وجعل عقله في دماغه وشرهه
 في كَلْبَتِهِ، وغضبه في كَبِدِهِ، وصَرامَتَهُ في قلبه، ورُعبه في رِئَتِهِ، وصَحِيحَكِهِ في طِحالِهِ،
 وحرزَه وفِرَحَه في وجهه، وجعل فيه ثلثمائة وستين مَفَصِلاً .

(١) في الألمانية: «وإذا كانت ناقصة نقلن عنها وملن...» .

(٢) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفي الأصلين: «عن مقاربتهن» والفعالان فهما (تضعف وتعجز)

بالياء والسباق يقتضى ناء التأنيث كما وضعنا .

(٣) في الأصلين وسره . وما ذكرناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

- قال : حدثني زيد بن أنخزم^(١) قال : حدثنا بشر بن عمر عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كُلُّ ابنِ آدمَ تأكل الأرضُ إلا عَجَبَ الذنبِ منه خُلِقَ وفيه يُرْكَبُ". وقالت الحكماء : الخنثى يعترى الأعرا ب والأكراد والزنج والمجانين وكل صنف إلا الخُصيان فإنه لا يكون خُصِيً مُخْنَثٌ .
- وقالوا : كل ذى ريح مُنتنة وذفر كالليس وما أشبهه ، إذا خُصِي نقص نَتْنُهُ وذهب صُنانه غير الإنسان فإن نَتْنَهُ يَشْتَدُّ وُصْناهُ يَحْدُّ وعرقه يَخْبُثُ وريحه^(٢) . وكلُّ شيء من الحيوان يُخْصَى فإن عَظْمَهُ يَدِقُّ ، فاذا دَقَّ عَظْمُهُ آسَتْ رِخَى لَحْمِهِ وتبرأ من عَظْمِهِ خلا الإنسان فإنه إذا خُصِي طال عَظْمُهُ وعُرُضُ . وقالوا : الخصى والمرأة لا يَصْلَعان ، والخصى تطول قدمه وتعظم . وبلغنى أنه كان لمحمد بن الجهم يذون رقيق الحافر نَفْصاه بفاد حافره ، اعتبر ذلك بالإنسان إذا خُصِي عَظُمَتْ رِجله . قالوا : والخصى^{١٠} يشْتَدُّ وقعُ رِجله لأن معاقد عَصَبِهِ تَسْتَرِخِي ، ويعتريه الأعوجاج والفَدَعُ فى أصابعه ، وتُسْرِعُ دَمْعَتُهُ ، ويتخدد جلدُهُ ، ويُسْرِعُ غَضَبُهُ ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر . ويزعم قوم أن أعمارهم تطول لترك الجماع ، قالوا : وتلك عِلَّةٌ طول عمر البغل . وقالوا : عِلَّةٌ قَصِيرُ عُمُرِ العُصْفُورِ كَثْرَةُ سِفَادِهِ . قالوا : وشأن الغريق إذا كان رجلا ثم ظهر على الماء أن يظهر على قَفاه ، وإن كان امرأةً أن تظهر على وجهها . والرجل^{١٥} إذا ضُربت عنقه سقط على وجهه ثم يَقلِبُهُ ذَكَرُهُ إذا أَنتَفَخَ . قالوا : وفى الغلمان من لا يَحْتَلِمُ أبداً ، وفى النساء من لا تحيض أبداً ، وذلك عيب . وفى الناس من لا يسقط نَفَرُهُ ولا يَسْتَبْدِلُ منه ، منهم عبد الصّمد بن على ذكروا أنه دخل قبره برواضه .

(١) فى الأصل : أنخزم . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا فى النسخة الفتوغرافية ، وفى النسخة الألمانية أربعة أصفار بعد قوله وريحه ، وكتب فى التعليق^{٢٠}

عليه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريحه .

وَالضَّبُّ لَا تَسْقُطُ لَهُ سَنٌ . وَكَذَلِكَ الْخَزِيرُ لَا يُلْقِي شَيْئًا مِنْ أَسْنَانِهِ . وَلِذَلِكَ تَقُولُ^(١)
 الْعَرَبُ فِي مَثَلٍ لَهَا : « لَا آتِيكَ سَنَ الْحِجْلِ »^(٢) يَرِيدُونَ لَا آتِيكَ أَبَدًا . وَتَقُولُ الْأَطْبَاءُ :
 إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحَيَوَانِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَدِيمِ السَّمَاءِ إِلَّا الْإِنْسَانُ ، وَذَلِكَ لِكِرَامَتِهِ
 عَلَى اللَّهِ . وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنْ الْجَنِينُ يَغْتَذِي دَمَ الْخِيضِ يَسِيلُ إِلَيْهِ مِنَ السَّرَّةِ بِغِذَائِهِ ؛
 وَقَالُوا : لِذَلِكَ لَا تَحِيضُ الْحَوَامِلُ . وَقَدْ رَأَيْنَا مِنَ الْحَوَامِلِ مَنْ تَحِيضُ . وَالْعَرَبُ
 تَقُولُ : حَمَلَتْ فَلَانَةٌ سَهْوًا ، إِذَا حَاضَتْ عَلَى الْحَمْلِ . قَالَ الْهَذَلِيُّ يَمْدَحُ رَجُلًا^(٣) :

وَمُبْرَأٌ مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ * وَرَضَاعٍ مُغِيلَةٍ وَدَاءٍ مُعِضِلٍ^(٤)

فَأَعْلَمَكَ أَنَّهُمَا لَمْ تَرَعِيهِ دَمَ حَيْضٍ فِي حَمْلِهَا ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ . قَالُوا : فَإِذَا
 نَجَّحَ الْجَنِينُ مِنَ الرَّحِمِ دَفَعَتْ الطَّبِيعَةُ ذَلِكَ الدَّمَ الَّذِي كَانَ يَغْتَذِيهِ إِلَى الثَّدْيَيْنِ ،
 وَهُمَا عُضْوَانِ نَاهِدَانِ عَصْبَيَانِ فَفِيْرَاهُ وَجَعَلَاهُ لَبَنًا . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَإِنَّ لَكُمْ^(٥)
 فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) .
 قَالُوا : وَالْإِنْسَانُ يَعِيشُ حَيْثُ تَحْتَا النَّارُ وَيَتَلَفَّ حَيْثُ لَا تَبْقَى النَّارُ . وَأَصْحَابُ الْمَعَادِنِ
 وَالْحَفَائِرِ إِذَا هَجَمُوا عَلَى تَفَقُّقٍ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ أَوْ مَغَارَةٍ قَدَمُوا شَمْعَةً فِي طَرَفِ قَنَاقَةٍ فَإِنْ
 ثَبَتَتِ النَّارُ وَعَاشَتْ دَخَلُوا فِي طَلَبِ مَا يَرِيدُونَ وَإِلَّا أَمْسَكُوا . وَالْعَرَبُ تَتَشَاءَمُ بِبُكَرٍ
 وَلَدِ الرَّجُلِ إِذَا كَانَ ذَكَرًا . وَكَانَ قَيْسُ بْنُ زَهْرٍ أَزْرَقَ بُكَرًا بَيْنَ بَكْرَيْنِ .

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « وَكَذَلِكَ ... » وَظَاهِرٌ أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ هُوَ الْأَنْسَبُ بِالسِّيَاقِ . (٢) الْحِجْلُ
 وَلَدُ الضَّبِّ . (٣) هُوَ تَابُطٌ شَرًّا . (٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ « غَبْرٌ » وَالْعَقْدُ
 الْفَرِيدُ ج ٣ ص ٣٥٢ وَشَرْحُ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ج ١ ص ٤٣ :

* وَفَسَادُ مَرْضَعَةٍ وَدَاءٍ مُغِيلٌ * وَقَدْ أَوْرَدَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ هَكَذَا بِمَجْرُورٍ وَقَالَ هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ :
 * وَلَقَدْ سَرِيتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَغْشَمٍ * وَهُوَ صَدْرِيَّةٌ مُتَقَدِّمَةٌ فِي الْقَصِيدَةِ . وَفِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ :
 يَرَوِي مَبْرَأٌ بِالنَّصْبِ وَمَبْرَأٌ بِالْجَرِّ ، فَالنَّصْبُ عَلَى قَوْلِهِ « غَبْرٌ مُهْلِلٌ » وَالْجَرُّ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ جَلْدٌ مِنَ الْفَتْيَانِ .
 وَالْغَبْرُ بَقَايَا الْخِيضِ . الْمَغِيلَةُ : الْحَبْلُ أَوِ الْتِي تُغْشَى وَهِيَ تَرْضَعُ ؛ وَلَكِنْ الَّذِي وَرَدَ فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ :
 أَغِيلَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُغِيلٌ . (٥) كَذَا فِي الْأَلْمَانِيَةِ ، وَفِي الْفَتْوَاغَرَفَةِ « بِادَاتٍ » .

حدثني محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يكره
 البكرين شيطان مخلد لا يموت الى يوم القيامة ، يعنى من الشياطين . قالوا : وآبن المذكرة
 من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه
 وخصال أمه . والعرب تذكر أن الغيرى لا تُنجب . قال عمرو بن معد يكرب
 أَلَسْتَ تَصِيرُ إِذَا مَا تُسَيِّدُ * بَيْنَ الْمَغَارَةِ وَالْأَحْمَقِ ^(٢)

وقال بعض الحكماء : كل امرأة أودابة تُبطئ عن الحبل ، إذا واقعها الفحل في الأيام
 التي يجرى الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عبيد الله بن الحسن : إذا أردت
 أن تُذكر المرأة فَأَغْضِبْهَا ثم قَعْ عليها . وقال الحارث بن كلدة : إذا أردت أن تحبل المرأة
 فَشِّهَا في عَرُصَةِ الدار عشرة أشواط فَإِنَّ رَحِمَهَا يَنْزِلُ فلا تكاد تُخْلِفُ . والعرب
 تقول : إن المرأة إذا لَقِحت في قُبُلِ الطُّهَرِ ^(٣) في أول الشهر عند تبليج الفجر ثم أذكرت
 جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعاني :

لَقِحت في الهلال عن قُبُلِ الطُّهَرِ * وقد لاح للصباح بشير

ويقولون : إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلي :

حملت به في ليلة مزوءة * كرها وعقد نطقها لم يُحَلَّل ^(٤)

فأنت به حوش الجنان مبطنًا * سهدًا إذا ما نام ليل الهوجل ^(٥)

ومبرًا من كل غبر حيضة * ورَضَاعٍ مُغِيلَةٍ وداءٍ مُعِضِل

(١) في الاصل : قصيرا ، والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المغارة : من أغارها
 زوجها بزوجها عليها . (٣) قبل الطهر : أوله . (٤) مزوءة : مذعورة ، وفي تعليقات الشيخ
 الشنقيطي على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش : كان أبو عبيدة ينصب
 مزوءة والأصمعي يمزرها بجعل الزؤد ليلية . وفاق هذا البيت صاحب مغنى اللبيب في أواخر الكتاب وقال :
 يروى بالجر صفة ليلية وبالضرب حالا من الضمير في حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير
 فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديده . ومبطن : ضامر البطن خفيه . وسهد : قليل النوم .
 والهوجل : البطيء الثقيل . وقد روى في الأصل الفتوغرافي : * إذا ما قام ليل الهوجل * وهو
 تحريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب في مادة «حوش» .

يقول : لم تر عليه في حملها دما باقيا من حيضة ولا حملته وهي تُرضع ولا أرضعته وهي حامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسب به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هممت أن أنهي عن الغيلة^(١) ثم ذكرت أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرمهم" وفي حديث آخر : "إنه ليدرك الفارس فيدعثره" أي يطرحه .

٥ حدثني إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جدة أبة إحدى وعشرين سنة . قال : وأول أوقات حمل المرأة تسع سنين ، وهو أول وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعاشة وهي بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدثني الليث عن ابن عجلان أن أمراة حملت له مرة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال الليث : وحملت مولدة لعمر بن عبد العزيز ثلاث سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا . وفي بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أمه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولد مولود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحباب عن ابن سنان قال : حدثني ثابت بن جابر العجلي أن الضحاک بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه روى عن جويبر أن الضحاک ولد لستين . وولد شعبة لستين . حدثنا الرياشي ١٥ أو رجل عنه قال حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مؤمل عن ابن أبي مليكة أن عمر رحمه الله قال : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم^(٢) فأنكحوا في الترائع^(٣) . قال : وقال

(١) ورد هذا الحديث في طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : الغيلة أن يمس الرجل امرأته وهي ترضع" .

(٢) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوى ، والضاوى : الضئيف . (٣) الترائع جمع تريعة وهي المرأة التي تهترج في غير عشيرتها . ٢٠

الأصمعيّ قال رجل : بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رؤوس الأبطال
كأن عجمية . والعرب تقول : ^(١) آغربوا لا تَضُؤوا ، أى آنكحوا فى الغرائب فإن
القرائب يَضُوين الأولاد . قال الشاعر :

إن بلائاً لم تَسِنه أُمّه * لم يتناسب خاله وعمّه

وقال آخر :

تَجَبُّها للنسل وهى غريبة * بغاءت به كالبدن خرقاً مَعَمَّ ^(٢)

فلو شاتم الفتيان فى الحى ظالماً * لما وجدوا غير التكبُّب مساماً

وكان يقال : أنجب النساء الفُروك ^(٣)، لأن الرجل يغلبها على الشبه لزهدها فى الرجال .

وحديثى أبو حاتم عن الأصمعيّ أن المنجبة التى تنزع بولدها الى أكرم الجدّين .

١٠ أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : حدّثنا حرب بن قَطَن قال : يقال : إن الرجل يستفرغ

ولد امرأتين ، يُولد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت عائشة : لا تلد امرأة بعد خمسين

سنة . قالت الحكماء : الزنج شرار الخلق وأردوهم تركياً لأن بلادهم سَخُنَتْ فأحرقتهم

الأرحام ، وكذلك من برّدت بلاده فلم تطبخه الأرحام ، وإنما فضّل أهل بابل لعلّة

الاعتدال ؛ قالوا : والشمس شيطت شعورهم فقَبَضَتْها ، والشعر إذا أدنيت الى النار

١٥ تجعد ، فإن زدته تغفل ، فإن زدته أحترق . وقالوا : أطيب الأمم أفواها الزنج وإن لم

تستن ^(٤) ؛ وكل إنسان رطب الفم كثير الريق فهو طيب الفم ؛ وخُلُوفُ فم الصائم يكون

لخثورة الريق ^(٥) ؛ وكذلك الخُلُوف فى آخر الليل . وقالت الحكماء : كلّ الحيوان إذا ألقي

فى الماء سبَحَ إلا الإنسان والفرد والفرس الأعسر ^(٦) ، فإن هذه تفرّق ولا تسبح إلا أن

(١) كذا بالأصليين ، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفقى الحسن

٢٠ الكريم الخليفة . (٣) الفروك : المرأة تبيض زوجها . (٤) تستن : تستاك .

(٥) الخثورة ضد الرقة . (٦) الأعسر : الذى يعمل بالشمال دون اليمين .

يتعلم الإنسان السباحة . قالوا : والرجل اذا ضربت عنقه فألقى في الماء قام في وسط الماء وانتصب ولم يلزم القعر جاريا كان الماء أو ساكنا ، حتى اذا جف آتقلب وظهر بدنه كله مستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر منكبة على وجهها . وقالوا : كل من قطعت يده لم يجيد العدو ، وكذلك الطائر اذا قطعت رجلاه لم يجيد الطيران . قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحضر^(١) إلا أخذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سؤم طبيعته . ولذلك قالوا : بغاءك على وحشيه^(٢) ، وأنحى على شؤمي^(٣) يديه . وقالوا : كل ذى عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشية والإنسية فإنما الأشفار^(٤) لحفته الأعلى إلا الإنسان فإن الأشفار — نعى الهدب — بلحفيه : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس في الأرض إنسان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شعره وولده . قال الطائي :

ويُسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنَ * هُوَ بَابِنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونٌ^(٥)

وقالوا : كل ذى جلد فإن جلده ينسلخ إلا جلد الإنسان ؛ فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي طرفة الهدلي عن جندب بن شعيب^(٥) قال : إذا رأيت المولود قبل أن يفتدى من لبن أمته فعلى وجهه مصباح من البيان ؛ يريد أن ألبان النساء تُغيره ؛ ولذلك قولهم : اللبن يُسَبِّه عليه ؛ يراد أنه يترع^(٥) بالمولود في شبه الظئر . قال الشاعر :

لم أَرْضَعِ الدَّهْرَ إِلَّا تَدَى وَاحِدَةٍ * لِوَاضِحِ الْوَجْهِ يَجِي سَاحَةَ الدَّارِ

(١) الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه . (٢) وحشى كل شيء شقه الأيسر وفي الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذي يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمي يديه : اعتمد عليها ، وشؤمي اليدين هي اليسرى ، وفي الأصلين «ألحى» بدل «أنحى» . (٤) في الأصل «كل من» والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق .

وحدثني الزياتي قال : حدثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عمر أُنِّيَ
بأمرأة ولدت لستة أشهر فهم بها ، فقال له علي : قد يكون هذا ، قال الله عز وجل :
(وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) وقال : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) .
أبو حاتم عن الأصمعي قال : آخِصَمَ رجلان في غلامٍ كلاهما يدعيه ؛ فسأل عمرُ
أمه ؛ فقالت : غَشِينِي أَحَدُهُمَا ثُمَّ هَرَقْتُ دَمًا ، ثُمَّ غَشِينِي الْآخَرَ ، فدعا عمرُ قائمَيْنِ فسألَهُمَا ؛
فقال أحدهما : أَعْلَنُ أَمْ أُسِرُّ ؟ قال : أُسِرُّ ؛ قال : أَشْتَرُكَ فِيهِ ؛ فضربه عمر حتى أضطجع
ثم سأل الآخر ؛ فقال مثل قوله ؛ فقال : ما كنتُ أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمتُ
أن الكلبة يسفدها الكلابُ فتؤدى إلى كلِّ خلٍ نجله . وركب الناس في أرجلهم
ورُكِبَ ذوات الأربع في أيديها ، وكل طائر كفه في رجله .

ما نقص خلقه من الحيوان

حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : الفرس لا طحال له ، والبعير لا مَرارة له ،
والظليم لا تُخ لعظمه . قال زهير :
كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ * مِنَ الظُّلْمَانِ جُوجُوهُ هَوَاءٍ^(٥)
وكذلك طير الماء وحياتان البحر لا ألسنة لها ولا أذمغة . وصَفَنَ البعير لا بيضة^(٦)
فيه . والسَّمكة لا رئة لها ولذلك لا تُنتَفَس ، وكل ذى رئة يتنفس .

(١) القائف : الذى يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) كذا في النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما في العقد الفريد . وفي الألمانية : ركه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصعل : الطويل . وفي الفتوغرافية « صقل » .

(٥) الجوجو : الصدر .

(٦) الصفن : وعاء الحصية .

المشتركات من الحيوان

الرَّاعِي ^(١) بَيْنَ الْوَرْشَانِ ^(٢) وَالْجَمَامَةِ ^(٣) . وَالْبَخَاتَى ^(٤) مِنَ الْإِبِلِ ^(٥) بَيْنَ الْعَرَابِ ^(٦) وَالْقَوَاجِ ^(٧) . وَالْحَمِيرِ
 الْأَخْدَرِيَّةِ ^(٨) مِنَ الْأَخْدَرِ ^(٩) وَهُوَ فَرَسٌ كَانَ لِأَرْدَشِيرِ تَوْحَشٍ ^(١٠) خَفِيَ عَائَاتٍ ^(١١) مِنَ الْحَمِيرِ
 فَضَرَبَ فِيهَا ، وَأَعْمَارُهَا كَأَعْمَارِ الْخَيْلِ . وَالزَّرَافَةُ ^(١٢) بَيْنَ النَّاقَةِ ^(١٣) مِنْ نُوقِ الْوَحُوشِ ^(١٤) وَبَيْنَ
 الْبَقَرَةِ ^(١٥) الْوَحْشِيَّةِ ^(١٦) وَبَيْنَ الضَّبْعَانِ ^(١٧) ، وَأَسْمَاهُمَا أَشْتَرُكَوْ بِلْنَكْ ^(١٨) أَيْ بَيْنَ الْجَمَلِ ^(١٩) وَالْكِرْكَنْدِ ^(٢٠) ، وَذَلِكَ
 أَنَّ الضَّبْعَانِ بِلَادِ الْحَبْشَةِ يَسْقِدُ النَّاقَةُ فَتَجِيءُ بِوَلَدِ خَلْقَةٍ ^(٢١) بَيْنَ النَّاقَةِ ^(٢٢) وَالضَّبْعِ ، فَإِنْ كَانَ
 وَلَدُ النَّاقَةِ ذَكَرًا عَرَضَ لِلْمَهْمَةِ ^(٢٣) فَالْفَحْمَا زَرَّافَةٌ . وَسُمِّيَتْ زَرَّافَةً لِأَنَّهَا جَمَاعَةٌ وَهِيَ وَاحِدَةٌ
 كَأَنَّهَا جَمَلٌ وَبَقَرَةٌ وَضَبْعٌ ، وَالزَّرَّافَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْجَمَاعَةُ . وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ :
 الْكَلَابُ تَسْقِدُهَا الذَّنَابُ فِي أَرْضِ سَلُوقِيَّةٍ ^(٢٤) فَيَكُونُ مِنْهَا الْكَلَابُ السَّلُوقِيَّةُ ^(٢٥) .

- ١٠ (١) الراعي : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش طويلا . (٢) الورشان : ذكر
 القمارى كما في حياة الحيوان . (٣) في الأصل «الجمامة» وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣
 ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتى جمع بختى وهى الإبل الخراسانية .
 (٥) العرب : إبل خلاف البخاتى كما فى اللسان . (٦) جمع فالج وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل
 من السند للقطعة . (٧) جمع عانة وهى القطيع من حمر الوحش . (٨) هو الذكر من الضباع وهو
 مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصاحح مركبة من أشتراى البعير وكاوى البقر وبلنك أى النمر
 وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ وبلنك الضبع ؛ والأول هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة
 الألمانية «الكركن» وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة الفتوغرافية «الكركى» وهو طائر كبير معروف .
 والكركند كما فى حياة الحيوان حيوان طوله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاحظ الكركدن ، ومعادنه بلاد
 الهند والنوبة وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشتركار بلنك)
 يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهمة : البقرة
 الوحشية ، وفى الأصلين : «المهرة» والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما فى الأصل تحريف من النسخ .
 (١٢) نسبة إلى سلوق وهى قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الأصل «بينها»
 وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعاديات

- بين البوم والغراب عداوة . وبين الفأرة والعقرب عداوة . وبين الغراب وآبن عرس عداوة . وبين الحِدَاة^(١) والغداف عداوة . وبين العنكبوت وبين العظاءة^(٢) عداوة . وبين الحية وبين آبن عرس عداوة . وبين آبن آوى والدجاج عداوة . وبين السنور والحمام عداوة . وبين البوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البومة ردية البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقو عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتنتف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين الحمار وبين عصفور الشوك عداوة ، ومتى نهق الحمار سقط بيض عصفور الشوك . وبين الحمار وبين الغراب عداوة . وبين الحية والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحية . والجمل يكره قرب الفرس أبدا ويقايله . وبين الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إن الأسد والثمر مختلفان ، والأسد والبئر متفقان .

الأمثال المضروبة بالطبائع

- يقال : فلان « أسمع من قراد »^(٣) ، والقردان تكون عند الماء فإن قربت الإبل منها تحزكت وأنتعشت ، فيستدلون بذلك على إقبال الإبل . و« أسمع من فرس » . و« أحزم من فرخ العقاب » ، وذلك أنه يكون في عرض الجبل فلا يتحرك فيسقط . و« أحلم من

(١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القبط الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .
(٢) هذه لغة أهل العالية ، ولغة بني تميم « العظاية » بالياء ، قال صاحب حياة الحيوان نقلا عن الأزهري : هي دويبة لمسا تعدو وتردد كثيرا تشبه سام أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذي ، وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل .
(٣) ابن آوى : حيوان طويل الخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر التميمي أن ابن آوى إذا مر تحت الدجاج وهي على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا . (٤) البير مضبوط في اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى وسكون الثانية وصرح في حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بآبن آوى .
(٥) القراد بالضم واحدة قرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه .

حية». و«أهدى من قِطَاةٍ وحمّامة». و«أخفّ رأساً من الذئب». و«أنوم من فهيد». و«أظلم من حية»، وذلك لأنها تدخل بحجرة الحشرات وتخرجها. و«أحذر من غراب». و«أصنع من تنوّط»، وهو طائر يصنع عُشّاً مُدَلّى من الشجر. و«أصنع من سُرفة»، وهي دُويبة تعمل بيتاً من قطع العيدان. و«أسرق من زبابة»، وهي فارة بريّة. و«أسرق من كُنْدُش» وهو العقّاق، ويقال أيضاً: «أحق من عقّاق» لأنه من الطير الذي يُضَيّع فراخه. و«أخرق من حمامة»، وذلك لأنها لا تُجيد عمل العُشّ فرّما وقع البيض فانكسر. قال عبيد بن الأبرص:

عَيُوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا * عَيَتْ بِلَيْضَتِهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ * نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ^(١)

يقول: قرنت النشم بالثمام وهو ضعيف فتكسر ووقع البيض فانكسر. وفي الإنجيل أنّ المسيح عليه السلام قال للحواريين: كونوا حُلُمَاءَ كالحيات وُبُلَهَاءَ كالحمام. و«أعق من ضَبّ»، لأنه يأكل ولده من الجوع. و«أبر من هرة»، وهي تأكل ولدها من شدّة محبته. و«أروغ من نعلب». و«أموق من رنّمة^(٢)». و«أزهي من ذباب» لأنه يقع على أنف الملك وتاجه. و«أصنع من الدبر»، وهي النحل. و«أسمخ من لافطة»، ويقال: هي العتر تسمخ بالحلب، ويقال: الرّحاء، لأنها تلفظ ما تطحنه لاحتبس منه شيئاً. و«أضرّد من عين حرباء^(٣)». و«ألح من الخنفساء». و«أخيل من مدّالة»، وهي الأمانة تُهان وهي تُتبختر. و«أحلم من فرخ الطائر». و«أكيس من قِشّة»، وهي القردة. و«أجبن من صافير»، وهو ماصقر من الطير، ويقال: هو

(١) النشم بالتخريك: شجر جبليّ تتخذ منه القسي، والثمام واحدة الثمام: نبت ضعيف.

(٢) أموق: أحق، من الموق وهو الحق. (٣) في جمع الأمثال لليداني: الحرباء. بالتعريف، وعلمه

بأن الحرباء تستقبل الشمس أبداً بعينها تستجلب إليها الدف. وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتعريف أيضاً.

- (١) الصّافر بالمرأة للريّة . و «أنمّ من صُبح» . و «أبعد من بيض الأنوق» ، والأنوق : الرّنمة تبيض في أعالي الجبال والشواقي حيث لا يبلغه سُبُع ولا طائر . و «أشجع من لَيْثِ عِفْرَيْن» ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من لَيْثِ لُيُوثِ تَعْفِرٍ من نازعها وتصرعه ، وقال الأصمعيّ : هو دابة مثل الخرباء يتحدّى الراكب ويضربه بدَنْبِهِ . و «أحنّ من شاريّف» ، وهى الناقة المُسنّة . و «أسرع من عدوى الثّوّاء» . و «أروى من النّقاّة» ، وهى الضّفادع . و «أزنى من قِرْدٍ» ، ويقول بعضهم : إنه رجل من هذيل كان كثير الزّنا . و «أخدع من ضبّ» . و «أشام من الزّرقاء» وهى ناقة .

الأنعام

- ١٠ حدّثنى يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهليّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما خلق الله دابة أكرم عليه من النّعجة» وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .
- وقال : حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ عن إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يعرف كَشَحَ الحامل من غير أن يُسمّها . قيل لأبنة الخُسّ : ما تقولين في مائة من المعز ؟
- (١) وفي النسخة الألمانية : «بالمرأة المريّة» وعبارة الأساس «هو الذي يصفر لريبه فهو وجِل أن يُظهر عليه» ، وقيل : هو طائر ينكس رأسه ليلا ويتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ .
- (٢) في الأصلين «تعفر» والسياق يقتضى ما وضعنا إذ سبق الفعل لبيان الاشتقاق . (٣) في جمع الأمثال للبدائي : «أشام من ورقاء» وقال : يعنون الناقة وهى مشومة وذلك أن أربابا نقرت فذهبت في الأرض . وما في الأصل حكاه الميداني عن أبي الندى وقال : الزرقاء ناقة نقرت براكها فذهبت في الأرض . (٤) كذا في المقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل الفتوغرافي هكذا «يسها» وفي النسخة الألمانية «يسهى» . (٥) أبنة الخُسّ : امرأة من إياد جاءت عنها الأمثال وأسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة .

قالت : قَتِي ؛ قيل : فائنة من الضأن ؟ قالت : غَنِي ؛ قيل : فائنة من الإبل ؟ قالت : مُنَى . والعرب تضرب المثل في الصَّرْدِ بِالْمَعْرَى فتقول : « أَصَرَدُ من عَتْرِ جَرَبَاء » . وسئل دَعْفَلٌ عن بني مخزوم ، فقال : مِعْرَى مَطِيرة ، عليها قُشْعَريرة ، إلا بني المَعِيرَةِ ؛ فإن فيهم تشادقُ الكلام ، ومُصَاهَرَةُ الكرام .

وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم : قالت المِعْرَى : الأَسْتُ جَهْوَى ،^(٢) والذَنْبُ أَلْوَى ؛ والجِلْدُ رُقَاق ، والشعر دُقَاق . قالوا : والضأن تضع مرة في السنة وتُفَرِّد ولا تُنْتَمِ ، والماعِز قد تلد مرتين في السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنمَاء والبركة والعدد في الضأن ؛ وكذلك الخنازير تضع الأثني منها عشرين خِنُوصًا ولا نَمَاء فيها . ويقال : الجَوَاميس ضأنُ البقر ، والبُخْت ضأنُ الإبل ، والبراذين ضأنُ الخيل ، والجِرْدان ضأنُ الفار ، والدُّلْدُل ضأنُ القنَافذ ، والنمل ضأنُ الذَّر . ويقول الأطباء في لحم^{١٠} الماعِز : إنه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويُجَبِّل الأولاد ويُفسد الدم ، ولحم الضأن يضر بمن يُصرَع من المِزَّة لإضرارها شديدا حتى يصرعهم في غير أوان الصَّرَع . وأوان الصرع الأَهْلَةُ وأنصافُ الشهور ؛ وهذان الوقتان هما وقت مد البحر وزيادة الماء والدم . ولزيادة القمر إلى أن يصير بدرا أثر في زيادة الدم والدماغ^{١٥} وجميع الرطوبات ؛ قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَأْنٍ * فَهَمَّ بِعِجُونٍ قَد مَالَتْ طَلَاهُمُ^(٣)

وفي الماعِزة : إنها ترضع من خَلْفِهَا وهي مُحْفَلَةٌ^(٤) حتى تَأْتِيَ على كُلِّ مَا فِيهِ ؛ قال^(٥) ابنُ أَحْمَرَ

(١) الصرد: البرد، لأن المعزى لا تدفأ لقلّة شعرها . (٢) جهوى: مكشوفة (٣) الرجل البعج :

الضعيف المشى كأنه مبعوج البطن ، وفي النسخة الألمانية : « فهم بعجون » بالياء المثناة وهو بحر يرف .

(٤) الخلف بالكسر : حَلَمَةُ الضرع . (٥) المحفلة : التي ترك حلبها أيا ما ليجمع اللبن في ضرعها .

إني وجدتُ بني أعيًا^(١) وجاملهم^(٢) * كالعزّز تعطفُ روقيها^(٣) فترتضعُ

وإذا رعت الضائئةُ والماعزةُ في قصير نبتٍ لم ينبُت ما تأكله الماعزة لأنَّ الضائئةَ تقرضه بأسنانها والماعزةُ تقتلعه وتجذبه فتثنيه من أصله . وإذا حمل على الماعزة فحملت أنزلت اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائئة لا تنزل اللبن إلا عند الولادة ، ولذلك تقول العرب «رَمَدَتِ المِعْزَى فَرَنَّقَ رَبَّقٌ» و«رَمَدَتِ الضَّائَةُ فَرَبَّقَ رَبَّقٌ»^(٥) .
وذكر كل شيء أحسن من إناثه إلا الثيوس فإنها أقبح من الصفايا . وأصوات الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .
قيل لأعرابي : بأي شيء تعرف حمل شاتك ؟ قال : إذا ورم حياؤها ورجت شعرتها وأستفاضت خاصرتها .

قال الأصمعي : لبني عقيل ماعزة لا ترد ، تجترى بالرطب . وقرأت في كتاب من كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لونُ جنين النعجة فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه . وقرأت فيه أن الإبل تتحامي أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها .
قالوا : وكل ثور أفضس^(٦) ، وكل بعير أعلم^(٧) ، وكل ذباب أقرح^(٨) . وقالوا : البعير إذا صعب وخافه الناس استعانوا عليه حتى يُبرك ويُعقل ثم يركبه فحل آخر فيذل . والعرب تعرف

- ١٥ (١) كذا في الأصل والصحيح والذي في اللسان في مادة «رضع» : * إني رأيت بني منهم وعزهم *
و«أعيًا» أبو بطن من أسد كما في اللسان . (٢) الجامل قطع من الإبل معها رعيانها وأربابها .
(٣) الروق : القرن ، يريد أنهم لا يحتلبون نياقهم وإنما يرتضونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب فيطلبون اللبن منهم . (٤) الترميد : أن تعظم الضروع . والترقيق : الانتظار . والمعنى أن عظم ضرع الماعزة لا يدل على قرب ولادتها . (٥) أي هي لأولادها الأرباق (جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه عدة عرى يشد به الهم . كل عروة ربة بالكسر والفتح) يعني أن عظم ضروع الضأن يدل على قرب ولادتها ، وهو مثل يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا على عكس المثل الأول .
(٦) الأفضس : الذي تظلمت قصبته أنفه وانتشرت أو أنشرم أنفه في وجهه . (٧) الأعلم : المشقوق المشفر الاعل . (٨) الأقرح : الذي بوجهه قرحة تظهر كالغرة .

البعير المُغْدَّ^(١) بسقوط الذباب عليه . ويقولون : بعير مَذْبُوب إذا عَرَضَ له داء يدعو
الذباب الى السقوط عليه . وقال بعض القصاص : مما فَضَّلَ الله به الكَبْشَ أن جعله
مستور العورة من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ ، ومما أهان به التَّيسُ أن جعله مهتوك السَّتر
مكشوف القبل والدبر .

٥ حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أمية عن وهب بن مُنبه أنه قال : كان
في مناجاة عُزَيْرٍ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْتَرْتَ مِنَ الْأَنْعَامِ الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَامَةَ ، وَمِنَ النَّبَاتِ
الْحَبْلَةَ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ بَكَّةً^(٢) وَإِيلِيَاءَ^(٣) ، وَمِنَ إِيلِيَاءَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ . وفي الحديث أن امرأة
أتت النبي عليه السلام فقالت : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، إني آتَخَذْتُ غَنَمًا أَبْتَنِي
نَسْلَهَا وَرَسَلْتُهَا وَإِنهَا لَا تَنْبُو^(٤) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”مَّا أَلَوْنَهَا“ ، فقالت :
سُودَ ، فقال : ”عَفْرَى“^(٥) ، وَبَعَثَ إِلَى الرُّعْيَانِ ”مَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ سُودٌ فَلْيَخْلِطْهَا بِعَفْرٍ
فَإِنَّ دَمَ عَفْرَاءٍ أَزْكَى مِنْ دَمِ سَوْدَاوَيْنِ“ . وقال : ”الْغَنَمُ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ
أَقْبَلَتْ . وَإِلَّا لَإِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ وَإِذَا أَقْبَلَتْ أَدْبَرَتْ وَلَا يَأْتِي نَفْعُهَا إِلَّا مِنْ جَانِبِهَا
الْأَشَامِ“^(٦) . وَالْأَفِطُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمِعْزَى ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

لَنَا غَنَمٌ تُسَوِّقُهَا غِزَارٌ * كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتْهَا عِصَى

فَتَمَلَأُ بَيْتَنَا أَفْطًا وَسَمْنًا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى

١٥ وقالوا : شِقْشِقَةُ الْبَعِيرِ : لَمَّاتُهُ يُخْرِجُهَا . وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْغَنَمِ قَوْلُ مُحَارِقِ
أَبْنِ شِهَابٍ فِي تَيْسٍ غَنَمِهِ :

(١) أَغْدَّ الْبَعِيرُ : أَصِيبَ بِالْفَدَّةِ ، وَهِيَ طَاعُونُ الْإِبِلِ . (٢) فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ ”فِي مُنَاجَاةِ

عُزَيْرٍ إِنَّكَ إِنَّكَ“ . وَظَاهِرٌ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) الْحَبْلَةُ تَطْلُقُ عَلَى بَقْلَةٍ طَيِّبَةٍ مِنْ ذِكُورِ الْبَقْلِ

وَعَلَى الْكُرْمِ وَعَلَى شَجَرِ الْعِضَاءِ . (٤) بَكَّةٌ : مَكَّةٌ . وَإِيلِيَاءُ : اسْمُ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

(٥) الرُّسُلُ : اللَّبَنُ . (٦) عَفْرَى : مِنَ الْعَفْرِ وَهُوَ الْبَيَاضُ . (٧) الْأَشَامُ : الشَّالُ .

وراحت أصيلانا كأت ضروعها * دلاء وفيها وائد القرن لبلب^(١)
 له رعشات كالشئوف وغرة^(٢) * شديخ^(٣) ولون كالوذيلة مذهب^(٤)
 وعينا أحم المقلتين وعصمة^(٥) * يواصلها دان من الظلف مكنب^(٦)
 إذا دوحة من مخرف الضال أذبلت * عطاها كما يعطو ذرى الضال قهره^(٧)
 أبو الحور والفور اللواتي كأنها * من الحسن في الأعناق جزع مثقب^(٨)
 ترى صيفها فيها بيت بغبطة * وضيف^(٩) ابن قيس جائع يتحوب^(١٠)
 فوجد ابن قيس هذا على النعمان فقال: كيف المخارق فيكم؟ قال: سيد كريم من رجل
 يمدح تيسه ويهجو ابن عمه. قال العجاج في وصف شاة حمراء المقدم شعراء المؤخر
 إذا أقبلت حسبته نافرا، وإذا أدبرت حسبته ناثرا، أي كأنها تعطس، يريد من أي
 أقطارها رأيته وجدتها مشرقة.

١٠

(١) وائد القرن : متصبه . (٢) قال صاحب اللسان : أراد باللبب شففته على المعزى التي
 أرسل فيها فهو ذوليلة عليها أي ذو شفقة . (٣) رعشا الشاة : زعمتا تحت الأذنين . وفي الأصل
 الفتوغرافي : غرثات وهو تحريف . (٤) جمع شنف وهو القرط ، وفي الأصل الفتوغرافي
 كالسيوف وهو تحريف . (٥) غرة شادخة وشديخ : غشت الوجه من الناصية إلى الأنف .
 (٦) المرأة أو قطعة من الفضة مجلوة . (٧) العصمة : البياض في ذراعي الظبي أو الوعل .
 (٨) الظلف : ظفر كل ما أجتر ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها .
 (٩) مكنب : غليظ ، من الكنب وهو غلظ يد الرجل والخف والحافر واليد .
 (١٠) المخرف : الذي حان خرافه أي أفتطاف ثمره .

١٥

(١١) من العطو وهو التناول . (١٢) القهره من الثيران : المسن الضخم .
 (١٣) الجزع بالفتح ويكسر : انخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض .
 (١٤) يتحوب : يتوجم . كذلك وردت في كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفي الفتوغرافية : « يتحوب »
 ولم نجد هذا الفعل وإنما ورد الخوبة : الحاجة .

٢٠

(١٥) هكذا بالأصول ، والذي في كتاب الحيوان للمحافظ ج ٥ ص ١٤٠ « سيد شريف يمدح » الخ
 بدون من رجل .

قال الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشتر لي شاة فقهاء كأنها تضعك، مُندلقة^(٢) خاصرتها، لها ضرع أرقط كأنه جيب؛ قال: فكيف العطل؟ قال: أتى لهذه عطل! العطل: العنق. يقول: من سَمَنها يُحسب أنه لا عُنق لها.

ومما تقوله العرب على السنة البهائم. قالت الضائنة: أولد رُخالا وأُجَرَ جُفالا وأُحَلَب كُثْبًا نِقالا ولم ترمثي مالا حُقَالًا^(٤). تقول: أُجِر مرة وذلك أن الضائنة إذا جُرّت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يُؤتى عليه؛ والكُثْب جمع كُثْبَة وهي الدفعة من اللبن، تقول: أُحَلَب دُفْعًا ثقالا من اللبن، وذلك لأن لبنها أَدَسَم وأخثر من لبن المعز فهو أثقل.

السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شيء من السباع أطيب أفواها من الكلاب^(٥)، ولا في الوحوش أطيب أفواها من الطّباء. ويقال: ليس شيء أشدَّ بَحْرًا من أسد وصقر، ولا في السباع أسبغ من كلب. وليس في الأرض خَلٌّ من جميع أجناس الحيوان لذكّره حَجْم ظاهر إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحار ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الروم: إن الأسد يُدْعَر بصوت الديك ولا يدنو من المرأة الطامث^(٨). والأسد إذا بال شغركا يشغركا^(٩) الكلب؛ وهو قليل الشرب^(٦)، ونَجْوُهُ

(١) الفقم: تقدّم الثنايا العليا. (٢) في الأصل الفتوغر في مندلفة بالذال المعجمة والقاف، وفي الألمانية «مندلفة» بالذال المعجمة والقاف. ولعل الصواب ما أثبتناه؛ والاندلاق: الاسترخاء. (٣) الرخال: جمع رخل بالكسر وبهاء، وككتف: الأنثى من ولد الضأن. (٤) الحفال كغراب: العظيم. (٥) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهي أنسب بالسياق. وفي الأصلين: «الكلب». (٦) كذا في العقد الفريد وفي الأصلين: «الحوضة». (٧) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفتوغرافية: من صوت «الذئب». وعبرة الدميّرى «يفزع من صوت الديك ونقر الطست». (٨) من الطمّث وهو الحيز، وعبرة الدميّرى «ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد». (٩) شغرا الكلب: رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل.

يشبه نجو الكلب، ودواء عَضَّتْه دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْبِ . وقالوا : العيون التي تضيء بالليل عيون الأسد والثور والسنانير والأفاعي . والعرب تقول هو «أحمق من جَهِيْزَة» وهي الذئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضَّبُع . ويقولون : الضَّبُع إذا صيدت أوقنت عَال الذئب أولادها وأتاهها باللحم ؛ قال الكُمَيْت :

كما خَازَرت في بيتها أُمُّ عامرٍ ^(١) * لدى الحبل ^(٢) حتى عَال أَوْسٌ ^(٣) عِيالها

أَوْس : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع في قِيَّتها : الأسد والكلب والسنور ، ويقال : الضَّبُّ أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكَلْب وهو جنون ، والذَّبْحَة والنَّقْرَس . والعرب تقول : دماء المملوك شفاء من عَضَّة الكَلْب الكَلْبِ والجنون والحبل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداءِ المحبَّة والحبل

وبلغني عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْبِ الذَّرَارِيح ^(٤) والعدس والشراب العتيق يُصنع ؛ وقد ذكر كيف صنَّعته وكَم يُشْرَب منه وكيف يُتعالج به ، والكَلْب الكَلْبُ إذا عَضَّ إنسانا فربما أحاله نَبَاحا مثله ثم أحبله وألقحه بأجرٍ صغار ^(٥) تراها علقا في صُور الكلاب .

(١) أم عامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل على هذه الرواية حبل الرمل وروى «لدى الحبل» والمراد بذى الحبل الصائد الذي يعلق الحبل في عروق الضبع .

(٣) كذا في الأصلين وفي لسان العرب في مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا في مادة أوس :

غال أوس بالغين المعجمة وقال في تفسيرها : يعني أكل جِراءها .

(٤) الذراريح جمع ذُرُوح وهي دويبة حمراء منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرو .

قال أبو اليقظان : كان الأسود بن أوس بن الحجرة أتي النجاشي فعلمه دواء الكلب، فهو في ولده الى اليوم. فمن ولده المحل، وقد داوى المحل عتية بن مرداس فأخرج منه مثل جراء الكلاب علقًا، قال ابن فسوة حين برأ :^(١)

ولولا دواء ابن المحل وعلمه * هررت اذا ما الناس هرر كليبها
وأخرج بعد الله أولاد زارِع^(٢) * مَوْلَعًا^(٣) أَكْتَفَهَا^(٤) وَجُنُوبَهَا

الكليب : جمع كلب على غير قياس مثل عبد وعبيد .

وعض رجلان من بني العنبر كلب كلب فبال علقًا في صور الكلاب، فقالت امرأته :
أَبَاكَ أَدْرَا صَا وَأَوْلَادَ زَارِعِ^(٥) * وتلك لعمري نُهبة المتعجب

ويزعمون أنه يطلب الماء أشد طلب، فاذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد
لا أريد، أو شيئًا في معنى ذلك . قالوا : وتنام حمل الكلبة ستون يومًا، فإن وضعت
في أقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وإناث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام،
وعلاوة ذلك أن يرم نقر الكلبة ولا تريد السفاد في ذلك الوقت . وذكور السلوقية
تعيش عشرين سنة، والإناث تعيش اثنتي عشرة سنة . وليس يليق الكلب شيئًا من
أسنانه سوى النابين .

قالوا : وعلاوة سرعة الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ويكون قصير الظهر .
ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العنق وغلظها وإفراط الغضف وزرق العينين^(٨)

- (١) ابن فسوة كنية عتية بن مرداس، وظاهر ما في الأصل أن البيتين لعنتية نفسه ولكن المؤلف
في كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر، ثم ساق البيتين . (٢) زارع : اسم كلب، ومنه
قيل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون في الدابة ضروب من الألوان .
(٤) في النسخة الألمانية : « أكتافها » . (٥) جمع درص — بالفتح ويكسر — وهو ولد القنفذ
والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . (٦) في النسخة الفتوغرافية « وأيام » .
(٧) النفر — بالفتح ويضم — للباعر والمخالب كالحياء للنافقة . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

- وعِظَمِ المقلتين وطول الخَطَمِ مع اللطافة وسعة الشَّدقين وتواء الحَدقة وتواء الجبهة وعِرَضُها، وأن يكون الشَّعر الذى تحت حَنَكه طاقةً طاقةً ويكون غليظاً، وكذلك شعر خَدَّيه، ويكون قصيرَ اليدين طويلَ الرجلين عريضَ الظهر طويلَ الصدر، فى ركبته أنحاء . ويكره للذكور طول الأذنان . ومن علامة الفَرَاة التى لا تكاد تَخَلَّف أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب مَخَبٌّ ، وينبئ أن يُقَطَّع من الساقين . وسودُّ الكلاب أعقرها، ولذلك أمر بقتلها .

- قالوا : وإذا هَرَمَ الكلبُ أَطْعِمَ السَّمَنَ مراراً فإنه يعود كالشَّابِّ ، وإذا حَفِيَ دُهِنَتْ آسْتَه وأَجَمَ^(١) ومُسِحَ على يديه ورجليه القِطْرَانُ . وإذا بلغ أن يَشْغَرَ فقد بلغ الإلقاح . والكلب من الحيوان الذى يحتلم . قالوا فى الكلبة : إنه يسفدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدى الى كلِّ سافِدٍ شكله وشبهه .

- ١٠ قعد جماعة من أصحابنا يعدون ما جاء فى الكلب من الأمثال فحفظت منه : «الأمُّ من كلبٍ على عَرَقٍ» و«أَجْعُ كَلْبِكَ يَتَبَعُكَ» و«نَعِيمُ كَلْبٍ فى بُؤْسِ أَهْلِهِ» و«أَسْمِنُ كَلْبِكَ يَا كَلْكُ» و«أَحْرَصُ من كَلْبٍ على عِيقِ صَبِيٍّ» و«أَجْوَعُ من كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ» و«أَبُولُ من كَلْبٍ» و«جلس فلان مَرْبَحَ الكلب» و«الكلاب على [البقر]» و«الكلبُ أَحَبُّ أَهْلِهِ اليه الظاعن» و«هو كالكلب فى الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابة تعتلف» .

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى، وفى النسخة الألمانية : «أوجم» . وأَجَمَ : تَرَكَ ليستعيد قوته .

(٢) فى الأصلين : «قالوا وفى الكلبة» وظاهر أن الواو زائدة .

(٣) العرق : العظمُ أكل لحمه، أو العظم بلحم .

(٤) العيقُ : أوَّلُ حدثِ الصبي .

(٥) الزيادة من مجمع الأمثال، وهو مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة .

الذنب

الذنب إذا سفد الذئبة فالتحم الفرجان وهم عليهما هاجم قتلها كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذنب إذا أراد السفاد تونحى موضعا لا يطؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم: إن الذنب إذا نهش شاة ثم أفلبت منه طاب لحمها وخف وسلمت من القردان . قالوا : والذنب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبح الذنب صوت ذلك الإنسان . وقالوا : في طبع الذنب محبة الدم، ويبلغ به طبعه أنه يرى الذنب مثله قد دمي فينب عليه فيمزقه ؛ قال الشاعر ^(١) :

وكنْتَ كذنب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم ^(٢)

قالوا : والفرس إذا وطئ أثر الذنب ثقلت قائمته التي وطئ بها . وفي كتاب على رضى الله عنه إلى ابن عباس: لما رأيت العدو على ابن عمك قد حرب، والزمان قد كلب، قلبت لابن عمك ظهر المحن بفراقه مع المفارقين، وخذلانه مع الخاذلين، واختطف ما قدرت عليه من الأموال اختطاف الذنب الأزل ^(٣) دامية المعزى . ويقولون : إن الذنب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى ؛ وقال حميد بن ثور :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع ^(٤)

والذنب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز عوى عواء استغاثت قسامت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله ؛ وليس شيء من السباع يفعل ذلك .

(١) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه .

(٣) الذنب الأزل : الأومع (الخفيف الوركين) يتولد بين الضبع والذنب .

(٤) في العقد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعادى فهو يقظان نائم *

الفيل

قالوا: لسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُهُ إلى داخل . والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ
لتكلم . والفيل إذا ساء خُلِقَهُ وَصَعِبَ عَصَبُ^(١) رجليه فسكن . وليس في جميع الحيوان
شيءٌ لذكوره تَدَى في صدره إلا الإنسان والفيل . والفيل المقتل إن سمع صوت
يَخْنُوص من الخنازير ارتاع ونفر . والفيل يَفْزَع من السَّور . وتزعم الهند أن نأبى
الفيل هما قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحَنَك ويخرجا أعقفين . وقال صاحب
المنطق : ظهر فيل عاش أربعائة سنة . وقال حدثني شيخ لنا قال : رأيت فيلا
أيام أبي جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذي الأكاف ولأبي جعفر ، والفيلة تضع
في سبع سنين .

الفهد

١٠

قالوا: السباع تشتهي رائحة الفهد، فإذا سَمِن الفهد عَرَف أنه مطلوب وأن حركته
قد ثقلت فأخفى نفسه حتى ينقضى الزمان الذي تسمن فيه الفهود . ويعتري الفهد
داء يقال له خائفة الفهود ، فإذا آعتراه أكل العذرة فبرأ . والوحشي المسن منها
في الصيد أنفع من الجرو المربى^(٢) .

الأرنب

١٥

قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمن إلا بزيادة اللحم . وقضيب الذكر من الأرانب
ربما كان من عظم ، وكذلك قضيب الثعلب . والأرنب تنام مفتوحة العين . وإنفحة^(٣)
الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تطهر من الحيض مُنعت من الحبل . والكاف
إن طلي بدم الأرنب أذهب .

(١) بالأصليين : « وضعف » وظاهر أن ما أثبتناه هو الذي يلائم السياق . (٢) المربى :
الذي يربونه لأن الجرو يخرج نجساً ويخرج المسن على التأديب صبوراً غير خب . كذا في كتاب الحيوان
للجاحظ (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتحريك : شيء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالشمش .

القرود والدَّب

قال : حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثني سلم بن قتيبة عن هشام عن حصّين وأبي بلج عن عمرو بن ميمون قال : زنت قردة في الجاهلية فربحها القرد وربحها معهم . قالوا : وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغيرة إلا الإنسان والقرد ؛ قالوا : والدّيسم جرو الدّب تضعه أمه وهو كفدرة لحم فتهرب به في المواضع العالية من الذر والنمل حتى تستند أعضاؤه .

مصايد السباع العادية

السباع العادية : تُصطاد بالزبي والمغويات ^(١) وهي آبار تُحفر في أنشاز الأرض ، فلذلك يقال : قد «بلغ السيل الزبي» ^(٢) ، قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الجبار السمان فتقطع قطعاً ثم تُسرح ثم تُكَلَّ كَلالاً ^(٣) ثم تؤجج نار في غائط ^(٤) من الأرض يقرب فيه السباع ثم تقذف تلك الكَل في النار واحدة بعد واحدة حتى ينتشر دخان تلك النار وقنار تلك الكَل في تلك الأرض ثم تُطرح حول تلك النار قطعاً من لحم قد جعل فيها الحريق الأسود والأفيون وتكون تلك النار في موضع لا تُرى فيه حتى تُقيل السباع لريح القنار وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويُغشى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

(١) المغويات بفتح الواو مشددة : جمع المغواة وهي حفرة كالزبية تحفر للأسد .

(٢) أنشاز جمع نشر وهو المكان المرتفع .

(٣) الزبي جمع زبية وهي الزابية لا يعلوها ماء ، وهي كذلك حفرة للأسد .

(٤) الغائط : المطنن الواسع من الأرض .

(٥) القنار : ريح الشواء .

(٦) الحريق بكحفر : نبت كالسم يُغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَام

- (١) قالوا في الظَّليم : إن الصيف إذا أقبل وأبتدأ البُسر في الحجرة أبتدأ لون وظيفيه بالحجرة ولا يزالان يتلوذنان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسر، ولذلك قيل له : خاضب . وفي الظليم : إن كل ذى رجلين إذا أنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظَلْعٍ غَيْرِهِ فإنه إذا أنكسرت إحدى رجليه جَمَّ ، ولذلك قال الشاعر .
- في نفسه وأخيه :

فإني وإياه كرجلي نعامية * على ما بنا من ذى غنى وفقير

يقول : لا غنى بواحد منا عن الآخر . وقال آخر :

إذا أنكسرت رجل النعام لم تجد * على أختها نهضا ولا باستها حبوا (٢) (٣)

- قالوا : وعلة ذلك أنه لا تُخ له في ساقيه، وكلُّ عظم فهو ينجبر إلا عظاماً لا تُخ فيه ؛
- وَزَمَانِحُ الشَّاءِ لَا تَجْبِرُ ، قال الشاعر (٤) :

أَجْدَكَ لَمْ تَطْلُعْ بِرَجُلٍ نَعَامِيَّةٍ * وَلَسْتَ بِنَهَاضٍ وَعَظْمُكَ زَمَحْرُ

- أى أجوف لا تُخ فيه . والظليم يفتدى المرو والصخر فتذنيه فانصته بطبعها حتى يصير كالماء ؛ قال ذو الرمة يذكره :

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها والجمع أوظيفة ووظف .

(٢) في العقد الفريد : ولا دونها صبرا .

(٣) كذا في حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤٢٠) وفي الأصل : « جبرا » .

(٤) الزمانح جمع زمخة وهي كل عظم أجوف لا تُخ فيه .

(٥) القوانص الطير كالمصارين وغيرها .

أَلْهَاهُ ^(١) آءٌ وَتَتَّوَمُ ^(٢) وَعُقْبَتُهُ ^(٣) * مِنْ لَائِئِحِ الْمَرَوِّ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ

قال أبو النجم :

وَالْمَرَوِّ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ * فِي سَرَطِمٍ هَادٍ عَلَى التَّوَائِهِ ^(٤)

والظلم يتلع الجمرة وربما ألقى الحجر في النار حتى إذا صار كأنه جمره قذف به بين يديه فيبتلعه وربما أبتلع أوزان الحديد . وفي النعامة إنها أخذت من البعير المنسم والوظيف والعُقَّ وَالْخَزَامَةُ ؛ ومن الطائر الزيش والجناحين والمتنقار فهو لا بعير ولا طائر ؛ وقال أوس بن حجر :

وَتَنْهَى ذَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ * وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْخَزَمِ

جعله مخزماً للخرقين اللذين في عرض أنفسه في موضع إِيْخَزَامَةٍ من البعير . قال

يحيى بن نوفل :

وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا * تُعَاصِينَا إِذَا مَا قِيلَ طَيْرِي ^(٥)

فإن قيل أحملى قالت فإني * مِنْ الطَّيْرِ الْمُرْبَةِ فِي الْوُكُورِ ^(٦)

وتقول العرب في المثل : هذا «أموق من نعامة» وذلك أنها ربما خرجت لطلب

الطعم فمُزَّتْ ببيض نعامة أخرى فخصنته وترك ببيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو

أَبْنُ هَرَمَةَ :

(١) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال ابن سيده : التوم : شجر له حل صفار كحل

حب الخروع ، ويفلق عن حب يأكله أهل البادية ؛ وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الودق ،

وواحدته تنومة . (٣) قال في اللسان : وعُقبة الماشية في المرعى أن ترعى الخلَّة عُقبة ثم تحوّل

إلى الخَصْصِ ، فالخصص عُقْبَتُهَا ، وكذلك إذا حوّل من الخصص إلى الخلَّة ، فالخلَّة عُقْبَتُهَا . (٤) السرط :

البلعوم . (٥) كذا في حياة الحيوان للدميري . وفي الأصل «نعاظمها» . (٦) المربة :

المقيمة ؛ وفي حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٨٤) «المربة» .

وإني وتركي ندى الأكرمين * وقبضي بكفي زندا شحاحا

كتاركة بيضها بالعرء * ومليسة بيض أخرى جناحا

وقال سهم بن حنظلة :

إذا ما لقيت بني عامر * رأيت جفاء ونوكا كبيرا

نعام تمد بأعناقها * ويمنعها نوكها أن تطيرا

ويضرب بها المثل في الشراء والنقار؛ قال بشر بن أبي خازم :

وأما بنو عامر بالنسار * فكانوا غداة لقونا نعاما

يريد: مروا من زمين . وربما حضنت النعامة أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت

ثلاثين رآلا؛ قال ذو الرمة :

كأنه خاضب بالسبي مرتعه * أبو ثلاثين أمسي وهو منقلب

والبواقى من بيضها الذى لا تتقفه يقال لها : الترائك . وأشد ما يكون الظلم عدوا
إذا استقبل الريح لأنه يضع عنقه على ظهره ثم يحرق الريح وإذا استدبرها كبته من
خلفه . والنعامة تضع بيضها طولا ثم تغطيها كل بيضة بما يصيبها من الحصى ؛

قال ابن أحرر :

* وُضِعْنَ وَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ *

وقال آخر :

* عَلَى غِرَارٍ كَأَسْتَوَاءِ الْمِطْمَرِ *

(١) النوك : الحق . (٢) النسار : موضع ، وقيل : هو ماء لبني عامر ، ومنه يوم النصار لبني أسد

وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا في الأصل الفتوغرافي . وفي لسان العرب في مادة « خضب »

« أذاك أم خاضب ... الخ » وهي رواية الديوان ، بمعنى : أذاك الثور الذى وصفته يشبه ناقتي في سرعتها

أم ظليم هذه صفته . (٤) السبي : القلاة . (٥) نفقت النعامة البيضة : ثقبها وأستخرجت ما فيها .

والمطمَر خيط البناء، إلا أن ثعلبة بن صَعِير خالف ذلك فقال يذكر العظيم
والنعامة :

فتذكروا ثقلًا رثيدًا بعد ما * ألفت ذكاءً يمينها في كافر^(٢)

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوحش في الفلوات ما لم تعرف

الإنسان ولم تره لا تنفر منه إذا رآته خلا النعام فإنه شارد أبداً ؛ قال ذو الرمة :

وكل أحسم المقلتين^(٣) كأنه * أخو الإنس من طول الخلاء المغفل^(٤)

يريد : أنه لا ينفر من الناس لأنه في خلاء ولم ير أحداً قبل ذلك . وقال الأحيمر

السعدى : كنت حين خلعتني قومي وأطل السلطان دمي وهربت وترددت في البوادي

ظننت أني قد جرت نخل وبارأوقريب منها ، وذلك أني كنت أرى النوى في رجع

الذئاب وكنت أغشى الأطباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ؛ لأنها لم تر أحدا

قبل وكنت أمشي إلى الطي السمين فأخذه ، وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش

إلا النعام فإنه لم أره قط إلا نافرأ فرعا .

الطير

قال حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا طلحة بن يزيد الشامي

عن بقة بن الوليد عن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه قال : كان النبي عليه السلام

يعجبه أن ينظر إلى الأترج وإلى الحمام الأحمر .

حدثني الرياشي قال : ليس شيء يغيب أذناه إلا وهو يبيض ؛ وليس شيء يظهر

أذناه إلا وهو يلد ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

(١) النقل بالتحريك : مناع المسافر وحشمه . (٢) ذكاء : هي الشمس ، والكافر هو

الليل ، من الكفر وهو السر والتغطية ، يريد أنهما تذكرتا متاعهما بعد الغروب . (٣) أحسم :

أسود . (٤) المغفل : المجهول ، وفي الأصلين «المعقل» والتصويب عن الديوان .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريح قال ابن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يُقْتَلَنَّ النملة والنحلة والهُدُودُ والصُرْدُ"^(١) . بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق النَّعَابِ في عُشِّه . وذلك أن الغراب إذا قَفَصَ عن فراخه خرجت يبيضا فإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتح أفواهها ويُرْسِلُ الله لها ذبابا فيدخل في أجوافها فيكون غذاءها حتى تسود ، وإذا أسودت عاد الغراب فغذاها ويرفع الله عنها الذباب .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تطرقوا الطير في أوكارها فإن الليل أمان الله" :

١٠ حدثني أبو سفيان الغنوي عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأحوص ابن حكيم عن خالد بن معدان عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الديك الأبيض صديق وصديق صديق وعدو وعدو الله يحرس دار صاحبه وسبع أدور"^(٢) . وكان النبي عليه السلام يبينه معه في البيت .

١٥ قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائم الطير وهو ما لقط الحبوب والبرور ، وسباع الطير وهي التي تغتذى اللحم ، والمشارك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير في أنه ليس بذئ مخلب ولا منسير وإذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأنخر الدابة . وسباع الطير تقدم إصبعين وتؤخر إصبعين ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل .

(١) الصرد : طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمتقارله مخلب يصطاد العصافير وصغار

٢٠ الطير ويكنى بأبي كثير . (٢) هذا الحديث موضوع وقد نبه عليه ابن الجوزي وملا على القاري في موضوعاتهما (راجع موضوعات ملا على القاري ضمن مجموعة مخطوطة محفوظه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والعصفور شديد الوطء، والفيل خفيف الوطء، والورشان ^(١) يُصرع في كل شهر مرة. قالوا: وأسوأ الطير هداية الأسود، والأبيض لا يحيى من الغاية لضعف قوته وأجودها هداية الغبر والثمر.

قال صاحب الفلاحة: الحمام يُعجب بالكمون ويألف الموضع الذي يكون فيه الكمون، وكذلك العدس ولا سيما إذا أُنقعا في عصير حلوه. ومما يصلح عليه ويكثر أن تدخن بيوتهم بالعلك؛ وأسلم مواضعها وأصلحها أن يُبنى لها بيت على أساطين خشب ويُجعل فيه ثلاث كوى: كوة في سَمَك البيت وكوة من قبل المشرق وكوة من قبل المغرب، وبابان من قبل مَهَب الجنوب. قال: والسذاب ^(٢) إذا أُلقي في البرج نَحَمَتِه السَّناير البرية.

حدثني ابن أبي ساعد عن علي بن الصباح عن أبي المنذر هشام بن محمد قال: حدثني الكلبي أن أسماء كُتبت نوح إذا كُتبت في زوايا بيت حمام نمت الفروخ وسلمت من الآفات. قال هشام: قد جربتُه أنا وغيري فوجدته كما قال أبي. قال: وأسم امرأة سام بن نوح «مَحَلَّتْ مَحْمُو»، واسم امرأة حام «أَذْنَفْ نَشَا»، واسم امرأة يافث «زَدَقَتْ نَبْث».

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكُجَادُ ^(٥) والخُنَانُ ^(٦) والسَّلُّ ^(٧) والقُمَّلُ، فدواء الكُجَادِ الزعفرانُ ^(٨) والسكر الطبرزد ^(٩) وماء الهندباء ^(١٠) يُجْعَلُ في سُكَّرَجَةٍ ^(١١) ثم يُمَجَّجُ في حلقه قبل أن يلتقط شيئا.

(١) في الأصلين: الغاية، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ. والغاية الموضع الذي يرسل إليه الحمام المدرب على إبلاغ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطباع ذكرها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكُتَاتْن: جمع كنة بالفتح، وهو جمع نادر، كأنهم توهّموا فيه فعيلة ونحوها مما يكثر على فاعل. والكنة امرأة الابن أو الأخ. (٤) عبارة العقدة الفريد (ج ٣ ص ٣٥٥) وأسم امرأة سام بن نوح «مَحَلَّتْ مَحْمُو» وأسم امرأة حام «نَفْ نَشَا» وأسم امرأة يافث «فَالِر». (٥) الكجَاد كغراب: وجع الكبد. (٦) الخنَان: داء يأخذ الطير في حلوقها. (٧) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: بقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته، ودادود الأنطاكي في تذكرته. (٩) السكرجة: الصفحة.

ودواء الخنثان أن يُلَيِّن لسانه يوما أو اثنين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح وكذلك
 بهما حتى تتسلخ الجلد العلي التي غشيت لسانه ثم يطلى بعسل ودهن ورد حتى يبرأ.
 ودواء السل أن يطعم الماش^(١) المقشور ويمج في حلقه لبن حليب ويقطع من وظيفه
 عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المفصل . ودواء القمل أن تطلّى أصول ريشه
 بالزيت^(٢) المخلوط بدهن البنفسج، يفعل به ذلك مرارا حتى يسقط قملُه، ويكنس مكانه
 الذي يكون فيه كنسا نظيفا .

قالوا : والطير الذي يخرج من وكه بالليل البومة والصدى والهامة والضوع^(٣)
 والوطواط والخفاش وغراب الليل . قالوا : إذا خرج فرخ الحمامة نفخ أبواه في حلقه
 الريح لتتسع الحوصلة من بعد اتحامها وتنبثق ، فإذا آتست زقاه عند ذلك اللعاب^(٤)
 ثم زقاه سورج أصول الحيطان ليدبغا به الحوصلة ، ثم زقاه بعد الحب .

قال المثني بن زهير : لم أر شيئا قط في رجل وامرأة إلا وقد رأيت في الحمام ،
 رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور ، ورأيت
 حمامة لا تزيف^(٥) إلا بعد شدة طلب ، ورأيت حمامة تزيف للذكر ساعة يطلبها ،
 ورأيت حمامة وهي تمكن آخر ما تعدوه ، ورأيت حمامة تقمط حمامة ، ورأيت حمامة
 تقمط الذكر ، ورأيت ذكرا يقمط الذكر ، ورأيت الذكر يقمط مالتى ولا يزواج ،
 ورأيت ذكرا له أنثيان يحضن مع هذه وهذه ويزق [مع] هذه وهذه .

(١) الماش : حب مدور أصغر من الحص أصغر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخا وأجوده الهندى
 ثم البني وأردؤه الشامي . (٢) الزيت بالنون : دهن الياسمين . وفي النسخة الألمانية « الزيت » بالياء .
 (٣) الضوع : طائر من طير الليل ، قيل هو الكروان ، وقيل هو ذكر اليوم . (٤) كذا بالأصلين ،
 ولعله « الصاروج » وهو الكلس تبنى وتطلّى به حيطان البيت . وفي « كتاب الحيوان » للجاحظ (ج ٣ ص ٤٧)
 « فإكلان من صروح الحيطان وهي شئ بين الملح والحض وبين التراب الخالص فيزقان القرح... الخ » .
 (٥) في اللسان : الحمامة تزيف بين يدي الحمام الذكر ، أى تمشى مدلة . (٦) الزيادة عن
 « كتاب الحيوان للجاحظ » .

البيض

قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يكون من السفاد ؛ ومنه ما يكون من التراب ؛ ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها ؛ ومنه شيء يعتري ^(١) المحجل وما شاكله في الطبيعة ، فإن الأئني منه ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق الذكري في بعض الزمان فتحتشي من ذلك بيضا ، وكذلك النخلة تكون يجنب ^(٢) الفحل وتحت ريمه فتلقح بتلك الريحة وتكتفى بذلك ، والدجاجة إذا هيرمت لم يكن لبيضها ملح ، وإذا لم يكن للبيضة ملح لم يُخلق فيها فرخ ، لأنه لا يكون له طعام يغذوه ؛ والفرخ والفروج يُخلقان من البياض وغذاؤهما الصفرة ، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها ؛ والطائر إذا تُنف ريشه احتبس بيضه وإذا سمع صوت الرعد الشديد . ١٠

الخفّاش

قالوا : عجائب الخفّاش ^(٣) أنه لا يُبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتجل وتلد وتبيض وتضع وتطير بلا ريش ، وتجل الأئني ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه فيها خوفا عليه ، وربما ولدت وهي تطير . ولها أذنان وأستان وجناحان متصلان برجليها ، وأبصارها تصح على طول العمر ، وإنما يظهر في القمر منها المستنات ؛ وقال بعض الحكماء : الخفّاش فأر يطير . ١٥

(١) المحجل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المقار والرجلين ويسمى دجاج البر . (راجع

حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) الفحال : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفّاش مشتق من الخفش وهو ضعف في البصر ، وضيق في العين ، وقيل : هو فساد في جفن

العين وأحمرار تضيق له العيون من غيروجع ولا قرح .

الْخُطَّافُ وَالزُّرْزُورُ

قالوا : الْخُطَّافُ^(١) وَالزُّرْزُورُ^(٢) يَتَّبِعُ الرَّبِيعَ حَيْثُ كَانَ . قَالُوا : وَتُقْلَعُ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَيَرْجِعُ . وَالزُّرْزُورُ لَا يَمُتُّ وَمَتَّى وَقَعَ بِالْأَرْضِ لَمْ يَسْتَقِلَّ وَأَخَذَ^(٣) ، وَإِنَّمَا يُعَشِّشُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُرْتَفِعَةِ فَإِذَا أَرَادَ الطَّيْرَانِ رَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْهَوَاءِ فَطَارَ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ أَتَقَضَّ عَلَيْهِ فَشَرِبَ مِنْهُ اخْتِلَاسًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْقُطَ بِالْأَرْضِ .

الْعُقَابُ وَالْحِدَاةُ

قالوا : الْعُقَابُ تَبْيِضُ ثَلَاثَ بَيَضَاتٍ فِي أَكْثَرِ حَالَاتِهَا فَإِذَا فَوَّخَتْ غَذَّتِ اثْنَتَيْنِ وَبَاعَدَتْ عَنْهَا وَاحِدًا فَيَتَعَمَّهُدُ فَرَحَهَا طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ : كَاسِرُ الْعِظَامِ^(٤) ، وَيَقْدُوهُ حَتَّى يَكْبُرَ وَيَقْوَى . وَقَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : الْعُقَابُ وَالْحِدَاةُ^(٥) يَتَبَدَّلَانِ فَتَصِيرُ الْعُقَابُ حِدَاةً وَالْحِدَاةُ عُقَابًا ، قَالَ : وَكَذَلِكَ الْأَرَانِبُ^(٥) تُتَبَدَّلُ فَيَصِيرُ الذِّكْرُ مِنْهَا أُنْثَى وَتَصِيرُ الْأُنْثَى ذِكْرًا .
قَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : الْعُقَابُ إِذَا أَشْتَكَّتْ كَيْدَهَا مِنْ رَفْعِهَا الثَّلْبَ وَالْأَرْنَ بَ فِي الْهَوَاءِ وَحَطَّهَا لِذَلِكَ وَأَشْبَاهَهُ تَعَالَجَتْ بِأَكْلِ الْأَجَادِ حَتَّى تَبْرَأَ .

(١) الْخُطَّافُ : الْعَصْفُورُ الْأَسْوَدُ ، وَهُوَ الَّذِي تَدْعُوهُ الْعَامَّةُ عَصْفُورَ الْجَنَّةِ .

(٢) الزُّرْزُورُ بضم الزاي : طَائِرٌ مِنْ نَوْعِ الْعَصْفُورِ سَمِيَ بِذَلِكَ لِزُرْزَرَتِهِ أَيْ تَصَوُّيْتِهِ .

(٣) أَيْ لَمْ يَمُتْ .

(٤) كَاسِرُ الْعِظَامِ : طَائِرٌ يُسَمَّى « الْمَكَلَّفَةُ » لِأَنَّ الْعُقَابَ لَمَّا كَانَتْ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ تَبْيِضُ ثَلَاثَ بَيَضَاتٍ فَتُخْرَجُ فَرَاخُهَا وَتَلْقَى وَاحِدًا مِنْهَا فَيَأْخُذُ هَذَا الطَّائِرُ الَّذِي يَتَكَلَّفُ بِهِ . (رَاجِعْ حَيَاةَ الْحَيَوَانَ لِلدَّمِيرِيِّ)

ج ٢ ص ٣٨٧ .

(٥) فِي الْأَصْلَيْنِ « يَتَبَدَّلَانِ » .

الغراب

الغِرْبَانُ لَا تَقْرَبُ النَّخْلَ الْمَوَاقِيرَ وَإِنَّمَا تَسْقُطُ عَلَى النَّخْلِ الْمَصْرُومَةِ فَتَلْقُطُ مَا يَسْقُطُ^(٢)
 مِنَ التَّمْرِ فِي الْقَلْبَةِ وَأُصُولِ الْكَرْبِ^(٣). وَعَلَى إِنَاثِ الْغِرْبَانِ الْحَضْنُ وَعَلَى الذَّكَورِ أَنْ تَأْتِيَ
 الْإِنَاثَ بِالطَّعْمِ * وَالْإِوَزَةُ دُونَ الذَّكَرِ * وَالْغِرْبَانُ أَكْثَمُ شَيْءٍ لِلسَّفَادِ^(٤).

القَطَا

قَالُوا : وَالْقَطَا لَا تَضَعُ بَيْضَهَا أَبَدًا إِلَّا أَفْرَادًا ، قَالَ أَبُو وَجْهَةَ :
 وَهِنَّ يَنْسِبْنَ وَهَنًا كُلَّ صَادِقَةٍ * بَاتَتْ تُبَايِسُ عُرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجٍ^(٦)
 الْحَيَوَانُ الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَأْنُهُ إِلَّا بِرئيسٍ أَوْ رَقِيبٍ : النَّاسُ ، وَالْغُرَانِيقُ^(٨) ، وَالكَرَاكِي
 وَالنَّحْلُ ؛ فَأَمَّا الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْحَمِيرُ فَتَتَّخِذُ رِيسًا مِنْ غَيْرِ رَقِيبٍ .

باب مَصَايد الطير

قال صاحب الفلاحة : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِلطَّيْرِ وَالذَّجَاجِ حَتَّى يَتَحَيَّرَ وَيُقَشَّى
 عَلَيْهِمْ حَتَّى يَصِيدَهُمْ عَمْدًا إِلَى الْحِلْيَةِ فِدَاؤُهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ شَيْئًا^(٩)
 مِنْ عَسَلٍ ثُمَّ أَقْعَفَ فِيهِ بَرًّا يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَلْقَى ذَلِكَ الْبَرَّ لِلطَّيْرِ فَإِنَّهَا إِذَا أَلْتَقَطَتْهُ تَحَيَّرَتْ

(١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جزة وقطعه . (٣) القلبة جمع قلب وهو شحمة النخل وله أو أجود خوصه . وفي التهذيب : القلب بالضم : السعف (جريد النخل أو ورقة) الذي يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب») . (٤) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض . (٥) وردت هذه الجملة في الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسياق . ولعلها زائدة من الناسخ . (٦) كذا في الأصلين ، وفي اللسان في مادة «عرم» وفي كتاب الحيوان للمحقق (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلن . (٧) العرم : بيض القطا . (٨) الغرانيق : الذكور من طيور الماء سود وقبل بيض وهي في قدر البط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الحليته صمغ الأنجذان بفتح الهمزة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أغلاظ من الإصبع يتفرع كثيرا وله قرون كقرون اللوبيا . فيها بذر كالعدس أسود حار وأبيض لطيف

وُعُشِّيَ عليها فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسْقَى لبنا خالطه سمنٌ. قال : وإن عُمد إلى طحين بر غير منخول فُعِجْنَ بخر ثم طُرِحَ للطير والمجَلَّ فأكلن منه تحيرن. وإن جُعِلَ نحر في إناء وجُعِلَ فيه بَنَجٌ فشربن منه عُشِّيَ عليهن. قال : ومما يُصاد به الكراكي وغيرها من الطير أن يُوضَعَ لهن في مواقعهن إناءٌ فيه نحر وقد جُعِلَ فيه خَرَبِقٌ أسودٌ وأنقع فيه شعيرٌ فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء .

قال غيره : ومما تُصاد به العصافيرُ بأسهل حيلةٍ أن تُؤخذ شبكة في صورة المحبرة اليهودية المنكوسة ويُجَعَلَ في جوفها عصفورٌ فتَنقُضُ عليه العصافيرُ ويدخلن عليه وما دخل منها لم يقدر على الخروج فيصيدُ الرجلُ في اليوم الواحد مائتين وهو وادِعٌ. قال : ويُصاد طيرُ الماء بالقرعة وذلك أن تُؤخذ قرعةٌ يابسةٌ صحيحةٌ فيرمى بها في الماء فإنها تتحرك فإذا أبصرها الطيرُ تحرك فزع فإذا كثر ذلك عليه أنسَ حتى لربما سقط عليها، ثم تُؤخذ قرعةٌ فيقطع رأسها ويُخرق فيها موضع عيين ثم يدخل الصائد رأسه فيها ويدخل الماء فيمشي إليها مشياً رويداً فكلما دنا من طائر أدخل يده في الماء فقبض على رجله ثم غمسه في الماء ثم دق جناحه وحرَّاه فبقى طافياً فوق الماء يسبح برجله ولا يطيق الطيران، وسائر الطير لا يمكن أنغاسه فإذا فرغ من صيد ما يريد رمى بالقرعة ثم يلتقطها ويجمِّلها .

الحشرات

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عبد الله بن الربيع قال : أخبرنا هشام بن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال : الفأرة يهودية ولو سقيتها ألبان الإبل ما شربتها، والفار أصناف : منهم الزباب وهو أصم^(٢)، قال الجارث بن حنزة :

- (١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) وفي الأصلين : « تؤخذ سلة في صدرها المحبرة » وفي كتاب الحيوان للمجاهد (ج ٥ ص ٧٦) « يعملون لها مصيدة ويجعلون لها بنية في صورة المحبرة التي يقال لها اليهودية المنكوسة الأنوبة » . (٢) جمع زبابة وهي كما قال الدميري في حياة الحيوان : فأرة برية تسرق ما تحتاج اليه وما تستغنى عنه .

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ * لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَعْدًا^(١)

والخلد وهو أعمى ؛ وتقول العرب : هو « أسرق من زبابة » ، وفارة اليبس ، واليبس سم قاتل ؛ ويقال : هو قرون السنب ، وله فارة تغتذيه لئلا تأكل غيره ، ومن غير هذا فارة المسك وفارة الإبل^(٢) [فاحت^(٣) أرواحها إذا عيرت . قالوا : ومن الحيات ما يقتل ولا يخطئ : الثعبان والأفعى والهندية ؛ فأما سوى هذه فإنما يقتل بما يمدّه من الفرع ، لأنه إذا فرغ تفتحت منافسه فوغل السم الى مواضع الصميم وعمق البدن ، فإن نهشت النائم والمنعمى عليه والطفل الصغير والمجنون الذي لا يعقل لم تقتل .

وأذنان الأفاعي تقطع فتبت ونابها يقطع بالعكاز فينبت حتى يعود في ثلاث ليال ؛ والحية إن ثقت في فيها حمّاض الأترج وأطبق لحياها الأعلى على الأسفل لم تقتل بغضتها أيا ما صاحلة . ومن الناس من يبصق في فم الحية فيقتلها بريقه ، والحيات تكره ريح السذاب والشيع ، وتعجب باللفاح^(٥) والبطيخ^(٦) والحرف^(٧) والخردل^(٨) الموخف^(٩) واللبن والخمر ، وليس في الأرض حيوان أصبر على جوع من حية ؛ ثم الضب بعدها ، فإذا هيرمت صغرت في بدنها وأقنعتها النسيم ولم تسته الطعام ، ولذلك قال الرازي :

* حارية^(٨) قد صغرت من الكبير *

- ١٥ (١) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . (٢) اختلف في فارة الإبل وفارة المسك ؛ هل يميزان أو لا يميزان ؟ فذكر صاحب القاموس فارة المسك في « ف أ ر » وقال : أو الصواب إيرادها في « ف و ر » لقوران رانحتها . وفارة الإبل في « ف و ر » وعلة الصاغاني بأن فارة الإبل من الفوران قطعاً ؛ وأورد المرتضى فارة الإبل في « ف أ ر » مستدركاً به على صاحب القاموس . (٣) زيادة في النسخة الألمانية ، وهى ساقطة في الأصل الفتوغرافي ، ولعلها « فوح » ، ففى القاموس واللسان مادة « فور » : « وفارة الإبل فوح جلودها إذا نديت بعد الورد » أى فاحت منها رائحة طيبة . (٤) العكاز : عضادات رُج . (٥) اللقاح : نبات يقطينى أصفر شبهه بالبادنجان طيب الرائحة . (٦) الحرف بالضم : حب الرشاد . (٧) الموخف : المعجون . (٨) فى الأصل جارية ، والتصويب عن المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) والحارية اسم للأفعى ، لأن جسمها قد حرى أى قص من طول العمر .

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتها بقصبة مرة أو هنتها القصبة في تلك الضربة وحيرتها ، فإن ألحمت عليها بالضرب أنسابت ولم تكثرث . قال : ومن جيد ما يعالج به الملسوع أن يُسَقَّ بطن الضفدع ثم يُرْفَد به موضع لسعة العقرب . والصفدع لا يصبح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار في فيه بعض الماء صاح ، ولذلك لا تسمع للصفداع نقيقا إذا خرج من الماء ، قال الرازي :

يُدْخَلُ فِي الْأَشْدَاقِ مَاءٌ يُنْصَفُهُ ^(١) * حَتَّى يَنْقُ وَالتَّقِيْقُ يُتْلَفُهُ

يريد أن النقيق يدل عليه حية البحر ، كما قال الآخر :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ * فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وقال في السبخ : إنه إن أنحرق فيه نحر بمقدار منخر الثور حتى تدخله الريح استحال

١٠ ذلك السبخ ضفادع . والصفادع لأعظام لها ، ويضرب بها المثل في الرشح ؛ فيقال : «أرشح من صفدع» و«أجمط عينا من صفدع» .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرك فكذلك الأسفل إلا التماسح فإنه يحرك فكذلك

الأعلى . وبمصر سمك يقال له الرَّعَادُ ، مَنْ صاد منه سمكة لم تزل يده ترعد وتتنفض

مادام في شبكته أو شيصه . والجعل إذا دفنته في الورد سكتت حركته حتى يتوهم

١٥ مَنْ رآه أنه قد مات ، فإذا أعدته إلى الروث تحرك ورجع في حسه . والبعير إذا ابتلع

(١) في الأصلين " ينطفه " والتصويب عن حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس

المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكذلك الأعلى . (٢) الرشح : خفة لم العجز والفخذين .

(٣) الشص بالكسر والفتح : حديدة عقفاء يصاد بها السمك [وهي المعروفة بالصارة] . (٤) الجعل

كصرد ، والناس يسمونه «أبا جعران» وهو دويبة تعض البهائم في فروجها قهرب ، وهو أكبر من

٢٠ الخنفساء ، شديد السواد ، في بطنه لون حمرة ، يوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس ومواضع الروث ،

ويتولد غالبا من أختاء البقر ومن شأنه جمع النجاسة وأذخارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد

وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

في علفه خنفساء قتله إن وصلت إلى جوفه حية^(١) . وأطول شيء ذمء الخنفساء فإنها^(٢)
يسرج على ظهرها فتصبر وتمشي^(٣) .

والضب يذبح فيمكث ليلة ثم يقرب من النار فيتحرّك . والأفعى إذا ذبحت
تبقى أياما تتحرك وإن وطئها واطئ نهشته ، ويقطع ثلثها الأسفل فتعيش وينبت
ذلك المقطوع . والكلب والخنزير يحرقان الجرح القاتل فيعيشان .

قالوا : وللضب ذكران وللضبة حران ، خبرني بذلك سهل عن الأصمعي أو غيره .
قال : ويقال لذكره نرك^(٤) وأنشد :

سبحل له نركان كانا فضيلة * على كل حاف في البلاد وناعل^(٥)

وكذلك الحرذون^(٦) . والذباب^(٧) لا تقرب قدرا فيها كماء^(٨) . وسام أبرص لا يدخل بيتا
فيه زعفران . ومن عضه الكلب الكلب احتاج إلى أن يستر وجهه من الذباب لئلا
يسقط عليه . وخرطوم الذباب يده ، ومنه يغنى ، وفيه يجرى الصوت كما يجرى الزامر
الصوت في القصبة بالنفخ .

(١) وعبرة الحيوان للباحظ (ج ٣ ص ١٦٠) : « وقال لي الفضل العنبري : يقولون للضب أطول
شيء ذمء ، والخنفس أطول منه ذمء ؛ وذلك أنه يفرز في ظهرها شوكة ثاقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح
لأهل الدار وهي تدب بها وتجول » . (٢) الذمء ممدود : بقية النفس . (٣) يسرج : يوقد .
(٤) السبحل كقمطر : الضخم . (٥) في اللسان مادة نرك « في الأنعام » . وذكر هذا البيت ضمن
أبيات قالها حمران ذو النعصة يصف بها ضبابا أهداها لخالد بن عبد الله القسري .

(٦) الحرذون بكسر الحاء وبالذال المعجمة : دويبة شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن له ذكرين
مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأنامل (راجع حياة الحيوان) .
(٧) جمع الذباب . (٨) الكماء : نبات يقال له شحم الأرض ، والعرب تسميه : « جدرى الأرض »
وقيل هو أصل مستدير كالقلفاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الحمرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض
وهو عديم الطعم ، وأنواعه كثيرة ، يؤكل نيئه ومطبوخه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

قالوا : ليس شيء يذخر إلا الإنسان والتملة والفأرة . ^(١) والذرة تذخر في الصيف
للشئاء فإذا خافت العفن على الحبوب أخرجتها الى ظاهر الأرض فشررتها ^(٢) ، وأكثر
ما تفعل ذلك ليلا في القمر . فإن خافت أن ينبت الحب نقرت وسط الحبة لثلاث نبت .
والسحفاة إذا أكلت أفعى أكلت سعترًا جبليًا ^(٣) . وابن عريس إذا قاتل الحية أكل
السذاب . والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح ^(٤) . والأيل إذا ^(٥)
نهشته الحية أكل السراطين ^(٦) . قال ابن ماسويه : فلذلك يظن أن السراطين صالحة
لمن نؤش من الناس . والوزغ يراق الحيات ويقاربها ^(٧) ، ويكرع في اللبن والمرق ثم يمج ^(٨)
في الإناء . وأهل السجن يعملون من الوزغ سمًا أنفذ من [سم] البيش ومن ريق الأفاعي ^(٩) ،
وذلك أنهم يدخلون الوزغة قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمرها ويضعونها
في الشمس أربعين يومًا حتى تهترأ ^(١١) في الزيت ، فإن مسحت على اللقمة منه مسحة ^(١٢)
وأكله آكل مات من يومه .

- (١) الذرة واحدة الذروهي صفار النمل . (٢) شررتها : نشرتها في الشمس لتجف .
(٣) السعتر نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى الغيرة ، ويقال له الصعتر بالصناد ، وهي اللغة
الجيدة ، والعامية تبدل السين زايًا . (٤) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « دا » .
(٥) الأيل بتشديد الياء المكسورة : ذكر الأوعال وهي الثيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو
حيوان مائي ويعيش في البر أيضا ، وهو جيد المثنى سريع العدو ذو فكين ومخالب وأظفار حداد (راجع
حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالتحريك : حشرة من جنس "سام أبرص" .
(٨) في الأصل الفتوغرافي « ويغارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للباحظ
(ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « وبعض الناس »
وفي الحيوان للباحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر » . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤
ص ٩٧) والبش بالكسر نبات كالزنجبيل رطبا ويابساً وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .
(١١) كذا في الحيوان للباحظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « ليلة » . (١٢) من تهترأ
الحم إذا طبخ حتى يتفسخ .

والجراد إذا طلع فعمد إلى الترمس والحنظل فطبخا بماء ثم نضح ذلك الماء على
 زرع تنكبه الجراد . وإذا زرع خردل في نواحي زرع نجا من الدبى ^(١) . وإذا أخذ
 المرء أسنج فعجن بعجين ثم طرح للفار فأكلته مؤتنة عنه ، وكذلك برأية الحديد . وإذا
 أخذ الأفيون والشونيز والبارزد وقرن الأيل ^(٢) وبابونج ^(٣) وظلف من أظلاف المعز فخلط
 ذلك جميعا ثم دق وعجن بخل عتيق ^(٤) ثم قطع قطعاً فدخن بقطعة منه نفرت لذلك
 الحيات والهوام والنمل والعقارب ، وإن أحرق منه شيء ودخن به هرب ما وجد
 منها تلك الريح . والنمل تهرب من دخان أصول الحنظل . وإن عمده إلى كبريت
 وسذاب ^(٥) وخرق فدق ذلك جميعا وطرح في قرية النمل قتلها ومنعها ظهورهن من
 ذلك الموضع ذهبن . والبعض تهرب من دخان القلقديس ^(٦) إذا دخن به ومعه حب
 السوس ، وتهرب من دخان الكبريت والعلك .

وقالت الأطباء : لحم ابن عرس نافع من الصرع . ولحم القنفذ نافع من الجذام
 والسّل والتشنج ووجع الكلى ، يُحَقِّفُ ويُشرب ويُطعمه العليل مطبوخا ومشويا
 ويضمده به المتشنج ^(٧) . والعقرب إذا شق بطنها ثم شد على موضع اللسعة نفعت . وقد

- (١) كذا في النسخة الألمانية ، والدبى : أصفر الجراد والنمل . وفي الأصل الفتوغرافى (الوبا) .
- (٢) كذا بالأصل ، ومفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك وفي القاموس :
 المرءارصنج معروف وقد تسقط الرا. معرب مردارسنك ومعناه الحجر الخبيث . (٣) الشونيز :
 الحبة السوداء . (٤) البارزد في القاموس : « پيرزد » بكسر الباء الفارسية : صنع نبات يشبه
 القنا في شكله ، وينبت في أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عدة . وقد ذكر خواصه ومنافعه
 ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) . (٥) في الأصل الفتوغرافى : ثقيف ، وفي النسخة
 الألمانية ثقيف ، والتصويب عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٧) . (٦) السذاب : اسم نبات .
- (٧) كذا في الأصل ، والمراد من العبارة ظاهر . (٨) القلقديس كلمة يونانية معربة معناها
 في الكيمياء الحديثة : كبريتات الحديد ؛ وقيل معناها : الصبغة السوداء لصانعي الأحذية .
- (٩) السوس : شجر في عروقه حلاوة وفي فروعه مرارة . (١٠) كذا في النسخة الألمانية .
 وفي الأصل الفتوغرافى «التشنج» .

- تجعل في جوف نخار مشدود الرأس مُطَيّن الجوانب ثم يوضع الفخار في تنور، فإذا صارت العقرب رماداً سُقِيَ من ذلك الرماد من به الحصاة مقدار نصف دانق وأكثر فُيَقَّتْ الحصاة من غير أن يضر بشيء من سائر الأعضاء والأخلاق، وقد تَلَسَّعُ العقربُ من به حمى عتيقة فتقلع، وتلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج، وتُلْقَى في الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويحتذب قواها فيكون ذلك الدهن مُفَرِّقاً للأورام الغليظة .
- ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها في ماء غمر بقيت في وسط الماء لا تنطفو ولا ترسب؛ وهي من الحيوان الذي لا يسبح . وعين الجراد وعين الأفعى لا تدوران . وإنما تلتسج من العناكب الأنثى، والذكر هو الخدرنق . وولد العنكبوت يأنسج ساعة يولده . والقمل يُخلق في الرأس على لون الشعر إن كان أسود أو أبيض أو مخضوباً بالحناء . الخلكاء دويبة تغوص في الرمل كما يغوص طائر الماء في الماء . وبنات النقا كذلك، وهي التي يُقال لها : شحمة الأرض . وأم حبين لا تُقيم بمكان تكون فيه الشرفة، والسرفة دويبة يضرب بها المثل في الصنعة فيقال : «أصنع من سرفة» .
- ومن أحسن ما قيل في الأفعى قول امرأة من الأعراب :

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

(٢) الخلكاء : دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة ، ملساء فيها بياض وحمرة ؛ والعرب سميها : « بنات النقا » .

(٣) أم حبين : دويبة على خلفة الحرياء عريضة الصدر عظيمة البطن ؛ وقيل : هي دويبة على قدر الخنفساء يلعب بها الصبيان .

(٤) السرفة بالضم : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تنخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العبدان على

مثل الناروس بعضها إلى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .

(٥) في اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب ، ونص على ذلك بقوله : « وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حية ذكراً وهو ابن أحرار الجلي ليس الباهلي :

جلقت لها زمة عزين ورأسه * كالقرص فرطح من طحين شعير »

خَلَقَتْ لَهُ أَرْزَمَهُ عِزِينَ^(٢) وَرَأْسَهُ * كَالْقُرْصِ فُرْطَحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرِ^(٣)
وَكُنْ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَشْوِيقِ^(٤) * مَلَقَاكَ كَكَمَّةٍ مَنَجِلٍ مَاطُورِ^(٥)
وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوِقَاعِ^(٦) كَأَنَّهَا * سَمَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيزِ^(٧) بَرِيرِ^(٨)
^(٩)

قيل لما سرجويه : تجدد ملسوع العقب يُعالج بالاسفيوش فينفعه ، وآخر يُعالج
بالبنديق فينفعه ، وآخر يشرب الأتقاس فتنفعه ، وآخر يأكل التفاح الحامض فينفعه ،
وآخر يطليه باللبا^(١٢) والخل فيحمده ، وآخر يصب عليه النوم الحار المطبوخ ، وآخر يدخل
يده في مرجل حار لا ماء فيه فيحمده ، وآخر يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، وآخر يحجم
ذلك الموضع فيحمده ، ثم رأيناه يتعالج بعد ذلك الشيء للسعة أخرى فلا يحمده !

- (١) اللهازم : أصول الحنكين واحدها لزمة بالكسر ؛ وقيل إنها عظام ناتان في الحيين تحت الأذنين .
(٢) عزين : متفرقة . (٣) وردت هذه الكلمة في اللسان في مادة « فرطح » بالراء وفي مادة
« فطح » باللام ، وأستشهد بالبيت في المادتين ، وجاء فيه : « وكل شيء عرضته فقد فطحته وفرطحته »
ورودت في الأصل الفتوغرافي « قطع » وفي النسخة الألمانية « أقطع » وفي كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤
ص ٦٠) « أفطح » . (٤) التنوقة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر :
آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفي الأصل الفتوغرافي « منخل » وما أبتناه عن النسخة الألمانية
والحيوان للجاحظ . (٦) ماطور من الأطر وهو عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه .
(٧) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي اللسان « اللوداع » ، وفي النسخة الألمانية وكتاب الحيوان
للجاحظ : « اللوقاح » . (٨) النفيز فعل من النفض وهو التحريك ، وزواية اللسان في مادة
« فرطح » تقبض بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفي اللسان بعد هذا البيت :

وكان شديقه اذا استقبلته * شدا عجز مضمضت لظهور

- (١٠) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي « بالاسفيوش » بالنون ولعله محذوف ، لأن
هذا الاسم ورد في مفردات ابن البيطار هكذا « الاسفيوش » بالسین المهملة في آخره ، وورد في تذكرة داود
« الاسفيوش » بالشين المعجمة في آخره ، وهي كلمة فارسية معناها « بزر قطونا » . (١١) الأتقاس :
الحوامض وفي النسخة الألمانية « الأتقاس » بالقاف . (١٢) القلى بالكسر : شب العصفور وله منافع
كمنافع الملح إلا أنه أحد منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما اختلفت السموم في أنفسها بالجنس والقدر والزمان ، وباختلاف ما لاقاه
اختلف الذى يوافقه على حسب اختلافه . قالوا : وأشد ما تكون لسعتها إذا خرج
الإنسان من الحمام ، لتفتح المنافس وسعة المجارى وسخونة البدن .

- وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال أبو بكر البحرى^(١) : ما من شيء يضرب
إلا ويرى منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قائلًا قال : أنا مثل العقرب أضرب
ولا أنفع ، فقال : ما أقل علمه بها ، "إنها لتنفع إذا شق بطنها ثم شئت على موضع"
"اللسعة ؛ وقد تجعل في جوف فخار مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار"
"في تنور فإذا صارت العقرب رمادا سقى من ذلك الرماد مقدار نصف دانق أو أكثر"
"قليلا من به الحصاة ففتها من غير أن يضرب بشيء من سائر الأعضاء والأخلاط ."
"وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقلىع عنه . ولسع العقرب رجلا مفلوجا"
"فذهب عنه الفالج . وقد تلى العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ الدهن منها"
"ويجذب قواها فيكون ذلك الدهن مفترقا للأورام الغليظة" .

- قال أبو عبيدة : ولسعت أعرايا عقرب بالبصرة ، وخيف عليه فاشتد جرحه ،
فقال بعض الناس له : ليس شيء خيرا من أن تغسل له خضية زنجي عرق ففعلوا ،
وكان ذاك في ليلة ومدة^(٢) ، فلما سقوه قطب ؛ فقليل له : طعم ماذا تجد؟ قال : أجد
طعم قرية جديدة .

قال المأمون : قال لي بجيشيوس وسلمويه وآبن ماسويه : إن الذباب إذا دلك على
موضع لسعة الزنبور هدأ وسكن الألم ، فلسعني زنبور فحككت على موضعه أكثر

- (١) كذا بالأصلي ، وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجرى » ولم نجد هاتين النسبتين
في كتب الأنساب التي تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدمت
في ص ٩٥ من هذا الجزء بكتابها وألفاظها مع اختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها في الأصليين ،
وبأكتفينا بهذه الإشارة تنبها للقارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألم إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا: كان هذا الزنبور حقتاً قاضياً، ولولا ذلك العلاج قتلك. قالوا: ومما ينفع من اللسعة أن يُصبروا على وضعها قطعة رصاص رقيقة وتُشد عليه أياماً. وقد يموت بهذا قوم فيجعلونه خاتماً فيدفعونه إلى الملسوع إذا نهش في إصبعه.

قال محمد بن الجهم: لا تهاونوا بكثير مما ترّون من علاج العجائز، فإن كثيراً منه وقع اليهن من قدماء الأطباء، كالذبان يلتقي في الإثمد فيسحق منه، فيزيد ذلك في نور البصر ونفاذ النظر وتشدّد مراكز الشعر في حافات الجفون. قال: وفي أمة من الأمم قوم يأكلون الذبان فلا يرمدون، وليس لذلك يأكلونه، ولكن كما يأكل غيرهم فراخ الزناير.

وقال ابن ماسويه: المجرب للسمع العقرب أن يُسقى من الزراوند المدحرج ويُشرب عليه ماء بارد، ويُضغ ويوضع على اللسعة. قال: وللسم الأفاعي والحيات ورق الآس^(٢) الرطب يعصر ويُسقى من مائه قدر نصف رطل، وكذلك ماء المرزنجوش وماء ورق التفاح المدقوق والمصور مع المطبوخ، ويضمّد الموضع بورق التفاح المدقوق. وللأدوية والسموم القاتلة البندق والتين والسذاب يُطعم ذلك العليل. قال والثوم والملح وبعر

(١) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه: نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشئ. أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، كما في تذكرة داود؛ وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته. (٢) الآس: نبات يزرع كثيراً بأرض العرب بالسهل والجبل، وخضرته دائمة، ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سوداء إذا أبيضت تحلّو فيها مع ذلك علقمة.

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزجوس ومردقوس: فارسي، والعرب تسميه: البسحق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبت في نباته، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة جداً. له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته.

(٤) في النسخة الألمانية «البش».

- الغنم نافع جدًا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحية إلا أن تكون أصلة^(١)، فإن الأصلة تُوضَعُ على لسعها الكُتَيْتَانِ جميعاً بالزيت والعسل . والخطمي^(٢) إذا أُخِذَ ورقه فدُقَّ ثم وُضِعَ على لسع قملة النسر كان دواء له . وإن طَلَى أَحَدَهُ يَدَيْهِ أَوْ جَسَدَهُ لم يَلْدَغْ ذلك الموضع^(٣) منه زُبُورٌ . وإن لَدَغَ أَحَدًا زُبُورٌ فَأَذَاهُ فشرب من مائه نفعه . والبشكول وهو الطرشقوق إن دُقَّ فضمَّه به لسعة العقرب نفع إذا أُغْلِيَ أو شُرِبَ من عصيره . قالوا :
وإن أَخَذَ مَنْ حَذَرَ على نفسه السُّمُومَ القاتلةَ التينَ مع الشَّوْنِيزِ على الريق وقاه .

النبات

- حدَّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدَّثنا قريش بن أنس عن كُتَيْبِ أَبِي وَائِلٍ رَجُلٍ مِنَ الْمُطَّوِّةِ قَالَ : رَأَيْتُ بِلَادَ الْهِنْدِ شَجَرًا لَهُ وَرْدٌ أَحْمَرٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ بَيَاضٌ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» . وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا هُوَ : «أَشْكُرُ مِنَ الْبَرْوَةِ»^(٥) ، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النَّارَجِيلَ هُوَ نَخْلُ الْمُقْلِ قَلْبُهُ طِبَاعُ الْبَلَدِ . وَقَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : بَيْنَ الْكُرْبِ وَبَيْنَ الْكَرْمِ عِدَاوَةٌ ، فَإِذَا زُرِعَ الْكُرْبُ بِحَضْرَةِ الْكَرْمِ ذَبَلْ أَحَدُهُمَا وَتَسَنَّجَ ، وَلِذَلِكَ يُطْعَى الشُّكْرُ عَنْ أَكْلِ مِنْهُ وَرَقَاتٍ عَلَى رِيقِ النَّفْسِ ثُمَّ شَرِبَ . وَقَضْبَانُ الرِّقَانِ إِذَا ضُرِبَ بِهَا ظَهَرُ رَجُلٍ أَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَلَمُ . قَالُوا :
- (١) الأصله بفتح الهمزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله ، كذا في حياة الحيوان للدميري نقلا عن ابن الأباري . (٢) الخطمي بالكسر ويفتح : نبات محلل ملين نافع لعسر البول والحصى ، وهو مع الخلل مفيد لوجع الأسنان مضمضة ونهش الهوام . (٣) قلة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ؛ وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قلة النسر ، لأنها تخرج منه . (٤) كذا في الأصلين . وفي مفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البخشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الهوام إذا أكل أو شرب مائه . (٥) في مجمع الأمثال والقاموس واللسان «بروة» وهي كما قال الميداني : شجرة تخضر من غير مطر بل تنبت بالسحاب إذا نشأ فيها يقال ،

وكل زهر ونور فإنه ينحرف مع الشمس ويحول إليها وجهه ؛ ولذلك يقال : هو
يضاحك الشمس . قال الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة^(١) * خضراء جاد عليها مسيل هطل^(٢)
يضاحك الشمس منها كوكب شرق^(٣) * مؤزر يعيم التبت مكتهل^(٤)
وقال آخر :

* فتواره ميل إلى الشمس زاهره^(٥) *

والخبازي ينضم ورقه بالليل ويفتح بالنهار . والنيلوفر ينبت في الماء فيغيب
الليل كله ويظهر إذا طلعت الشمس . وقالوا في الطحلب : إن أخذ بحفف^(٦)

- (١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسيل : مطر . من السيل بفتحين وهو المطر .
(٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو ثابغ المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال
من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملتف . (٦) مكتهل : تام الطول .
(٧) النوار : واحدة نواره بالضم ، وهي الزهرة المشرقة . (٨) بحزيت للخطية ، مصدره :

* بمسأسد القران حو نباته *

وقبله عفا مملان من سليمي فخامره * تمشي به ظلمانه وجآذره

- (راجع ص ٦٢ من ديوان الخطبة طبع ليبسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ في كتاب الحيوان البيت
(بمسأسد ... الخ) إلى قطران العبسي (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

(٩) الخبازي ويقال : الخيزي : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ؛ ويطلق في العرف
الشائع على نبت برى مستدير الورق في وسط أوراقه شيء مجوف دقيق ، له زهر إلى الصفرة وبزر إلى السواد
مفرطح ، كذا قال داود الأنطاكي في تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندي سمي بلغتهم وأكثر

ما ينبت في مستنقعات المياه وراكدها والآجام ، ولا ينبت إلا في الماء العذب القائم في أرض طيبة ترربة
سليمة من كل الفساد . ومن عادته أنه يحول وجهه إلى الشمس إذا طلعت وارتفعت ، فإذا وقع شعاعها
عليه أوم يقع انفتحت وردته كلها ، ولا يزال تفتيحه يزيد بزيادة الشمس إلى أن تقرب من أول العصر

وتطلب الغروب فينتدى ينضم على ذلك الترتيب الذي كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم في كرة ويبقى مضموما
الليل كله إلى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة النبوية لابن وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطية

المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التي تملأ المياه
الراكدة ، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

في الظلّ ثم سقط في النار لم يحترق . وذكروا أن قساً راهناً على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق ، وقال : هو من العود الذي صلب عليه المسيح ، فكاد يفتن بذلك خلقاً حتى فطن له بعض أهل النظر فأتاهم بقطعة عود تكون بكرمان فكان أبقى على النار من صليبه . والطلق^(١) كذلك لا يصير جرمًا . وطلأ النفاطين^(٢) طلق وخطمي ومغرة . وقالوا : إذا أخذ زُر السذاب البري وزرع وطال به ذلك تحوّل حرملًا ، والنمام^(٣) إذا اعتق تحوّل حبًا . قالوا : والقسط^(٤) إنما هو جزر بحري . قالوا : بالسند نبت من الحشيش يُسمّى تريّة ، إذا أخذ فطبخ ثم صفي مائه فجعل في وعاء لم يلبث إلا يسيرًا حتى يشتد ويسكر شارب به إسكار الخمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضر بمقلّة عمّد إلى شيء من نحر البط فخط به مثله من ملح ثم طرّحاً في ماء فديفاً فيه فينضح ذلك الماء على البقل فإنه يفسد . قال : ومن أراد إفساد الرمان الكثير ألقى في أضعافه نوى التمر والملح والجريش . ومن أراد قتل السمك في الماء القائم عمّد إلى نبت يسمّى ”مأهى زهره“^(٥) فدق وطرح في الماء فإنه يموت سمك ذلك الماء ، والمازريون يفعل ذلك . قال : ومما يحف له الشجر أن يعمّد إلى مسمار من حديد فيحمى بالبارحى تشتد حمرة ثم يدق في أصل الشجرة ، وأن يعمّد إلى وتد من طرفاء فيثقب أصل الشجرة فيثقب حديد

- (١) الطلق : حجر براق يتخذ منه مضادى للحمات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطون : الرواة بالنقط وهو القطران . (٣) النمام : نبت ورقه كالسذاب ، له بزركالبحان عطري قوي الرائحة سمي بذلك لسطوع رائحته ، الواحدة نامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمام ، ويكثر نباته على الماء ، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عقار من عقاقير البحر ، والعقار : العشب .
- (٦) لفظ فارسي وتعريبه سم السمك . (٧) المازريون : نبت له أغصان طولها شبر ، وورقه شبه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه ، وهو مر يلذع اللسان ؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

ثُمَّ يُجَعَلُ ذَلِكَ الْعُودُ عَلَى قَدَرِ الثَّقَبِ ^(١) فِي الْمِثْقَبِ فَتَجِفُّ الشَّجَرَةُ إِنْ كَانَ غِلْظُ الْعُودِ عَلَى قَدَرِ الثَّقَبِ .

قِيلَ لِمَا سَرَّجُوهُ : مَا بَالُ الْأَكْرَةِ ^(٢) وَسُكَّانِ الْبَسَاتِينِ مَعَ أَكْلِهِمُ الْكُرَّاتَ وَالتَّنَزَّرَ وَشَرِبَهُمُ الْمَاءَ الْحَازِ عَلَى السَّمِكِ الْمَالِحِ أَقْلُ عُيَانًا وَعُورَانًا وَعُمُشَانًا؟ قَالَ : فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ أَجِدْ عِلَّةً إِلَّا طَوْلَ وَقُوعِ أَبْصَارِهِمْ عَلَى الْخَضِرَةِ .

الحجارة

قَالَ أَرَسَطَاطَالِيسُ : حَجَرٌ سَقِيلًا إِذَا رُبِطَ عَلَى بَطْنِ صَاحِبِ الْأَسْتِسْقَاءِ نَشَفَ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُوزَنُ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَى بَطْنِهِ فَيُوجَدُ قَدْ زَادَ فِي وَزْنِهِ ؛ وَذَا كَرْتُ بِهِذَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَاءِ الْأَطْبَاءِ فَعَرَفَهُ ، وَقَالَ : هَذَا الْحَجَرُ مَذْكُورٌ فِي التَّوْرَةِ . وَحَجَرُ الْمَغْنَاطِيسِ يَجْذِبُ الْحَدِيدَ مِنْ بَعْدِ [و] إِذَا وُضِعَ عَلَيْهِ عِلْقُهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ بِالثُّومِ بَطَلَّ عَمَلُهُ . قَالُوا : وَالتَّوْمَازُ وَالْقَلْبُ يُدْبِرَانِ فَيَسْتَجِيلَانِ حَجَارَةً سَوْدَا تَصْلُحُ لِلْأَرْجَاءِ . وَمِنْ الْحَجَارَةِ حَصَاةٌ فِي صُورَةِ النَّوَاةِ تَسْبِجُ فِي الْخَلِّ كَأَنَّهَا سَمَكَةٌ ^(٤) . وَمِنْهَا خَرَزَةُ الْعُقْرَانِ كَانَتْ فِي حَقْوِ الْمَرْأَةِ فَلَا تَحْبَلُ ^(٥) . وَحَجَرٌ يُوَضَّعُ عَلَى حَرْفِ التَّنُورِ فَيَتَسَاقَطُ خَبَرُ التَّنُورِ كُلُّهُ . وَبِمَصْرِ حَجَرٍ مَنْ قَبِضَ عَلَيْهِ يَجْمَعُ كَفِّهِ فَا كُلَّ شَيْءٍ فِي جُوفِهِ فَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْبَدْهُ مِنْ كَفِّهِ خِيفَ عَلَيْهِ . وَمِنْ الْحَجَارَةِ النَّشَفُ ^(٦) ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحَجَارَةِ يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ غَيْرُهُ وَفِيهِ حَفَرٌ صَغِيرٌ .

(١) كَذَا بِالنَّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ ؛ وَفِي الْأَصْلِ الْفَتْوْغَرَانِي : « عَلَى قَدَرِ فِي الْمِثْقَبِ » .

(٢) الْأَكْرَةُ جَمْعُ أَكْرٍ وَهُوَ الْحَزَاتُ لِحَفْرَةِ الْأَرْضِ ؛ كَأَنَّهُ جَمْعُ أَكْرٍ فِي التَّقْدِيرِ . (٣) كَذَا

بِالْأَصْلَيْنِ ؛ وَلَمْ نَجِدْ ذِكْرَ هَذَا الْحَجَرِ فِي الْأَحْجَارِ الْمَذْكُورَةِ فِي مَفْرَدَاتِ ابْنِ الْبَيْطَارِ ، وَلَا فِي تَذَكُّرَةِ دَاوُدَ ،

وَلَا فِي بَحَائِبِ الْخُلُوقَاتِ لِلْقَزْوِينِيِّ . (٤) الْعُقْرُ : الْعَقْمُ ، وَهُوَ اسْتِعْثَامُ رَحِمِ الْمَرْأَةِ فَلَا تَحْبَلُ .

(٥) الْحَقْوُ : الْخَصْرُ . (٦) النَّشَفُ : حَجَارَةٌ سَوْدَا كَأَنَّهَا مُحْرِقَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي يَنْقُبُ بِهَا الْوَسَخُ فِي الْحَمَامَاتِ .

قالوا : الرصاص قد يدبر فيستحيل مرداسنجاً . وإقليمياء النحاس يدبر فيصير
توتياء . وحجر البازهر يفرق الأورام . وبالين جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض
وييسر استحال وصار شنباً ، وهو هذا الشب اليماني .

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا
بالين : الورس^(٣) والكندر^(٤) والخطر^(٥) والعصب^(٦) . وبمصر حجر تحركه فتسمع في جوفه
شيئاً يتقلقل كالنواة .

حدثني شيخ لنا عن علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن محمد بن سسير قال :
أختصم رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إني أستودعتُ هذا ودبعة فإني أن
يردها علي ، فقال له شريح : رد على هذا الرجل ودبعتي ، قال : يا أبا أمية ، إنه حجر
إذا رآته الجبلى ألفت ولدها ، وإذا وقع في الخل غلى ، وإذا وُضع في التنور برد ،
فسكت شريح ولم يقل شيئاً حتى قاما .

الجن

قالوا : الشياطين مرددة الجن ، والجان ضعفة الجن . وبلغني عن يحيى بن آدم
عن شريك عن ليث عن مجاهد قال قال — يعني إبليس عليه لعنة الله — : أعطينا
أنا نزي ولا نزي ، وأنا ندخل تحت الثرى ، وأن شيخنا يرد قتي .

١٥

(١) الإقليمياء بالكسر : ثقل يعلو السبك أو دخان . (٢) البازهر معرب بادزهر : حجر تنسب
إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، فارسي مركب من باد ومعناه : روح أو ضد ، وزهر ومعناه : سم ؛
وله منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته . (٣) نبات الورس — كافي مفردات ابن البيطار —
كنبات السمسم ، فإذا جف عند إداركه تفتقت سفته (وعاء ثمرته) فينتقض منه الورس ، ينبت كل سنة
ويثمر ، وأجوده حديثه . وهو أنواع : بعضه يخرج صبغه أصفر خالص الصفرة ، وبعضه في صبغته حمرة .
(٤) الكندر كلمة فارسية معناها : اللبان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يخضب به .

٢٠

(٦) العصب : صيغ لا ينبت إلا بالين . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافي مائنه : « قلت : وعصرنا
زاد خامسا وهو القهوة » .

حدَّثنا عبد الرحمن عن عمه قال : حدَّثني يَعْلَى بن عُقْبَةَ — شيخ من أهل المدينة مولى لآل الزبير — : أن عبد الله بن الزبير بات بالقفر، فقام ليَرَحَلَ فوجد رجلاً طوله شبران عظيم الحية على الولية^(١)، فنفضها فوقع ثم وضعها على الراحلة، وجاء وهو بين الشرخين^(٢)، فنفض الرجل ثم شدّه، وأخذ السوط ثم أتاه، فقال : مَنْ أَنْتَ؟ قال : أنا أَرْبُ قال : وما أَرْبُ؟ قال : رجلٌ من الجنّ؛ قال : آفِئح فاك أنظر؛ ففتح فاه؛ قال : أهكذا حُلُوقُكُمْ! لقد شَوّه حُلُوقُكُمْ! ثم قَلَبَ السوط فوضعه في رأس أَرْب حتى شقّه.

حدَّثني خالد بن محمد الأزديّ قال حدَّثنا عمر بن يونس قال حدَّثنا عكرمة ابن عمار قال حدَّثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاريّ قال حدَّثني أنس بن مالك قال : كانت بنتُ عوف بن عفراء مُصْطَجِعَةً في بيتها قائلةً إذ أَسْتَقِظْتُ وزنجي على صدرها آخذًا بحلقها، قالت : فأمسكني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حرمتُ على الصلاة، فبينا أنا كذلك نظرتُ إلى سقف البيت يَنْفَرِجُ، حتى نظرتُ إلى السماء فإذا صحيفة صفراء تهوى بين السماء والأرض حتى وقعتُ على صدرى، فنشرها وأرسل حلق فقرأها، فإذا فيها : من رَبِّ لُكْزٍ إلى لُكْزٍ، اجتنب أبنَةَ العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفة لكان دمٌ، أى لذبحتك؛ فاسودّت ركبتي حتى صارت مثل رأس الشاة، فأثيت عائشة، فذكرت لها ذلك؛ فقالت لى : يا بنّة أنحى، إذا حَضَيْتِ فالزِمى عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله . فحفظها الله بأبيها وكان أَسْتُشَيْدَ يوم بدر .

أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن الشعبي عن زياد بن النضر أن عجوزا سألت جَنِيًّا فقالت : إن بنتى عروسٌ وقد تَمَرَّطَ شعرُها من حُمى رُبْعَها، فهل

(١) في الأصل الفتوغرافي «الوية» وفي النسخة الألمانية «الوية» والتصويب عن لسان العرب، والولية : البرذعة . (٢) شرخا الرجل : حرفاه وجانباه، وقيل : خشبناه من وراءه ومقدم . (٣) في الأصلين : «لها» والسياق يقتضى ما أمثناه . (٤) تَمَرَّطَ الشعر : تساقط وتحات .

عندك دواء؟ فقال: أعمدي إلى ذباب المساء الطويل القوائم الذي يكون بأفواه الأنهار فاجعليه في سبعة ألوان من العهن^(١): أصفر وأحمر وأخضر وأزرق وأبيض وأسود وأغبر، ثم آجعليه في وسطه وأفتليه بأصبعك هكذا ثم أعقديه على عضدها اليسرى؛ ففعلت فكانها أنشطت من عقالي.

٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرني محمد بن مسلم الطائفي في حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيع أن تغير خلقها ولكنها تسخر.

وقال الأصمعي: حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدثنا الثمّاس^(٣) بن قهم^(٤) قال: دخلت مريدًا لنا فإذا فيه شيء كالعجول^(٥) له قرنان وله ريش ينظر إلى كأنه شيطان.

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: سمع رجلًا بأرض ليس بها أحد فائلا من تحته يقول: من يحرك شعيراتي؟ ذاك مقيبل، وظل مظلي، حاشا الغزير وعبد الملك وجمعه الأدم؛ وكانوا يرون أن الأصمعي سمع هذا، وذلك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مس ثم ذهب عنه.

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عمير بن ضبيعة قال: بينا أنا أسير في فلاة أنا وابن طبيان - أوديق له آخر ذكره - عرّضت لنا عجوز - كذا سمعته يقول، إن شاء الله - أو شيخ - ورأيت في كتاب محمد آينه - وصبي يبكي؛ فقال: إني منقطع بي في هذه الفلاة فلو تحلّمتاني! فقال صاحب عمير: لو أردفته! فحمله خلفه؛ فكثنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنفس فخرج من فيه نار

(١) العهن: الصوف أو المصبوغ ألوانا. (٢) كذا بالأصل الفتوغرافي، وفي النسخة

الألمانية «أقلية» بالقاف. (٣) في النسخة الألمانية «المناسب» وهو تحريف.

(٤) في الأصلين: فهم بالقاء، وهو تحريف، والتصويب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس.

(٥) العجول: العل. (٦) كذا في الأصل الفتوغرافي. وفي النسخة الألمانية: «الغريد».

مِثْلُ نَارِ الْآتُونِ فَأَخَذَ لَهُ عَمِيرُ السَّيْفِ ؛ فَبَكَى وَقَالَ : مَا تُرِيدُ مِنِّي ؟ فَكَفَّ عَنْهُ وَلَمْ يُعَلِّمْ صَاحِبَهُ بِمَا رَأَى ؛ فَكَثَّ هُنَيْهَةً ثُمَّ عَادَ ، فَأَخَذَ لَهُ السَّيْفَ ؛ فَبَكَى وَقَالَ : مَا تُرِيدُ مِنِّي ؟ وَبَكَى ؛ فَتَرَكَهُ وَلَمْ يُعَلِّمْ صَاحِبَهُ ؛ ثُمَّ عَادَ الثَّلَاثَةَ فَفَغَرَ فِي وَجْهِهِ ؛ فَخَمَلَ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ ؛ فَلَمَّا رَأَى الْجَدَّ وَثَبَ وَقَالَ : قَاتَلَكَ اللَّهُ مَا أَشَدَّ قَلْبَكَ ! مَا فَعَلْتَهُ قَطُّ فِي وَجْهِ رَجُلٍ إِلَّا ذَهَبَ عَقْلُهُ .

بلغني عن محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبي أيوب الأنصاري أنه كان في سفرة له وكانت الغول تجيء ، فشكاها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ » ؛ بِجَاءَتْ فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ ؛ فَأَخَذَهَا فَقَالَتْ : لَا أَعُودُ ؛ فَأَرْسَلَهَا ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَا فَعَلَ أُسِيرُكَ » ؟ فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : « إِنَّهَا عَائِدَةٌ » ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا ، وقالت في آخرها : أَرْسَلْنِي وَأَعْلَمَكُمُ شَيْئًا تَقُولُهُ فَلَا يَضُرُّكَ شَيْءٌ : آيَةُ الْكَرْسِيِّ ؛ فَأَتَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : « صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ » .

حدثني زيد بن أنحزم قال : حدثنا عبد الصمد عن همام عن يحيى بن أبي كثير أن عامل عُثْمَانَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنَّا أَتَيْنَا بِسَاحِرَةٍ فَأَلْقَيْنَاهَا فِي الْمَاءِ فَطَفَّتْ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : لَسْنَا مِنَ الْمَاءِ فِي شَيْءٍ ، إِنْ قَامَتِ الْبَيْنَةُ وَإِلَّا نَخْلُ عَنْهَا .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا ابن جريج عن ابن أبي الحسين المكي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعِمَّتِ الدُّخْنَةُ اللَّبَانُ وَاللَّبَانُ دُخْنُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا دُخْنٌ فِيهِ يَلْبَانٍ سَاحِرٌ وَلَا كَاهِنٌ » .

حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسماء بن خارجة قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت أعرابية تقول : من

يشتري متى الحزأ؟ فقلت: وما الحزأ؟ قالت: يشتريه أكيس النساء للطشة والخافية والإقلاط؛ قال عبد الله: سألت ابن مناذر فقال: الطشة: شيء يصيب الصبيان كالزكام. والخافية: الحق. والإقلاط: قلة الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموت أولادها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مقلات.

- (١) بلغني عن شيخ من بني ثمر أنه قال: أضللت أبا عمر لي بالشريف فخرجت في بغايا قدأبت أياها فأمسيت عشية بوادٍ موحش وقد كدذت راحتي فأختليت لها من الشجر وأصبت لها من الماء ثم قيدتها وأضطجعت مغموما، فلما جرى وسن النوم في عيني إذ همس قدم قريبا مني، فانتبهت فرعا وإذا شيخ يتنحنح وهو يقول: لا ربيعة عليك! ثم سلم وجلس؛ ثم جاء آخر وآخر حتى تألفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللت أبا عمر لي وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأول منهم: كن لك ما كن، وقد ودعن فين، وصرن حيث صرن، فلا تتعنين؛ فأجترأت على المسئلة فقلت: أمن الخافية أتم نشدتكم بالهكم؟ قالوا: نعم وإلها وإلهمك واحد؛ فقلت: علموني مما علمكم الله شيئا أنتفع به؛ قالوا: إذا أردت حفظ مالك فأقرأ عليه: (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسي، وإذا أمسيت في خلأ وحدك فأقرأ المعوذتين، وإن أحببت ألا يعبت بك ولا بأهلك ولدك عابت منا فعليك بالديك الأبيض؛ وأجعل في حجور صبيانك بريما، يعني خيطا من صوف أبيض وأسود، وأحشوا بالإذخر ينشر في الصوف، فحدثوني كحديثنا تلك الليلة، فلما أصبحت رجعت.

- (١) الشريف: اسم ماء لبني ثمر. (٢) اختليت من الاختلاء، وهو اجتزاز الخلى وهو الحشيش تغلف به الذواب. (٣) لا ربيعة: لا فرع، من راع يريع إذا فرع. (٤) الإذخر بالكسر: نبات مزهر طيب الرائحة.

قال المدائني : كانت وفاة زياد بالعرفة^(١) ظهرت في إصبغه ، واشتد عليه الوجع فجمع الأطباء فشاورهم في قطع إصبغه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم : أتجد الوجع في الإصبع أم تجده في قلبك والإصبع ؟ قال : في قلبي وفي إصبغي ؛ قال : عيش سليما ومِتْ سليما ، وأمره أن يغمسها في الخل ، فكان ذلك يُخَفِّف عنه بعض الوجع ، فكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وسمِع أهل الحبس ليلة مات قائلا يقول : أنا النقاد ذو الرقية قد كفيتمكم الرجل . والعرب تدعو الطاعونَ رماحَ الجن . وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنه وَخْرٌ من الجن» يعني الطاعون . والله أعلم .

(١) العرة : قُرْعة تخرج في بياض الكف .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي]

تم كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لأبن قتيبة ويتلوه في الكتاب الخامس كتاب العلم . والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحابه وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ؛ وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

الى هنا ينتهي آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتجن سنة ١٨٩٩ م . وسنعمد في مراجعة الجزء الخامس الى آخر الكتاب على الأصل الفتوغرافي وعلى المصادر التي يعول عليها في تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :]

كان سُديف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار قيتنا دولةً بعد القسمة ، وإمارتنا غلبةً بعد المشورة ؛ وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة ، وأشترت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة ؛ وحكم في إِبْشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نُهيته ، وأستجمع طريده ، اللهم فاتح له من الحق يداً حاصدةً تُبدد شمله ، وتُفترق نامته ، ليظهر الحق في أحسن صوره ، وأتم نُوره . والسلام .

وقيل : كانوا يتوقَّون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء :
« باسم الله ، إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . اِحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون .
أخذت سمعك وبصرَكَ بسمع الله وبصره ، وأخذت قوتَكَ بقوة الله ، بيني وبينك سترُ النبوة الذي كانت الأنبياء تستتر به من سَطَوَات الفراعنة ؛ جبريلُ عن يمينك ، وميكائيلُ عن شمالك ، ومحمدٌ أمامك ، والله مطلقٌ عليك يحجزك مني ويمعني منك .
والسلام » .

وكتب عُمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « أما بعد ، فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكُرْ قدرة الله عليك ونفاد ما تأتي إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك .
والسلام » .

(١) إِبْشار : جمع بَشَر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والاشئين والجمع وقد يثنى

على بشرين ويجمع على إِبْشار (اللسان) . (٢) النامة والنائمة : الحس والحركة وحياة النفس .

(٣) في الأصل « التي » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وقَدِمَ رجلٌ من بعض النواحي فقيل له : كيف تركت الناس ؟ قال : مظلوما لا يَتَصَرَّ، وظالما لا يُتَهَرَّ . والسلام .

في الحبس :

ما يدخلُ السجنَ إنسانٌ فسأله * ما بالُ سجينِكَ إلّا قال مظلومٌ

وقال بعض المحمّدين :

إن الليالي التي سُغِفْتُ بها * غيَّبها الدهرُ في ثقلْبِ
لله أمرى ما ملتُ قطُّ إلى * شيءٍ بقلبي إلّا حُفَّتْ به
عرفتُ حظي من الزمان فلا * ألومُ خلقًا على تجنُّبه
وكل سَهْمٍ أعددتُه وقفتُ * به الليالي حتى رُميتُ به

وَحكى أن عبد الملك بن مروان أتوه برجل من الخوارج فأراد قتله ، فأدخل
على عبد الملك ابن له صغير وهو يبكي ، فقال الخارجي : دعه يا عبد الملك ، فإن
ذلك أرحب لشدقه ، وأصح لدماعه ، وأذهب لصوته ، وأجرى ألا تأبى عليه عينه
إذا حَفَرْتُهُ طاعةُ الله فاستدعى عَبرتها ، فأعجب عبدُ الملك بقوله وقال له متعجبا :
أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق
شيءٌ ، فأمر عبدُ الملك بحبسه ، وصَفَحَ عن قتله .

١٠

١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العمل والبيان

العلم

حدثني الزياتي قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد
عن الصنابحي^(١) عن معاوية بن أبي سفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الأغلوطات ، قال الأوزاعي : يعني صعاب المسائل .

حدثني سهيل بن محمد عن الأصمعي قال سمعت عمران بن حدير يحدث عن رجل
من أهل الشام قد سماه ، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف
رأيكم في أبي مسلم الخولاني؟ فقالوا : ما أحسن رأياً فيه وأخذنا عنه ! فقال : إن

- ١٠ (١) في الأصل «الصنابحي» (بياء مثناة وجيم بعد الألف) وهو تحريف ، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي (بياء موحدة وحاء بعد الألف) ، نسبة إلى صنابج من حمير ، كما ذكر المؤلف في كتابه (المعارف) (ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٣٥) . (٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن ينهى النبي عن صعاب المسائل ، والأوجه ما فسرها به الزخشرى إذ قال في الأساس : «وهي المسائل التي يغالط بها» ؛ ويؤيد هذا التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للمسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إيليس» . (٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة وقيل باشباع وقيل ابن أثوب وزن أحمر : عابد رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .
- ١٥

أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الْحَاكِمِ أَهْلُهُ ، وَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلُ الْجَامَةِ تَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَيَرْغَبُ فِيهَا
الْغُرَبَاءُ ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْقُرَبَاءُ ، فَيَبِينَا ذَلِكَ غَارَ مَأْوَاهَا ، وَأَصَابَ هَؤُلَاءِ مَنَفَعَتُهَا ، وَبَقِيَ
هَؤُلَاءِ يَتَفَكَّرُونَ ، أَيْ يَتَنَدَّمُونَ .

وفي الإنجيل أن عيسى صلى الله عليه وآله لما أراهم العجائب؛ وضرب لهم الأمثال
والحكمة، وأظهر لهم هذه الآيات، قالوا : أليس هذا ابن النجار ! أَوَلَيْسَتْ أُمُّهُ^(٢)
مَرْيَمَ وَأَخُوهُ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَشَمْعُونَ وَيَهُوذَا وَأَخَوَاتِهِ كُلَّهُنَّ عِنْدَنَا ! فقال لهم
عيسى : إِنَّهُ لَا يُسَبِّبُ النَّبِيُّ وَلَا يُحَقِّقُ إِلَّا فِي مَدِينَتِهِ وَبَيْتِهِ^(٣) .

حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قِيلَ لَدَغْفَلِ النَّسَابَةَ : بِمِ أَدْرَكَتَ
مَا أَدْرَكَتَ مِنَ الْعِلْمِ ؟ فَقَالَ : بِلِسَانٍ سَوُولٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ ، وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَالِمًا
أَخَذْتُ مِنْهُ وَأَعْطَيْتُهُ . ١٠

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ رُؤْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ
قَالَ : أَتَيْتِ النَّسَابَةَ الْبَكْرَى فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ أَنَا ابْنُ الْعَجَّاجِ ،
قَالَ : قَصَّرْتَ وَعَرَفْتَ ، لَعَلَّكَ مِنْ قَوْمٍ إِنْ سَكَتُ عَنْهُمْ لَمْ يَسْأَلُونِي ، وَإِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ
يَعُودُوا عَنِّي ، قُلْتُ : أَرْجُو إِلَّا أَكُونَ كَذَلِكَ ، قَالَ : مَا أَعْدَاءُ الْمَرْوَةِ ؟ قُلْتُ : تُخْبِرُنِي ،
قَالَ : بَنُو عَمِّ السَّوِّءِ إِنْ رَأَوْا حَسَنًا سَتَرُوهُ ، وَإِنْ رَأَوْا سَيِّئًا أَذَاعُوهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ لِلْعِلْمِ
آفَةٌ وَهَيْجَةٌ وَنَكَدًا ، فَأَفْتُهُ نَسْيَانُهُ ، وَنَكَدَهُ الْكَذِبُ فِيهِ ، وَهَيْجَتُهُ نَشْرُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ .
كَانَ يَقَالُ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ فَإِذَا ظَنَّ أَنَّ قَدْ عِلِمَ فَقَدْ جَهِلَ . ١٥

(١) لعلها الجملة قال في اللسان : والجحوم : البئر الكثير الماء ، وبرجة وجحوم : كثيرة الماء .

(٢) في الأصل « ليس » بغير تاء التانيث .

(٣) في هامش الأصل الفتوغرافي عن نسخة أخرى : بيته .

حدثني شيخنا عن محمد بن عبيد عن الصلت بن مهران عن رجل عن الشعبي
عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلم العلم لأربعة دخل النار
لُبَاهِي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يُمِيل به وجوه الناس أو يأخذ به من
الأمراء» .

- وحدثني عن أبي معاوية عن حجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من عبد يُخْلِص العبادة لله أربعين يوما إلّا ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه» . وقرأت في حِكْم لُقْمَان أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ ، اغْذُ عالِمًا
أو متعلِّمًا أو مُسْتَمِعًا أو مُحِبًّا ، ولا تكن الخامِسَ فهلك .

- حدثني محمد بن داود عن سُويد بن سَعِيد عن إسماعيل عن ابن عِيَّاش عن مُعَاذ
ابن رِفَاعَةَ عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا
العِلْم من كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ^(١) وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ
الْجَاهِلِينَ» .

- وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال علي عليه
السلام : كَلِمَاتٌ لَوْ رَحَّلْتُمُ الْمِطْيَ فِيهِنَّ لَا تُصِيبُوهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكُوا مِثْلَهُنَّ : لَا يَرْجُوَنَّ
عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحْيِيَنَّ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَلَا يَسْتَحْيِيَّ إِذَا
سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَزَلَّةَ الصَّبْرِ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَزَلَّةِ
الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ ، وَإِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ .
وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ حَقَّ الْعَالِمُ عَلَيْكَ إِذَا أُتِمَّتْ أَنْ تُسَلَّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتُخَصَّصَ بِالنَّجِيَّةِ ، وَأَنْ
(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ، وفي الأصل «به» . (٢) كذا في الأصل

- ومثله في أدب الدنيا والدين . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) «تحريف القائلين» .
(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خمس خذوهن
عني ، فلوركنتم الفلك ما وجدتموهن إلا عتدي : ألا لا يرجوَنَّ أحدٌ إلّا ربه ... الخ» .

تَجَلَّسَ قُدَّامَهُ وَلَا تُشِيرَ بِيَدِكَ ، وَلَا تَفْتِمَزْ بَعَيْنِكَ ، وَلَا تَقُولَ قَالَ فُلَانٌ خَلَا فَا لِقَوْلِهِ ^(١) ،
وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تَسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذَ بِشُوبِهِ ، وَلَا تُلَحَّ عَلَيْهِ إِذَا
كَسَلَ ، وَلَا تَغْرِضَ ^(٢) مِنْ صَحْبَتِهِ لَكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا
شَيْءٌ . وَفِيمَا قَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا كَيْلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْرُسُكَ
وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ . وَقَالَ : قِيمَةُ
كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ . وَيَقَالُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
يَعْدُو رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَالِمًا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِمَحْسَبٍ
وَإِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَلْمِهِ * وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدَةٍ بِغَرِيبٍ

قَالَ بَزْرَجِيهْرُ : مَا وَرَّثَ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَدَبِ ، لِأَنَّهَا تَكْتَسِبُ
الْمَالُ بِالْأَدَبِ وَبِالْجَهْلِ تُتْلَفُ فَتَقْعُدُ عُدْمًا مِنْهُمَا . قَالَ رَجُلٌ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :
مَالِي إِذَا رَأَيْتُمْ تَذَاكَرُونَ الْأَخْبَارَ ، وَتُنَادِرُونَ الْآثَارَ ، وَتُنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَقَعَ
عَلَى النَّوْمِ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حِمَارٌ فِي مَسْلَاحٍ ^(٦) إِنْسَانٍ .

نَخْرَجَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ حَاجًّا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَكَانَا
بِبَعْضِ الطَّرِيقِ يَلْعَبَانِ بِالشَّطْرَنْجِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ تَقِيفٍ فَأَذِنَ لَهُ وَسَتَرَ

(١) عبارة العقد الفريد «خلاف قولك» . (٢) لا تغرض : لا تضجر . وفي الأصل «تغرض» .
بالفاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تلح عليه في السؤال» ، فإنما هو بمنزلة النخلة المربطة التي لا يزال
يسقط عليك منها شيء . (٣) في الأصل : «تكيل العلم خير من المال» وهو تحريف ،
والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعي قال : أخذ
بيدي على بن أبي طالب كرم الله وجهه فنخرج بي إلى ناحية الجبانة فلما أصغر تنفس الصعداء ثم قال :
يا كميل ، إن هذه القلوب أوعية تغيرها أوعاها فأحفظ غني ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة
في الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) في العقد
الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاخ : الجلد .

الشَّطْرَنَجَ بِمَنْدِيلٍ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ فَسَأَلَهُ حَاجَتَهُ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟
 قَالَ : لَا، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! شَغَلَتْنِي عَنْهُ أُمُورٌ وَهَنَاتٌ، قَالَ : أَفَتَعْرِفُ الْفِقْهَ ؟
 قَالَ : لَا، قَالَ : أَفَرَوَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا، قَالَ : أَفَعَلِمْتَ مِنْ أَيَّامِ
 الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا، قَالَ : فَكَشَفَ الْمَنْدِيلَ عَنِ الشَّطْرَنَجِ وَقَالَ : شَاهَكَ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : اسْكُتْ فَمَا مَعْنَى أَحَدٍ .

وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : الْعَالِمُ إِذَا أَغْتَرَبَ فَعَمَهُ مِنْ عِلْمِهِ كَافٍ، كَالْأَسَدِ مَعَ قُوَّتِهِ
 الَّتِي يَعْيشُ بِهَا حَيْثُ تَوَجَّهَ . وَكَانَ يُقَالُ : الْعِلْمُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ، وَالْمُودَّةُ أَشَدُّ
 الْأَسْبَابِ، قَالَ الشَّاعِرُ :

الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ خَلَّتَا كَرِيمَ * لِلرَّءِزَيْنِ إِذَا هُمَا أَجْتَمَعَا
 صِنَوَانٌ لَا يَسْتَمُ حَسَنُهُمَا * إِلَّا يَجْمَعُ لَذَا وَذَاكَ مَعَا
 كَمْ مِنْ وَضِيعٍ سَمَاهُ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ * فَنَالَ الْعِلَاءَ وَآرْتَفَعَا
 وَمِنْ رَفِيعِ الْبِنَا أَضَاعَهُمَا * أَنْحَلَهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا

قَالَ الْأَحْنَفُ : كَادَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَكُونُوا أَرْبَابًا، وَكُلُّ عَزٍّ لَمْ يُؤَكَّدْ بِعِلْمٍ فَلِئْلِ ذُلٍّ
 مَا يَصِيرُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسَ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ذَلِكَ،
 فَإِنَّ زَوَالَ الْكَرَامَةِ بَزْوَالِهَا، وَلَكِنْ يُعْجِبُكَ إِنْ أَكْرَمَكَ لِذِينَ أَوْ أَدَبٍ . وَفِي بَعْضِ
 الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : «مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ» . وَكَانَ يُقَالُ :
 اسْتَدِلَّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِحِظِهِ مِنْهُ خَطَرًا . قَالَ يُونُسُ بْنُ
 حَبِيبٍ : عِلْمُكَ مِنْ رُوحِكَ، وَمَالُكَ مِنْ بَدَنِكَ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : الْمُلُوكُ حُكَّامٌ
 عَلَى النَّاسِ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ .

قيل لِبُزْرِجِهْر: العلماءُ أفضلُ أم الأغنياء؟ فقال: العلماء، فقيل له: فما بالُ
العلماء بأبواب الأغنياء أكثر من الأغنياء بأبواب العلماء؟ فقال: لمعرفة العلماء بفضل
الفني وجهل الأغنياء بفضل العلم. وفي الحديث: «ليس المَلَقُ من أخلاق المؤمن
إلا في طلب العلم». قال ابن عباس: ذَلَلْتُ طالبا، فعَزَزْتُ مطلوبا، وكان يقول:
وجدتُ عامةَ علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحى من الأنصار، إن
كنتُ لأَقِيلُ بباب أحدهم ولو شئتُ أُذِنَ لى، ولكن أبتغى بذلك طيب نفسه.
وكان يقال: أولُ العلم الصمتُ والثاني الاستماعُ، والثالث الحِفْظُ، والرابع العقلُ،
والخامس نشره. ويقال: إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تَسْمَعَ أحرصَ منك
على أن تقول. قال الحسن: مَنْ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فِي شَبِيبَتِهِ لَقَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ
فِي سِنِّهِ، وذلك قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ﴾ قال بعض الحكماء من الصحابة: تقول الحكمة: مَنْ آتَمَسَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي
فَلْيَقْعَلْ بِأَحْسَنِ مَا يَعْلَمُ، وليترك أقبج ما يَعْلَمُ، فإذا فَعَلَ ذلك فَأَنَا معه وإن لم يَعْرِفْنِي.
وكان يقال: لا يكون الرجلُ عالما حتى يكونَ فيه ثلاثٌ: لا يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ في العلمِ،
ولا يَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهُ، ولا يأخُذُ على علمه ثَمَنًا. وقال ابن عيينة: يُسْتَحَبُّ للعالم إذا
عَلَّمَ أَلَّا يُعَنِّفَ، وإذا عَلَّمَ أَلَّا يَأْنَفَ. وفي كلام لغيلان، لا تكن كعلماء زمن الهرج
إن عَلَّمُوا أَنْفَوْا وإن عَلَّمُوا عَنَّفُوا. وفي حكمة ثُفَّان: إن العالمَ الحكيمَ يدعو الناسَ
إلى علمه بالصَّمْتِ والوَقَارِ، وإن العالمَ الأَثَرَقَ يَطْرُدُ الناسَ عن علمه بالهَذَرِ
والإمْتَارِ. قال إبراهيم بن المنصور: سَلْ مُسْئِلَةَ الْحَقِّ وَأَحْفَظْ حِفْظَ الْإِيكَاسِ.
وأنشد ابن الأعرابي:

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها إذا لم تُقدر
فسل الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع في عمل بفقه يمهر
وتدبر الأمر الذي تُعنى به * لاخير في عمل بغير تدبر
فلقد يجتد المرء وهو مقصر * ويحب جد المرء غير مقصر
ذهب الرجال المقتدى بفعلهم * والمنكرون لكل أمر منكرو
وبقيت في خلف يزين بعضهم * بعضها ليدفع معور عن معور^(١)

وقال الشاعر^(٢) :

شفاء العمى طول السؤال وإتما * تمام العمى طول السكوب على الجهل

- وقال بعضهم: خير خصال المرء السؤال. ويقال: إذا جلست إلى عالم فسل تفقها
ولا تسئل تعنتا. قال الحسن: من استتر عن الطلب بالحياء لبس للجهل سر باله، فقطعوا
سرايل الحياء، فإنه من رق وجهه رق علمه؛ وقال: إني وجدت العلم بين الحياء
والستر. وقال الخليل: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة. وقال علي بن أبي طالب
عليه السلام: قرنت الهيبة بالخفية، والحياء بالحُرمان، والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها
ولو في يدي أهل الشرك. وقال عروة بن الزبير لبنيه: تعلموا العلم فإن تكونوا صغار
قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين، فياسوءنا ماذا أقبح من جهل بشيخ! وكان
يقال: علم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت
وحفظت ما علمت.

قيل لبزرجهر: يم أدركت ما أدركت من العلم؟ فقال: بئكور كبكور
الغراب، وجرص كجرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار. وقال الحسن: طلب العلم

(١). معور من أعور الشيء إذا بدت عورته. (٢) هو بشار بن برد كما في أدب الدنيا والدين (ص ٩٩ طبعة بولاق) وبعد البيت:

فكن سائلا عما عناك فإنما * دعيت أعا عقل لتبحث بالعقل

في الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ فِي الْكِبَرِ كَالنَّقْشِ عَلَى الْمَاءِ. وَيُقَالُ: التَّنَقُّهُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَحِمَارِ الطَّاحُونَةِ يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ «ارْحَمُوا عِزِّيًّا ذَلَّ ارْحَمُوا غَنِيًّا افْتَقَرَ ارْحَمُوا عَالِمًا ضَاعَ بَيْنَ جُهَالٍ» وَيُقَالُ: أَحَقَّ النَّاسُ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ يَجُوزُ عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ.

قال المسيح عليه السلام: يَا بَنَى إِسْرَائِيلَ لَا تُلْقُوا اللَّؤْلُؤَ إِلَى الْخَنَازِيرِ، فَإِنَّهَا لَا تَصْنَعُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ مَنْ لَا يُرِيدُهَا، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ اللَّؤْلُؤِ، وَمَنْ لَا يُرِيدُهَا شَرٌّ مِنَ الْخَنَازِيرِ. قَالَ دِيمَقْرَاطُ: عَالِمٌ مُعَانِدٌ خَيْرٌ مِنْ مُنْصَفٍ جَاهِلٍ. وَقَالَ آخَرُ: الْجَاهِلُ لَا يَكُونُ مُنْصَفًا؛ وَقَدْ يَكُونُ الْعَالِمُ مُعَانِدًا. قَالَ سُفْيَانُ: تَعَوَّدُوا^(١) بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ. قِيلَ لِلْحَسَنِ: الْحِرْفَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ؛ وَلِغَيْرِهِمُ الثَّرْوَةُ، فَقَالَ: إِنَّكَ طَلَبْتَ قَلِيلًا فِي قَلِيلٍ فَأَعْجَزَكَ، طَلَبْتَ الْمَالَ وَهُوَ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ، فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُمْ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ. وَقَالَ الْخَزِينِيُّ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقِيلٍ وَلَا أَدِيبٍ * إِنَّ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحِمَاقَاتِ

وقال آخر:

مَا أَزْدَدْتُ مِنْ أَدِيبٍ حَرْفًا أُسْرِبُهُ * إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ سُومُ
إِنْ الْمُقَدِّمُ فِي حِذْقٍ بِصَنْعَتِهِ * أُنِّي تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهُوَ مُحْرَمُ

وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك:

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالََةَ أُمُّهَا * وَلَوْ دُمُّ أُمُّ الْعِلْمِ جَذَاءُ^(٢) حَائِلٌ^(٣)

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْعَالِمُ» وَظَاهِرٌ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ.

(٢) جَذَاءُ: مِنَ الْجَذِّ وَهُوَ الْقَطْعُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا مَقْطُوعَةُ النَّسْلِ.

(٣) الْحَائِلُ: كُلُّ أَنْثَى لَا تَحْمِلُ.

قال الثوري^(١) : مَنْ طلب الرئاسة بالعلم سريعا فاته علم كثير، وقال : يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل . قال بعض أهل العلم : يُغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد . قال بلال بن أبي بردة : لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون . وقال الخليل بن أحمد :

اعْمَلْ بَعْلِي وَلَا تَنْتَظِرْ إِلَى عَمَلِي * يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

كتب رجل إلى أخ له : إني قد أوتيت علما فلا تُطْفِئْ نورَ علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم .

وقال بعض الحكماء : لولا العلم لم يُطلب العمل ، ولولا العمل لم يُطلب العلم ، ولأن أدع الحق جهلا به أحب إلى من أن أدعه زهدا فيه . وقال مالك بن دينار :

إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا^(٢) . ونحوه قول زياد : إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوز الآذان .

ويقال : العلماء إذا علموا عملوا ، فإذا عملوا شغلوا ، فإذا شغلوا فقدوا ، فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا . قال الحسن : ما أحسن الرجل ناطقا عالما ومستمعا واعيا وواعيا عاملا . وقال ابن مسعود : إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها . وقال ابن عباس : إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إذا ما تحدثت في مجلس * تنأى حديثي إلى ما علمت
ولم أعُد علمي إلى غيره * وكان إذا ما تنأى قصرت

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفي الأصل : "نهف" وظاهر أنه تحريف . (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلي وإن قصرت في عملي» وفي أدب الدنيا والدين «اعمل بقولي ...» . (٣) الصفا جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت .

وقال آخر: ^(١)

إذا ما أتممت علمي تناهيت عنده * أطال فأملئ أم تناهى فأقصرا
ويُخبرني عن غائب المرء فعله * كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

قال عمر بن الخطاب: لا أدركت لأنا ولا أنت زمانا يتغير الناس فيه على العلم
كما يتغيرون على الأزواج . قال سلمان : علم لا يقال به ككثرة لا يُنفق منه .
وفي الحديث المرفوع : « العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان
فذلك حجة الله على ابن آدم » قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن
من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة . قال أبو الدرداء : من يزدد علما يزدد
وجعا .

قال أفلاطون : لولا أن في قول لا أعلم سببا لأنني أعلم لقلت إنني لا أعلم .
وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنني لست أعلم .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فسأله ،
ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذاك ناس فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه
لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك
جاهل فارفضوه .

كتب كسرى إلى بُزرجمهر وهو في الحبس : كانت ثمرة علمك أن صرت بها
أهلا للحبس والقتل ، فكتب إليه بُزرجمهر : أما ما كان معي الجَدَّ فقد كنت أنتفع
بثمرة العلم فالآن إذ لا جدَّ فقد صرت أنتفع بثمرة الصبر مع أني إن كنتُ فقدت كثير
الخير فقد استرحت من كثير الشر .

(١) هو زيادة بن زيد كما في أدب الدنيا والدين (ص ٦٦) .

قال بزرجمهر : من صلح له العمر صلح له التعلم . وقيل لبعض الحكماء :
أيحسن بالرجل أن يتعلم ؟ فقال : إن كانت الجهالة تقبح به فإن العلم يحسن به .
ويقال : التودد زين العلم .

قال عمر بن الخطاب ^(١) : ما من غاشية أدوم أرقاً ، وأبطأ شبعاً من عالم . قال
مالك بن دينار : من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكتفى ، ومن طلبه للناس
فخوائج الناس كثيرة .

قال إِبْرَاهِيمُ : العلم كثير، والعمر قصير، والصنعة طويلة ، والزمان جديد ،
والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للذليين ، وأتم مقيمون مع
المتحيرين ، إنما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير . قال سلمان : لو حدثت الناس
بكل ما أعلم لقالوا رَحِمَ اللهُ قَاتِلَ سَلْمَانَ . كان يقال : لا تقل فيما لا تعلم فتهم فيما تعلم .
وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق بلدت
وإذا كان سائق بلا قائد عدلت يمينا وشمالا ، فإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها . قال
أيوب : لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يعرف الاختلاف . ويقال : غريزة
العقل أنثى وما يُستفاد من العلم ذكر ولن يصلحا إلا معا .

١٥

قال المسيح عليه السلام : إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحب الذكر بالمغيب ،
ويوسع له في المجالس ، ويدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزاد ، بحق أقول لكم : إن
أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

(١) الغاشية : السؤال الذين يغشونك يرجون فضلك ومعروفك . (٢) وفي العقد الفريد

(ج ١ ص ١٩٨) : « وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود فإن كان قائد بلا سائق

هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا وإذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها » .

(٣) المزاد جمع مزود كثير وهو وعاء الزاد .

6

لما دُلِّيَ زيد بن ثابت في قبره قال ابن عباس : من سره أن يرى كيف ذهب العلم فهكذا ذهب العلم .

ويقال : إذا أردت المحبة من الله فكن عالماً بجاهل . وقال بعض الشعراء في تَلَاقي العلماء :

إذا تَلَّاقَى الْفُقُورُ وَأَزْدَحَمْتُ * فكيف حالُّ الْبُعُوضِ فِي الْوَسَطِ

وقال ابن الرِّقَاع :

ولقد أصبَتْ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةٌ * وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْخُطُوبِ شِدَادَهَا

وعلمتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا * عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكَ أَزْدَادَهَا

ويقال : أربع لا يَأْتُفُّ مِنْهُنَّ الشَّرِيفُ : قيامه عن مجلسه لأبيه ، وخدمته

لضيفه ، وقيامه على فرسه وإن كان له مائة عبيد ، وخدمته العالم ليأخذ من علمه .

قيل لعطاء بن مُضْعَب : كيف غَلَبَتْ عَلَى الْبَرَامِكَةِ وَعِنْدَهُمْ مَنْ هُوَ آدَبُ مِنْكَ ؟

قال : ليس للقرباء ظرافة الغرباء ، كنتُ بعيد الدار ، غريب الاسم ، عظيم الكبر ،

صغير الحرم ، كثير الالتواء ، شحيحاً بالإملاء ، فقرَّبني إليهم تباعدى منهم ، ورغِبَهم في رَغْبَتِي عنهم .

قال أبو يعقوب الخُزَيْمِيُّ ^(٢) : تَلَقَّانِي سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَقُلْتُ :

أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : أَدُورُ لَعَلِّي أَسْمَعُ حَدِيثًا حَسَنًا ، ثُمَّ تَلَقَّانِي أَنَسُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ فَقُلْتُ :

أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : عِنْدِي حَدِيثٌ حَسَنٌ فَأَنَا أَطْلُبُ لَهُ إِنْسَانًا حَسَنَ الْفَهْمِ حَسَنَ

الاسْتِمَاعِ ، قُلْتُ : حَدَّثْنِي بِهِ قَالَ : أَنْتَ حَسَنُ الْفَهْمِ سَيِّئُ الاسْتِمَاعِ ، وَمَا أَرَى لِهَذَا

الْحَدِيثِ إِلَّا إِسْمَاعِيلَ بْنَ غَزْوَانَ . وَقَالَ الطَّائِيُّ فِي نَحْوِ هَذَا :

(١) جمع فِيل . (٢) هو إسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب الخُزَيْمِيُّ [بالراء المهملة] كما ذكره

المؤلف في كتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع مدسة «ليدن» سنة ١٩١٢ م .

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قُنُوعٍ * تَعَوَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ^(١)
فَصِرْتُ أَذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ * بِهِ فَقَرُّ إِلَى فَهْمٍ جَلِيلٍ

كان يقال : إذا أردت أن تكون عالما فاقصد لقن من العلم ، وإذا أردت أن

تكون أدبيا نخذ من كل شيء أحسنه . قال إبراهيم بن المهدي :

قد يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رَوَاحِلَهُ * وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبٍ
مَعْ أَنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً * الرِّزْقُ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
وَخَلَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُخَالَفُنِي * الرِّزْقُ وَالنُّوْكَ مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ^(٢)
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمُقٍ * الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرَبِ

قال أنوشروان للموبذ : ما رأس الأشياء؟ قال : الطبيعة النقية تكتفي من الأدب

برائحته ، ومن العلم بالإشارة إليه ، وكما يذهب البدر في السِّبَاح ضائعا ، كذلك الحكمة
تموت بموت الطبيعة ، وكما تغلب السِّبَاح^(٣) طيب البدر إلى الغفن ، كذلك الحكمة
تفسد عند غير أهلها ؛ قال كسرى : قد صدقت وبحق قلدناك ما قلدناك .

قال بعض السلف^(٤) : يكون في آخر الزمان علماء يُزهدون في الدنيا ولا يُزهدون ،
وَيُرغبون في الآخرة ولا يُرغبون ، يَنهَوْنَ عن غَشِيَانِ الْوَلَاةِ ولا يَنْتَهَوْنَ ، يُقَرَّبُونَ

(١) كذا في الأصل الفتوغرافي ، وفي نسخة ديوان أبي تمام الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية

رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفي ديوانه المطبوع : « عن جهول » .

(٢) كذا في المحاسن والأضداد للمحافظ : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليدن) والسبب : الحبل .

وفي الأصل الفتوغرافي : « نسب » .

(٣) الموبذ بضم الميم وفتح الباء ومثله الموبذان : فقيه الفرس وحاكم الميوس .

(٤) السِّبَاح جمع سبخة محرّكة ومسكنة وهي الأرض ذات النَّزِّ والملح .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) « قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون... الخ » .

الأغنياء ويُباعدون الفقراء، وَيَنْقِضُونَ عند الحُقَرَاءِ، وينبسطون عند الكُبراء^(٢) :
أولئك الجبَّارون أعداء الرحمن^(٣) .

نافع عن ابن عمر قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ؛ وسنة ماضية ؛ ولا أدرى .

الْكُتُبُ والحفظ

حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني قريش بن أنس قال سمعت الخليل بن أحمد
يقول : اسلم من الوحدة ، قليل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ، فقال : ما أفسدها
للجاهل ! . قال بعض الشعراء في قوم يجمعون الكتب ولا يعلمون :

زوامل^(٤) للأسفار لا علم عندهم * بجيدها إلا كعلم الأبايع^(٥)
لعمرك ما يدرى المطي إذا غدا * بأحمالها أوراخ ما في الغرائر^(٥)

قال يحيى بن خالد : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن
ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون . قال الشعبي : لو أن رجلاً حفظ
ما نسيته كان عالمها . ووصف رجل رجلاً فقال : كان يغلط في علمه من وجوه
أربعة : يسمع غير ما يقال له ، ويحفظ غير ما يسمع ، ويكتب غير ما يحفظ ،
ويحدث بغير ما يكتب .

قال لأبي نواس : قد بعثوا إلى أبي عبيدة والأصمعي ليجمع بينهما ، فقال :
أما أبو عبيدة فإن أمكنوه من شقره^(٦) قرأ عليهم أساطير الأولين ؛ وأما الأصمعي فلبيل
في قفص يطربهم بنغماته .

(١) في العقد الفريد « ويبعدون » . (٢) في العقد الفريد « وينبسطون للكبراء وينقبضون
عن الحُقَرَاء » : (٣) في العقد الفريد « أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن » . (٤) زوامل جمع
زاملة وهي التي يحمل عليها من الإبل وغيرها . (٥) الغرائر جمع غرارة بالكسر وهي ما يحمل فيه التبن ونحوه .
(٦) الشقر كسر : الكذب ، وفي المثل : « جاء بالشقر والبقر » أي جاء بالكلام المغير عن وجه الصدق .

القرآن

حدّثني الزّياديّ قال : حدّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريريّ عن عبد الله ابن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون بيع المصاحف ويروّنه عظيماً ، وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم الغلمان شيئاً .

حدّثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهليّ عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليّ ^{رحمى الله عنه} قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ؛ ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ؛ ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الرّيحانة ريحها طيب وطعمها مرّ ؛ ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الخنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها .

وحدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية وليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُسافروا بالقرآن الى أرض العدو فإنّي أخاف أن يئانه العدو » .

حدّثني أبو سفيان الغنويّ قال حدّثنا عمير بن عمران العلاف قال : حدّثنا حريمة ابن أسد المرّي قال : كان سعيد بن المسيّب يستفتح القراءة ^(١) (بسم الله الرحمن الرحيم) ويقول : إنها أول شيء كتبت في المصحف ، وأول الكتب ، وأول ما كتب به سليمان بن داود الى المرأة ^(٢) .

(١) ورد في الأصل « أيّه » وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور من روى عنه « أبو إسحاق الفزاري » ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضاً فيتعين ما ورد في الأصل أن « أبا إسحاق » هو المقصود في هذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ، ج ١٠ ص ٢١٥) . (٢) هي بلقيس بكسر الباء والقاف : ملكة سبأ وقصتها معروفة .

وحدثني أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا رجل عن عمران بن حدير قال : قرأت على أعرابي آخر سورة « براءة » فقال : كان هذا من آخر ما نزل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقضى وعهوداً تُبَدُّ . قال : وقرأت عليه سورة الأحزاب فقال : كأنها ليست بآمة .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قال ابن مسعود : (حم) ديباج القرآن ، قال : وزاد فيه مسعر ، قال عبد الله : اذا وقعت في آل (حم) وقعت في روضات دُمثات أنا أنق فيهن .

حدثني شيخ لنا عن المحاربي قال : حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال : قرأ القرآن ثلاثة : رجل آتخذه بضاعة ينقله من مصر الى مصر ، يطلب به ما عند الناس ؛ وقوم حفظوا حروفه ، وضعوا حدوده ، وأستدروا به الولاء ، وأستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثرت الله هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرتهم الله — ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه ، فسهر ليلته وهملت عيناه ، تسربلوا الخشوع ، وأرتدوا بالحزن ، وركدوا في محاريبهم ، وجثوا في برانسهم ، فهم يسق الله الغيث ، ويُنزل النصر ، ويرفع البلاء ، والله لهذا الضرب

(١) هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي ، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣) . (٢) في النهاية لابن الأثير مادة « دمت » : إذا قرأت « آل حم الخ » . وفي مادة

« أنق » : اذا وقعت « في آل حم الخ » . (٣) دُمثات : سهلة لينة . (٤) بالمعجمة والنون آخره سين مهملة مصغرا كذا في تهذيب التهذيب والتقريب والخلاصة . وفي الأصل « خنيس » بالمعجمة

في آخره وظاهر أنه تحريف . (٥) كذا في الأصل بواو الجماعة والمقام يقضى الأفراد لقوله : « ورجل قرأ القرآن... الخ » ويؤيد هذا ماورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) ونصه : «... ورجل

قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليلته وهملت عيناه وتسربل الخشوع وأرتدى القوار واستشعر الحزن ووالله... الخ » . (٦) في الأصل : خثوا . (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو قلنسوة طويلة

كانت تلبس في صدر الإسلام ، وكل ثوب رأسه ملتزق به .

- في حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَقْلٌ مِنَ الْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرِ . رَوَى الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَبَرٌ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلُ هُوَ الَّذِي لَا تُزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَتَّبِعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ آتَبَنِي الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ وَالَّذِي كَرَّ الْحَكِيمُ وَالْعَصْرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ » ؛ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ .

الْحَارِثِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ عَنْ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعَرِّفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ نَامُوا ، وَيُحْزِنُهُ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَيَبْكَاةُ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ؛ وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ عَلِيًّا حَكِيمًا لَيْثًا مُسْتَكِينًا .^(٣)

وَكَيْعٌ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدِينِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ تَعْظِيمِ جَلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَإِكْرَامَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَإِكْرَامَ حَامِلِ الْقُرْآنِ » . قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (سَاصِرُفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أَحْرِمُهُمْ فَهَمَّ الْقُرْآنُ .^(٤)

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طعة بولاق) «على» . (٢) ورد في الأصل

«معول» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب .

(٣) في الأصل «سكينا» وما أثبتناه عن الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبناه إذا الناس يفرطون ، ويحزنه إذا الناس يفرحون ، ويبكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ؛ وبخشوعه إذا الناس يخجلون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا ماريًا

ولا صياحا ولا صغابا ولا حديدا» . (٤) ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كل ما يجيء في الأخبار «كُرِيز» يعني بضم الكاف إلا هذا اه تهذيب .

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَقْرَأُ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَنْقَذَهُمْ مِنْهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِيهَا ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : خُذْهَا مِنْ غَيْرِ فَقِيهِهِ .

الحديث

٥ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ الشَّهِيدِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَجَاءٍ يَجْعُ صِبْيَانَ الْكُتَّابِ فَيُحَدِّثُهُمْ كَيْلًا يَنْتَسِي حَدِيثَهُ . وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الشَّهِيدِيُّ ^(١) قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : قَالَ لِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَدَّثَنِي عَنْكَ بِحَدِيثٍ مَا بَالَيْتُ أَنْ أُرْوِيهِ عَنْكَ .

١٠ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : أَلْفٌ عَنْ أَلْفٍ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ عَنْ وَاحِدٍ إِنْ فَلَانَا عَنْ فَلَانٍ يَنْتَرِعُ السُّنَّةَ مِنْ أَيْدِيكُمْ .
حَدَّثَنِي الرِّيَاشِيُّ قَالَ : رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُعْتَمِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُنْقَذٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : وَيُحْيِي : رَحْمَةً .

١٥ حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ : رَوَى رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ ؛ قَالَ رَبِيعَةُ : ثُمَّ ذَا كَرْتُ سُهَيْلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ فَلَمْ يَحْفَظْهُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرْوِيهِ عَنِّي عَنْ نَفْسِهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ : كَانَ قَتَادَةُ إِذَا حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ الْجَدِّ ثُمَّ ذَهَبَ يَحْيِيءُ بِالثَّانِي غُدُوَّةً .

(١) هو إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ .

بَلَّغْنِي عَنْ أَبِي مَهْدِيٍّ قَالَ : سَأَلَ شُعْبَةُ : مَنْ الَّذِي يُتْرَكُ حَدِيثُهُ ؟ فَقَالَ : الَّذِي يُتَمُّ بِالْكَذِبِ ، وَمَنْ تَكَثَّرَ بِالْغَلَطِ ، وَمَنْ يُخْطِئُ فِي حَدِيثٍ يُجْمَعُ عَلَيْهِ فَلَا يَتَّبِعُهُمْ نَفْسَهُ وَيُقِيمُ عَلَى غَلَطِهِ ، وَرَجُلٌ رَوَى عَنْ الْمَعْرُوفِينَ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْمَعْرُوفُونَ .

وَعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ مِنْ أَرْبَعَةٍ : سَفِيهِ مَعْلَمٍ بِالسُّفْهِ ، وَصَاحِبِ هَوًى ، وَرَجُلٍ يَكْذِبُ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَتَّبِعُهُمْ فِي الْحَدِيثِ ، وَرَجُلٍ لَهُ فَضْلٌ وَتَعَقُّفٌ وَصَلَاحٌ لَا يَعْرِفُ مَا يُحَدِّثُ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ رَأَى سَفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ فَقَالَ :
 قَلْبُكَ سَفْيَانٌ بَاغِي سُنَّةٍ دَرَسْتَ * وَمُسْتَتَبِتٌ أَثَارَاتٍ وَأَثَارِ^(١)
 وَمُبْتَغِي قُرْبِ إِسْنَادٍ وَمَوْعِظَةٍ * وَأَفْقِيُونَ^(٢) مِنْ طَارٍ وَمِنْ طَارِ^(٣)
 أَمَسْتَ بِمَجَالِسِهِ وَخَشَا مُعْطَلَةً * مِنْ قَاطِنِينَ وَجُجَاجٍ وَعَمَّارِ^(٤)
 مَنْ لِلْحَدِيثِ عَنِ الزَّهْرِيِّ حِينَ تَوَى * أَوَّلَ أَحَادِيثِ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارِ^(٥)
 لَوْ يَسْمَعُونَ بَعْدَهُ مَنْ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّهْرِيُّ مِنْ أَهْلِ بَدْيٍ أَوْ بِإِحْضَارِ^(٦)
 لَا يَهْنَأُ الشَّامِتَ الْمَسْرُورَ مَضْرَعُهُ * مِنْ مَارْقِينَ وَمِنْ مُجَّادٍ أَقْدَارِ^(٧)

- (١) قَالَ ابْنُ خُلْكَانَ : كَانَ إِمَامًا عَالِمًا ثَبَاتًا زَاهِدًا وَرِعًا مَجْمَعًا عَلَى صِحَّةِ حَدِيثِهِ وَرَوَايَتِهِ ؛ تَوَفَّى آخِرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٩٨ هـ . (٢) الْمُسْتَتَبِتُ : الْفَقِيرُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الطَّالِبُ . (٣) جَمْعُ أَثَارَةٍ وَهِيَ الْبَقِيَّةُ مِنَ الْعِلْمِ تَوَثَّرَ . (٤) جَمْعُ أَثَرٍ وَهُوَ الْخَبَرُ . (٥) أَفْقِيُونَ جَمْعُ أَفْقٍ أَوْ أَفْقٍ (نِسْبَةٌ إِلَى الْإِفَاقِ أَوْ إِلَى الْأَفَقِ) . (٦) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْأَعْلَامِ النَّاصِبِينَ بِالْمَدِينَةِ رَأَى عَشْرَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْمَةِ ، مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَسَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَسَفْيَانُ الْبُورِي ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٤ هـ لِسَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ (رَاجِعْ بَنَ خُلْكَانَ) . (٧) هُوَ عَمْرُو بْنُ دِينَارِ الْمَكِّيِّ ، كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ إِتْقَانًا لِلْحَدِيثِ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ؛ تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٥ هـ أَوْ ١٢٦ هـ .

وَمِنْ زَنَادِقَةٍ ، جَهْمٌ يَقُودُهُمْ * قَوْدًا إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ
وَمُؤَلِّحِينَ وَمُرْتَابِينَ قَدْ خَلَطُوا * بِسُنَّةِ اللَّهِ أَهْتَارًا بِأَهْتَارِ^(٢)

وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه :

يَأْتِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَذِي التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ التَّقَى * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا محمد بن سوار قال حدثنا هشام بن حسان قال :
كان الحسن يُحدثنا اليوم بالحديث ويزده الغد ويزيد فيه وينقص إلا أن المعنى
واحد .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال :
قال حذيفة بن اليمان : إنا قومٌ عَرَبٌ فنقصم ونؤخر ونزيد وننقص ، ولا نريد
بذلك كذباً .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامي : لو كان هذا الحديث من الخبر نقص .
أبو أسامة قال : قال مسعر : من أبغضني بفعله الله محذنا . أبو معاوية قال :
سمعت الأعمش يقول : والله لأن أتصدق بكسرة أحب إلي من أن أتحدث
بستين حديثاً .

أبو أسامة قال : سمعت سُفْيَانَ يقول : لوددتُ أنها قُطِعَتْ من هامتي ، وأومأ
إلى المنكب ، وأنى لم أسمع منه شيئاً .

(١) هو جهنم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمد وقتله سالم
ابن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها
الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص : ٦٠) .

(٢) جمع هتر وهو السقط .

قال ابن عيينة : ما أحب لمن أحب أن يكون أحفظ الناس للحديث . قال بعضهم : إني لأسمع الحديث عطلا فأشفه وأقرطه وأقلده فيحسن ، وما زدت فيه معنى ، ولا نقصت منه معنى .

أبو أسامة قال : سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناده حديث فأخذ يحلقه وأسنده الى الحائط وقال : هذا إسناده .

وحدث ابن السكك بحديث فقال له رجل : ما إسناده ؟ فقال : هو من الرسائل عرفا . وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عن قال وما يصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته ، وقامت عليك محبته .

يعلى قال : قال الأعمش : إذا رأيت الشيخ لم يطلب الفقه أحببت أن أصفعه .

ابن عيينة قال : قال الأعمش : لولا تعلم هذه الأحاديث كنت ك بعض بقالي الكوفة .

ازدحم الناس يوماً على باب ابن عيينة أيام الموسم وبالقرب منه رجل من حاج نراسان قد حط بجملته فديس وكسر ما كان معه وأتته كعكه وسويقه ، فقام يسير إلى سفيان ويدعو ويقول : إني لا أحل لك ما صنعت ؛ فقال سفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا في السماع رحمك الله .

(١) أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي للعلاء بن المنهال الغنوي في شريك :

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي ، وكان عالماً فقيهاً فهما ذكيا فطنا . توفي سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال قالها في شريك أيضا في المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٢٧ و ٦٨) .

(١) لَيْتَ أَبَا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا * فَيُقَصِّرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكَ
وَيَتْرُكَ مِنْ تَذَرِيهِ عَلَيْنَا * إِذَا قُلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَا

وقال آخر :

تَحْزُزُ سُفْيَانٌ وَفَرَّ بِدِينِهِ * وَأَمْسَى شَرِيكَ مُرْصِدًا لِلدَّرَاهِمِ

وقال آخر في شهر بن حوشب :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرُ دِينِهِ بِخَرِيطةٍ * فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرْءَاءَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المال فسرق خريطة، ورافق رجلا من أهل الشام
فسرق عيته . وقال ابن مئاذر (٣) :

(١) هكذا وردت في الأصل ، وفي اللسان (ج ١ ص ٦٦) و(ج ٢٠ ص ٧١) ووردت في المجلد
الأول من هذا الكتاب (ص ٦٨) : « فليت » .

(٢) في الأصل : « تَذَرِيهِ » بالذال المعجمة والباء المحوطة وهو تحريف والتصويب عن اللسان
(ج ١ ص ٦٦ و(ج ٢٠ ص ٧١ و(ج ٦٦) وجاء في اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال ابن سيده : إنما أراد
من تذرته (أي من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأن موضوعها الياء وكسر الراء المجاورة
هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها في موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتخليها ، ولو قال : من
تذرته لكان صحيحا ، لأن قوله : تذرته مفاعلتن ؛ قال : ولا أدري لما فعل العلاء هذا مع تمام الوزن
وخلوص تذرته من هذا البديل الذي لا يجوز مثله إلا في الشعر ، اللهم إلا أن يكون العلاء هذا
لغته البديل » .

(٣) في شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : « وأبن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف ويضم فيصرف
قال الجوهري : هو محمد بن مناذر شاعر بصري فن فتح الميم منه لم يصرفه ويقول إنه جمع منذر لأنه محمد
ابن المنذر بن المنذر ومن ضمنه صرفه » اه . وقد ورد ما يؤكده أنه بالضم لا غير فقد جاء في معجم
البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة « ليدن ») مانصه : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر
الشاعر كان إذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب ويقول أنا مناذر الكبير أم مناذر الصغرى وهي كورتان من
كور الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد ورد
في المشتبه في أسماء الرجال للذهبي (ص ٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

ومن يَبِغِ الوَصَاةَ فَإِنَّ عِنْدِي * وَصَاةً لِلْكُهُولِ وَلِلشَّبَابِ
خُذُوا عَنْ مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي عَوْنٍ * وَلَا تَرَوْوْا أَحَادِيثَ ابْنِ دَابِ^(١)

- عبد العزيز بن أبان عن سُفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : طلبنا هذا الأمر
وما لنا فيه نِيَّةٌ ، ثم إنَّ النِّيَّةَ جاءت بعدُ ؛ فقال سُفيان : قال زيد بن أسلم : رأيتم
رجلا مَدَّ رِجْلَهُ فقال : اقطعوها سوف أَجْبُرُهَا . قيل لِرَقَبَةَ : ما أَكْثَرَ شَكَّكَ ! فقال :
محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل سُعْبَةُ أَيُّوبَ السَّخْتِيَّانِيَّ عن حديث فقال :
أنا أَشْكُ ، فيه فقال : شَكَّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَقِينٍ سَبْعَةَ .

حدَّثني زيد بن أنحزم قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الأعمش يَضُمُّ
كَفِّهَ ثم يَضْرِبُ بهما صَدْرَهُ ويقول : اسْكُنْ .

- حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : حدَّثني بَعْضُ الرُّوَاةِ قال : قلت للشرقي بن^(٢)
قُطَامَى : ما كانتِ العربُ تقول في صلاتها على موتائها ؟ فقال : لا أدري ، فَأَكْذِبُ
له ؛ فقلت : كانوا يقولون :

مَا كُنْتُ وَكَوَاكَا وَلَا بَزَوْنِكَ * رُوَيْدَكَ حَتَّى يَبْعَثَ الْحَقُّ بِإِئْتِهِ^(٣)

- وَكَوَاكَ : غليظ ، وزونك : قصير ؛ قال : فإذا أنا به يُحَدِّثُ به في المقصورة يومَ
الجمعة ؛ قال أبو نُوَاس :

(١) ابن داب الذي يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما في تهذيب التهذيب
(ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) في الأصل «للشرقي بن القطامي» وما أئتمناه عن المشتبه للذهبي وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب في مادة «زنك» هكذا :

ولست بـوكواك ولا بزونك * مكانك حتى يبعث الخلق يا

(١) حَدَّثَنِي الْأَزْرُقِيُّ الْمَحْدَثُ عَنْ * عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ
لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ غَيْرُ كَافِرِهِ * وَكَافِرٍ فِي الْجَحِيمِ مَصْفُودٍ

حَدَّثَنِي مِهْيَارُ قَالَ : حَدَّثَنِي هُدْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ أَنَّهُ أَطْرَى
يَوْمًا أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَرُوقٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ : لَا تُطْرِهِ بِمَرُوقٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَحْتَمِلُونَ
ذَلِكَ ؛ فَقَالَ شَقِيقٌ : قَدْ مَدَحَهُ مُسَاوِرُ الشَّاعِرِ فَقَالَ :

إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَالُوا * بَأَيْدٍ مِنَ الْفُتَيَّا ظَرِيفَةٍ
أَتَيْنَاهُمْ بِمُقْيَاسٍ صَحِيحٍ * تِلَادٍ مِنْ طِرَازِ أَبِي حَنِيفَةَ
إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَعَاهَا * وَأَثْبَتَهَا بِحَبْرٍ فِي صَحِيفِهِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَجَابَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا :

إِذَا ذُو الرَّأْيِ خَاصَمَ فِي قِيَاسٍ * وَجَاءَ بِدَعَاةٍ هَنَاءٍ بِخَفِيفِهِ
أَتَيْنَاهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِيهَا * وَأَثَارٍ مِهْرَةٍ شَرِيفِهِ
فَكَمْ مِنْ فَرْجٍ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أَحَلَّ حَرَامَهُ بِأَبِي حَنِيفِهِ
أَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بَنَتْ صُلْبٍ * تَكُونُ مِنَ الزَّانَا عُرْسًا صَحِيحِهِ

سَمِعَ رَجُلٌ مَنَادِيًا يُنَادِي : مَنْ يَدُلُّنَا عَلَى شَيْخٍ ضَلَّ ؟ فَقَالَ : مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ
شَيْخٌ يُنَادِي عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى بُشَيْرِ الْمُرِّيْسِيِّ فَقَالَ : هَذَا شَيْخٌ ضَالٌّ نَعُدُّ بِيَدِهِ ؛
وَكَانَ يُشْرِي بِقَوْلِ بَخْلَقِ الْقُرْآنِ :

الأهواء والكلام في الدين

قَالَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : بِمَ تَدْعُونَ هَذَا الْأَمْرَ ؟

قَالَ : بِقِرَابَةِ عَلِيِّ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِقِرَابَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ فَقَالَ

(١) لم نجد هذين البيتين في ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م (٢) كذا في الأصل بمعنى

« جاحده » ولعلها « خافره » لأن الخفر معناه نقض العهد والقدر به وهو ينق والسباق .

المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففي خَلَفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليه من عليٍّ ، وَمَنْ هو في القرابة مثله ؛ وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلّي في هذا الأمر حق وهما حيّان ؛ وإذا كان الأمر على ذلك ، فإن عليًّا قد آتَرَّهما جميعا وهما حيّان صحيحان ، وآستولى عليٌّ على ما لا يَحِبُّ له ؛ فما أحرار علي بن موسى نطقا .

حدّثنا الرياشي قال سمعت الأصمعيّ ينشد :

وإني لأغني الناس عن مُتَكَلِّمٍ * يرى الناس ضلّالا وليس بمُهتدى

وأنشدني أيضا الرياشي :

وعاجزُ الرأى مضيا عُرْفُصْتِهِ * حتى إذا فات أمرُ عاتب القَدرا

وقال آخر :

إذا عيروا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ * وما العارُ إلا ما تَجَرُّ المقاديرُ

وأنشدني سهل عن الأصمعيّ :

يا أيها المضميرُ همّا لا تُهَمُّ * إنك إن تُقدِّرْ لك الحمى تُحَمِّ

ولو غَدَوْتَ شَاهِقًا من العلم * كيف تَوَقَّيك وقد جَفَّ القَلَمُ

وأنشدني غيره :

هي المقاديرُ فلمْني أو فَدَّرْ * إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

قال أبو يوسف : مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام تَرَنَّدَق ، وَمَنْ طَلَبَ المالَ بالكَيْمِيَاءِ

أَفْلَسَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الحديث كَذَبَ . كان مُسْلِمُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ — وهو

(١) ما أحرار نطقا : ما ردّ جوابا .

(٢) العلم : الجليل ، والشاهق : ما أرتفع منه .

مَوَّلٍ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ حُمِلَ عَنْهُ الْحَدِيثُ ^(١) — شَدِيدًا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ ^(٢)، عَائِبًا لَهُمْ وَلَكَلَّاهُمْ، فَأَنْكَسَرَتْ رِجْلُهُ فَتَرَكَهَا وَلَمْ يَجْبُرْهَا، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: يَكْسِرُهَا هُوَ وَأَجْبُرُهَا أَنَا! لَقَدْ عَانَدْتَهُ إِذَا . قَالَ رَجُلٌ لِهَشَامِ بْنِ الْحَكَمِ: أَتَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَعَدْلِهِ كَلَفْنَا مَا لَا نُنْطِيقُ ثُمَّ يُعَذِّبُنَا؟ فَقَالَ هِشَامُ: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلَ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ .

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ: صَاحَبَ رَجُلٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ مَجُوسِيًّا فِي سَفَرٍ فَقَالَ لَهُ الْقَدَرِيُّ: يَا مَجُوسِي، مَا لَكَ لَا تُسَلِّمُ؟ قَالَ: حَتَّى يَسْأَلَ اللَّهَ! قَالَ: قَدْ سَأَلَ اللَّهَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْعُكَ، قَالَ الْمَجُوسِيُّ: فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا .

اجْتَمَعَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَعَمْرُو بْنُ عُيَيْدٍ فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ وَعَدًا وَأَوْعَدَ إِبَاعَادًا وَإِنَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَهُ وَوَعِيدَهُ . فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو: أَنْتَ أَعْجَمُ! لَا أَقُولُ إِنَّكَ أَعْجَمُ اللِّسَانِ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمُ الْقَلْبِ! أَمَا تَعْلَمُ، وَيَحْكُ! أَنَّ الْعَرَبَ تَعُدُّ إِنْجَازَ الْوَعْدِ مَكْرُمَةً، وَتَرْكُ إِيْقَاعِ الْوَعْدِ مَكْرُمَةً؟ ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

وَيَايَ وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * لِحُخْلُفٍ إِبَاعَادِي وَمُنْجِزٍ مَوْعِدِي ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ: «تَشْدِيدًا» . (٢) الْقَدَرِيَّةُ — مُحَرَّكَةٌ — جَا حِدَوِ الْقَدْرِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْلَدَةٌ . قَالَ بَعْضُ مُتَكَلِّمِيهِمْ: لَا يَلِزُنَا هَذَا الْقَلْبُ لِأَنَّا نَنْفِي الْقَدْرَ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ أَثْبَتِهِ فَهُوَ أَوَّلُ بِهِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهَذَا تَمْوِيهِ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَثْبُتُونَ الْقَدْرَ لِأَنَّهُمْ يَثْبُتُونَ الْقَدْرَ (ج ١ ص ٢٥٥) «إِنْ أَدْنَى اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ كَانَ» وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي حَدِيثٍ جَرَى بَيْنَ عَمْرٍو بْنِ عَيْدٍ وَبَيْنَ مَجُوسِي رَكِبَ مَعَهُ سَفِينَةً بِصِغَةِ تَخَالَفٍ بَعْضُ الْمَخَالَفَةِ مَا هُنَا وَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (رَاجِعْ ص ٥١ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ رَقْم ٣٥٢ تَوْحِيدَ بَدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ) .

(٤) عِبَارَةٌ كِتَابِ الْمَنِيَّةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ (ص ٤٧ طَبْعَةُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ بِمِحْدَرِ آبَادٍ) وَرَوَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ [الْجَلْبَانِيُّ] نَظَرَ بَعْضَهُمْ فِي الْإِرْجَاءِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالزَّيْبِرَ حَاضِرَانِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ لَقِيَ عَمْرُو بْنَ عَيْدٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَثْمَانَ، إِنَّكَ أَعْجَمِي، وَلَسْتُ بِأَعْجَمِي اللِّسَانِ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمِي الْفَهْمَ، إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا وَعَدَتْ أَنْ تُجِزَ وَإِذَا أَوْعَدَتْ أَخْلَفَتْ؛ وَأَنْشَدَ =:

حبيب بن الشهيد قال : قال إياس بن معاوية ^(١) : ما كلمتُ أحداً بعقلي كله إلا صاحبَ القدر ^(٢) ؛ قلت : ما الظلمُ في كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخذ الرجل ما ليس له ؛ قلت : فإن الله له كل شيء .

وفي كتاب للهند : اليقينُ بالقدر لا يمنعُ الحازمَ توقُّفَ المهالك ، وليس على أحدٍ النظرُ في القدرِ المغيَّب ، ولكن عليه العمل بالحزم ، ونحنُ نجمعُ تصديقاً بالقدر وأخذاً بالحزم .

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شبابة بن سوار قال : سمعتُ رجلاً من الرافضة يقول : رحمَ الله أبا لؤلؤة ! فقلت : تترحم على رجلٍ مجوسٍ قتلَ عمرَ ابن الخطَّاب رضي الله عنه ! فقال : كانت طعنته لعمر إسلامه .

١٠ = وإني وإن أوعده الخ البيت ، فقال أبو علي : إن أبا عثمان أجابه بالمسكت ، قال له : إن الشاعر قد يكذب ويصدق ، ولكن حدثني عن قول الله تعالى عز وجل : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) إن ملأها أفتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأها أفتقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة : (١) هو الذي يضرب به المثل في الذكاء ، توفي رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة العقد الفريد : « كُتِبَ الفرقُ كلها ببعض عقلٍ ، وكُتِبَ القَدَرُ بعقلٍ كله ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ، قلت : فإن الأمر كله لله »

١٥

(٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيرَي جدِّي . فتركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على وإلى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا نصرُك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلمَّا جدَّك علي بن أبي طالب . فقال زيد : إني لا أقول فيهما إلا خيراً ، وما سمعتُ أبي يقول فيهما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدِّي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والثار ، فعارفوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

٢٠

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا الأصمعي قال أخبرني عاصم بن محمد
العمري قال: كنت جالساً عند أمير من أمراء المدينة فأتني رجل شتم أبا بكر وعمر
فأسلمه حجاباً حتى حدق .

وقال بعض شعراء الرافضة في محمد بن الحنفية ^(١) :

ألا قل للوصي فدتك نفسي * أطلت بذلك الجبل المقام ^(٢)
أضر بمعشير والوك منّا * وسموك الخليفة والإماما ^(٣)
وعادوا فيك أهل الأرض طراً * مقامك عنهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما
لند أسمى بؤرق شعب رضوى ^(٥) * تراجع الملائكة الكلاما ^(٦)

وقال كثير عزة فيه وكان رافضياً يقول بالرجعة :

ألا إن الأئمة من قريش * ولأه الحق أربعة سواء
على الثلاثة من بنيهِ * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسيبسط سيوط إيمان وير * وسيبسط غيبتة كربلاء

(١) هو السيد الجبري . كما ذكر صاحب الأغاني (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو

أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والحنفية أمه ، وهي خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل
بل كانت من سبي الإمامة وصارت الى علي ، وقيل بل كانت سندية سوداء . وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن
منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ؛ توفي رحمه الله في أول المحرم سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن
بالقيع ، وقيل دفن ببلاد أيلة . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية
يزعمون أنه حتى لم يمت وأنه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه ، وعن
يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائهم الى وقت خروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفي الأصل : « واروك » .

(٥) كذا في الأصل ، ومثله في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) وفي الفرق بين الفرق : « يجرى » .

(٦) في الأصل « الكراما » وما أثبتناه عن الأغاني .

وَسَبْطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى * يَقُودَ الْحَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
تَغِيَّبُ - لَا يُرَى - عَنْهُمْ زَمَانًا * بَرَضَوَى عِنْدَهُ تَحَسَّلُ وَمَاءُ

وهم يذكرون أنه دخل شعباً باليمن في أربعين من أصحابه فلم يرهم أثر.

قال طلحة بن مصرف لرجل : لولا أنى على وضوءٍ لأخبرتُك بما تقول الشيعة .

قال هارون بن سعد العجليّ وكان رأس الزيدية :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا * فَكُلُّهُمْ فِي جَعْفَرٍ قَالَ مُنْكَرًا
فَطَائِفَةٌ قَالُوا إِلَهُ وَمِنْهُمْ * طَوَائِفُ سَمَّيْتُهُ النَّبِيَّ الْمُطَهَّرَا
فَإِنْ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعْفَرًا * فَإِنِّي إِلَى رَبِّي أَفَارِقُ جَعْفَرَا
وَمَنْ عَجِبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَعْفَرِهِمْ * بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مَنْ تَجَفَّرَا
بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ * بِصِيرِي بَابَ الْكُفْرِ، فِي الدِّينِ أَعُورَا
إِذَا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ بِدْعَةِ مَضَى * عَلَيْهَا وَإِنْ يَمْضُوا عَلَى الْحَقِّ قَصْرَا
وَلَوْ قَالَ إِنَّ الْفِيلَ ضَبُّ لَصَدَّقُوا * وَلَوْ قَالَ زَنْجِيٌّ تَحَوَّلَ أَحْمَرَا
وَأَخْلَفَ مَنْ بَوَّلَ الْبَعِيرَ فَإِنَّهُ * إِذَا هُوَ لِلْإِقْبَالِ وَجْهٌ أَدْبَرَا
فَقُبِّحَ أَقْوَامٌ رَمَوْهُ بِفَرِيَةٍ * كَمَا قَالَ فِي عَيْسَى الْفَرَى مَنْ تَتَصَّرَا

- ١٥ (١) في الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بما جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٣٦) طبع ليبسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبي زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بأهلية جعفر بن محمد وآهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه .»
(٢) في كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرًا الصادق قد أودعهم جلدًا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب وسموا ذلك الجلد جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» اهـ .

(٣) في الأصل «قول» ولعله تحريف من التامخ .

(٤) وفي الأصل «بقريّة» وهو تحريف .

سمعت بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشعر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بكذب من بني تميم ! زعموا أن قول القائل :
بَيْتٌ، زُرَّارَةٌ مُحْتَبٌ بِفَنَائِهِ * وَمُجَاشَعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ

إنما هو في رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرَّارَةُ
الحجر ؛ قيل له : فمُجَاشَعٌ ؟ قال : زمزم جشعت بالماء ؛ قيل له : فأبو الفوارس ؟
قال : أبو قُبَيْسٍ ؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشد ، وفكر ساعة ثم قال : نعم ،
نهشل ! مصباح الكعبة طويل أسود فذاك نهشل ! .

قال أعشى همدان يذكر قتل الرافضة الناس :

إِذَا سِرْتَ فِي عَجَلٍ فِيسِرٍ فِي صَحَابَةٍ * وَكُنْدَةٍ فَاحْذَرُهَا حَذَارَكَ لِلْحَسَفِ
وَفِي شَيْعَةِ الْأَعْمَى زِيَادٌ وَغِيلَةٌ * وَلَسْبُ وَإِعْمَالُ لِحْنَدَلَةَ الْقَذْفِ

الأعمى هو المغيرة . وزِيَادٌ يعني الخنق . وَاللَّسْبُ : السِّمُّ ؛ وَإِعْمَالُ لِحْنَدَلَةَ القذف :
يريد رخصهم رؤوس الناس بالمجارة . ثم قال :

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف في كثير من الألفاظ
نبتنا هنا لوضوحها ، ونصها : « قال الشعبي » : ما شبهت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل
مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال للشعبي : ما عندك في تأويل هذا
البيت ؟ فإن بني تميم يفلطون فيه يزعمون أنه مما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :

بَيْتًا زُرَّارَةً نَحْبَتُ بِفَنَائِهِ * وَمُجَاشَعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ

(وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت ، وأشار بيده إلى الكعبة .
وزرارة : الحجر زور حول البيت ؛ فقلت له : فمُجَاشَعٌ ؟ قال : زمزم جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟
قال : هو أبو قُبَيْسٍ جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة
طويل أسود وهو النهشل . (٢) الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما ؛
مع ظهره ويشده عليها . (٣) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل « الحجبي » وهو تحريف .

(٤) في آداب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٩) « خناق » . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه
فذهب به إلى موضع فقتله .

وكلهم شر على أن^(١) رأسهم * حميدة^(٢) والميلاء^(٣) حاضنة الكسف
والكسف هذا هو أبو منصور، سمي بذلك لأنه قال لأصحابه: في نزل: ﴿وَإِنْ
يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ وكان يدين بخلق الناس وقتلهم . ثم قال :
«مَتَى كُنْتَ فِي حَيٍّ بِجَبَلَةٍ فَاسْتَبِعْ» * فإن لهم قصفا يدل على خف
كان المغيرة بجلياً مولى لهم
إذا آعترموا يوماً على قتل زائر * تداعوا عليه بالنباح والعزف^(٥)
وكان ابن عيينة يُنشد :

إذا ما سرك العيش * فلا تأخذ على كنده^(٦)

يريد أن الخناقين من المنصورية أكثرهم بالكوفة من كندة، منهم أبو قطة^(٧)

الخناق .

١٠

(١) في الأصل «رأس» وما أثبتناه عن كتاب الحيوان للمحافظ (ج ٦ ص ١٣٠) . (٢) حميدة
بانت من أصحاب ليلى الناعطة ولها رئاسة في الغالية (الفرقة الرابعة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين
غلا في حق أئمتهم حتى أخرجهم من حدود الخلقية وحكوا فيهم بأحكام الإلهية . (راجع الملل والنحل
ص ١٣٢ طبع ليبسج، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠ ، ومفاتيح العلوم للخوازمي ص ٣٠ طبع أوربا) .
(٣) الميلاء حاضنة أبي منصور العجلي صاحب المنصورية الذين استحلوا خنثى مخالفيهم . (٤) هو
أبو منصور العجلي أحد الذين آدعوا الإمامة ، وزعم أنه عرج به إلى السماء ورأى معبوده فشح بيده رأسه
وقال له : يا بني ، انزل فبلغ عني ؛ ثم أهبطه إلى الأرض ، فهو الكسف الساقط من السماء . وقد وقف
يوسف بن عمر الثقفي إلى العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه (راجع
الملل والنحل ص ١٣٦) . (٥) قال صاحب كتاب الحيوان : (ج ٦ ص ١٣٠) : «وذلك أن الخناقين
لا يسرون إلا معاً ولا يقيمون في الأمصار إلا كذلك ، فإذا عزم أهل دار على خنثى إنسان كانت السلامة
بينهم الضرب على دُف أو طبل على ما يكون في دور الناس ، وعندهم كلاب مرتبطة ، فإذا تجاوبوا بالعزف
ليختنى الصوت ضربوا تلك الكلاب فنبحت ، وربما كانت منهم معلم يؤدب في الدرب ، فإذا سمع تلك
الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب » اهـ . (٦) في كتاب الحيوان «تمرر» .
(٧) كانت دار أبي قطة الخناق بالكوفة في كندة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩) .

حدَّثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن أبي زائدة قال: قال هشام بن القاسم: ^(١) أخذ خالد بن عبد الله المغيرة فقتله وصلبه بواسط عند منطرة العاشر، فقال الشاعر: ^(٢) طال التجاور من بيان واقفا * ^(٣) ومن المغيرة عند جذع العاشر ^(٤) ياليتني قد شال جذعا نخلة * ^(٥) بأبي حنيفة وأبن قيس الناصر ^(٦) وبيان هذا هو بيان التبان وكان يقول: إلى أشار الله إذ يقول: ﴿هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ﴾ وهو أول من قال بخلق القرآن .

(١) في الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبري ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم الثاني طبع مدينة لندن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لأبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة لندن سنة ١٨٧٠ م، والكامل للبردج ١ ص ٢٠ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م) .

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف في سنتين .

(٣) المنطرة: الموضع الذي ينظر منه وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق وغيره؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دَخَنَ أهل قزوين دَخَتِ المناظر إن كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليبسج) .

(٤) هو بيان بن سيمان التيمي الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه وأنه يقف كنهه إلا وجهه، وتأول على زعمه قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) وقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) وكان يزعم أنه يعرف الأسم الأعظم، وأنه يهزم به العساكر؛ وأنه يدعو به الزهرة فنجيه، رفع خبره إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فأحتال عليه حتى ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: ان كنت تهزم الجيوش بالأسم الذي تعرفه فأهزم به أعوانك عنك (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لأبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة لندن سنة ١٨٧٠ م) .

(٥) هو المغيرة بن سعيد العجلي زعم أنه هو المهدي المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة، وأن أعضائه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبد الله القسري بخبره وضلالاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والملل والنحل ص ١٣٤ والكامل لأبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة لندن سنة ١٨٧٠ م) .

(٦) التبان: بائع التبن .

وأما المغيرة فكان مَوْلًى لَبِجِيَّةً وكان سَبَائِيًّا وصاحبَ نِزْنَجَاتٍ ^(٢) . قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان عليٌّ يُحْيِي المَوْتَى ؟ فقال : لو شاءَ لَأَحْيَا عَادًا وَمَوْدَ وَقُرُونًا بين ذلك [كثيرًا] ^(٣) .

بَلَّغَنِي عن أَبِي عاصِمٍ عن إِسْمَاعِيلَ بنِ مُسْلِمٍ المَكِّيِّ قال : كُنْتُ بالكُوفَةِ فإذا قومٌ من حِيرَانِي يُكْثِرُونَ الدخُولَ على رجلٍ ، فقلتُ مَنْ هذا الذي تَدْخُلُونَ عليه ؟ فقالوا : هذا عليٌّ بنُ أَبِي طالبٍ ، فقلتُ : أَدْخِلُونِي معكم فمَضَيْتُ معهم وَخَبَأْتُ معي سَوْطًا تحتَ ثِيَابِي فدخلْتُ فإذا شيخٌ أَصْلَعٌ يَطِينُ ، فقلتُ له : أنت عليٌّ بنُ أَبِي طالبٍ ؟ فَأَوْمَأَ برأسه : أَيْ نَعَمْ ، فَأَخْرَجْتُ السَّوْطَ فما زِلْتُ أَقْنَعُهُ وهو يقول : لتأوى لتأوى ، فقلتُ لهم : يَا فَسَقَةَ ! عليٌّ بنُ أَبِي طالبٍ نَبَطِيٌّ ! ثم قلتُ له : وَيْلَكَ ! مَا قِصَّتُكَ ؟

(١) في الأصل « سبائيا » [ياءين موحدين بينهما ألف] وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص ٣١ طبع أوروبا) « السبائية » وهذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة « سبأ » وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذي غلا في علي رضي الله عنه ، وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة ، وذهب بعضهم في علي مذهب النصارى في المسيح ، وفيهم يقول السيد الحنبري :

١٥ قوم غلوا في علي لا أباهم * وأجشموا أنفسهم في حبه تعباً
قالوا هو الإبن جل الله خالقنا * من أن يكون له أبن أو يكون أباً
رفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك :
لترم بي الحوادث حيث شاءت * إذا لم ترم بي في الحفرتين

ثم إن علياً رضي الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شتاة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى
٢٠ ابن سبأ إلى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والملل والنحل ص ١٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) . (٢) النيزنجات : أخذ كالسحر ليست بحقيقته إنما هي تشبيه وتليس (معربة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنع رأسه بالسوط : غلاه به .

(٥) النبطي نسبة إلى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أنا رجلٌ من أهل السَّوَادِ أَخَذَنِي هَؤُلَاءِ فَقَالُوا : أَنْتَ عَلَى
ابن أبي طالب .

حدثني رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى بَعْضِ [الْوَلَاةِ] ^(٣)
العباسيين فقال لرجل للعباسي : أنا أَقْرَرُ هِشَامًا بِأَنْ عَلِيًّا كَانَ ظَالِمًا ، فقال له : إِنْ
فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلكَ كَذَا ، فقال له : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا نَازِعَ الْعَبَّاسِ إِلَى
أَبِي بَكْرٍ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فَأَيُّهُمَا كَانَ الظَّالِمَ لِصَاحِبِهِ ؟ فَتَوَقَّفَ هِشَامٌ وَقَالَ : إِنْ
قُلْتُ الْعَبَّاسَ خِفْتُ الْعَبَّاسِيَّ ، وَإِنْ قُلْتُ عَلِيًّا نَاقَضْتُ قَوْلِي ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَكُنْ ^(٤)
فِيهِمَا ظَالِمٌ ، قال : فَيَخْتَصِمُ أَتَانِ فِي أَمْرٍ وَهُمَا مُحِقَّانِ جَمِيعًا ؟ قال : نَعَمْ ، أَخْتَصِمُ
الْمَلِكُ إِلَى دَاوُدَ وَلَيْسَ فِيهِمَا ظَالِمٌ إِنَّمَا أَرَادَا أَنْ يُنَبِّهَاهُ عَلَى ظُلْمِهِ ، كَذَلِكَ أَخْتَصِمُ ^(٥)
هَذَانِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِيُعَرِّفَاهُ ظُلْمَهُ [فَأَسَكَتَ الرَّجُلَ وَأَمَرَ الْخَلِيفَةَ لَهُشَامَ بِصَلَاةٍ] ^(٦) . ١٠

قال حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ * نَضَرَهُمْ رَبُّهُمْ إِذَا تُشِرُوا ^(٧)
عَاشُوا بِلا فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ * وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَاتِ إِذَا قُفِرُوا ^(٨)
فَلَيْسَ مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ بَصَرٌ * يُنْكِرُ مَنْ فَضَّلَهُمْ إِذَا ذُكِرُوا

(١) السَّوَادُ : قَرَى الْعِرَاقَ . (٢) وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ بِاخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ ١٥
لَا يَخْرُجُهُ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ هُنَا (رَاجِعْ ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ
(ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ « الْخَلِيفَةُ » . (٥) الْمَلِكُ هُمَا الْمَلِكُانِ بِعَيْنِهِمَا اللَّهُ
تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَةِ إِنْسَانَيْنِ ؛ وَهَذِهِ الْقِصَّةُ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ «ص»
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً . الْآيَةُ) وَشَرَحَهَا الْمَفْسُورُونَ . (٦) الزِّيَادَةُ عَنِ
الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نَضَرَهُمْ رَبُّهُمْ : نَعَمَهُمْ وَحَسَنَهُمْ . (٨) هَذِهِ الْآيَاتُ ٢٠
لَمْ تَرُدْ فِي دِيَوَانِهِ الْمَطْبُوعِ بِمَدِينَةِ لَيْدَنَ سَنَةِ ١٩١٠ م وَلَا فِي دِيَوَانِهِ الْمَخْطُوطِ الْمَحْفُوظِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ
تَحْتَ رَقْمِ ٦ أَدَبِ ش وَلَا فِي تَرْجُمَتِهِ بِالْأَغَانِي (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طَبْعُ بُولَاق) وَلَا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ الَّتِي
تَحْتَ أَيْدِينَا .

وقال أعرابي لعبد الله بن عمر :

إليك ابن خير الناس إلّا محمداً * وإلا أبا بكرٍ نروحُ ونفتدي

وقال أبو طالب في سهيل بن بيضاء ، وكان أسيراً فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، لأنه كان مسلماً مكرهاً على الخروج :

وهم رجعوا سهيل بن بيضاء راضياً * وسراً أبو بكرٍ بها ومحمد

وقال عبيد الله بن عمر :

أنا عبيد الله يميني عمر * خير قرين من مضى ومن غبر
بعد رسول الله والشيخ الأغر * مهلاً عبيد الله في ذاك نظر

وقال حسان بن ثابت يري أبا بكرٍ رضى الله عنه :

إذا تذكّرت سجعوا من أحيى ثقة * فاذكركم أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خير البرية أنقاها وأعدّها * بعد النبي وأوفّاها بما حملا
والثاني الصادق الممودّ مشهده * وأول الناس منهم صدق الرّسلا^(١)
وكان حب رسول الله قد علّموا * من البرية لم يعدل به رجلا^(٢)

حدثني ميمار الرازي قال : قال جرير بن ثعلبة : حصرت شيطانا مرة فقال :

أرفق بي فإني من الشيعة ، فقلت : فمن تعرف من الشيعة ؟ قال : الأعمش ،
نخلت سبيله . قال أبو هريرة العجلي لمحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام :
أبا جعفر أنت الوليُّ أحبه * وأرضى بما ترضى به وأتابع
أثننا رجالٌ يحملون عليكم * أحاديث قد ضاقت بهن الأضالع
أحاديث أفشاها المغيرة فيهم * وشر الأمور المحدثات البدائع

(١) ورد في الأصل « الثاني التالي ... الخ » وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيهما بدله هذا البيت :

عاش حمداً لأمر الله متبعا * بهدى صاحبه الماضي وما انتقلا

حدثني هارون بن موسى عن الحسن بن موسى الأشيب عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التقل . قال :

ما ضرَّ من أصبح المأمون سائسَهُ * إن لم يسسه أبو بكر ولا عمر

الردة على الملحدين

قال بعض الملحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دليل على حدوث العالم^(١) ؟ [قال : الحركة والسكون^(٢)] فقال : الحركة والسكون من العالم ، فكأنك إذا قلت : الدليل على حدوث العالم العالم ؛ فقال له : وسؤالك إياي من العالم ، فإذا جئت بمسئلة من غير العالم جئتك بدليل من غير العالم .

قال المأمون لثنوي يناظر عنده : أسألك عن حرفين قط ، خبرني : هل ندم^(٤) مسيء قط على إساءته ؟ قال : بلى ؛ قال : فالندم على الإساءة إساءة أو إحسان ؟ قال : بل إحسان ؛ قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : بل هو الذي أساء ؛ قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم ، إن الذي ينظر نظر الوعيد هو الذي ينظر نظر الرحمة ؛ قال : فإني أزعم أن الذي أساء غير الذي ندم ؛ قال : فنديم على شيء كان من غيره أو على شيء كان منه ؟ فأسكته .

(١) في الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضيا السياق .

(٣) الثنوي واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأتليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) . (٤) كذا في الأصل . وفي الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٤١) « فقط » وعبرة العقد الفريد

(ج ١ ص ٢٥٥) « عن حرفين لا أزيد عليهما » .

- (١) دخل الموبدُّ على هشام بن الحكم فقال له : يا هشام ، حول الدنيا شيءٌ ؟
قال : لا ، قال : فإن أخرجت يدَيَّ شيءٌ يردُّها ؟ قال هشام : ليس ثمَّ شيءٌ
يردُّك ، ولا شيءٌ تُخرج يدك فيه ؛ قال : فكيف أعرف هذا ؟ قال له : يا موبدُّ ؛
أنا وأنت على طرف الدنيا فقلتُ لك يا موبدُّ : إني لا أرى شيئاً ، فقلتُ لى :
ولم لا ترى ، فقلتُ لك : ليس هاهنا ظلامٌ يمنعني ، قلتُ لى أنت : يا هشام
إني لا أرى شيئاً ، فقلتُ لك : ولم لا ترى ؟ قلتُ : ليس ضياءٌ أنظر به ؛ فهل
تكافأت الملتان في التناقض ؟ قال : نعم ، قال : فإذا تكافأتا في التناقض لم تتكافأ
في الإبطال أن ليس شيءٌ ؟ فأشار الموبدُّ بيده أن أصبت . ودخل عليه يوما آخر
فقال : هما في القوَّة سواء ؟ قال : نعم ؛ قال : بخوهرهما واحد ؟ قال الموبدُّ لنفسه
— ومن حضر يسمع — إن قلتُ : إنَّ جوهرهما واحد عاذا في نعتٍ واحد ، وإن
قلتُ : مُختلفٌ آخِلفاً أيضاً في الهمم والإرادات ولم يتفقا في الخلق ، فإن أراد
هذا قصيراً أراد هذا طويلاً ؛ قال هشام : فكيف لا تُسلم ! قال : هيئات !

- (١) الموبدُّ : فقيهُ القُرْس وحاكمُ المحبوس كقاضى القضاة للسلبين . (٢) فى الأصل :
« هشام بن عبد الحكم » بزيادة « عبد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « المشامية »
كان من مشايخ الرافضة . زعم أن معبوده جسم ذو حدٍّ ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل
عرضه مثل عمقه ، ولم يُثبت طولاً غير الطويل ولا عرضاً غير العريض ؛ وقال : ليس ذهابه في جهة الطول
أزيد على ذهابه في جهة العرض . وزعم أيضاً أنه نور ساطع يتلأل كالسبيكة الصافية من الفضة واللوثة
المستديرة من جميع جوانبها . وزعم أيضاً أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسَّة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو
رائحته ، ورائحته هي مجسَّته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرك فحدث مكانه
بحركته فصار فيه ، ومكانه هو العرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٥١ والمثل والنحل
ص ١٤١ — ١٤٢ وكتاب الانتصار في الرد على ابن الروندى للخياط المعزلى ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧)
طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، ومفاتيح العلوم للخوازمي ص ٢٧)

وجاء رجلٌ مُلحدٌ فقال له : أنا أقول بالآتين وقد عرفتُ إنصافك فلستُ أخاف
مُشاغبتك ؛ فقال هشامٌ وهو مشغولٌ بثوبٍ ينشره ولم يُقِيلْ عليه : حَفِظَكَ اللهُ ، هل
يَقْدِرُ أحدهما أن يَخْلُقَ شيئاً لا يَسْتَعِينُ بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ؛ قال هشام :
فما تَرْجُو من آتين ! واحدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَصَحُّ لك ! فقال : لم يَكُنْني بهذا أَحَدٌ قَبْلَكَ .

قال المأمون مُرتدًّا إلى النصرانية : خَبَرْنَا عن الشيء الذي أَوْحَشَكَ من ديننا بعد
أَنْسِكَ به وأَسْتِيحَاشِكَ مما كُنْتَ عليه ؛ فإن وجدتَ عندنا دَوَاءَ دَائِكَ تعالجتَ به ،
وإن أَخْطَأَ بك الشِّفَاءُ وَنَبَأَ عن دَائِكَ الدَّوَاءُ كُنْتَ قد أَعْذَرْتَ ولم تَرْجِعْ على نفسك
بِلائِمَةٍ ، وإن قَتَلْنَاكَ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ ، وتَرْجِعُ أنت في نفسك إلى الاستبصار
وَالثَّقَةِ وتَعْلَمُ أَنَّكَ لم تُقْصِرْ في أَجْتِهَادٍ ولم تُفَرِّطْ في الدخول من باب الحزم ؛ قال المُرتدُّ :

أَوْحَشَنِي ما رَأَيْتُ من كثرةِ الْاِخْتِلَافِ فيكُمْ ؛ قال المأمون : لنا اِخْتِلَافَانِ : أحدهما
كَالاِخْتِلَافِ في الْأَذَانِ ، والتكبير في الجَنَائِزِ ، والتَشَهُّدِ ، وصلاةِ الْاَعْيَادِ ، وتكبير
التَّشْرِيقِ ، ووجوهُ الْقِرَاءَاتِ ، ووجوهُ الْفُتْيَا ، وهذا ليس باِخْتِلَافٍ ، إنما هو تَحْيِيرٌ
وَسَعَةٌ وَتَخْفِيفٌ من الْمِحْنَةِ ، فَمَنْ أَذَّنَ مَثْنًى وَأَقَامَ مَثْنًى لم يُحْطِْ من أَذَّنَ مَثْنًى وَأَقَامَ
فُرَادًى ، وَلَا يَتَعَايَرُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَعَايَبُونَ ، وَالْاِخْتِلَافُ الْآخَرُ كُنْجُو اِخْتِلَافِنَا في تَأْوِيلِ
الْآيَةِ من كِتَابِنَا ، وتَأْوِيلِ الْحَدِيثِ مع أَجْتِمَاعِنَا على أَصْلِ التَّنْزِيلِ وَاتِّفَاقِنَا على عَيْنِ
الْخَبَرِ ، فإن كَانَ الذي أَوْحَشَكَ هذا حَتَّى أَنْكَرْتَ هذا الْكِتَابَ ، فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
الْلَفْظُ بِمَجْمَعِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا على تَأْوِيلِهِ كما يَكُونُ مُتَّفَقًا على تَنْزِيلِهِ ، وَلَا يَكُونُ

(١) ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم .

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون للرتد الخراساني الذي أسلم على يديه وحمله

معه الى العراق فارتد عن الإسلام : أخبرني... الخ » وقد ورد فيه هذا الخبر بزيادة عن الأصل مع

اختلاف في العبارة . (٣) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد : «السة» .

بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات ؛ وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها ؛ ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثته رساله لا يحتاج إلى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دُفع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والحنه ، وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا . قال المرتد :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن المسيح عبد ، وأن محمدا صادق ، وأنت أمير المؤمنين حقا .

الإعراب واللمح

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : سمعت مؤلف لآل عمر بن الخطاب يقول :
أخذ عبد الملك بن مروان رجلا كان يرى رأى الخوارج رأى شيب ، فقال له :
ألست القائل :

ومنا سويد والبطين وقعب * ومنا أمير المؤمنين شيب^(١)

فقال : إنما قلت : « ومنا أمير المؤمنين شيب » بالنصب ، أى يا أمير المؤمنين فأمر بتخليه سبيله .

(١) هو شيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيعة ، كان من أصحاب صالح بن مسرح التميمي ثم تولى الأمر بعده على جنده وبايعه أتباعه إلى أن خالف صالحا في شيء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا لإمامة المرأة منهم إذا قامت بأمرهم وخرجت على مخالفتهم . وزعموا أن غزالة أم شيب كانت الإمام بعد قتل شيب إلى أن قتلت ؛ وأستدلوا على ذلك بأن شيبا لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرة أقام أمه على منبر الكوفة حتى خطبت .

كان من أهل القوة البالغة والبأس الشديد والمعرفة التامة بأمر الحروب ؛ انتصر على جيوش الحجاج الكثيفة وكبار قوادها بحسن تدبيره ؛ وكان يصيح في جنات الجيش فلا يلوى أحد على أحد . وفيه يقول الشاعر :

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والموج يلطم =

حدّثني عبدُ الله بن حَيَّان قال : كتب رَفِيعُ بن سَلَمَةَ المعروف بَدَمَاز إلى أبي عُثْمَانَ النَّحْوِيِّ :

تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلَلْتُ وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنَ
وَأَتَعَبْتُ بَعَثًا وَأَصْحَابَهُ * بَطُولِ الْمَسَائِلِ فِي كُلِّ فَنٍّ
[فَمِنْ عِلْمِهِ ظَاهِرٌ يَبِينُ * وَمِنْ عِلْمِهِ غَامِضٌ قَدْ بَطُنَ]^(١)
فَكُنْتُ بظَاهِرِهِ عَالِمًا * وَكُنْتُ بِباطِنِهِ ذَا فِطْنٍ
خَلَا أَنِّي بَابًا عَلَيْهِ الْعَفَا * ءُ لَلْفَاءِ يَالَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَلَا وَابٍ إِلَى جَنَّتِهِ * مِنْ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لُغِنُ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَالُ لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَأْتِينِ^(٢)
أَحْبَبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا * عَلَى النَّصَبِ قَالُوا لِإِضْمَارِ أَنْ^(٣)

= وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنّب ، وقعنّب بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شيبب وقادة جنده وأهل الرأي فيهم . ينزلون إلى الحيجا . في شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ، وانقضاء النسر ، وألتهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتزّن على أعمالها ، وتام الخبرة بحيلها ومكايدها . (راجع أخبار شيبب والخوارج في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ - ٣٥٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٦٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ - ٩٢ وتاريخ الطبري ج ٣ و ٤ ص ٨٨١ - ٩٧٥ من القسم الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ وملخص تاريخ الخوارج للرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤ م) .

(١) في الأصل : « غسان بن رفيع » وما أثبتناه عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة دار الكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليسج سنة ١٨٦٤ م وكنيته « أبو غسان » كما في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) في أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) : « يعني بيكر أبا عثمان المازني ، فبلغ ذلك المازني فقال : والله ما أحسب أنه سألني قط فكيف أتعني » . (٣) الزيادة عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القالي في أماليه : إذا قلت هاتوا لما قيل ذا * فليست بآتيك أو تأتين

(٥) رواية القالي في أماليه : بما نصبوه أينسوه لي * فقالوا جميعا بإضمار أن

[وما إن رأيتُ لها موضعا * فأعرف ما قيل إلا بظن^(١)
فقد خفتُ يا بكر من طول ما * أفكر في أمر «أن» أن أجن^(١)]

قال ابن سيرين : ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة أحسن من شحم .

وقال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر في عينك من كان في عينك عظيما فتعلم العربية ، فإنها تُجريك على المنطق وتُدنيك من السلطان . ويقال : النحو في العلم بمنزلة الملح في القدر والرامك في الطيب .
ويقال : الإعراب حلية الكلام ووشيه . وقال بعض الشعراء :

النحو ينسبط من لسان الألكن * والمرء تكرمهُ إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلتها * فأجلتها منها مقيم الألسن

قال رجل لأعرابي : كيف أهلك بكسر اللام ؟ — يريد كيف أهلك — فقال الأعرابي : صلبا ؛ ظن أنه سأله عن هلكته كيف تكون .

وقيل لأعرابي : أتهزم إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء ؛ قيل له : أتجر فلسطين ؟ قال : إني إذا لقيوي . وقيل لآخر : أتهزم الفارة ؟ فقال : الهرة تهزمها .

وقيل : كان بشر المريسي يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهتوها ؛ فقال قاسم التمار : هذا كما قال الشاعر :

(١) الزيادة عن أمالي القالي .

(٢) الرامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٣) هو إسحاق بن خلف النهراني كما في الكامل

للبرد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قطة معروفة وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه على

جذع . (٥) «قالوا : وإنما قاله ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر» . كذا في كتاب

الصاحي لأبن فارس ص ٨ طبعة القاهرة .

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْلُوهَا * ضَنْتُ بَشَىءٍ مَا كَانَ يَرْزُوهَا^(١)

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مُؤَدَّنًا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ بِنَصَبِ رَسُولٍ ، فَقَالَ : وَيَحْكَ ! يَفْعَلُ مَاذَا ؟ .

قال مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : اللَّحْنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ الْجُدَرِيِّ فِي الْوَجْهِ . وقال عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّحْنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ التَّفْتِيقِ فِي الثَّوْبِ النَّفِيسِ . قال أَبُو الْأَسْوَدِ : إِنْ لَأَجِدُ لِلْحَنِ عَمْرًا كَعَمْرِ اللَّحْمِ .

قال الخليل بن أحمد : أَشَدَّنِي أَعْرَابِيٌّ :

وإِنْ كَلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ * وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَالِهَا الْعَشِيرِ^(٢)
فَجَعَلْتُ أُعْجِبُ مِنْ قَوْلِهِ : عَشْرُ أَبْطُنٍ حِينَ أَنْتَ لِأَنَّهُ عَنَى الْقَبِيلَةَ ، فَلَمَّا رَأَى عَجَبِي مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : أَلَيْسَ هَكَذَا قَوْلُ الْآخَرِ^(٤) :

فَكَانَ مَحْنَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَبَّى * ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمَعِصَرٍ^(٥)

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦) وفي المحاسن والأضداد ص ٩ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٨ م وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر سنة ١٣٣٢ هـ) . ورواية الأصل : ظنت . وجاء في العقد بعد هذا البيت : "ويشتر المريسي رأس في الرأي ، وقاسم التمار متقدم في أصحاب الكلام واحتجاجة لبشر أعجب من لحن بشر" . وعبارة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين : «فكان احتجاج القائم أطيب من لحن بشر» ذلك بأن كلامه كان مضحكا لخلو البيت من الشاهد المراد . (٢) كذا بالعقد الفريد ، والذي بالأصل : «النقش» . (٣) قائل البيت رجل من بني كلاب يسمى «النواح» كما في خزنة الأدب (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قائل البيت هو عمر بن أبي ربيعة من قصيدة طويلة منها : فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأفؤور

(راجع الكامل للبرد ص ٣٨١ — ٣٨٥) .

(٥) المحن : الترس . والمراد في هذا البيت قوله «ثلاث شخوص» حيث أنت لأنه يريد بالشخص النفس وكاعبان مثني كاعب وهي التي يبدونها للهود ، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هُنَّ كاعبان ومعصر ، والمعصر هي التي دخلت عصر شبابها وبلغته . (راجع شرح العيني بهامش خزنة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئن أَعْرَبْنَا في كلامنا حتى ما نَلْحَنَ لقد لَحْنَا في أَعْمَالنا حتى ما نُعْرِبُ .^(١)

دخل أعرابيُّ السُّوقَ فسمِعَهم يَلْحَنُونَ ، فقال : سبحانَ الله ! يَلْحَنُونَ وَيَرْبَحُونَ ونحن لا نَلْحَن ولا نَرَبِح ! .

دخل رجل على زيادٍ فقال له : إِنْ أَيْدِنَا هَلَكَ ، وَإِنْ أَخِينَا غَضِبْنَا على ميراثنا من أبائنا ؛ فقال زياد : ما ضِيعَت من نفسك أَكْثَرُ مما ضاع من مالك .^(٢)

قال الرِّياشيُّ عن محمد بن سلام عن يُونُسَ قال بلالٌ لَشَيْبِ بن شَيْبَةَ وهو يَسْتَعْدِي على عَبْدِ الأعلى بن عبد الله بن عامرٍ قال : أَحْضَرْنِيهِ ، قال : قد دَعَوْتُهُ لِكُلِّ ذلك يَأْبِي ؛ برفع كلٍّ ؛ قال بلال : فالذنبُ لِكُلِّ . قال بعض الشعراء :

إِنَّمَا تَرَبَّيْتُ وَأَتَوَابَى مُقَارِبَةً * لَيْسَتْ بِخَزْولٍ مِنْ نَسِجِ كَنْانٍ
فَإِنِّي فِي الْحَجْدِ هِمَامِي وَفِي لُغَتِي * عُلوِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ حَنَّانٍ

وقال فيلٌ مَوْلَى زيادٍ لزيادٍ : أَهْدُوا لَنَا هِمَارَ وَهْشٍ ، فقال : ماتقول ؟ وَيَلْكَ !^(٤)
فقال : أَهْدُوا لَنَا أَيْراً ؛ فقال زياد : الأَوَّلُ خَيْرٌ .^(٦)

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : « وقال بعض النساك : أَعْرَبْنَا في كلامنا فأنلحن حرفاً

ولحنا في أَعْمَالنا فما نعرب حرفاً » . (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة

سنة ١٣٣٢ هـ) « الذي أضع من لسانك أضر عليك مما أضع من مالك » . (٣) مقاربة بكسر

الراء ، أى ليست بنقيصة . (٤) هو زياد بن أبي سفيان ، كما في القاموس . (٥) في الأصل

« أهدوا لنا همار جهش » وما أثبتناه عن البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للتویری

(ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد « أهدوا لنا حمار وحش » وفي نهاية الأرب « اهدوا »

بإبدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف بالكسرة وهي عجمة في اللسان وعى . (٦) يريد عيرا وهو

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَالْيَا يَخْطُبُ فَلَحَنَ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مَلَكَتَ بِقَدَرٍ .
وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ إِمَامًا يَقْرَأُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [بفتح ناء تنكحوا]
فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَبِيحٌ فَكَيْفَ بَعْدَهُ! فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ لَحَنَ،
وَالْقِرَاءَةُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ فَقَالَ: قَبِّحَهُ اللَّهُ، لَا تَجْعَلُوهُ بَعْدَهَا إِمَامًا فَإِنَّهُ يُجِلُّ مَا حَرَّمَ
اللَّهُ. قَالَ الشَّاعِرُ فِي جَارِيَةِ لَهُ:

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ * تَذْكِيرُهَا الْأُنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَّكَرِ
* وَالسَّوَّةُ السَّوَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ (١) (٢) (٣)

قَالَ الْجَجَّاجُ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ نَخَّاسٍ (٤): أَتَتَّبِعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيْبَةَ مِنْ [جند] السُّلْطَانِ؟
فَقَالَ: «شَرِيكَاتِنَا فِي هَوَازِهَا وَشَرِيكَاتِنَا فِي مَدَائِنِهَا وَكَمَا تَجِيءُ تَكُونُ» فَقَالَ الْجَجَّاجُ:
مَا تَقُولُ؟ فَفَسَّرُوا لَهُ ذَلِكَ؛ فَضَحِكَ وَكَانَ لَا يَضْحَكُ.

أَمَّ الْجَجَّاجُ قَوْمًا فَقَرَأَ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وَقَرَأَ فِي آخِرِهَا ﴿أَنْ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ
بَنَصْبٍ أَنْ، ثُمَّ تَبَّهَ عَلَى اللَّامِ فِي نَحْيِيرِ وَأَنْ «إِن» قَبْلُهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةً فَخَذَفَ
اللَّامَ مِنْ نَحْيِيرِ، فَقَرَأَ ﴿أَنْ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: قُلْتُ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: لِمَ قَالُوا فِي تَصْغِيرِ وَاصِلٍ أَوْ يَصِلُ وَلَمْ
يَقُولُوا وَوَصِلُ؟ فَقَالَ: كَرِهُوا أَنْ يُسَبَّهَ كَلَامُهُمْ بِنَجِ الْكَلَابِ.

- (١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر». (٢) السوء السواء: الخلة القبيحة.
(٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: «القمر» قالت: «الكَمر» والكمر جمع كرة وهي حشفة الذكر؛
وهذا الإبدال يعرف باللغة وهي أن تعدل الحرف إلى حرف غيره. (٤) هو أبو الجهم الخراساني
النخاس كما في البيان والتبيين والنخاس: يباع الدواب والرقيق. (٥) الزيادة عن البيان والتبيين
(ج ١ ص ٩٠). (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠)؛ وفي الأصل: «شريكاتنا في هواز
ومداينها وكما تجي يكون» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها. (٧) جاء في البيان والتبيين
(ج ١ ص ٩٠) «فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك.
يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها».

التشادق والغريب

- حدثني سهل عن الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر لا يدع الإعراب لشيء .
 وخصم إلى بلال بن أبي بريدة في جارية اشتراها مَصَابَةً ، فقال : لَأَن يذهب بعض
 حق هذا أحب إليه من أن يلحن ؛ فقال له : ومن يعلم ما تقول ؟ فقال : ابن
 طرنوبة .^(١) وضربه عمر بن هبيرة ضربا كثيرا في ودعة أودعها إياه إنسان فطلبها ،
 فإكان يزيد على أن يقول : والله إن كانت إلا أثيابا^(٢) في أسيفاط قبضها عشاروك^(٣) .
 تبع أبو خالد الثميري صاحب الغريب جارية متتعبة فكلمها فلم تكلمه ، فقال :
 يا خريدة ، لقد كنت عندي عروبا^(٤) أعمقك^(٥) وتشتيننا^(٦) !

- وقال سهل بن هارون لجارية له رومية أعجمية : إن أقل ما ينطوي عليه ضميري
 من ريسيس^(٨) حبك لأجل من كل جليل ، وأكثر من كل كثير .
 وقال مالك بن أسماء في جارية له :

أُفْطَى مِنِّي عَلَى بَصْرَى لِلْحَبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْلُ النَّاسِ حُسْنًا ؟^(٩)

- (١) كذا في الأصل ولم نوفق إلى معرفة هذا الاسم في الكتب التي بين أيدينا . (٢) أثياب :
 جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسيفاط : جمع سَفَطَ بالتحريك وهو الذي يعي فيه الطيب
 وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشاروك : جمع عشار وهو أخذ العشر وجا به وملترمه .
 (٥) الخريدة : الحية . (٦) العروب : الحسنة التبعل . وقيل المرأة المتحبة إلى زوجها .
 (٧) نمقك : نجبك . وتشتيننا : تبغضينا . وفي الأصل «ولشتينا» وهو تحريف . والتصويب عن
 الكامل للبرد (ص ١٨٤ طبعه ليسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا ، فا
 بالنا نمقك وتشتيننا ! فقالت : يا بن الحية أتمجشني !» . أي أتنازلي وتلاعني . (٨) ريسيس الحب :
 بقبته وأثره . (٩) كذا في خطبة هذا الكتاب في المجلد الأول من هذه الطبعة ، والبيان والذبيان
 (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفي الأصل هنا :

أيفطى مني على بصرى بالحب* حب أم أنت أكرم الناس حسنا

وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مَا * يَشْتَبِي النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحُّنُ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

قال ابن دريد : استنقل منها الإعراب .

دخل أبو علقمة على أعين الطبيب فقال له : أَمَتَّ اللهُ بِكَ ، إِنِّي أَكَلْتُ مِنْ لَحُومِ
هَذِهِ الْجَوَازِلِ فَطَسِئْتُ طَسَاءً ، فَأَصَابَنِي وَجَعٌ مَا بَيْنَ الْوَابِلَةِ إِلَى دَايَةِ الْعُنُقِ فَلَمْ يَزَلْ
يَرْبُو وَيَتِيمِي حَتَّى خَالَطَ الْخَلْبَ وَالشَّرَاسِيفَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ دَوَاءٌ ؟ فَقَالَ أَعْيَنُ : نَعَمْ ،
خُذْ نَحْرَبَقًا وَشَلْفَقًا وَشِرْبَقًا فَزَهْرِقْهُ وَزَقْرِقْهُ وَأَغْسِلْهُ بِمَاءِ رَوْثٍ وَأَشْرِبْهُ ، فَقَالَ
أَبُو عَلْقَمَةَ : لَمْ أَفْهَمْ عَنْكَ ، فَقَالَ أَعْيَنُ : أَفْهَمْتُكَ كَمَا أَفْهَمْتَنِي . وَقَالَ لَهُ يَوْمًا آخَرَ :
إِنِّي أَجِدُ مَعْمَعَةً فِي بَطْنِي وَقَرْقَرَةً ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا الْمَعْمَعَةُ فَلَا أَعْرِفُهَا ، وَأَمَا الْقَرْقَرَةُ
فَهِيَ ضُرَاطٌ لَمْ يَنْضَجْ .

- (١) كذا بالأصل هنا وفي المقدمة ، وفي أمالي القالي : « تَشْتَبِيهِ النَّفُوسُ » وفي البيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : « يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ » . (٢) كذا في الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .
وفي المحاسن والأضداد للملاحظ (ص ١٤ طبعة لندن) والمحاسن والمساوي للبيهقي (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة
ليبسج) : « الْجَوَازِيُّ » . والجوازِل : فراخ الحمام ، وقيل يعم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسئ : اتخم
من الطعام . (٤) الوابِلَة : طرف العضد في الكتف . (٥) الدَايَة : فقرة العنق . (٦) الْخَلْبُ :
حجاب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشَّرَاسِيف : جمع شُرَسُوف وهو رأس الضلع مما يلي البطن .
(٨) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفي الأصل : « خَرَقًا » بالنون والحرق بكجعفر : ضرب
من الأدوية ونبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبات كلسان الحمل أبيض وأسود ينفع
الصرع والجنون والبهق والقالج . (٩) هكذا وردت في الأصل « شَلْفَقًا » بالشين والقاف . والقاف بعد
اللام ولم تقف لها على معنى . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساوي للبيهقي « شَلْفَقًا »
وفي البيان والتبيين : « سَلْفَقًا » . (١٠) كذا في الأصل والعقد الفريد . والشبرق كزبرج :
نبت من جنس الشوك إذا كان رطباً فهو شبرق فإذا يبس فهو الضريع . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) :
« جَرْقًا » وفي المحاسن والأضداد للملاحظ « سَرْبَقًا » .

أتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مّطّله حتّاه فقال : أصلحك الله الأمير، إن لي على هذا حقاً قد غلبني عليه ؛ فقال له الآخر : أصلحك الله ، إن هذا باعني عنجداً^(١) واستنساأته^(٢) حولا وشرطت عليه أن أعطيه مشاهرة فهو لا يلقاني في لقيم^(٤) إلا آقتضاني ؛ فقال له الهيثم : أمن بنى أمية أنت ؟ قال : لا ؛ قال : فمن بنى هاشم ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أكفائهم من العرب ؟ قال : لا ؛ قال : وبلى عليك ! إنزع ثيابه يا جلواز^(٥) ، فلما أرادوا نزع ثيابه قال : أصلحك الله ، إن إزارى^(٦) مرعبل ؛ قال : دعوه ، فلو ترك الغريب في وقت لتركه في هذا الوقت .

ومر أبو علقمة ببعض الطرق^(٧) بالبصرة فهاجت به مرة فسقط ووثب عليه قوم فأقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذنون في أذنه ، فأفلت من أيديهم وقال : ما لكم تتكاثرون^(٨) علي كما تتكاثرون على ذى جنة ! افرقعوا عني ؛ فقال رجل منهم : دعوه فإن شيطانه هندی ، أما تسمعون أنه يتكلم بالهندية . وقال لمجام يحجمه : أنظر ما أمرك به فاصنعه ، ولا تكن كمن أمر بأمر فضيعه ، أتني غسل الحاجم وأشدد قُضب^(٩) الملازم

(١) العنجد يكفر ووقفذ وجندب : الزبيب .

(٢) استنساأه : سأله أن ينسأه دينه ، أي يؤخره . (٣) في المحاسن والأضداد للملاحظ (ص ١٥)

والمحاسن والمساوى للبيهقي (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .

(٤) اللقم محرّكة وكسرد : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز : الشرطي .

(٦) مرعبل : ممزق .

(٧) كذا في المحاسن والمساوى للبيهقي والمحاسن والأضداد للملاحظ . وفي الأصل : « الطريق » .

(٨) في المحاسن والأضداد ، والمحاسن والمساوى « يعضون » .

(٩) تتكاثرون : تجمعون . افرقعوا : تفرّقوا .

(١٠) الملازم جمع ملزم بكسر الميم : خشبات مشدود أو ساطهما بجديدة تجعل في طرفها قنّاحة

(مفتاح معوج طويل) فلزم ما فيها لزوما شديدا ، تكون مع الصياقلة والآبارين ومجلدى الكتب وغيرهم .

وَأَرْهِفْ طَبَاتِ الْمَشَارِطِ وَأَسْرِعِ الْوَضْعَ وَعَجِّلِ التَّرْعَ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَخَرًا، وَمِصْكُ نَهْزًا، وَلَا تُكْرِهَنَّ آبِيَا، وَلَا تَرُدَّنْ آتِيَا؛ فَوْضِعِ الْجَمَامُ مُحَاجِمَهُ فِي جُونْتِهِ وَمَضَى .^(١)^(٢)^(٣)^(٤)

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ أَبَا الْمَكْنُونِ النَّحْوِيَّ فِي حَلْقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَاءِ الْأَسْتِسْقَاءِ :
اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلَهَنَا وَمَوْلَانَا صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا يَا اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَأَحِطْ ذَلِكَ
السُّوءَ بِهِ كِاحَاطَةِ الْقَلَانِدِ عَلَى تَرَائِبِ الْوَلَانِدِ، ثُمَّ أَرْسِلْهُ عَلَى هَامَتِهِ كَرْسُوحِ السَّجِيلِ،
عَلَى هَامِ أَصْحَابِ الْفِيلِ يَا اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا مُجَلِّجًا مُسَحِّفًا هَزِجًا سِتًّا
سُقُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُتَعَجِّرًا؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا خَلِيفَةَ نُوحٍ [هَذَا] الطُّوفَانُ وَرَبَّ
الْكَعْبَةِ، دَعْنِي آوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ غُلَامٌ يَقْعُرُ فِي كَلَامِهِ، فَأَتَى أَبَا الْأَسْوَدَ الدُّؤْلِيَّ يَلْتَمِسُ مَا عِنْدَهُ ؛
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ : مَا فَعَلَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَخَذَتْهُ الْحُمَّى فَطَبَخَتْهُ طَبَخًا وَفَضَخَتْهُ
فَضَخًا .

- (١) أَرْهِفْ : حَدِّدْ (٢) طَبَاتِ جَمْعُ طَبَةِ ثَبَةِ ، وَهِيَ حِدَّةُ السِّيفِ أَوِ السَّنَانِ وَنَحْوُهُ .
(٣) فِي الْحَاسَنِ وَالْأُسْدَادِ لِلْمُحَاطَةِ (ص ١٥) وَالْحَاسَنِ وَالْمَسَاوِيَّ لِلْبَيْقِ (ج ٣ ص ٤٧١) :
« وَخَفَّفَ » . (٤) الْجَوْنَةُ بَضْمُ الْجِيمِ : سَالِيَةٌ مَقْشَاةٌ أَدْمَا تَكُونُ مَعَ الْعَطَّارِينَ . (٥) فِي الْعَقْدِ
الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : « بِأَعْنَاقِ » . (٦) السَّجِيلُ : حِجَارَةٌ كَالْمَدْرَةِ وَقِيلَ هُوَ حَجَرٌ مِنْ طِينٍ ،
دَخِيلٌ مَعْرَبٌ مِنْ « سَنَكٍ وَكَلٍ » أَيْ حِجَارَةٍ وَطِينٍ . (٧) الْمَجَلِّجُ مِنَ السَّحَابِ : الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرِّعْدِ .
(٨) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْمُسَحِّفُ : الْكَثِيرُ الصَّبِّ الْوَاسِعُ . (٩) الْهَزِجُ مِنَ الْهَزَجِ وَهُوَ صَوْتُ
الرِّعْدِ . (١٠) طَبَقٌ : عَاقِمٌ وَاسِعٌ . (١١) الْفَقْدُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . (١٢) الْمُتَعَجِّرُ :
السَّبِيلُ الْكَثِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ « مُتَعَجِّرًا » . (١٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) .
(١٤) يَقْعُرُ فِي كَلَامِهِ : يَنْشَدُّ وَيَتَكَلَّمُ بِأَقْصَى حَلْقِهِ . (١٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْيَانِ وَالْبَيِّنِ
(ج ١ ص ٢٠١) . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : « وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيُّ لِأَبِي عُلْقَمَةَ :
مَاحِلَ آبْنِكَ ... الْخِ » . (١٦) فَضَخَتْهُ : دَقَّتْهُ .

فَضَحًا وَفَنَحْتَهُ ^(١١) فَنَحَا فَنَحْتَهُ ^(١٢) قَالَ أَبُو الْأَسْوَدَ : فَمَا فَعَلْتَ أَمْرًا تَهِيَ كَانَتْ تُجَارُهُ ^(١٣) وَتُشَارُهُ وَتُرَارُهُ وَتُهَارُهُ ؛ قَالَ : طَلَقَهَا فَتَرَوُجَتْ غَيْرَهُ فَرَضَيْتُ وَحَظَيْتُ وَبَطَيْتُ ، قَالَ أَبُو الْأَسْوَدَ : قَدْ عَرَفْنَا حَظَيْتُ ، فَمَا بَطَيْتُ ؟ ^(١٤) قَالَ : حَرْفٌ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَبْلُغْكَ ؛ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدَ : يَا بَنَ أُنْحَى ، كُلُّ حَرْفٍ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَبْلُغْ عَمَكَ فَاسْتَرْهَ كَمَا تَسْتَرْهَ السُّنُورُ خُرَارَهَا .

قَالَ زَيْدُ بْنُ كَثِيرٍ : أَتَيْتُ بَابَ كَبِيرٍ دَارٍ وَهَنَاكَ حَدَادٌ ^(١٦) ، فَارِدْتُ أَنْ أَلْجُ الدَّارَ فَدَلَّظَنِي ^(١٧) دَلْظَةً وَادْرَسَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ إِنْ زَلْنَا نَقْطَارُ نَقْطَارٍ حَتَّى عَقَلَ الظَّلُّ ^(١٨) . وَقَالَ أَيْضًا : أَتَيْتُ بَابَ كَبِيرٍ وَإِذَا الرِّجَالُ صَبَتَيْنَانِ ^(١٩) وَإِذَا أَرْمَدَاءُ كَثِيرَةٌ وَطُهَاءٌ لَا أَحْصِيَهُمْ وَلِحَامٌ كَانَتْهَا أَكَامٌ . وَقَالَ الطَّائِي :

أَيُوسُفُ جُنْتُ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ ^(٢٠) * تَرَكْتُ النَّاسَ فِي شَكٍّ مُرِيبٍ
سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ ^(٢١) * وَلَمْ أَتَمَعْ بِسَرَّاجٍ أَدِيبٍ

- (١) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ١ ص ٢٠١) وَفَنَحْتَهُ : أَوْهَتَهُ وَأَضَعَفْتَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : «فَنَحْتَهُ» بِالنَّاءِ الْمُتَنَاءَةِ ، وَلَمْ نَجِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي كُتُبِ الْفَرَسِ الْمَقَامِ . (٢) الْفَرَسُ : الضَّعِيفُ الْمَهْزُوكُ . (٣) تُجَارُهُ : تَطَاوَلَهُ . وَتُشَارُهُ : تَحَاصَرَهُ . وَتُرَارُهُ : قَعَصَهُ . وَتُهَارُهُ : تَهَيَّرَ فِي وَجْهِهِ كَمَا يَهَيَّرُ الْكَلْبُ . (٤) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ١ ص ٢٠١) : «وَقَدْ عَلِمْنَا رَضِيَتْ وَحَظَيْتُ فَا بَطَيْتُ...» . (٥) أَتَى بِالْفَرْسِ «بَطَيْتُ» إِيْبَاعًا لِحَظَيْتُ مِثْلَ حَسَنِ بَسْنِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ «بَطَى» أَنْظَرَ اللِّسَانَ مَادَّةَ «بَطَا» . (٦) الْحَدَادُ : الْبُرَابُ . (٧) دَلَّظَهُ : دَفَعَهُ فِي صَدْرِهِ . (٨) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا وَلَمْ نَوْفُقْ إِلَى تَحْقِيقِهَا . (٩) نَقْطَارٌ مِثْلُ قَطَامٍ : اسْمُ فَعْلٍ أَمْرٌ بِمَعْنَى أَنْتَظِرِ وَالْمَعْنَى : فَالْزَنَا يُقَالُ لَنَا نَقْطَارٌ نَقْطَارًا . (١٠) عَقَلَ الظَّلُّ : قَامَ قَائِمُ الظُّلْمَةِ . (١١) صَبَتَيْنَانِ : فَرَقَتَيْنِ . (١٢) الْأَرْمَدَاءُ جَمْعُ رَمَادٍ . (١٣) هُوَ يُوْسُفُ السَّرَاجُ الشَّاعِرُ الْمَصْرِيُّ . (١٤) الْبَادُ : نَمَتْ لِلدَّاهِيَةِ أَوْ بَدَلُ مِنْهَا وَالْمُرَادُ دَاهِيَةٌ شَدِيدَةٌ .

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا * إِذَا لِنَفَذْتُ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ * تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

قال رؤية بن العجاج : خرجت مع أبي ، نريد سليمان بن عبد الملك ، فلما صرنا
في الطريق أهدي لنا جنب من لحم عليه كراfi الشحم وخريطة من كاه ووطب^(١)
من لبن فطبخنا هذا بهذا ، فما زال ذفرياي تتحان منه الى أن رجعت . (الكراfi :
الطبقات ، وكذلك كراfi السحاب) .

وصايا المعلمين

قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده : ليكن إصلاحك بنى^(٢)
إصلاحك نفسك ، فإن عيوبهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنْتَ ،
والقبيح ما استقبحْتَ ؛ وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهذّبهم بي وأدبهم
دونى ؛ وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ؛ ولا تشكّن على عذر
منى ، فإنى قد أتكلت على كفاية منك .

قال الحجاج لمؤدب بنيه : علمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجذّون من يكتب
عنهم ، ولا يجذّون من يسبح عنهم .

- ١٥ (١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : « لرسخت » . (٢) كذا فى الكامل للبرد (ص ١٤٠ طبعه ليبسج سنة ١٨٦٤) وفى الأصل : « يزيد » . (٣) الخريطة : وعاء من آدم وغيره .
(٤) الكاه : نبات لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغيرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض ، وهو عديم النعم يؤكل نيته ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذفرياي ثنية ذفري ، وهو العظم الداخلى خلف الأذن . (٧) كذا فى الكامل للبرد (ص ١٤٠) وتتحان : ترشّحان بالعرق .
٢٠ وفى الأصل « يشجان » . (٨) وزدت هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥ طبعه القاهرة سنة ١٣٣٢هـ) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عما هنا واختلاف يسير فى بعض التراكيب لا يخرجها عن المعنى المراد ؛ إلا أنها تنسب فى العقد الفريد لعمر بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدّب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ؛ وجنبهم السفلة^(٢) فإنهم أسوأ الناس رعة^(١) وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ؛ وأخف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ؛ علمهم الشعر يجذوا ويحبذوا ، ومزهم أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ولا يعبوه عبا ؛ وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهنوا عليه .

وقال آخر لمؤدّب ولده : لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن أصطكاك العلم في السمع وأزدحامه في الوهم مضلة للفهم .

وكان لشريح ابن ياعب بالكلاب ؛ فكتب شريح إلى معلمه :

ترك الصلاة لأكل يسعى بها * طلب الهراش مع الغواة الرجس^(٤)
فإذا خلوت فعضه بملامة * وعظنه وعظك للأريب الكيس^(٥)
وإذا هممت بضربه فيدرة * وإذا بلغت بها ثلاثا فأحييس
وأعلم بأنك ما فعلت بنفسه * مع ما يحرجني أعز الأنفس

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب :

أيها المتبلى بحب الكلاب * لا يحب الكلاب إلا الكلاب^(٦)
لو تعريت وسطها كنت منها * إنما فقتها بلبس الثياب

(١) يقال : فلان سيء الرعة إذا كان قليل الورع .

(٢) أحفى الرجل رأسه أو شاربه : بالغ في قصه .

(٣) في المحاسن والمساوي للبيهقي (ج ٣ ص ٦٢١) : « الزواج » .

(٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يئى » .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أذاك » .

(٦) كذا في الأصل ، وفيه الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى في الإعراب . ولو ورد هكذا :

لا يحب الكلاب غير الكلاب ، نلنا من هذا العيب .

وقال آخر :

لَبْسِكَ أبا أَحْمَدٍ قِرْدَةٌ * وَكَلْبُ هِرَاشٍ وَدِيكَ صَدُوحُ
وَطَيْرٌ زَجَالٌ وَفُئْرِيَّةٌ^(١) * هَتُوفُ الْعِشِيِّ وَكَبْشٌ نَطُوحُ

بلغنى عن أبى الحسن العُكلى عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزنى قال : سمعت
أبى يقول قال لقمان : ضَرْبُ الْوَالِدِ وَلَدَهُ كَالسَّيِّدِ لِلزَّرْعِ .

حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن المبارك عن
أسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر الى أهل الشام : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ السَّبَاحَةَ
وَالرَّمَى وَالْفُرُوسِيَّةَ .

وكانت العرب تُسَمَّى الرجل ، إذا كان يكتب ويُحَسِّنُ الرَّمَى وَيُحَسِّنُ الْعَوْمَ
وهى السَّبَاحَةُ ويقول الشعر ، الكامل . ١٠

البيان

حدثنى عبدة بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن
عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ بَحْرًا" فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَ . وقال العباس :
يا رسول الله ، فِيمَ الْجَمَالُ ؟ قال : "فِي اللِّسَانِ" . ١٥

وكان يقال : عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

وقال يزيد بن المهلب : أَشْكُرُهُ أَنْ يَكُونَ عَقْلُ الرَّجُلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ . يريد أنه
لا يكون عقله إلا فى الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمرية : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : « لسعرا » باللام .

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ * لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ

وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بَزِينٌ * إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحَسَنَ الْبَيَانَ^(١)

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك ، فإنه كان يَقْرِى العَيْنَ جَمَالًا ، وَالْأُذُنَ بَيَانًا . وقال الثَّيْرُ بْنُ تَوَلَّبَ :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصْرِ وَعْيٍ * وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجُهَا عِلَاجًا

وَمِنْ حَاجِبٍ نَفْسِي فَأَعْصِمَنِي * فَإِنْ لَمْ تُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا

وصف أعرابي رجلًا يتكلم فيُحْسِنُ فقال :

* يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ^(٢) *

ومثله قولهم : فَلَا تَجْعِدِ الْحَزَّ ، وَيُصِيبُ الْمَفْضِلُ ؛ وَرَبَّمَا قَالُوا : يُقَلُّ الْحَزُّ^(٣) .

وقال معاوية في عبد الله بن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ * لِيَعْيَ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ

يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا آتَى * وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّغِيرِ

وقال حسان فيه :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ * بِلَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فُصْلًا

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفي الأصل : « لها » . ١٥

(٢) الهناء : القطران . والنقب : جمع نقبة وهي أول ما يبدو من الحرب ، أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب

فيه الكلام ، مثل الطال الرفيق الذى يضع الهناء مواضع النقب (راجع المقدم الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هذا وما قبله من الأمثال التى تضرب فى البلاغة ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذى يقل

الكلام ويصيب المعاني ، بالجزاز الرفيق يقل حزالهم ويصيب مفاصله (راجع المقدم الفريد ج ١

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَّعْ * لَذَى إِرَابَةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
 سَمَوْتُ إِلَى الْعَلِيَّا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ * فَلَنْتَ ذُرَاهَا لَا دَنْيًّا وَلَا وَغْلًا^(١)
 ويقال : الصمْتُ مَنَامٌ والكلام يَقْظَةٌ . ويقال : خير الكلام ما لم يُحْتَجْ بعده
 إلى الكلام .

ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلاً فقال : ألفاظه قوالِبٌ بمعانيه . ومدح
 أعرابي رجلاً فقال : كلامه الوَبْلُ^(٢) على المحل ، والعَذْبُ^(٣) الباردُ على الظَّمَا .
 وقال الحطِيطَةُ :

وَأَخَذْتُ أَقْطَارَ الْكَلَامِ فَلَمْ أَدَّعْ * ذِمًّا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ

وكان الحطِيطَةُ يقول : إنما شِعْرِي حَسَبُ مَوْضُوعٍ ؛ فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ عُيَيْدٍ
 فقال : كَذَبَ ، تَرَحُّهُ^(٤) اللَّهُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ التَّقْوَى .

قيل لعمرُو بن عُيَيْدٍ : ما البلاغة ؟ فقال : ما بَلَغَكَ الْجَنَّةُ ، وَعَدَلْ بِكَ عَنِ النَّارِ ؛^(٥)
 [قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فـ] مَا بَصَّرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ
 غَيْكِ ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : مَنْ لَمْ يُحَسِّنِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحَسِّنِ
 الْقَوْلَ ؛ قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” إِنَّمَا مَعْشَرُ
 الْأَنْبِيَاءِ بَكَاءٌ ”^(٦) ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ ؛ قال : ليس هذا
 أريد ؛ قال : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ [وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ
 أَرِيدَ ؛ قال : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ] وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ

(١) في الأصل : «وعلا» بالعين . وما أثبتناه عن ديوان حسان (ص ٧٤ طبعة ليدن سنة ١٩١٠ م)
 وهو الأنسب للقام ؛ والوغل : الضعيف النذل الساقط المقصر في الأشياء . (٢) الوبل : المطر الشديد .
 (٣) المحل : الجذب . (٤) تَرَحُّهُ الله : أحزنه ونقصه . (٥) الزيادة عن العقد الفريد
 (ج ١ ص ٢١٣) . وفي الأصل : «وما بصرك ...» بالواو عطفاً على ما قبله . (٦) بَكَاءٌ جمع بَكَى .
 وهو ما قلّ كلامه خالفة . (٧) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) . وفي الأصل : «يكروهون» .

فتنة السكوت^(١) ومن سَقَطَات الصَّمْت؛ قال : ليس هذا أريد؛ قال : فكأنك إنما تريد تخيير اللفظ في حسن إفهام [قال : نعم؛ قال^(١)] : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين^(٢)، وتخفيف المَثُونَة على المستمعين، وتزوين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المُسْتَحْسَنَة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سُرعة استجابتهم، ونفى الشواغل عن قلوبهم، بالموعظة الحسنة من الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب، وأستوجب على الله جزيل الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زيادًا كاسرًا إحدَى عَيْنِيهِ واضعًا إحدى رجليه على الأخرى يُخَاطَب رَجُلًا إِلَّا رَحِمْتُ المُخَاطَبَ . وقال آخر : ما رأيتُ أحدًا يَتَكَلَّمُ فيحسِن إِلَّا أَحَبَبْتُ أَنْ يَصُمْتُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُسَيَّءَ إِلَّا زِيَادًا فَإِنَّهُ كَلَّمَ زَادَ زَادَ حُسْنًا، وقال :
وقبلك ما أعيت كاسر عَيْنِيهِ * زيادًا فلم تُقَدِّرْ عَلَى حَبَائِلِهِ^(٣)

قال محمد بن سلام : كان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلاً يلجلج في كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ! .

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عَثْرَتَهُ لَمَّا تَكَلَّمَ، فأحسن حتى خَشِيتُ عَثْرَتَهُ إِنْ سَكَتَ .

١٥ (١) التكملة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) في البيان والتبيين .
والعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله لجرير من قصيدة تقع في ثلاثة وتسعين بيتًا مثبتة في كتاب النقائض (طابع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ — ٦٢٩) وبعيد البيت :

فأقسمت لا آتيه سبعين حجة * ولو نشرت عين القبايع وكاهله

٢٠ والقبايع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وكان أميرًا على البصرة لقبه أهلها به ، وذلك أنه مرَّ بقوم يكلون بقفيز فقال : إن قفيزكم لقبايع . أي كبير واسع (راجع النقائض ص ٦٠٧) .
(٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا في النقائض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفي الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لصُحَّار العبدى: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال: شيءٌ تَجِيشُ به صدورنا ثم تَقْدِفُهُ على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤلاء بالبسر أبصر؛ فقال صُحَّار: أجل، والله إنا لنعلم أن الرِّيحَ تُلْقِحه وأن البردَ يُعْقِده وأن القمرَ يَصْبِغه وأن الحرَّ يُنْضِجه؛ فقال معاوية: ما تُعْدُونَ البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجِيبَ فلا تُبْطِئَ، وتَقُولَ فلا تُخْطِئَ؛ ثم قال: يا أمير المؤمنين، حسن الإيجاز ألا تُبْطِئَ ولا تُخْطِئَ.

أبو الحسن قال: وقد الحسن بن عليّ على معاوية الشام، فقال عمرو بن العاص: إنَّ الحسنَ رَجُلٌ أَفْهٌ فلو حملته على المنبر فتكلّم فسَمِعَ الناسُ من كلامه عابوه؛ فأمره فصعد المنبر فتكلّم فأحسن؛ وكان في كلامه أن قال: أيّها الناس، لو طلبتم أبنا لنبيكم مابين جابرس إلى جابلق لم تجدوه غيري وغير أنحى وإن أدري لعلّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فسأ ذلك عمر وأراد أن يَقْطَعَ كلامه، فقال: يا أبا محمد، هل تَنْتَعُ الرُّطْبَ؟ فقال: أجل، تُلْقِحه الشَّمالُ وتُخْرِجه الجنوبُ ويُنْضِجه بردُ الليلِ بمجرّ النهار؛ قال: يا أبا محمد، هل تَنْتَعُ الخِراءَ؟ قال: نعم، تُبْعِدُ المَمْشَى في الأرض الصَّحْصَحَ حَتَّى

- (١) كلمة «البسر» مطموسة في الأصل وأستعنا على معرفتها بما في البيان واليتين الذي وردت فيه العبارة هكذا: «فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب... الخ» . والبسر: الترقيل لإرطابه وذلك إذا لون ولم ينضج .
- (٢) يعقده: يغلظه .
- (٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بعد قوله فلا تبطئ ولا تخطئ: «أقلنى يا أمير المؤمنين؛ قال: قد أقلتك، قال: لا تبطئ ولا تخطئ» قال أبو حاتم: استطال الكلام الأول فاستقال وتكلم بأوجز منه .
- (٤) كذا في الأصل والعقد الفريد . والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجيى على «أفعل» والذي في كتب اللغة أن الوصف من الفهاهة (وهى العي في المنطق) : فه كضخم وفهيه وفهفه . (٥) جابرس: مدينة بأقصى المشرق . (٦) جابلق: مدينة بأقصى المغرب . (٧) الخراء بالكسر: التحل والقعود للحاجة . (٨) الصحصح بصادين مهملتين: ما أسستوى من الأرض مع الاتساع . وفي الأصل: «الصحصح» بضادين معجمتين .

تَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، وَلَا تَسْتَقِيلُ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدِيرُهَا، وَلَا تَسْتَنْجِي بِالرَّوْتَةِ وَلَا الْعِظَمِ، وَلَا تَبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّاكَدِ؛ وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ .

وكان يقال : كل شيء شئنه يقصر ما خلا الكلام، فإنك كلما شئته طال . قال الحسن : الرجال ثلاثة : رجل بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بماله .

تَكَلَّمَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ الْقَوْلُ !
فَقَالَ صَعَصَعَةُ : إِنَّ الْحَيَادَ نَضَاحَةٌ لِلْمَاءِ .

ويقال : أبلغ الكلام ما سبق معناه لفظه .

وفي كتاب للهند : أوّل البلاغة اجتماع آله البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش^(١)، ساكن الجوارح قليل التلخّظ متخيّرًا للفظ، لا يكلم سيّد الأئمة بكلام الأئمة، ولا الملوك بكلام الشؤقة، ويكون في قواه فضل للتصرف في كلّ طبقة، ولا يدقق المعاني كلّ التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كلّ التنقيح ولا يصفّيها كلّ التصفية [ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتّى يصادف حكيمًا أو فيلسوفًا علميًا] ويكون قد تعود حذف فصول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ، قد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفّح .

ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البرمكي وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويحيكي عن مغزائك، وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة، والذي لأبد له منه أن يكون سليما من التكلف، بعيدا من الصنعة، بريئا من التعقّد، غنيّا عن التأويل .

(١) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع . (٢) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١

ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والتبيين : « ومن قد تعود ... الخ » . (٤) في البيان والتبيين

(ج ١ ص ٥٨) : « يحيل » . (٥) هكذا في الأصل . وفي البيان والتبيين : « والذي لا بد منه ... الخ » .

قال الأصمعي : البليغ من طبق المَفْصَل وأغناك عن المفسر .

قال المدائني : كتب قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلَمٍ إلى الحجاج يشكو قِلَّةَ مَرَزِيَّتِهِ ^(١) من الطعام وقِلَّةَ غِشْيَانِهِ النساء وحَصْرِهِ على المِنْبَر ، فكتب إليه : استكثر من الألوان لِتُصِيبَ من كُلِّ صَخْفَةٍ شَيْئًا ، وَاسْتَكَثِرْ مِنَ الطَّرِيقَةِ ^(٢) تَجِدَ بِذَلِكَ قُوَّةً على ما تُريد ، وَأَنْزِلِ الناسَ بِمَنْزِلَةِ رجل واحد من أهل بيتك وخاصتك ، وَأَرِمْ ببصرك أَمَامَكَ تَبْلُغَ حاجتك .
قال بعض الشعراء :

إِنْ كَانَ فِي الْعِيِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ * ففِي الْبَلَاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيهَا

تَكَلَّمَ رجل عند معاوية فَهَدَّرَ ، فَلَمَّا أَطَالَ قال : أأَسَكْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : وهل تَكَلَّمْتَ !

ويقال : أَعْيَا الْعِيَّ بِلَاغَةً ^(٤) بَعِيَّ ، وَأَقْبَحُ اللَّحْنُ لَحْنُ بِلَاعِرَابٍ .

وقال أعرابي : الْحِظُّ لِلرَّءِ فِي أُذُنِهِ ، وَالْحِظُّ لغيره فِي لِسَانِهِ . ^(٥)

ويقال : رَبِّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي .

ويقال : الصَّمْتُ أَبْلَغُ مِنْ عِيٍّ بِبِلَاغَةٍ . ونحوه قول الشاعر :

أَرَى الصَّمْتَ أَذْنِي لِبَعْضِ الصَّوَابِ * وَبَعْضَ التَّكَلُّمِ أَذْنِي لِعِيٍّ

وقال جعفر البرمكي : إِذَا كَانَ الْإِكْثَارُ أَبْلَغَ كَانَ الْإِيحَازُ تَقْصِيرًا ، وَإِذَا كَانَ الْإِيحَازُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا .

(١) المرزنة من الطعام : الإصابة منه . (٢) الطروقة : زوجة الرجل ، وأنثى الفعل .

(٣) هذر في كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغي . (٤) في الأصل : « أَعْيَا الْقِيَّ بِلَاغَةً بَقِيَّ » .

(٥) يريد أن حظ الرجل في أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال ، والحظ في لسانه لغيره لأنه إذا تكلم فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره .

قال ابن السماك : العربُ تقول : العَيُّ الناطقُ أعيًا من العَيِّ الصامت .

قال أنوشروان لبزرجمهر : متى يكون العَيُّ بليغاً ؟ فقال : إذا وصِفَ حبيباً .

قال يونس بن حبيب : ليس لعَيٍّ مَرُوءَةٌ ، ولا لمتقوص البيان بهاءٌ ، ولو بلغ يَأْفُوخُهُ أَعْنَانُ السَّمَاءِ (١) . قال بعضُ الشعراء : (٢)

نَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيِّ بِنَفْسِهِ * وصمتِ الذي قد كان بالحقِّ أعلمها
وفي الصمتِ سَتْرٌ لِلْعَيِّ وَإِنَّمَا * صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

قال سعيد بن العاص : مَوْطِنَانِ لَا أَسْتَحْيِي مِنَ الْعَيِّ فِيهِمَا : إذا أنا خاطبْتُ جاهلاً ، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسِي .

ذكر أعرابي رجلاً يعبأ فقال : رأيتُ عَوْرَاتِ النَّاسِ بَيْنَ أَرْجُلِهِمْ ، وَعَوْرَةَ فُلَانٍ بَيْنَ فَكَّيْهِ .

وعابَ آخرُ رجلاً فقال ؛ ذاك من يَتَأَمَّى المَجْلِسَ ، أبلغُ ما يكون في نفسه أعيًا ما يكون عند جُلَسَائِهِ .

قال ربيعة الرُّبَيِّ : السَّاكْتُ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْأَخْرَسِ .

تذاكر قومٌ فضَلَ الكلامَ على الصمتِ وفضلَ الصمتَ على الكلامِ ، فقال أبو مُسَهِرٍ : كَلَّا ! إِنَّ النَّجَمَ لَيْسَ كَالْقَمَرِ ، إِنَّكَ تَصِفُ الصَّمْتَ بِالْكَلامِ ، وَلَا تَصِفُ الْكَلَامَ بِالصَّمْتِ .

(١) اليافوخ : هو الموضع الذي يلتقي فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء :

نواحيها .

وذم قومٌ في مجلس سليمان بن عبد الملك الكلام، فقال سليمان: اللهم عَفِّرَا، إِنَّ
 من تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ قَدْرَ أَنْ يَصُمْتَ فَيُحْسِنَ؛ وليس من صَمَتَ فَأَحْسَنَ قَدْرًا على أَنْ
 يَتَكَلَّمَ فَيُحْسِنَ .

قال بكر بن عبد الله: طول الصمتِ حُبْسَةٌ^(١). ونحوه قول عُمر بن الخطاب: تركُ
 الحركة عَقْلَةٌ .

وكان نوفل بن مُساحق إذا دخل على امرأته صَمَتَ، وإذا خرج من عندها تَكَلَّمَ؛
 فقالت له: أَمَا عِنْدِي فُطْرِي، وَأَمَا عِنْدَ النَّاسِ فَتَنْطِقُ! فقال: أَدِقُّ^(٢) عَنْ جَلِيلِكَ
 وَتَجَلِّينَ عَنْ دَقِيقِي .

وفي حكمة لقمان: يَا بُنَيَّ، قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى السَّكُوتِ .

قال ابن إسحاق: النَّسَّاسُ خَلَقَ^(٣) بِالْبَيْنِ لِأَحَدِهِمْ عَيْنٌ وَيَدٌ وَرَجُلٌ يَقْفِزُ بِهَا، وَأَهْلُ
 الْبَيْنِ يَصْطَادُونَهُمْ؛ فخرج قومٌ في صيدهم فَرَأَوْا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ فَأَدْرَكُوا وَاحِدًا فَعَقَرُوهُ
 وَذَبَحُوهُ وَتَوَارَى أَثْنَانِ فِي الشَّجَرِ، فَقَالَ الَّذِي ذَبَحَهُ: إِنَّهُ لَسَمِينٌ، فَقَالَ أَحَدُ الْآخَرَيْنِ:
 إِنَّهُ أَكَلَ ضُرَّوًّا، فَأَخَذُوهُ فَذَبَحُوهُ، فَقَالَ الَّذِي ذَبَحَهُ: مَا أَتَفَعَ الصَّمَتَ! قَالَ
 الثَّلَاثُ: فَهَإِنَّا الصَّمَّيْتُ فَأَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ . (الضُّرُّو: حَبَّةُ الْخَضِرَاءِ)^(٥) .

كان يقال: إِذَا فَاتَكَ الْأَدَبُ فَالْزِمِ الصَّمْتَ .

(١) في البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «خبرة» . والحُبْسَةُ
 بالضم: اسم من الاحتباس وهو تعذر الكلام عند إرادته . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦):
 «قال: إني أجل عن دقيقك، وتدقني عن جليلي» . (٣) وردت هذه الحكاية في كتاب الحيوان
 للدميري (ج ٢ ص ٤١٥) باختلاف يسير في بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد . (٤) كذا
 في حياة الحيوان . وفي الأصل: «ينقر» .

وقال بعضهم : لا يَجْتَرِي عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا فَائِقٌ أَوْ مَائِقٌ^(١) .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صُمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ * وَفَتَاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ^(٢)

قال أبو الدرداء : أَنْصَفُ أَذُنَيْكَ مِنْ فَيْكَ ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أَذُنَانِ [اثنتان]^(٣) وَفَمٌ وَاحِدٌ ، لِتَسْمَعَ أَكْثَرَمَا تَقُولُ .

حَضَرَ قُشَيْرِيٌّ مَجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَأَطَالَ الصَّمْتَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : بِحَقِّ سُمَيْتِمُ خَرَسَ الْعَرَبُ ؛ فَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ : يَا أُنْحَى ، إِنِّي حَظُّتُ الرَّجُلَ فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ ، وَحَظُّهُ فِي لِسَانِهِ لغيره .

وقال بعض الحكماء : أَكْثَرُ الصَّمْتِ مَا لَمْ تَكُنْ مَسْتَوِلًا فَإِنَّ قُوَّةَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى مَرَاتِبِ الْقَائِلِينَ الْمُصِيبِينَ ، فَادْكُرْ مَا دُونَ الصَّوَابِ مِنْ وَجَلِ الْخَطَا وَفَضَائِحِ الْمُقْصَرِينَ .

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْهَيْثَمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَا ، فَقَالَ لَهُ الْهَيْثَمُ : يَا هَذَا ، بِكَلامٍ مِثْلِكَ رُزِقَ أَهْلُ الصَّمْتِ الْحُبَّةَ . وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

خَلَّ جَنَّتِيكَ لِرَامٍ * وَأَمِضْ عَنْهُ سَلَامٍ

مَتَّ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ * لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مِنَ الْسَّجَمِ^(٤) فَاهِ بِالْجَامِ

(١) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الهالك حقاً وغباوة .

(٢) في الأصل « المحبر » وهو تحريف ، لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب الرقاق يرثي مالك بن أنس المدني كما في العقد الفريد لأبن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده :

وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ * وَنَيْطَتْ لَهُ الْأَدَابُ بِاللِّحْمِ وَالْدَمِ

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) . (٤) في البيان والبيان (ج ١ ص ١٤٩) :

« المسلم » .

وقال آخر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا صاحبنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام .

وقال الأصمعي : إذا تظرف العربي كثركلامه ، وإذا تظرف الفارسي كثرت سكوته .

قال حاتم طيء : إذا كان الشيء يُكْفِيكَهُ التَّركُ فَاتَّركه .

قال عبد الله بن الحسن لأبيه : استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول ، فإن للقول ساعات يضرب فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب . ١٠

وقال إياس بن قتادة :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا * وَتَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالنَّكَلُمِ

تكلم ابن السماك يوما وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده ! قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه ؛ قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه ! ١٥

قال عيسى بن مريم : من كان منطقه في غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها .

(١) في نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) وحاشية أبي تمام شرح البريزي (طبع مدينة بن) : « وتجهل

أيدينا ... الخ » ونسب البيت فيهما إلى معبد بن علقمة . ونسب في أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) إلى

إياس بن قتادة ، كما في الأصل هنا . ٢٠

كان العباس بن زُفر لا يُكَلِّم أحدا حتى تَبَسَّطَ الشَّمْسُ، فإذا انْفَتَلَ عن صلاته
ضَرَبَ الأعناقَ وقَطَعَ الأيدي والأرجل . وكان جَرِير لا يَتَكَلَّم حتى تَبْزُغَ الشمسُ ،
فإذا بَزَغَت قَذَفَ الْمُحْصَنَات .

قال قَتَادَة : مكتوب في التَّوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

قال الزُّهْرِيُّ : إعادَة الحديث أشدُّ من وَقَعَ الصَّخْر .

وفي كتب العجم : أنَّ أربعة من الملوك آجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمة واحدة كأنها
رميةٌ بسهم : ملك فارس ، وملك الهند ، وملك الروم ، وملك الصين . قال أحدهم :
إذا تكلمتُ بالكلمة ملكتُني ولم أملكها . وقال آخر : قد نَدِمْتُ على ما قُلْتُ ولم أُنْدَمْ
على ما لم أَقُل . وقال آخر : أنا على ردِّ ما لم أقل أقدرُ منِّي على ردِّ ما قُلْتُ . وقال آخر :
ما حاجتي إلى أن أتكلَّم بكلمة ، إن وقعت على ضررتي ، وإن لم تقع على لم تنفعني .
قال زُبَيْد الياحِي : أسكتني كلمةُ ابن مسعود عشرين سنة : مَنْ كان كلامه
لا يوافق فعله فإِذَا يُوَجَّح نفسه .

وفي كتاب كَلِيلَة ودمنة : ثلاثة يؤمرون بالسكوت : الراقى في جبل طويل ،
وآكل السمك ، والمُرَوِّى في الأمر الجسيم . قال بعض الشعراء :
(٢) (٣) (٤)

قد أفلح السالم الصَّمُوتُ * كلامُ واعى الكلام قوتُ

(١) انفتل عن صلاته : انصرف عنها . (٢) كذا في الأنساب للسمعاني ؛ وتهذيب التهذيب ؛
وتاج العروس . وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب الياحِي نسبة الى يام بطن من همدان .
وفي الأصل « زيد النامي » بالنون وهو تحريف . (٣) المروى : من روى في الأمر ويقال رَوَّأَ
(بالهمزة) اذا نظرفه وتعبه ولم يجعل بجواب . (٤) هو محمد بن أبي العتاهية كافي الأغاني (ج ٣
ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضا في ديوان والده أبي العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كلُّ نَطْقٍ لَهُ جَوَابٌ * جوابٌ ما يُكْرَهُ السَّكُوتُ
يا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومٌ * مُسْتَقِيرٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

بلغني عن أبي أسامة عن ابن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا
وصمت الأحنف ؛ فقال معاوية : يا أبا بَحر، مالك لانتكلم ؟ قال : أخافكم إن
صدقتكم، وأخاف الله إن كذبت .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا الحميد بن خالد قال حدثنا أبو الحكم مروان بن
عبد الواحد عن موسى بن أبي درهم عن وهب بن منبه قال قال ابن عباس :
كفى بك ظالمًا ألا تزال مُحاصِمًا ، وكفى بك آثمًا ألا تزال مُماريًا ، وكفى بك كاذبًا
ألا تزال مُحدثًا بغير ذكر الله تعالى :

وقال بعضهم :

يَمُوتُ الْفَقِي مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ * وليس يموت المرء من عثرة الرجل^(١)
فعرثته من فيه تَرْنِي بِرَأْسِهِ * وعثرته بالرجل تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

سئل بعض الحكماء عن البلاغة، فقال : من أخذ معاني كثيرة فأذاها بالفاظ
قليلة، أو أخذ معاني قليلة فولد فيها ألفاظا كثيرة .

بلغني عن أبي إسحاق الفزاري قال : كان إبراهيم يُطِيلُ السَّكُوتَ ، فإذا تكلم
أنبسط، فقلت له ذات يوم : لو تكلمت ! فقال : الكلام على أربعة وجوه، فمنه
كلامٌ ترجو منفعةً وتخشى عاقبته، فالفضلُ منه السلامة ؛ ومنه كلامٌ لا ترجو منفعةً
ولا تخشى عاقبته ، فأقلُّ مالِك في تركه خِفةُ المؤونة على بدنك ولسانك ؛ ومنه كلامٌ

(١) هذات البيتان لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما في العقد الفريد

لا ترجو منفعةً وتخشى عاقبته، وهذا هو الداءُ العضالُ؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعةً وتأمُنُ عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره؛ قال : فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام .

(١) الاستدلال بالعين والإشارة والنُصبة

يقال : رَبِّ طَرِّفْ أَفْصَحَ مِنْ لِسَانٍ . قال أعرابي :
إِن كَاتَمُونَا الْقَلِي تَمَّتْ عِيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ
وقال آخر :

إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا * تُضْمِرُهُ أَنْتَ عَنْهَا الْعُيُونُ

آخر :

١٠ أَمَّا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أُبْدِي

وقال ذو الرمة :

نَعَمْ هَاجَتْ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ * مِنَ الشَّوْقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ
فَمَا زِلْتُ أَطْوِي النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّمَا * يَذِي الرِّمْتِ^(٢) لَمْ تَحْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكَ
حَيَاءً وَإِشْفَاقًا مِنَ الرِّكْبِ أَنْ يَرَوْا * دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ

١٥ وقال الحارثي يذكر ميتا :

أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَجْمَدَنَا قَرَى^(٣) * مِنَ الْبَثِّ^(٤) وَالْدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَاصِمِ
وَأَوْسَعَنَا عِلْمًا بَرْدَ جَوَانِبِنَا * فَأَعْجَبَ بِهِ مَنْ نَاطِقِي لَمْ يُجَاوِرِ

(١) النصبة بالضم : هي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيئة بغير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥) .

(٢) أطوى النفس : أضمرها على شيء من حب مية . وذو الرمت : اسم واد لبني أسد .

(٣) أجمدنا : أشبعنا . (٤) البث : النعم والحزن ، وقيل أشده .

ومثل هذا قولُ القائل : سَلِ الْأَرْضَ قَلِيلًا : من شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ
أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثِمَارَكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حَوَارَاءُ ، أَجَابَتْكَ أَعْتَابَارًا . قال أبو العتاهية ^(٣) :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ * مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءُ
وَفِي الْعَيْنِ غِنًى لِلْعَيْنِ ^(٤) أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

الشعر

يقال : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّكَ نَفْسَهُ . ويقال : خَيْرُ الشَّعْرِ الْحَوْلِيُّ الْمُتَقَحَّحُ الْمُحَكَّكُ .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : سَكَّرَ
لَا حَالَاوَةَ لَهُ . قيل لبعض علماء اللغة : أَرَأَيْتَ الشَّاعِرِينَ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ
فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ : عُقُولُ رَجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمَا .

قال بشار يصف نفسه :

زُورُ مُلُوكٍ عَلَيْهِ أَهْبَةٌ * يُعْرِفُ مِنْ شَعْرِهِ وَمِنْ خُطْبَةٍ ^(٥)
لِلَّهِ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ * مِنْ لُؤْلُؤٍ لَا يُنَامُ عَنْ طَلَبِهِ ^(٦)
يَخْرُجُنْ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا * يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ لَهَبِهِ ^(٧)

(١) القائل هو الرقاشي كما في الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص ١١ طبعة الآستانة سنة ١٣١٩ هـ) .

(٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جابهه وراجعه في الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات في ديوان

أبي العتاهية المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ٤ : طبعة القاهرة

سنة ١٣٣٢ هـ) : «لله» . (٥) الزور : الزائر . (٦) كذا في الأصل ، وفي ديوان بشار

(ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للندي ... الخ» .

تَرْوُ إِلَيْهِ الْحَدَاثُ غَادِيَةً * وَلَا تَمَلُّ الْحَدِيثَ مِنْ عَجَبِهِ
تِلْعَابُهُ تَمَكُّفُ الْمُلُوكِ بِهِ * تَأْخُذُ مِنْ جَدِّهِ وَمِنْ لَعِبِهِ
يَزِدُّهُمْ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ * بَيَانُهُ مُسْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ

وقال الطائي يذكر الشعر :

إِنَّ الْقَوَائِيَّ وَالْمَسَاعِيَّ لَمْ تَزَلْ * مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ قَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ تَثْرُقَانِ أَلْفَهُ * بِالشَّعْرِ صَارَ قَلَانِدًا وَعُقُودَا
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتِ الْعَرَبُ الْأَلَى * يَدْعُونَ هَذَا سُودْدًا مَجْدُودَا
وَتَبْدُ عَنْدهُمْ الْعُلَا إِلَّا عُلَا * جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَرِيضِ قِيُودَا

وقال أيضا :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ * مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وَمَا الْعُلَا مَا لَمْ تَرَ الشَّعْرَ بَيْنَهَا * لِكَالِ الْأَرْضِ غُفْلًا لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَيَغْتَدِي * لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمُ
يَرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ * وَيُقْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ
وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَمِ الشَّعْرِ مَا دَرَى * بُغَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

- ١٥ (١) رجل تلعب بكسر التاء : كثير المزح والمداغة .
(٢) في ديوان أبي تمام المطبوع (ص ٩٠) : « الجمان » .
(٣) في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦٠٦ أدب (ص ٤٨) وديوانه المطبوع أيضا (ص ٩٠) : « مجدودا » بالخاء المهملة .
(٤) المراجع مرة ، والأصل في الميزة طاقة الحبل .
(٥) رواية الديوان (ص ٢٨٦) : « ولا كالعلا ما لم ير... فكلا أرض... الخ » .
٢٠ (٦) القفل من الأرض : ما لا علاه فيه .
(٧) كذا في ديوانه . وفي الأصل « ترى » .

وقال عمر بن الخطاب لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولم ذاك ؟ قال :
لأنني أقول البيت وأخاه ، ولأنك تقول البيت وأبن عمه .

قيل لعقيل بن علفة : ألا تطيل الهجاء ^(١) ؟ فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط
بالعنق .

وقال بعضهم : خير الشعر المطمع .

قيل لكثير : يا أبا صخر ، كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر ؟ قال :
أطوف بالرباع المحيلة ^(٢) والرباع المعشبة ، فيسهل على أرضته ويسرع إلى أحسنه .

ويقال : إنه لم يستدع ^(٣) شارد الشعر بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ،
والمكان الخضر الخالي أو الخالي ^(٤) .

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سبيبة : هل تقول الآن شعرا ؟ قال ^(٥) :
ما أشرب ، ولا أطرب ، ولا أغضب ؛ وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .

(٢) كذا في تناب الشعر والشعراء للؤلف (ص ١٨ طبعة لندن سنة ١٩٠٢) والمحيلة : الخالية
من السكان ؛ يقال : خلت الدار وأخلت . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : « بالرباع المحيلة »
وهي التي أنت عليها أحوال فقيرتها . وفي الأصل : المحيلة بانحاء المعجزة .

(٣) كذا في الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفي الأصل : « لم يسرع » .
(٤) الخالي هو الخالي من الضوضاء . وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣)
بدون الكلمة « الخالي » ثم قال صاحب العقد : « تأول بعضهم « الخالي » يريد الخالي من النوار يعني الرياض
وهو توجبه حسن » . وأما « الخالي » بالمهمل فهو المتحل بالنوار ، ومنه قول أبي بكر بن عبد الرحمن الزهري
(ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحماسة لأبي تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢ هـ) :

ولما نزلنا منزلا طله النسي * أنيقا وبستانا من النور حاليا

(٥) في الشعر والشعراء (ص ١٨) : « قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ » .

(١) وقيل لكثير: ما بقي من شعرك؟ فقال: ماتت عزة فما أطرب، وذهب الشباب فما أعجب، ومات ابن ليلى فما أرغب—يعني عبد العزيز بن مروان— وإنما الشعر بهذه الحلال.

(٢) وقيل لبعضهم: من أشعر الناس؟ فقال: أمرؤ القيس إذا ركب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

وقيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء، فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم، وهل رأيت بانيلاً لا يحسن أن يهدم!

وقلت في وصف الشعر: الشعر معيد علم العرب، وسفر حكتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها، والحنديق المحجوز على مفازها، والشاهد العدل يوم النفار، والمجبة القاطعة عند الخصاص؛ ومن لم يقيم عندهم على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميد بيت منه، شدت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساما؛ ومن قيدها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر، والمثل السائر، والمعنى اللطيف، أخلدها على الدهر، وأخلصها من الجحد، ورفع عنها كيد العدو وغض عين الحسود.

وما جاء في الشعر كثير. وقد أفردت للشعراء كتاباً، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب. وذكرت هذه التفتة في هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون.

(١) رواية الأمامي (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية): «قيل لكثير: مالك لا تقول الشعر! أجبت؟ قال: والله ما كان ذلك، ولكن فقدت الشباب فما أطرب، ورزئت عزة فما أنسب، ومات... الخ» وفهر أبو علي القالي: «أجبت» بقوله: «أجبت»، أي انقضت عن قول الشعر. أخذه من قولهم: أجبل الحافر إذا انتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر» (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣): «وقالوا: أشعر الناس، النابعة إذا رهب، وزهير إذا غضب، وجير إذا رغب».

حُسن التشبيه في الشعر

من ذلك قولُ ابنِ الزَّيْبِرِ الأَسَدِيِّ في الثُّرَيَّا :

(١) وقد لاحت في العُورِ الثُّرَيَّا كأنَّما * به رايةٌ بيضاءُ تُخَفِّقُ للطَّعْنِ

شبه الثُّرَيَّا حينَ تَدَلَّتْ لِلغَيْبِ برايةً بيضاءَ خَفَقَتْ للطعن .

ومن ذلك قولُ عنترة في الذُّبَابِ :

(٢) وخلا الذُّبَابُ بها فليس بنازِجٍ * هَزَجًا كَفَعِلَ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ (٤)

(٥) غَرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بذِرَاعِهِ * فَعَلَ المِكْبُ عَلَى الزَّنَادِ الأَجْدَمِ (٦)

شبه حكمة يده بيده برجلٍ مقطوع الكفَّين يقدح النار بعودين .

ومن ذلك قولُ أعرابي في العنَبِ :

(٨) يَحْمَلُنْ أَوْعِيَةَ السُّلَافِ كأنَّما * يَحْمِلُنَهَا بَأْسَ كَارِعِ النَّغْرَانِ (٨)

أَوْعِيَةَ السُّلَافِ : العنب ، جعله ظرفاً للخمر ، وشبه شعب العناقيد التي تحمل

الحبَّ بأرجل النُّغْرَانِ . (والنُّغْرُ : طائر مثل العصفور أحمر المنقار) .

(١) كذا في معاهد التنصيص ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ، ونسخة خطية من الأغاني

محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م في أخبار أبي قيس بن الأسلت . وفي نسخة خطية أخرى من

الأغاني رقم ١٢٦١ : « تخفض » بدل « تخفق » وفي طبعة بولاق منه (ج ١٥ ص ١٦٦) « وقد لاح

في القور ... » بالقاف . وفي الأصل هنا :

وقد حرم النور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفض للطعن

وفيه أيضا « خفضت » في تفسير المؤلف للبيت بدل خفقت التي أثبتناها ، تبعاً للرواية التي آثرناها

في البيت . (٢) يروى هذا البيت في شرح المعلقات للزوزني (طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ) :

« ... فليس يبارح . غردا » ويروى البيت الذي بعده « هزجا يحك ... قدح المكب » .

(٣) الضمير في « بها » يعود على الروضة التي قصدي عنترة لوصفها في معلقته . (٤) هزج ككتف :

مصوت . (٥) غَرْدٌ : من غَرَدَ الطائر إذا رفع صوته في غناؤه وطرب . (٦) المكب : من

أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجذم : المقطوع اليد ، وقيل المذهب الأنامل .

(٨) في اللسان مادة « نغر » : « يحملن أزقاق المدام ... بأظافر ... الخ » .

وقال الآخر: وكان غشي عينيه بياض أو نزل فيهما ماء، :

يقولون ماء طيب خان عينه * وما ماء سوء خان عيني بطيب

ولكنه أزمان أنظر طيب * بعني غدافي^(١) علا فوق مرقي

كأن ابن بجلي مد فضل جناحه * على ماء إنسانيهما المتغيب

شبهه ما علا الحدقة بجناح فرخ من فراخ الزاير قد مد على ناظره .

ومن ذلك قول امرئ القيس وذكر العقاب :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالي^(٢)

شبهه الرطب بالعناب، واليابس بالحشف . وشبهه شيئين بشيئين في بيت واحد .

ومن ذلك قول أوس بن حجر وذكر السيف :

كأن مدب النمل يلتمس الربي * ومدرج ذر^(٣) خاف برداً فأسهلا

شبهه فيرد السيف بمدرج الذر ومدب النمل .

ومن ذلك قول أبي نواس في البازي :

ومنسر أكلف فيه شغا * كأنه عقد ثمانينا^(٤)

(١) الغدافي: الشديد السواد؛ نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفي الأصل: «بعني غدافيا» .

(٢) أجمع بتقديم الجيم على الحاء: العسوب العظيم، ودو في خلق الجرادة إذا سقط لا يضم جناحه،

والجمع بحول وبحلان . (٣) العناب كرتان: شجر معروف، حبه كحب الزيتون في شكله .

(٤) الحشف: ما يمس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى . (٥) الذر: صغار النمل، واحدة

ذرة . (٦) فرند السيف بكسر الفاء والراء: جوهره وشبهه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشغا: زيادة في المنقار الأعلى على الأسفل مع تعمق وانعطف، ولذا سميت العقاب بالشغواء .

(٨) شبه منسر البازي الذي فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم؛ وصفة عقد

الثمانين: أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للآلومي طبعة بغداد ج ٣

ومن ذلك قول أعرابي في امرأة :

قامت تصدّى له عمدا لتقتله * فلم ير الناس وجدا مثل ما وجدا
بجيد آدم لم تعقد فلائذه * وناهد مثل قلب الظبي ما نهدا
فظل كالحائم الهيار ليس له * صبر ولا يأمن الأعداء إن وردا
شبه نديها في نهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحدا شبه الندي بقلب
الظبي غيره .

ومن ذلك قول جحدر العنكي في امرأة :

على قدّم مكنونة اللوب رخصة * وكعب كدفري جودر الرمل أدرا
شبه كعبها بأصل أذن الجودر ، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حميد بن ثور يصف قرخ القطاة :

كان على أشداقه نور خنوة * إذا هو مد الحيد منه ليطما
ومن ذلك قول دعلج يهجو امرأة :

كان التأليل في وجهها * إذا سفرت يد الكشمش
لها شعر قردي إذا أزيئت * ووجه كبيض القطا الأبرش

- ١٥ (١) يقال : ظلي آدم إذا أشرب لونه بياضا . (٢) الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء .
(٣) الهيمان : العطشان . (٤) الدفري : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب آدم :
مستوى . (٦) كذا رواه المؤلف في كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والخنوة بالفتح : نبات
سملّ طيب الريح . وفي الأصل « خنوة » بالخاء وهو تحريف . (٧) في شرح حماسة أبي تمام
للبريزي (ص ٨٢١ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨) : « أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبي الغطّش
الحنفي » . (٨) التأليل جمع تُولول وهو الحبة تظهر في الجلد كالجمعة فادونها . (٩) البدّد
جمع بدّة وهي القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .
(١١) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « إذا زينت » . (١٢) الأبرش : ما به برش ،
والبرش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قولُ أبي نُؤاسٍ في وصف البطِّ :

* كَأَنَّمَا يَصْفِرُونَ مِنْ مَلَأَقٍ ^(١) *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجَّازِ في جارية سوداء :

كَأَنَّمَا وَالْكُحْلُ فِي مِرْوَدِهَا * تَكْحُلُ عَيْنِهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا

ومن ذلك قولُ الجَعْدِيِّ في فرسٍ :

خَيْسَطَ عَلَى زَفْرَةٍ قَتَمَ ^(٢) وَلَمْ * يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ ^(٣)

يقول هو مستفخ الجنبين، فكأنه زفر فانتخج جنباه ثم خيط على ذلك .

ومن ذلك قول الطَّرِيحِ يصف الثور :

يَسْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ * سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيَعْمَدُ ^(٤)

ومن ذلك قول النابغة للنعمان :

فَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ خِلْتَ أَنَّ الْمُتَتَايَ عَنْكَ وَاسِعٌ ^(٥)

ومن ذلك قوله في المرأة :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا * نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ

يقول : نظرت إليك ولم تقدر أن تتكلم، كما ينظر المريض إلى وجه عواده

وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ .

(١) عجزه كما في الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصة الأقدام في المهاوق *

(٢) كذا في اللسان مادتي «زفر» و «هضم» وفي الأصل «الجعري» . (٣) زفرة الفرس :

وسطه، يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة، أي عظيم الجوف . (٤) كذا في اللسان . وفي الأصل

«ولا هرم» والهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها، وهي من عيوب الخيل التي تكون خلقة .

(٥) كذا في «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفي الأصل «ويعضد» . (٦) كذا في ديوان النابغة

طبع باريب واللسان مادة «نأى» وفي الأصل «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجردة زوج النعمان .

ومن ذلك قول طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ القى * لكأطول المرتضى وثنيته باليد^(١)

ومن ذلك قول بعض الضبيين يصف أباريق الشراب :

كأن أباريق الشمول عشيّة * إوز بأعلى الطف عوج الحناجر^(٢)

ونحوه قول أبي الهندي^(٣) :

سيعني أبا الهندي عن وطب سالم * أباريق لم يعلق بها وضر الزيد^(٤)
مقدمة قرا كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفزع للرد^(٥)

ومن ذلك قول نصيب في عبد العزيز بن مروان :

وكلك أنس بالمعتفين * من الأم بأبتها الزائرة

ومن ذلك قول عدى بن الرقاع في الظبية :

ترجي أغن كأن إبرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها^(٦)

ومن ذلك قول بشار :

كأن منار النقع فوق رؤوسهم * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها^(٧)

(١) الطول : الحبل الطويل تشد به قائمة الدابة ويمسك صاحبها بطرفه ويتركها ترعى .

(٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبي كما في اللسان مادة « برق » . (٣) الطف : ما أشرف

من أرض العرب على ريف العراق . (٤) كذا في اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج

الرقاب . وفي الأصل : « المناخر » بانحاء المعجمة . ولعلها « المناخر » بالحاء المهملة ، جمع منحرو وهو موضع

النحر من الخلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس كما في اللسان مادة « وضر » .

(٦) الوضر : وضح الدم واللبن . (٧) المقدم : الإبريق الذي على فمه فدام وهو خرقة من قز

أوغره . (٨) يريد بنات الماء الإوز وما يشابهها من طيور الماء . (٩) ترجى :

تسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما في صوته غنة . (١١) الروق : القرن .

(١٢) كذا في الأصل والشعر والشعراء . وفي التلخيص للزويني « فوق رؤوسنا » وهي الرواية المشهورة .

ومن ذلك قوله :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى * كَأَن جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

ومن ذلك قول الآخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا لَيْسَ مِنِّي أَعَاتِبُهُ

يقول : لا أَقْدِرُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ بَغْضِهِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ .

ومن ذلك قول الآخر :

كَأَنَّ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَنَزِلَةٍ * مُصْبَغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قِصَارِ^(٢)

النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ هَذَا ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ أَقُولُ : الْأَوَّلَى أَنَّ يُسَبِّهُ الْمُصْبَغَاتِ
بِالنِّيرَانِ ، لَا النَّيْرَانِ بِالْمُصْبَغَاتِ .

الآبيات التي لا مثل لها

١٠

حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ لَيْثٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ

قَالَ : إِنَّهَا كَلِمَةٌ نَبِيَّةٌ :

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

حَدَّثَنِي الرَّيَّاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أَرَبُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ أَبِي ذُوؤَيْبٍ :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

١٥

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ الْهَلَالِيِّ :

أَرَى بَصِيرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا

(١) المصْبَغَاتُ : الثَّيَابُ الَّتِي صُبِغَتْ وَلَوْنَتْ بِالصَّبْغِ .

(٢) الْأَرْسَانُ جَمْعُ رَسَنٍ بِالْحَرَكِ وَهُوَ الْحَبْلُ .

(٣) الْقِصَارُ : الَّذِي يُحَوِّرُ الثَّيَابَ وَيُدْقُّهَا بِالْقَصْرَةِ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ .

وأحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر في قوله :^(١)

أيتها النفس أجمل جرعاً * إن الذي تكرهين قد وقعا^(٢)

وأغرب من ابتداء قصيدة النابغة في قوله :

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أفاسيم بطن الكواكب

حدثني الخشعمي الشاعر قال : أحسن بيت قيل في الجبن قول نهشل^(٣)
ابن حري :

فلو كان لي نفسان كنت مقاتلاً * بإحداهما حتى تموت وأسلما

قال : وبيت الخبل في قساوة القلب :

يئني علينا ولا نبكي على أحد * لنجن أغلظ أبكاداً من الإبل

قال : وبيت عبيد في الاستغفاف :

من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لا ينجب

قال : وبيت منجوف بن مرة السامي في الاحتفاظ بالمال :

وأدفع عن مالي الحقوق وإنه * لجم فإن الدهر جم مصائبه

قال : وبيت الخطيئة في إكرام النفس :

وأكرم نفسي اليوم عن برء طعمة * ويقني الحياء المرء والرح شاجرة^(٤)

(١) في الأصل : « وأحسن من ابتداء مرثية قول أوس بن حجر » . (٢) في الشعر

والشعراء (ص ٧) « تحذرين » . (٣) في الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتاه عن الأغاني (ج ٨

ص ١٥٩) وطبقات الشعراء للحمص ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) في الأصل :

« شاجر » وما أثبتناه عن ديوان الخطيئة (طبع ليسج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأكرم

نفسى ... الخ . فني الحياء (وزان فرج) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزبرقان ويمدح آل

شباس مطعما :

عفا مسحلان من سلمي فخامره * تمشى بظلمته وجآذره

قال : وقول كعب في الإقدام ^(١) :

نَصَلُ السَّيْفَ إِذَا قَصُرَ بَخْطُونَا * قَدُمَا وَنَلِجُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة في الصبر :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ * مَكَانِكَ تُجَدِّي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وأحسن من هذا عندي قول قطري ^(٢) :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ لِنَفْسِي * مِنَ الْإِطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي

فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ * عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي ^(٣)

قال : وبيت مسكين الدارمي في الجود ^(٤) :

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقَنَعُ

قال : وفي حسن الجوار قوله :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَلِإِيهِ قَبْلِي تُزَلُّ الْقِدْرُ

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ

قال : ومن رضى بالقليل جميل ، قال :

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ * يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

١٥ (١) هو كعب بن مالك ، كما في الكامل للبرد طبع أوروبا (ص ٦٦) والأغاني (ج ١٥ ص ٣٠) وورد

فيه «يوما» بدل «قدما» . (٢) روى هذا المصراع في حماسة أبي تمام هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ... الخ

(٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحماسة أبي تمام . وفي الأصل : « ... حياة ...

من الأجل ... الخ » وفي العقد الفريد : « ... حياة ... سوى الأجل ... » (٤) في شرح

حماسة أبي تمام للتبريزي : « قال عتبة بن بجير ، وقيل إنه لمسكين الدارمي » . وروى البيت

فيه هكذا :

لخاف لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهمني عنه غزال مقنع .

(١)
وقول الآخر :

أليس الليل يُلْبِسُ أمَّ عمرو * وإيانا فذاك بنا تَدَانِي
تَرَى وَضَحَ النهار كما أَرَاهُ * ويعلوها النهار كما عَلَانِي

قال : وبیت عمرو بن كُثُوم في الجهل :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا * فَجَهِلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

قال : وبیت النابغة في ترك الإلحاح :

فَاسْتَبَقِي وَدَكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ * قَتَبًا^(٢) يَعْصُ بِغَارِبٍ مِلْحَاحًا

قال : وفي إدراك التار قول مُهْلِيل :

لَقَدْ قَتَلْتُ^(٣) بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَحَدُ

قال : وبیت عُرْوَة بن الورد في تبليغ العذر في الطلب :

لِتُبْلِغْ عُدْرًا أَوْ تُفِيدْ غَنِيمَةً^(٤) * وَمُبْلِغُ نَفْسِ عُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِجٍ

قال : وبیت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى :

كُلُّوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَبْشُرُوا * فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ عَدَا

قال : وفي الشجاعة قول العباس بن مرداس :

أَشْدُّ عَلَى الْكَتَيْبَةِ لَا أَبَالِي * أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أُمِّ سِوَاهَا

(١) هو المملوط كما في كتاب الشعر والشعراء للأولف (ص ٢٦٧) ويروى فيه صدر البيت الثاني هكذا :

* بلى وترى السماء كما أراها *

(٢) القَتَب : رحل صغير على قدر السنام . وفي أساس البلاغة : « ومن المجاز قولهم للتح : هو قتب

يَعْصُ بالغارب ، و قتب مِلْحَاح » ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) في خزنة الأدب

للبيدادي (ج ١ ص ٢٠٣) : « أكثر قتلى ... الخ » . (٤) رواية ديوان عروة بن الورد

طبع المطبعة الأهلية بيروت (ص ٨) : « ... أو تصيب رغبة ... الخ » .

قال : وبيت المتأمل في المال وتتميره :^(١)

قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دِغِيلُ بن عليّ الشاعر قال : أهجى بيتٍ قيل قولُ الطَّرِمَاحِ في تميم :

تميمٌ بطريقِ اللُّؤمِ أهدى من القَطَا * ولو سَلَكْتُ طُرُقَ المكارمِ ضَلَلْتُ

قال : وكذلك قولُ الأَخْطَلِ :

قومٌ إذا أَسْتَبَحَ الأضيافُ كَأَهِمُّ * قالوا لأَمِّهِمْ بُولَى على النارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْثَةِ للزُّبَيْرِ قَانِ في قِصْرِ الهِمَّةِ :

دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَّلْ لِغَيْبِهَا * وأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسِي

قال غيره : وقولُ الطَّرِمَاحِ في القَلَّةِ والنُّجُولِ :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ * من خَلَفَهُ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدِ

ونحوه قولُ الآخر :

وأَنْتَ مَلِيخٌ كُلِّحِ الحُؤَا * رِلا أَنْتَ حُلُوٌّ ولا أَنْتَ مُرٌّ^(٢)

وكذلك قولُ جَرِيرٍ في التَّمِيمِ :^(٣)

(١) كذا في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ) والشعر والشعراء للأولف

(ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للنويري (ج ٣ ص ٦٤) . ويروى صدر البيت في الأغاني والشعر

والشعراء : « وإصلاح القليل يزيد فيه ... الخ » . ويروى في نهاية الأرب : « ... مع الفساد » .

وفي الأصل نسب البيت « لعبيد » . (٢) مليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذي ينحر

حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان في ديوان جرير المخطوط المحفوظ

بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨ أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

أَلَا زَارَتْ وَأَهْلُ مَنَى هَجُودٌ * وليت خيالها بمنى يعود

ويروى في الديوان : « ... لولقيت ... أيهم ... الخ » ويروى : « ... ولا يستأثرون ... الخ » .

وقد عزا صاحب الأغاني « ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق » البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنك لو رأيت عبيد تيم * وتيمًا قلت أيهما العبيد
ويُقضى الأمر حين تغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود
وأحسن ما قيل في الهيبة :

يُغضى حياءً ويُغضى من مهابة * فما يكلم إلا حين يتيسر
وأغرب ما قيل في مصلوب قول محمد بن أبي حمزة مولى الأنصار :
لعمري لئن أصبحت فوق مشذب^(١) * طويل تعفك الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مرزأ^(٢) * وعوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأفلت من ضيق التراب وعمه * ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر
وأغرب ما قيل في مجوسى قول أعرابي :

شهدت عليك بطيب المشاش^(٣) * وأنتك بحر جواد خضم
وأنتك سيد أهل الجحيم * إذا ما ترددت فيمن ظلم^(٤)
ومن أغرب ما قيل في دعى قول إبراهيم بن إسماعيل البنى :
لو أن موتى تيم كلها نُشروا * وأثبتوك لقليل الأمر مصنوع
مثل الحديد إذا ما زيد في خلق^(٥) * تبين الناس أن الثوب مرقوع
ونحوه قول الآخر :

أجارتنا بأن الخليط^(٦) فأبشرى * فما العيش إلا أن يبين خليط
أعاتبه في عريضه ليصونه * ولا علم لي أن الأمير لقيط

- (١) جذع مشذب : مقشر مما عليه من الشوك . (٢) مرزأ : كريم يصيب الناس خيره .
(٣) في أساس البلاغة للزخشرى : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وإياه لكريم المشاش إذا كان برا » . (٤) كذا بالأصل . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : « النبوى » بتقديم النون على الباء ولم نوفق في المطاآن التى بين أيدينا الى استنباطه . (٥) في ديوان المعاني : « إن الحديد ... الخ » . (٦) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قول دَعْبِل في مالك بن طَوْق :

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ * مَا بَيْنَ ذِي قَرْجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومٍ
وَمَالِكٌ ظَلَّ مَشْغُولًا بِنِسْبَتِهِ * يَرْتَمُ مِنْهَا نَحْرًا بِغَيْرِ مَرْمُومٍ
يَبْنِي بِيوتًا نَحْرًا لَا أُنَيْسَ بِهَا * مَا بَيْنَ طَوْقٍ إِلَى عَمْرٍو بْنِ كَلْتُومٍ

التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ترك عَقِيلٌ علياً وذهب إلى معاوية ؛ فقال
معاوية : يا أهل الشام ، ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه ؟ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ،
إن أخى خير لنفسه وشر لى ، وإن معاوية شر لنفسه وخير لى . قال : وقال معاوية يوماً :
يا أهل الشام ، إن عم هذا أبو لهب ؛ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن عمه هذا حمالة
الحطب ؛ وكانت أم جميل امرأة أبي لهب وهى بنت حرب .

١٠

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو هلال عن قتادة قال قال عبيد الله
ابن زياد لقيس بن عباد : ما تقول فى وفى الحسين ؟ فقال : أَعَفْنِي أَعْفَاكَ اللَّهُ !
فقال : تَتَقُولَنَّ ؛ قال : ييىء أبوه يوم القيامة فيشفع له ، وييىء أبوك فيشفع لك ؛
قال : قد علمتُ غشك وخُبثك ، لئن فارقتنى يوماً لأضعن بالأرض أكرثك شعراً .
قيل لميمون بن مهران : كيف رضاك عن عبد الأعلى ؟ قال : نِعَمَ المرءُ عَمْرُو
أَبْنِ مَيْمُونٍ .

١٥

مرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، فقرؤوا ووقف ؛ فقال
له عمر : ما لك لم تفرِّع أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أَجْرِمُ فَأَخَافُكَ ،
ولم يكن بالطريق ضيقٌ فأوسع لك .

٢٠

(١) رَمَ الحائط وغيره : أصلحه . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدثني الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله ابن طاهر ذات يوم لرجل أمره بعمل : احذر أن تُخطئ فأعقبك بكذا (لأمر عظيم) قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابه على الإصابة ! .

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رثة ، فسأل عنه ، فقالوا : من تغلب ، فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قَلَمًا وطمنا البطحاء ؛ فقال له : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة ، وهي لى دونك ؛ وبطحاء ذى قار ، وأنا أحقُّ بها منك ؛ وهذه البطحاء وسواء العاكفُ فيه والبادي .

حدثني سهل عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره : أن معاوية عَرَضَ فرساً على عبد الرحمن بن حسان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجشَّ هَزِيمًا . يريد قول النجاشي :

وَيَجِيَّ ابْنُ حَرْبٍ سَاحِجٌ ذُو عِلَالَةٍ * أَجَشُّ هَزِيمٌ وَالرَّيْحُ دَوَانِي

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن عباد المخزومي أن قريشاً قالت : قَبَضُوا لِأَبِي بَكْرٍ

(١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذى قار : موضع قريب من ذى قار الذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يقول عليه في المضاف والمضاف إليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ الصهيل ، وهو مما يحد في الخيل . والهزيم من الخيل : الشديد الصوت . (٥) هو قيس ابن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشي قال فيه هذا البيت رفع مندوبيه (تنزيه ثدوة وهي للرجل بمنزلة الندى للراة) وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمزلى فكيف قال هذا ! راجع الشعر والشعراء للزلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية جرى الفرس . (٨) قبضوا : هيئوا وأتخوهوا له .

رجلا يأخذه، فقيضوا له طلحة بن عبيد الله؛ فاتاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر قم إلى؛ قال: إلأم تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى؛ قال أبو بكر: من اللات؟ قال بنات الله؛ قال: فمن أمهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيئوا صاحبكم، فسكتوا؛ فقال طلحة: قم يا أبا بكر، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن عمر أن عمر قال: من يُخبرنا عن قنديل؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولصها بطل؛ إن كان بها الكثير جاعوا، وإن كان بها القليل ضاعوا؛ قال عمر: لا يسألني الله عن أحد بعثته إليها أبداً.

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال: مريض زياد فدخل عليه شريح، فلما خرج بعث إليه مسروق^(٤) [بن الأجدع يسأله] كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقال [مسروق]: إن شريحاً صاحب تعريض فسأله [فسأله]؛ قال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء. ومات ابن لشريح ولم يشعر به أحد، ففدا عليه قوم يسألون به، وقالوا: كيف أصبح من يصل يا أبا أمية؟ فقال: الآن سكن عزه ورجاه أهله.

(١) كذا في معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكري، هي مدينة بالسند. وفي الأصل: «فتدايل» بالفاء.

(٢) الوشل بالتحريك: الماء القليل والكثير ضد. والمراد هنا الماء القليل.

(٣) الدقل بالتحريك: أردأ التمر.

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١).

(٥) كذا في العقد الفريد وفي الأصل: «... صاحب عويص الخ».

(٦) العلز بالتحريك: القلق والكره عند الموت.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني بعض الأعراب قال : هَوَى رجلٌ امرأةً ثم تزوجها ، فأهدى إليها ثلاثين شاةً وزِقَامَن نَحْرٍ ، فشرب الرسولُ في الطريق بعضَ النحر وذبح شاةً ، فقالت للرسول لما أراد الانصراف : اقرأ علي مولاك السلام ، وقل له إن شهربنا نقص يوماً ، وإن سُمِّعنا راعي شائنا أئانا مرثوماً . فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقز .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : خطب أعرابي إلى قوم ، فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وأرتفع السَّجَفُ^(٢) فرأى شيئاً كَرِهَهُ ، فقال والله ما عندي نقد ، وإني لأكره أن يكون علي دين .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : قال سلم بن قتيبة للشَّعْبِيِّ : ما تشتهي ؟ قال : أعز مفقود ، وأهون موجود ، قال : يا غلام أسقه ماء .

المداثني قال : كان لابن عَوْنِ بْنِ عَمٍّ يُؤْذِيهِ ، وَلَاحَاهُ^(٣) يوماً فقال له ابن عون ، لما بلغ منه : لتسكتن أولادك مَسِيمةً . فشهد بعد ذلك عند عبيد الله بن الحسن ، فردَّ شهادته .

المداثني قال : قال المغيرة بن شعبه : ما خدعني أحد قط غير غلام من بلحارث بن كعب ، فإني ذكرت امرأة منهم ، فقال : أيها الأمير ! لا خير لك فيها ، إني رأيت رجلاً قد خلا بها يقبلها ، ثم بلغني بعدُ أنه تزوجها ، فأرسلت إليه فقلت : ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يقبلها ؟ فقال : بلى ! رأيت أباهاً يقبلها .

(١) مرثوم : مكسور ، يقال : رُمِ أنف فلان أو فوه إذا كسر حتى تقطر بالدم .

(٢) السجف بفتح السين وكسرهما : السر .

(٣) لاحاه : نازعه .

قال المدائني : أتى شريحاً القاضى قومٌ برجل ، فقالوا : إن هذا خَطَبَ إلينا :
فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدوابَّ ، فلما رَءَجنَاهُ ، فإذا هو يبيع السنائيرَ ، قال :
أفلا قَلَّمْ أَى الدوابَّ تبيع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده آبن شُرْمَةٍ ، فقال له :
أتعرفه ؟ [وكان رُمي عنده بريئة] قال : نعم ، إن له بيتاً وشرفاً وقَدَمًا ^(١) ، [نَحَلْ سَبِيلَه] ^(٢)
فلما خرج قال له أصحابه : أعرفته ؟ قال : لا ، ولكنى أعلم أن له بيتاً يأوى إليه ،
وشرفه أذناه ومنكباه ، وقدمه هى قدمه التى يمشى عليها .

المدائني قال : سُئِلَ الشعبي عن رجل ، فقال : إنه لنافذ الطَّعنة ، رَكِبَ القعدة ^(٣) ،
يعنى أنه خَيَّاط [فأتوه فقالوا : غَرَرْتَنَا ؛ فقال : ما فعلت ! وإنه لَكَا وصفت] ^(٤) .

المدائني قال : أتى العُريانُ بن الهيثم بشابٍّ سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال :
أنا آبن الذى لا يَنْزِلُ الدهرُ قَدْرُهُ * وإِن نزلت يوماً فسوف تعودُ
ترى الناسَ أفواجاً إلى ضَوْءِ ناره * فمنهم قِيَامٌ حولها وقُعُودُ
فَظَنُّ أنه من بعض أشراف الكوفة فخلَّاه ، ثم نَدِمَ على ألا يكون سألَه مَنْ هو ،
فقال لبعض الشرط : سَلْ عن هذا ، فسأل ، فقالوا : هو آبن بَيَّاعِ الباقِي .

دخل حارثة بن بدر الغُداني على زياد ، وكان حارثة صاحب شرابٍ وبوجهه أثر ،
فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة ^(٥) : أصلح الله الأمير ، ركبت فرساً

(١) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٣

ص ١٥٨) : « ركين الجلوسة » . وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » .

(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : « الأرض » .

(٥) فى الأصل : « فقال زياد » وهو سهو من النسخ .

لى أشقر فحملنى حتى صدم بى الحائط؛ فقال زياد : أما إنك لو ركبنا الأشهب لم يُصَبِّك مَكْرُوه : عَنَى زِيَادُ اللَّبَنِ ، وَعَنِى حَارِثَةُ النَّبِيدِ .

قعد قوم على نبذ فسقط ذباب فى قدح أحدهم ، فقال رجل منهم : غَطَّ التَّمِيمَى ، فقال آخر : غَطَّه فَإِنْ كَانَ تَمِيمِيًّا رَسَبَ ، وَإِنْ كَانَ أَزْدِيًّا طَفَا ؛ قَالَ رَبُّ الْمَنْزِلِ : مَا يَسِّرُنِي أَنَّهُ كَانَ [قَالَ] بَعْضُكُمْ حَرْفًا . وَإِنَّمَا عَنِى أَنْ أَزْدَ عَمَانَ مَلَّاحُونَ .

المدائنى قال : رأى رجل فى يد امرأة كانت تأتية خاتم ذهب ، فقال لها : ادفعى إلى خاتمك أذكرك به ؛ فقالت : إنه ذهب ، وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود .

حدثنى الزبائدى قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة مُرَدِّقًا أبا بكر شيخًا يُعْرِفُ ، ورسول الله شاب لا يُعْرِفُ ، فَمَلَقَ الرَّجُلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ، مَنْ هَذَا [الرَّجُلُ الَّذِى] بَيْنَ يَدَيْكَ ؟ فيقول : [هَذَا الرَّجُلُ] يَهْدِينِ السَّبِيلَ ؛ فَيَحْسِبُ السَّمَاعُ أَنَّهُ يَهْدِيهِ الطَّرِيقَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ .

كَانَ سِنَانُ بْنُ مُكَلٍّ النَّمِيرِيُّ يُسَافِرُ ابْنَ هُبَيْرَةَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ : غَضُّ مِنْ بَغْلَتِكَ ؛ قَالَ : كَلَّا ! إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ . أَرَادَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

(١) ورد هذا الخبر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع السامى) بتفصيل عما هنا . وملخصه أن القوم كانوا من الأزد ومعهم رجل عدولى يتعصب لأصحابه من تميم . فلما رأى القوم يهينون تميمًا عَرَضَ بأنهم مَلَّاحُونَ تعبيرًا لهم . (٢) زيادة من كتاب الحيوان للجاحظ .

(٣) فى الأصل : « نقصكم » وهو تحريف . وفى كتاب الحيوان : « بعضهم » . (٤) الزيادة من صحيح البخارى فى باب الهجرة . (٥) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) .

وفى نهاية الأرب للزورى (ج ٣ ص ١٦١) : « قال عمر بن هبيرة الفزارى لأيوب بن ظبيان النميرى ... الخ » . وفى كتاب الحكايات للثعالبي (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجواب سنة ١٣٠١ هـ : « سائر شريك بن محمد النميرى عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجازت البغلة عمر فقال له : أغضض بغلتك ؛ فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ » . (٦) هو جرير .

فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ * فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كَلَابًا
وأراد سنان قول الآخر:

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ * عَلَى قُلُوصِكَ وَأَكْتَبُهَا بِأَسْثَارِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشيء

الملقف في الجاد؟ فقال: هو السخينة^(٢) يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ * فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ بِفَيْ بَزَادٍ

بُحْبُزٍ أَوْ بَمَرٍ أَوْ بِسَمِينٍ * أَوِ الشَّيْءِ الْمَلْقَفِ فِي الْجَادِ

وأراد الأحنف أن قرئشا تعير بأكل السخينة.

المدائني قال: سأل الحرسي^(١) أبا يوسف القاضي عن السواد؛ فقال: النور

في السواد. يعني نور العينين في سواد الناظر.

المدائني قال: لقي شيطان الطاق^(٤) خارجي فقال: ما أفارقك أو تبرأ من علي،

فقال: أنا من علي ومن عثمان برى. يريد أنه من علي، وبرى من عثمان.

سمع عمر بن الخطاب امرأة في الطواف تقول:

فَنَهْنُ مِنْ تُسْقَى بَعْدَ مَبَرِّدٍ * تُقَاخُ فَتَلْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ قَوْرَتِ

وَمِنْهُمْ مَنْ تُسْقَى بِأَخْضَرِ آجِنٍ * أَجَاجٍ وَلَوْ لَا خَشْيَةُ اللَّهِ قَوْرَتِ

(١) هو سالم بن دارة كما في الشعر والشعراء للؤلؤ (ص ٢٣٧ والكامل للبرد ص ٤٨١) ونزاعة

الأدب للبندادي (ج ١ ص ٨٥٥ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) . (٢) السخينة: طعام يخذ

من دقيق ومن وكانت قریش تكثر من أكلها فغيرت بها حتى سموها سخينة . (٣) الجاد: كساء

مخطط من أكسية الأعراب . (٤) الطاق: حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر

الأحول الملقب بشيطان الطاق؛ واليه تنسب الطائفة النعانية من غلاة الشيعة . (٥) النقاخ: الماء البارد

العذب الصافي . (٦) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون . (٧) ماء أجاج: شديد الملوحة والمرارة .

فعلم ما تشكو ، فبعث الى زوجها فوجده متغيراً الفم ، فخير بين خمسمائة درهم أو جارية من الفئ على أن يطلقها ، فاختار خمسمائة ، فأعطاه وطلقها .

حدثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال : كنت واقفا بهذا المكان ، وأقبلت امرأة من هذه الناحية ، وغلām من الناحية الأخرى أبيض الوجه رائعه ، ونظرت إليه المرأة ، فلما ألتقيا قالت له : ما أسمك يا فتى ؟ قال : محمد ؛ قالت : ابن من ؟ قال : ابن زانة ، وتبسم عن ثغرها فلج مختلف قبيح ؛ فقالت : واحرباه على ما قال ! فقلت لها : قد وقعت لك عليها ؛ قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبي الخير النصراني كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبي الخير الى زانة ، صار هذا أبا الخير ، وصار هذا ابن زانية .

مر ابن أبي علقمة بمجلس بني ناجية فبكّا حمارة لوجهه فضحكوا ؛ فقال : ما يضحكم ! إنه رأى وجوه قريش فسجد .

قال عمرو بن بحر قال أبو الهذيل لمحمد بن الجهم وأنا عنده : يا أبا جعفر ، إنى رجلٌ مُنْخَرِقُ الكف لا أليق درهما ، ويدي هذه صنّاعٌ في الكسب ولكنها في الإنفاق نرقاء ، كم من مائة ألف درهم قسّمها على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك ! أسألك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول ؛ قال : فلم يرّض أن حَضَرْتُ حتى آستشهدني ، ولم يرّض إذا آستشهدني حتى آستحلفني .

(١) أفلج : متباعد ما بين الأسنان .

(٢) ناجية : قبيلة ، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هذا الخبر في كتابه « البخل » (ص ١٤٨ طبع مدينة « لندن »

سنة ١٩٠٠ م) . (٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أى ما يمسك .

قال المدائني : بعث يزيد بن قيس الأرحبي ، وكان واليا لعلّ ، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد أنصرفه من الولاية وترك ابن الحنفية ، فضرب على — عليه السلام — على جنب ابن الحنفية وقال :

وما شُرُّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا^(١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفية بهدية سنوية .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني موسى بن محمد قاضي المدينة ، قال : مررت رجل بأعرابي يوقد في أصل ميل ، فقال : كم على الميل ؟ فقال : لست أقرأ ، ولكن كتابه فيه ؛ قال : وما كتابه ؟ قال : محجن وحلقة سمط وثلاثة أطباء وحلقة مذبذبة (بمعنى صورة خمسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه :

لدى الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا * وما علم الإنسان إلا ليعلم^(٢)

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك ، فأراد الملك أن يبعث رائداً يرتاد له منزلاً ينزله ، فبعث بعمره فأبطأ عليه ، فألى الملك لئن جاء ذاماً أو حامداً ليقنته ؛ فلما جاء عمرو وسعد عنده ، قال سعد للملك : أناذن لي فأكله ؟ قال :

إذا أقطع لسانك ؛ قال : فأشير إليه ؛ قال : إذا أقطع يدك ؛ قال : فأومئ إليه ؛ قال : إذا أقطع حنو عينك ؛ قال : فأقرع له العصا ؛ قال : أقرع . فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا في معلقة عمرو بن كلثوم ؛ وفي الأصل « لا تصبحينا » ومعنى لا تصبحينا : لا تسقيه

الصباح . (٢) يريد بالحجن : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ وبثلاثة أطباء : السين ، وبحلقة مذبذبة : الهاء . والأطباء جمع طبي بكسر الطاء وتضم : حلقات الضرع التي فيها اللبن من ذوات

الحافر والسباع . (٣) ورد هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) مع اختلاف

في الألفاظ . (٤) هو النعمان الأكبر كما في الأغاني . (٥) حنوا العين : مجازها وهو

العظم الذي ينبت عايه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزّها بين يديه، فلَقِن عمرو، فقال: أَيْتَ
اللَّعْنُ! أَيْتُكَ مِنْ أَرْضِ زَائِرِهَا وَقَفَ، وَسَاكِنُهَا خَائِفٌ، وَالشَّبْعَى بِهَا نَائِمَةٌ،
وَالْمَهْزُولَةُ سَاهِرَةٌ جَائِعَةٌ، وَلَمْ أَرِ خَصْبًا مَحَلًّا، وَلَا جَدًا مَزَلًا.^(٢)

لَمَّا حُكِّمَ أَبُو مُوسَى وَقَدِمَ لِيَحْكُمَ، دَسَّ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرِو رَجُلًا لِيَعْلَمَ عِلْمَهُ
وَيَنْظُرَ كَيْفَ رَأْيَهُ؛ فَأَتَاهُ الرَّجُلُ فَكَلَّمَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ؛ فَغَضَّ عَمْرُو عَلَى إِيْهَا مَهْ وَلَمْ
يُجِبْهُ؛ فَتَمَضَّى الرَّجُلُ فَأَتَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ: قَاتِلْهُ اللَّهُ! أَرَادَ أَنْ يُعْلِمَنِي أَنِّي
فَرَرْتُ قَارِحًا.^(٣)

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ عَمْرِو قَالَ: سَأَلَ
الْحُجَّاجُ جَبْرِ بْنَ حَبِيبٍ عَنْ رَجُلٍ، وَكَرِهَ أَنْ يَعَاقِبَهُ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: تَرَكْتَهُ وَاللَّهِ
جَسَدًا يُحَرِّكُ رَأْسُهُ يُصَبُّ فِي حَلْقِهِ الْمَاءُ، وَاللَّهِ لَنْ يُحْمَلَ عَلَى سُرِيرٍ لِيَكُونَ عَلَيْهِ
عَوْرَةٌ؛ قَالَ: فَتَرَكَهُ.

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ خَالِدِ بْنِ خَدَّاشٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ مُجَالِدٍ عَنْ عُمَيْرِ
ابْنِ رَوْذَى قَالَ: خَطَبْنَا عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: لَنْ لَمْ يَدْخُلِ الْخِنْدَةَ إِلَّا مَنْ قَتَلَ
عُمَانَ لَا أَدْخَلُهَا وَلَنْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ إِلَّا مَنْ قَتَلَ عُثْمَانَ لَا أَدْخَلُهَا؛ فَقِيلَ لَهُ:
^(٤)
^(٥)

(١) لَقِنَ كَفَرِحَ: فَهَمَّ. (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ. وَوَرَدَ الْخَبَرُ فِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ لِلْيَدَانِ
(ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق): «... فَأَقْبَلَ عَمْرُو حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي، هَلْ حَدَّثْتَ
خَصْبًا أَوْ ذَمَمْتَ جَدًّا؟ فَقَالَ عَمْرُو: لَمْ أَذْمِ هَزْلًا، وَلَمْ أَحْمَدِ بَقْلًا؛ الْأَرْضُ مُشْكَلَةٌ، لَا خَصْبًا يَعْرِفُ،
وَلَا جَدًّا يَوْصَفُ، رَأَيْتُهَا وَقَفَ، وَمَنْكَرُهَا عَارِفٌ، وَأَمْنُهَا خَائِفٌ؛ قَالَ الْمَلِكُ: أَوَّلَى لَكَ». وَوَرَدَ
هَذَا الْخَبَرُ فِي الْأَغَانِي (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كَمَا وَرَدَ فِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ وَفِيهِ «لَمْ أَذْمِ جَدًّا»
بَدَلِ «لَمْ أَذْمِ هَزْلًا». (٣) فَرَّ الدَّابَّةَ فَرًّا وَفَرَارًا: كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهَا لِيَعْرِفَ مَا سَنَاهَا.
وَالْقَارِحُ مَنْ ذَى الْحَافِرِ: الَّذِي طَلَعَ نَابُهُ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْبَازِلِ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّهُ اخْتَبَرَ مُحَنِّكًَا.
(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ. وَلَمْ نَعْرِ عَلَى هَذَا الْأَسْمِ. (٥) فِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ (ج ٢ ص ٢٧٠):
«لَا دَخَلَتْهَا أَبَدًا».

ما صَبِغَتْ ! فَزَقَّتِ النَّاسَ ! نَخَطَبُهُمْ فَقَالَ : إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي قَتْلِ عُمَانَ ، أَلَا وَإِنْ
اللَّهُ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ ؛ قَالَ : فَخَذَّثْنَا خَالِدٌ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
سَيْرِينَ قَالَ : كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ لَهَا وَجْهَانُ . أَيْ وَسَيَقْتُلَنِي مَعَهُ .

سَأَلَ زِيَادٌ رَجُلًا بِالْبَصْرَةِ : أَيْنَ مَنَزْلُكَ ؟ فَقَالَ : وَاسِطٌ ، قَالَ : مَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟^(١)
قَالَ : تِسْعَةٌ . فَلَمَّا قَامَ ، قِيلَ لَزِيَادٍ : كَذَبَكَ فِي كُلِّ مَا سَأَلْتَهُ ، مَا لَهُ إِلَّا ابْنٌ وَاحِدٌ ، وَإِنْ
مَنَزَلُهُ بِالْبَصْرَةِ . فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ ، قَالَ : ذَكَرْتَ أَنَّ لَكَ تِسْعَةً مِنَ الْوَلَدِ ، وَأَنَّ مَنَزْلَكَ
بِوَاسِطٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : خُبِّرْتُ بِغَيْرِ ذَلِكَ ؛ قَالَ : صَدَقْتُ وَصَدَّقُوكَ ، دَفَنْتُ^(٢)
تِسْعَةً بَيْنَهُمْ فَهَمُّ لِي ، وَلِيَ الْيَوْمَ ابْنٌ وَاحِدٌ وَلَسْتُ أَدْرِي أَيْكُونُ لِي أُمٌّ لَا ؛ وَأَمَّا
مَنَزَلِي فَأَلَى جَانِبِ الْجَبَانِ بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَأَهْلِ الْآخِرَةِ ، فَأَيُّ مَنَزَلٍ أَوْسَطُ مِنْهُ !^(٣)
قَالَ : صَدَقْتَ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَيْسَى بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ الْمُخْتَارُ بِلَحْنِهِ : يَا شُرْطَةُ
اللَّهُ ، لِيَخْرُجَنَّ إِلَى قَرِيبٍ عَلَى الْكَعْبَةِ الْحَرَامِ دَابَّةٌ^(٤) لَهُ سِتُّ قَوَائِمٍ وَلَهُ رَأْسٌ بِلَا عُنُقٍ ،
ثُمَّ آتَفَتْ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ فَقَالَ : أَعْنَى الْيَعْسُوبُ .

كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا لَمْ يُعْجِبْهُ الرَّجُلُ قَالَ : مَا هُوَ بِأَعْجَبَ النَّاسِ إِلَى .

بَلَعْنِي عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَيَّانٍ عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَّالَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ
يَسَّارٍ ، قَالَ : كَانَ أَبِي إِذَا غَضِبَ عَلَى الْبَهِيمَةِ ، قَالَ : أَكَلْتِ سَمًا قَاضِيًا .

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٠) : « كَمْ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ » .

(٢) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٠) : « ... لِي تِسْعَةٌ مِنَ الْوَلَدِ قَدَّمَتْ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ فَهَمُّ لِي وَبَقِيَ

مَعِيَ وَاحِدٌ ، فَلَا أَدْرِي أَلَى يَكُونُ أُمٌّ عَلَى » .

(٣) الْجَبَانُ وَالْجَابَانَةُ بِالتَّشْدِيدِ : الْمَقْبَرَةُ . (٤) تَقَعُ الدَّابَّةُ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمَوْثُوتِ ؛ فَيَقَالُ .

هَذَا دَابَّةٌ وَهَذِهِ دَابَّةٌ .

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا أبو المنهال البكرأوى^(٢) قال :
كان الحسن إذا أخذ من لحيته شيء ، قال : لا يكن بك سوء .

وقيل للحسن : أتى رجل صاحباً له في منزله وكان يصلي ، فقال : أدخل ؟ فقال
في صلاته : (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علي إذا رأى مُبْتَلًى أخفى الاستعاذة . وكان لا يسمع من داره
ياسائل بورك فيك ، ولا ياسائل خذ هذا ؛ ويقول : سَمُّوهم بالحسن الجميل عباد
الله ، فتقولون : يا عبد الله بورك فيك .

قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة^(٣)
مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني للشمس) .
كان رشم^(٤) عمر بن مهران الذي يرثم به على طعامه : اللهم أحفظه ممن يَحْطَفُه .

خرج رجل من بني أسد بإبل له يسقيها ، ومعه ابنة له جميلة عاقلة ، حتى دفع
إلى ماء لبني فزارة ، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأجئ بها ،
قال : فإذا لا تشربُ شربَ خير ؛ قالوا : إن رَضِيتَ وإلا فانصرف ؛ فقالت له
الجارية : اشترط لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلو ، وجعلت الجارية ترتجز
وتقول :

- (١) هو بمجمعتين كما في تهذيب التهذيب ، وفي الأصل «أنحزم» بالخاء المهملة وهو تحريف .
(٢) البكرأوى بفتح الباء وسكون الكاف بعدها الراء المهملة منسوب إلى أبي بكر الثقفي وهو من
الصحابة الذين نزلوا البصرة رضي الله عنهم كما في كتاب الأنساب للسمعاني .
(٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : « مسيرة ساعة لدعوة مستجابة » .
(٤) الرشم : ختم الحنطة بالروشم ، والروشم لوح منقوش تحتم به البيادر .
(٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء لتشرب بقوله : جى . جى .

(١)
جارية شَبَّتْ شبابَ العُسلج * ذاتُ وشاحين وذاتُ دُمْلج
(٢)
وذاتُ نَغْرٍ أَشْنَبٍ مُفْلَج * وذاتُ خَلْقٍ مُسْتَبٍ مُدْمَج

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رَوِيَتْ من غير أن جأجأ بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا (٣) ولا يتنحج ، فلما شربه
(٤)
[و] تَقَطَّعَ في حَلْقِهِ ؛ قال : كَبَشُ أُمْلَج ؛ فقال صاحبه : فَعَلَهَا وَرَبَّ الكعبة ! فقال :
مَنْ فَعَلَهَا فلا أَفْلَح . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شَاءٌ : لمن هذه الشاء ؟ فقال : هي لله عندي .
حدَّثني أبو الخطَّاب قال حدَّثنا أبو داود عن عمارَةَ بن زاذان قال حدَّثنا
أبو الصهباء قال : قال الحجاج لسعيد بن جبير : اخْتَرُ أَيَّ قِتْلَةٍ شِئْتَ ؛ فقال له :
بل اختر أنت لنفسك ، فإن القصاص أمامك .

ولِي هَرْمَةٌ الحرس مكان جعفر بن يحيى ، فقال له جعفر : ما آتَيْتْكَ غني نعمة
صارت إليك .

(٥)
أمر الحجاجُ ابنَ القُرَيْبَةِ أن يأتي هِنْدَ بنتَ أسماء فيطلقها بكلمتين ، ويُمتِعَهَا
ب عشرة آلاف درهم ؛ فأتاها فقال لها : إن الحجاج يقول لك : كُنْتَ فِينَتْ ، وهذه
عشرة آلاف مُتْعَةٌ لك ؛ فقالت : قل له : كُفَّا فَا حَمْدُنَا ، وَبِنَا فَا نِدْمُنَا ؛ وهذه
العشرة الآلاف لك بشارتك إياي بطلاقي .

(١) العسلج : الغصن الناعم . والدملج : ما يشد على العضد من الخلي .

(٢) النغر الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستتب : مستقيم . ومدج : مكثز غير مسترخ .

(٣) اللبن الحازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضها الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر في المحاسن والأضداد للمحافظ (ص ٢٤٠) بتبسيط عما هنا .

سئل سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ قَوْلِ طَاوُسٍ فِي ذَكَاةِ السَّمَكِ أَوِ الْجُرَادِ؟ فَقَالَ ابْنُهُ عَنْهُ : ذَكَاةُ صَيْدِهِ .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُدْرَةَ يقال له يزيد بن المقنع ، وأخترط من سيفه شبرا ، ثم قال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار الى معاوية ، فإن يهلك فهذا ، وأشار الى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشار الى سيفه . فقال معاوية : أنت سيد الخطباء .

قال رجل من أهل الحجاز لأبن شُبْرَمَةَ : مِنْ عِنْدَنَا خَرَجَ الْعِلْمُ ؛ قَالَ ابْنُ شُبْرَمَةَ : ثُمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْكُمْ .

قال المدائني قال معاوية لأبن عباس (٢) : أتم يا بني هاشم تُصابون في أبصاركم؟ فقال ابن عباس : وأتم يا بني أمية تُصابون في بصائرهم . وقال له معاوية : ما أئينَ الشَّبَقُ في رجالكم! فقال : هو في نسائكُم أئين .

أبو اليقظان قال : قال ابن ظبيان التيمي لزُرْعَةَ بْنِ صَمْرَةَ : لقد طلبتك يوم الأهواز ولو ظفرت بك لقطعت منك طائِقًا سَخْنًا ؛ قال : أفلا أدلك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بلى ! قال : بظُرَّيْنِ لِسَكَّتِي أَمَك .

أبو اليقظان قال : بعث الحجاج إلى الفضيل بن بزوان العدواني ، وكان خيرًا من أهل الكوفة ، فقال : إني أريد أن أولئك ، قال : أو يعفني الأمير ؟ فأبى وكتب عهده ، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهرب ، فأخذ وأبى به الحجاج ، فقال : يا عدو الله ؛ فقال : لستُ لله ولا للأمير بعدو ؛ قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردت أن تُهينني ؛ قال : ألم أستعملك ! قال : بل أردت أن تستعبدني ؛ قال :

(١) أى استله من غمده بمقدار شبر . (٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الآية ؛ قال : ما استوجبت واحدةً منهم ؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك . وأمر رجلاً من أهل الشام أن يضرب عنقه .

سليمان بن أبي شيخ قال حدثني حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك بن عمير قال :
كان في مجلس زياد ، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة ، في أربع زوايا كتاب
بقلم جليل : "الوالى شديد في غير عنف ، لين في غير ضعف ؛ الأعطية لإبائها ،
والأرزاق لأوقاتهما ؛ البعوث لا تجزى بالمحسن ^(٢) يُجزى بإحسانه ، والمسيء يؤخذ على يديه"
كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدثنا أبو سفيان الحميري قال : أبلَى أبو جهم بن كنانة يوم الرواية ،
فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة ، قال له الحجاج : قد زدناك
في أسمك ألفاً ولما فانت أبو الجهم ، وزدنا في عطائك ألفاً .

العباس بن بكار عن عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : قال معاوية
لشداد بن أوس : يا شداد ، أنا أفضل أم علي ؟ وأينا أحب إليك ؟ فقال : عليُّ أقدمُ
هجرةً ، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقاً ، وأشجعُ منك قلباً ، وأسلمُ منك نفساً ؛
وأما الحب فقد مضى علي ، فانت اليوم عند الناس أرحى منه .

قال الأحنف لمعاوية في كلام : أنت أعلمنا يزيد في ليله ونهاره ، وسره
وعلايته ، فلا تلقمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

(١) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٤) هكذا : « كان في مجلس زياد مكتوب : الشدة
في غير عنف ، واللين في غير ضعف ؛ المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته ؛ الأعطيات
في أيامها ؛ لا احتجاج عن طارق ليل ، ولا صاحب ثغر » . (٢) تجير البعوث : جمعهم في الثغور
وحبسهم عن العود إلى أهلهم . ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جمر بعوث فارس . وروى الربيع أن
الشافعي أنشده :

وجهرتنا تجير كسرى جنوده * ومنيتنا حتى نسبنا الأمانيا

خطب الحجاج فشكا سوء طاعة أهل العراق؛ فقال جامع المحاربين: أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شئتوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، واتمس العافية فيمن دونك تُعطها من فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعيدك؛ فقال الحجاج: والله ما أراني أردت بنى اللكيمة إلى طاعتي إلا بالسيف؛ فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار؛ قال الحجاج: الخيار يومئذ لله؛ قال: أجل! ولكك لا تدري لمن يجعله الله؛ فقال: ياهناه^(١)، إنك من محارب! فقال جامع:

وللمحرب سميناً وكنا محارباً * إذا ما لقنا أمسى من الطعن أحمر

فقال الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك؛ فقال له يا حجاج: إن صدقناك أغضبتنا، وإن كذبناك أغضبنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

قال الأصمعي أخبرنا شيخ من قضاة، قال: ضلنا مرة الطريق فاسترشدنا عجوزاً؛ فقالت: استبطن الوادي وكن سيلاً حتى تلغ.

ابن الكلبي قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت يهودي^(٢) ابن يهودي، إن ظفراً أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وقد كان أبوك وترقوسه ورمى غرضه، فأكثر الحز وأخطأ

(١) في الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما في الليث والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك». (٢) هن: كلمة يكتن بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت مذكراً بغير التصريح باسمه قلت: يا هن أقبل. وقد تزايد الألف والهاء فيقال للرجل: ياهناه أقبل، بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرهما لاجتماع الساكنين. (انظر اللسان مادة هنا). (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليبسيج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة». (٤) في الكامل: «إلى قيس بن سعد وهو والي مصر لعل بن أبي طالب».

المَفْصِلُ ، فخذله قومُه ، وأدركه يومُه ؛ ثم مات طريداً بجوران ؛ والسلام . فكتب إليه قيس بن سعد : أما بعد ، فإنما أنت وثْنٌ^(١) ابن وثْنٍ ، دخلت في الإسلام كرها وخرجت منه طوعاً ، لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك ، وقد كان أبي وترقوسه ورمى غرضه ، وشَغِبَ^(٢) عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشقَّ غُبَّاره ، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه ، وأعداء الدين الذي خرجت إليه ؛ والسلام .

قال يحيى بن سعيد الأموي : سمعت الأعمش يقول لخالد بن صفوان : شعرت أن منزلك لا يُعرف إلا بي حتى يقال عند منزل الأعمش ؛ فقال خالد : صدقت ، مثل حمام عترة ، ويقال وردان وبيطار (حيان) .

قال الربيع لشريرك بين يدي المهدي : بلغني أنك خُنت أمير المؤمنين ؛ فقال شريرك : لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبك .

قال رجل من العرب : أُرِيتُ البارحة في منامِي كأنني دخلت الجنة فرأيت جميع ما فيها من القصور ، فقلت : لمن هذه ؟ ف قيل : للعرب ؛ فقال رجل عنده من الموالى : أصعدتَ الغرف ؟ قال : لا ؛ قال : فتلك لنا .

وكتب قُتَيْبَةُ بن مسلم إلى عُبيد الله بن زياد بن ظبيان : أما بعد ، فإن عشمشم أعشى الشجر . فكتب إليه ابن ظبيان : من ذلك الشجر كان يربطُ^(٤) أهلك . يعني مسلم بن عمرو ، وكان مغنياً ليزيد بن معاوية .

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٤٣ طبع مطبعة الفتح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ) والكمال للبرد (ص ٢٩٨) ولعلها : وثني ابن وثني ، نسبة إلى الوثن وهو الصنم . (٢) شغب عليه (بالتشديد) : هيج عليه الشر . (٣) كذا بالأصل ، ولم نوفق إلى تحقيقه . أو فهم التعريض منه . (٤) الربط بكعفر : العود من آلات الموسيقى ، وقيل هو معرب «ربط» بكسر الراء ، كما هو مضبوط في الأصل هنا ، ومعنى ربط بالفارسية : صدر الإوز ، أطلق على العود لشبهه به .

قال بحر بن الأحنف لجارية أبيه زبراء : يا فاعلة ؛ فقالت : لو كنت كما تقول أتيت أباك بمنلك .

وقال رجل لابنه : يابن الفاعلة ؛ فقال : والله لئن كنت صدقت ما فعلت حتى وجدتك فعل سوء .

٥ أنت ابنة الخس عكاظ ، فأناها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها ، فقال لها : إني أريد أن أسألك ؛ قالت : هات . قال : كاد ؛ فقالت : المتعل يكون راجا . قال : كاد ؛ قالت : الفقر يكون كفرا . قال : كاد ؛ قالت : العروس تكون مليكا . قال : كاد ؛ قالت : النعمة تكون طائرا . قال : كاد ؛ قالت : السرار يكون سحرا . ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هات ، قالت : عجبت ؛ قال : للسياخ لا ينبت كلؤها ولا يحف ثراها . قالت : عجبت ؛ قال : للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها . قالت : عجبت ؛ قال : لشفرِك لا يدرك قعره ولا يملأ حفره .

١٠ المدائني قال : كان عرام بن شتير عند عمر بن هبيرة ، فالتقى إليه ابن هبيرة خاتمه وفضه أخضر ، فعقد عرام في الخاتم سيرا . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زرق عيناك يابن مكعير * كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وأراد عرام : ١٥

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوبك وأكتبها بأسيار

قال جرير للأخطل : أزقت نومك ، واستمضمت قومك ؛ قال الأخطل :

قد أزقت نومي ، ولو نمت كان خيرا لك .

(١) كذا في الطبري (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ من القسم الثاني) . وفي الأصل :

٢٠ "عذام" بالذال المعجمة . (٢) كذا في اللسان مادة "زرق" والأغاني (ج ١٩ ص ٤٩ طبع

بولاق) وفيه ينسب الشعر إلى سويد بن أبي كاهل . وفي الأصل : « كما ظل ظبي » وهو تحريف .

أراد معاوية أن يخطب بصفيين فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلم ، فإن أتيت على ما تريد وإلا كنت من وراء ذلك ، فأذن له ، فتكلم بكلمات ، قال : قدموا المستلثة^(١) وأخروا الحسر ، كونوا مقصّ الشارب ، أعيرونا أيديكم ساعة ، قد بلغ الحق مَفْصَلَهُ ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

- ٥ حدثني ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن التيمي عن عبد الله بن أحمد بن الوضاح ، قال : دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان^(٢) ، فقال له : يا أعرابي صف الخمر فقال : شمول إذا شُجّت وفي الكأس مُرّة * لها في عظام الشارين ديب تُريك القذى من دونها وهي دونه * لوجه أخيها في الإناء قُطوب فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد آتهمك عندي حسن صفتك لها ، قال : يا أمير المؤمنين وآتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها .
- ١٠

مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

- لو أخطأت سبيل إرشادك ، لما أخطأت سبيل حسن النية فيما بيني وبينك .
لو خطر ذلك ببالى من فعلك ، ما عرضت سر الإخاء للهتك بيني وبينك .
قد أحسنت في كذا قديما . وفعلك كذا إحدى الحسينين بل أطفهما موقعا .
١٥ أنت رجل لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك . فقدم على نفسك من قدمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرت ببالى في وقت من الأوقات إلا مثل الذكر منك لى محاسن تزيدنى صباهة إليك وضنا بك واعتباطا بإخائك . لعل الأيام

(١) المستلثة : الطائفة التي عليها اللأم وهي الدروع .

(٢) الذي في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : « دخل ابن الأفرع على الوليد بن يزيد... » .

٢٠ « وورد فيه الشطر الأول من البيت الأول هكذا : « كيت اذا شجبت وفي الكأس وردة » .

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفي الأصل : « آتهم على نفسك ... » .

أَنْ تُسَهِّلَ لِأَخِيكَ السَّبِيلَ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ نَفْسُكَ مِنْ بَرَكَ وَمُعَاوَضَتِكَ بَعْضُ
مَا سَلَفَ لَكَ .

ما هذا الغَبَا العَجِيبَ الَّذِي إِلَى جَانِبِهِ فِطْنَةٌ لَطِيفَةٌ . حَكْمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ
حَكْمِ الْإِصْرَارِ .

مِنْ أَخْطَأَ فِي ظَاهِرِ دُنْيَاهُ وَفِيهَا يُؤْخَذُ ^(٢) بِالْمَعِينِ ، كَانَ حَرِيًّا أَنْ يُخْطِئَ فِي بَاطِنِ
دِينِهِ وَفِيهَا يُؤْخَذُ بِالْعَقْلِ .

وَمَنْ أَوَّلَ مَا أَحَبَّ أَنْ أُورَثَكَ بِهِ وَأَقِضَى فِيهِ وَاجِبَ حَقِّكَ ، تَنْبِيهُكَ عَلَى عَظِيمِ
مَا لَكَ عِنْدَكَ ، وَحَثُّكَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِمَّا يَزِيدُكَ .

مَنْ كَانَ بِمَنْثَلِ مَوْضِعِكَ جُمِعَ لَهُ حُدُودُ إِخْوَانِهِ وَرِضَا مُعَايِلِهِ وَالِاسْتِقْصَاءُ مَعَ
ذَلِكَ لِمَنْ اسْتَكْفَاهُ ، فَقَدْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَهْلُمْ بِمَا أَسْمَعُ فِيكَ إِلَّا أَنَّكَ كَذَلِكَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

مَا أَغْنَى الْفَقِيرَ عَنِ الْحَمْدِ ، وَأَحْوَجَهُ إِلَى مَا يَمِيدُ بِهِ طَعْمَ الْحَمْدِ !
قَدْ حَسَدَكَ مِنْ لَا يَنَامُ دُونَ الشِّقَاءِ ، وَطَلَبَكَ مِنْ لَا يَقْصُرُ دُونَ الظُّفْرِ ، [فَأَشَدُّ
حَيَازِيْمَكَ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ] ^(٤) .

أَنْتَ تَتَجَنَّبُ عَلَى مَالِكَ لِتُتْلِفَهُ بِأَسْبَابِ الْعِلَالِ ، كَمَا يَدْفَعُ عَنْ مَالِهِ الْبَخِيلُ بِوُجُوهِ
الِاعْتِلَالِ . أَنْتَ طَالِبُ مَغْتَمٍّ ، وَأَنَا دَافِعُ مَغْرَمٍ ، فَإِنْ كُنْتَ شَاكِرًا لِمَا مَضَى ، فَاعِذِرْ
فِيمَا بَقِيَ . مَكْرُكَ حَاضِرٌ ، وَوَفَاؤُكَ مُتَأَخِّرٌ . أَنَا رَاضٍ بِمَقُولِكَ ، بِأَذَلِّ لِمَجْهُودِي .

نَوَائِبُ الْأَيَّامِ رَمَتْ بِهَ نَاحِيَتِكَ ؛ وَإِذَا رَأَيْتَهُ أَنْبَاكَ ظَاهِرُهُ عَنْ بَاطِنِهِ وَدَعَاكَ إِلَى
مَحَبَّتِهِ قَبُولُهُ ، وَهُوَ فِي الْأَدَبِ بِحَيْثُ الْمُسْتَغْنَى عَنِ النَّسَبِ ^(٥) .

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ "وَمُعَاوَضَتِكَ" . (٢) كَذَا فِي الْمَقْدِ الْفَرِيدِ . فِي الْأَصْلِ : "وَفِيهَا تَوْحِيدٌ..." .
(٣) فِي الْأَصْلِ : "السَّعْيُ" . (٤) زِيَادَةٌ عَنِ الْمَقْدِ الْفَرِيدِ . (٥) فِي الْأَصْلِ : "السَّبَبُ" .

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم وإلا يكون غيرك فيما يبلغك أوثق من نفسك فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتاك على رقة من حاله وبعيد من شقته ، فنشدتك الله أن تقدم شيئاً على تصديق ظنه وسد خلته وبلى ما يئست هذه النكبة من أديمه ، فإنه غدي نعمة وخدين مروة .

أنا أسأل الله أن ينجز لي ما لم تزل الفراسة تعدينيه فيك . الحرية نسب . فهمت ما أعذرت به في تأثرك ، وغضضت به مني طرفاً طامحا إليك ونفساً تواقفة الى قربك .

وصل كتابك فكان موقعه موقع الروح من البدن . فإن أمير المؤمنين يحب ألا يدع سبيلاً من سبل البر وإن عفا ودثر إلا أناره وأوضح محجته ، ولا خلة من خلال الخير لا أول لها إلا أهتبل الفرصة في إنشائها ، واختيار مكرمة ابتدائها ، لتجيب له مساهمة الفارط في أجره ، ويكون أسوة الغابر في ثوابه .

لولا وجوب تقديم العذر لصاحب السلطان ، في الذهول عن مواصلة من يجب عليه مواصلته ، بما يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذا لكثرة العتب .

إنك لكل حسن أبلتته ، ومعروف أسديتته ، وجميل أنيتته ، وبلاء كان لك ريتته ، أهل في الدين والحسب القديم .

لك — أعزك الله — عندى أياد تشفع لي الى محبتك ، ومعروف يوجب عليك الرب والإتمام .

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة .

وفي العقد الفريد « الود والإتمام » .

أفعال الأمير مختارة كالأماني، متصلةً عندنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر لكرم فعله، ونواصل الدعاء والذكر مواصلةً بَرّه .

أبدأ بذكر يذك التي أجارتني على صرف الزمان، ووقفتني نوايب الأيام، وثمرت لي بقية النعمة، وصانت وجهي عن استعباد من الرجال، وبَسَطَتْ لي الأمل في بلوغ ما ناله بك من رفعت خسيسته وتوهت بذكره، وأعانتني على اتباع مذهب الماضين من سلفي في الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدي غيركم، حتى خَلَصَتْ لهم منكم فعزوا، ولم يشغلوا شكرهم بغيركم حين شكروا، ولم يحتملوا صنعة لسواكم لبأ اعتدوا، ولم تشعبهم الدنيا عنكم إذ أضطروا .

إِنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مُحَلًّا نَزَلَ بِهِ عِوَضًا مِنَ الْغَائِبِ، وَخَلَقًا مِنَ الْهَالِكِ، وَنَجَدَكَ مَخْصُوصًا بِضَرَائِنَا إِذْ كُنْتَ وَلِيَّ سَرَائِنَا، وَكَأَنَّكَ كَالْجَوَارِحِ نَأْلَمُ لِكُلِّ مَا أَلَمَ مِنْهَا .

نحن نعوذ بالله من سَخَطِكَ، ونستجير به من غَضَبِكَ، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعتَ قَصَصَ الْكَاذِبِينَ، فَإِنَّا عَلَى سَلَامَةٍ مِمَّا رَقَوْهُ .

كتبي — أعزك الله — تأتيك، في الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعي، وإن كان حَقُّكَ يُلْزِمُنِي أَلَّا تُعَيِّبَكَ، لَوْلَا مَا أَتَذَكَّرُ مِنْ زِيَادَتِهَا فِي شُغْلِكَ .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهض بأعباء أهل مودته، الصابر على ما ناب من حقوقهم .

كنتُ أميس — أكرمك الله — عيلًا، وركبتُ اليوم على ظِلْعِ ظَاهِرِ وَرِقَّةٍ شَدِيدَةٍ، فَلَمَّا أَنْصَرَفْتُ أَمَرْتُ بِإِغْلَاقِ الْبَابِ لِلتَّوَدُّعِ، وَوَأَفَقَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ نَيْتِكَ وَإِرْصَادِكَ صَدِيقَكَ بِمَا يَسْتَدْعِي عَيْبَكَ عَلَيْهِ وَعَيْبَهُ عَلَيْكَ مَا وَافَقَ .

(١) في الأصل : «أهلك...» . (٢) أي رفعوه اليك من الأخبار الكاذبة .

(٣) في الأصل : «ضلع» .

لا أزال - أبقاك الله - ^(١) أسأل الكتاب اليك في الحاجة ، فأتوقف أحيانا توقف ^(٢) المبقى عليك من المؤونة ، وأكتب أحيانا كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقة ؛ لا أعدمنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا بهجتها بك ، ولا أخلانا من الصنع [الله] ^(٣) على يدك وفي كفك ، فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعما وندي إلا في ظلك .

إن كان هذا مما ترضاه لي ، فليست ألتبس أكثر منه ، وقوفا بنفسى عند الحظ الذى رضىته لي .

أنا والله أراك في رتبة المنعم إجلالا ، وبجل الشقيق من القلب محبة وإخلاصا . أما شكرى فقصور على سالف أياديك ، وبه قصور عنه فكيف يتسع لما جددته ! .

الله عندك نعم جسام تقاضاك الشكر . وقال الله شر نفسك ، فإنها أقرب أعدائك إليك .

ولم أزل ورجلا من حادثة كذا عليك ، إذ كان ما ينالك - لا أنا لك الله سوء - متصلا بى ومُدخلا الضرر على فى ركنى منك أعتمد عليه ، وكنت لك استدري به .

وصل الى كتاب منك ، فما رأيت كتابا أسهل فنونا ، ولا أملس متونا ، ولا أكثر عيونا ، ولا أحسن مقاطع ومطالع ، ولا أشد على كل مفصل حزا منه ؛ أنجزت فيه عدة الرأى وبشرى الفراسة ، وعاد الظن بك يقينا ، والأمل فيك مبلوغا .

لا غيبك الله عن مواطن العز والصنع ، وأشهدك إياها بعلويدك ، وهبوب ريحك ، واستقادة جميع أهلها بزمام طاعتك .

٢٠ (١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفى الأصل : « لا أزال قد سلت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم . (٢) فى العقد الفريد : « الخفف منك ... » . (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد .

قد رميت غَرَضَ الحق بسهم الباطل وحالات عقال الشر .^(١)
كنتُ سالماً إن سَلِمْتُ من عَتَبِكَ .^(٢)

أنا أتوسل إليك بحسن ظني بك، وأسألك بحق صبري على ظلمك لما أسعفت
بما سألتك .

ليس ينبغي لك أن تستبطئ فهمي وقد أسأت إفهامي .
مَنْ أبعدُ من البرِّ من مريض لا يؤثني في دائه إلا من جهة دوائه ، ولا في علته
إلا من قبل حَيْثُهُ ! .

لستُ في حالٍ يقيم عليها حرٌّ أو يرضى بها كريم ، وليس يرضى بهذا الأمر إلا من
لا ينبغي لك أن ترضى به .

قد شِخْتُ في ذَرَاكَ وَهَرِمْتُ في ظِلِّكَ ، فإِذَا رددتَ عليَّ شَبَابِي وأعدتَ إليَّ
قُوَّتِي ، وإِذَا دفعتَ إليَّ ما ينوبُ عن الشباب ويَجْبُرُ الضعف ، ولا بدَّ من أحدهما ،
فأخترتُ لنفسي وأُخرجَ إلينا من هذا الدِّينِ ؛ فقد أمسكتُ عن التقاضى ما أمكن ،
وصبرنا على المواعيد ما صَاحَبَ ؛ ودَعْنَا من الحَوَالَةِ فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ لا تَمُتُ بِالْحَوَالَةِ ؛ وإِن
جازَ أن تقيمَ لنا زَعِيماً بالنعمة ، جازَ أن نقيمَ لك زَعِيماً بالشكر ؛ وإِن جازَ أن تُؤمَلَكَ
ويُحَقَّقَ آمالنا غيرك ، جازَ أن نشكرَ غيرَ المُنعم ونأملَ غيرَ المصطنع .

ما أستعظم أن تُسَبِّقَ إليَّ حَسَنٍ بل أستعظم أن تُسَبِّقَ إليَّ وتُغَلِّبَ عليه .
لئن كنتَ جاوزتَ بي قَدْرِي عندك لما بلغتُ بك أُمْلِي فيكَ .^(٤)
لا يَقْبَضُكَ عن الأُنْسِ بي تقصيرُكَ في البرِّ .

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصل . وظاهر أن فيها تبديلاً ونقصاً . ولعل صوابها : قد رميت

غرض الباطل بسهم الحق ، وحلت عقال الشريد الخير . (٢) في الأصل : "كنت ..."

(٣) في الأصل : «ولا يرضى بها ...» وهو غير مستقيم . (٤) في الأصل «إن كنت ...» .

بلغتني عِلَّتكَ فنالني من ألمها ، وغالني مما مَسَّكَ فيها حسبُ حَقِّكَ وما يُحْصِي
من كلِّ حالٍ تصرَّفتُ بك .

أعتذر إليك من تأخر كُتُبِي عنكَ بترامي النُقْلة وتقاؤف الغُرْبَة وعدم الطمأنينة ،
فإني منذ فارقتُك كما قال القائل :

وكنْتُ قَدَاةَ الأرض والأرض عَيْنُهَا * تُلْجَلِجُ شَخْصِي جَانِبًا بَعْدَ جَانِبٍ
إِنِّي — أعزُّكَ الله — على تشوِّقِكَ متزيدٌ ، فما أَحَاشِي بك أحداً ، ولا أَقِفُ
لك على حَسَنَةٍ يَوْمًا إِلَّا أَنْسَنِيهَا لك فَضْلُهُ غَدَهُ .

الحمد لله الذي جعل الأمير معقودَ النِّبَّةِ بطاعته ، مطوى القلب على مُناصحته ،
مشحودَ السِّيفِ على عدوه ؛ ثم وهَبَ له الظفرَ ، ودَوَّخَ له البلادَ ، وشرَّدَ به العدو ،
وخصَّه بِشَرَفِ الفُتُوحِ العِظَامِ شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً .

إلى الله أشكو شِدَّةَ الوحشة لغيبتِكَ ، وقرطَ الحَزَنِ من فراقِكَ ، وظلمةَ الأيامِ
بعْدَكَ ؛ وأقولُ كما قال حبيب بن أوس :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدَهَا ، قَلَمًا تَعْرِفُ فَقَدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيَا

ورد كتابُكَ ، فياله وارداً بالرَّيِّ على ذِي ظَمًا ! ما أُنْقَعُ للغليل ، وأعدَلُ شهادته
لك بكرمِ العقدِ ، وصِدْقِ الوَدِّ ، وحُسنِ المغيبِ ، ورعاية حقِّ التَّحَرُّمِ ، وبُعْدِ الشَّيْمَةِ
من شَيْمِ أهل الزمانِ إِلَّا من عَصَمَ الله ، وقليلٌ ما هم ، والله أبواكَ لقد أوجداك .

قد أَجَلَّ الله حَظْرَكَ عن الاعتذار ، وأغناكَ في القول عن الاعتلال ، وأوجب علينا
أن نَقْنَعَ بما فعلتَ ، ونرضى بما أتيتَ وَصَلْتَ أَوْ قَطَعْتَ ، إذ وَتَقْنَا بِحُسْنِ نَيْتِكَ وَنَقَاءِ
طَوَيْتِكَ ، وَأَلْزَمْنَا أَنْ نَأْخُذَ أَنْفُسَنَا لك بما لَا نُحْمَلُكَ مثله ، ولا نَلْتَمِسُ مِنْكَ مِقَابِلَةً به .

ما أحركتني عنك إلا ما أنا عليه من إيثار التخفيف بقطع الكتب، إلا عند حق يقع فأقضيه، أو نعمة تحدث فأهني بها، والقصيد للزيادة في البر بالزيارة في الغيب، وأستدعاء دوام الوداد بآتيهاز فرص الوصل.

وكتبت إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

٥ أما شكرى للأمير على سالف معروفه فقد غار وأنجد . وأما آتتهالى إلى الله في جزائه عني بالحسنى فإخلاص النية عند مظان القبول . وأما أملى فأحياء على بعد العهد بلاؤه عندى، إذ كان ما تقدم منه شافعا في المزيدي، وفسحة وعده إياي عند مفارقتي له، إذ كان مؤذنا بالإيجاز . وأما زلى في التأخر عما أوجب الله على له، فمقرون بالعقوبة فيما حرمت من عز رياسته، ونباهة صحتته، وعلو الدرجة به، وإن كنت سائر أيام آتطاعى عنه مُعتلقا بسبب لا خيار معه . مكاتبتك - أعزك الله - وأنا مجاورك ببلد دون السعى اليك مجلا لتدرك مما أكبر . لا قيك بكتابي هذا فلان، وله على حقان : حق عم المسلمين فلزمنى بلزومه لهم، وحق خصنى بالحرمة والعشرة . فأريك في كذا إن سهل السبيل إلى ذلك ورحب، وإن يعق عائق فليست على جميل رأي عندى بمتهم .

١٥ للتفضل أن يخص بفضله من يشاء؛ ولله الحمد ثم له فيما أعطى، ولا حجة عليه فيما منع .

مُستعني السلطان أحد ثلاثة : رجل آثر الله وما عنده، وأسأل الله توفيقه؛ ورجل عجز عن عمله يخاف بعجزه عواقب تقصيره، وأستعين الله؛ ورجل سمّت به نفسه عن قليل هو فيه إلى كثير أمّله . وأعوذ بالله من أن أدّس نعمة الله بك على

وعلى سَافِي قَبْلِي بالتَّصَدَّى لِمَنْ لَا يُشْبِه دَهْرُهُ يَوْمَكَ ، وَلَا أَكْثَرُ جَهْدِهِ فِي الْمَعْرُوفِ أَقَلَّ عَفْوِكَ .

- كُنْ كَيْفَ شِئْتَ ، فَإِنِّي وَاحِدُ أَمْرِي خَالِصَةٌ سِرِّي ، أَرَى بِبِقَائِكَ بَقَاءَ سُرُورِي ، وَبِتِمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ تِمَامُهَا عِنْدِي ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَتَصَلَّتْ بِرِعَّتِهِ عَاقِبَةُ ، وَشَمِلَتْ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً ، وَعَظَّمُ بِلَاءُ اللَّهِ عَنْدهُمْ فِيهَا ، وَوَجِبَ [عَلَيْهِمْ] ^(١) شُكْرُهُ عَلَيْهَا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تِمَامَ نِعْمَتِهِمْ ، وَبِسَلَامَتِهِ هُدًى وَوَسْطَانَهُمْ ، وَبِتَدْيِيرِهِ صِلَاحَ أُمُورِهِمْ وَأَمْنَهُمْ ، وَبَذَبَهُ عَنْ دِينِهِمْ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ ، وَبِحِيَاطَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنَ سُبُلِهِمْ ، وَبِرِعَّتِهِ آسَافَهُمْ وَأَنْتَظَامَهُمْ ؛ فَاطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُؤَيِّدًا بِالنَّصْرِ ، مُعَزِّيًا بِالتَّمَكِينِ ، مُوصُولًا
- الطَّلَبَ بِالظَّفَرِ ، وَمَدَّةَ الْبَقَاءِ بِالنِّعَمِ الْمَقِيمِ .

١٠

فَهَمْتُ كِتَابَكَ وَلَمْ تَعُدْ فِي وَعْدِكَ وَوَعِيدِكَ سَبِيلَ الرَّاغِبِ فِي رَبِّ عَارِفَتِهِ ، الْحَاضِرِ عَلَى سَالِفِ بَلَاءِهِ ، الْمُؤَثِّرِ لِأَسْتِنَامِ صَنِيعَتِهِ . وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ عَلَى غَايَةِ مَا عَلَيْهِ ذُنُوبِيَّةٌ حَسَنَةٌ فِي شُكْرِ مُصْطَنَعِهِ ، وَعِنَايَةِ بَأْدَاءِ مَا يَلْزِمُهُ لَوْلَى نِعْمَتِهِ ، وَمِرَاقِبَةٍ لِرَأْسِهِ فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَعِلَاقَتِهِ ، وَإِثَارٍ لِلْقَلِيلِ مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ عَلَى كَثِيرِ الْمَنَافِعِ مَعَ سَخَطِهِ .

وَلَيْسَ مَذْهَبِي فِيهَا أَشْرَحُهُ مِنَ الْعَذْرِ وَأَطِيلُ بِذِكْرِ الْكُتُبِ ، مَذْهَبٌ مِنْ يَمُوهُ بِالْإِحْتِجَاجِ وَيَحْتَالُ فِي الْإِعْتِذَارِ ، وَمَنْ تُطْمَعُهُ نَفْسُهُ فِي سَلَامَةِ النِّعْمَةِ مَعَ فُسَادِ النِّيَّةِ ، وَفِي مَجْمُودِ الْعَاقِبَةِ مَعَ شَرِّهِ النَّفْسِ ، وَفِي زِيَادَةِ الْحَالِ مَعَ التَّفْرِيطِ فِي الْعَمَلِ . وَلَوْ كُنْتُ مِمَّنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ ذَلِكَ سَائِرَ دَهْرِهِ ، لَقَدْ وَجِبَ إِلَيَّ أَنْ يَضْطَرَّنِي إِلَى

١٥

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) في الأصل : « وبذبه عن دينهم وحفظ ... » بزيادة الواو ، وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد بحدوثها . (٣) في الأصل : « وغنايه ... » . (٤) في الأصل : « ولقد وجب ... » ولا معنى لذكرنا مع اعتبار هذه الجملة جوابا للو ، كما هو ظاهر الشياخ ، على أن في جمل « لقد » جوابا لـ « لو » نظرا .

٢٠

التزوع عنه تأديبك وتقويمك . وإني لمجتهدٌ أن [يكون] أثرُ فعلِي هو المخبر عني دون
قولي، وأن يكون ما أُمْتُ به اليك ظاهراً كفايتي دون ذِمّامي .

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما في الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول
الخلل، وعلمي بأن طاعةَ السلطان مقرونةٌ بطاعة الأُمير، وأنه لا فرقَ عنده بين
الجلاني على السلطان وعليه، لكننتُ الجوابَ راجلاً معظماً لأمره، مُكبِّراً لسخطه؛
وإن كان الله قد جعل عند الأُمير من إثارة الحق والعمل به، وتقديم الروية قبل
الإيقاع، والاستثناء بمن وَصَّحَ ذنبه وظهر جُرمه دون من وقعت الشبهةُ في أمره،
ما أمتني بادرةً غَضَبه ونازلَ سَطوته .

لم أكن أحسبني أحلَّ عندك محلَّ مَنْ جَهِلَ حظَّه، وعَدِمَ تميّزه، وغَيَّ عَمَّا عليه
وعَمَّا له؛ إذ توهمتُ على آتِي أبيعَ خطيراً من رضاك، ونفيساً من رأيك، وشرفاً باقياً
على الأيام بطاعتك، وعُدَّةً للنوابِ أستظهر بها من نصرتك، بالثمن البخس الحقيق
من كذا، أو أن أستبدلَ بما أنا ذو فاقةٍ إليه من عزِّ كَنَفِكَ ومنعِ ذَرَاكَ، ما قد
وهب الله الغني عنه بمحمد .

كان ورودُك وشخصُك في وقتين أنطويا عني، وكان مُقامك في حالٍ شغلٍ منك
ومني، ولذلك فقدتني في القاضين لحقك والمثابرين على لقائك .

ورد كتابك مضمناً من بَرِّكَ وتَطَوُّلِكَ ما حسنَ شكري، وأثقلَ ظهري، وأُرْتِجَ عن
مضاهاتك بمثله قولي؛ فذكرت به — في تحيُّرت دون تأمله، وضعفتُ عن تحمُّله،
وعجزتُ عن الشكر عليه عند تحمُّله — قولَ القائل :
(٣)

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) الاستثناء : الانتظار . (٣) هو أبو نواس .

٢٠ وقد ورد في ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جلتني" بدلا من
"أوليتني" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحدثن" .

أنت أمرؤ أوليتني نِعْمًا * أوَهت قُوى شكرى فقد ضعُفا
لا تُحْدِثَنَّ الى عارِفَةً * حتى أقومَ بشكر ما سَلَفًا

ألفاظ تقع في كتب الأمان

- هذا كتاب من فلان لفلان : إني أمتنك على دمك ومالك وموَاليك وأتباعك ،
• لك ولهم ذمَّة الله الموفى بها ، وعهده المسكونُ إليه ، ثم ذمَّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسائله
وأكرمهم بوحيه ، ثم ذمُّ النجباء من خلائفه : بحقن دمك ومن دخل آسيه معك
في هذا الكتاب ، وسلامة مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فأقبلوا معروضه ، وأسكنوا
الى أمانه ، وتعلقوا بحبل ذمته ، فإنه ليس بعد ما وُكِّد من ذلك مُتَوَقِّقٌ لداخلٍ فى أمان
إلا وقد اعتلقت بأوثق عُمرَاه ، ولجأتم الى أحرز كهوفه ، والسلام .

١٠ وفى كتاب آخر :

- هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لِمَا جعل الله عليه نيته فى إقالة العاثر
وأستصلاح الفاسد ، رأى أن يتلافك بعفوه ، ويتغمد زلاتك برُحمه ، ويسط لك
الأمان على ما خرجت إليه من الخلاف والمعصية : على دمك وشعرك وبشرك
وأهلك وولدك ومالك وعقارك ؛ فإن أنت أتيت وسمعت وأطعت ، فأنت آمن بأمان
• ١٥ الله على ما أمتنك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، إلا
ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيل ، وكفى
بالله وكيلًا .

(١) فى الأصل « ورأى ... » بزائدة الواو . ولعله مهب من الناسخ .

وفي كتاب آخر :

إن فلانا أستوهب أمير المؤمنين ذنبك ، وسأله أن يقبل توبتك وإنابتك ،
ويؤمّنك على دمك وشعرك وبشرک وأهلك وولدك ومالك وعقاراتك ، على أن
تسمع وتطيع وتُشايع ، وتُوالى أوليائه ، وتُعادي أعداءه ؛ فأجابه أمير المؤمنين الى
ذلك ، لرأيه في العفو والصفح وما يحسب في ذلك من الثواب والأجر ، فأنت آمن
بأمان الله على كذا لا تؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك ، ولا تتبع فيه بمكروه ما أقمت
على الوفاء ولم تُحدث حدثاً تفسخ به أمانك وتجعل به سبيلاً على نفسك ، والله لك
بذلك راع كفيل ؛ وكفى به شهيدا .

ألفاظ تقع في كتب اليهود

أمره بتقوى الله فيما أسند اليه وجعله بسبيله ، وأن يؤثّر الله وطاعته أخذًا ومُعطيا ،
وأعلمه أن الله سائله عما عمل به وجازيه عليه ، وأنه خارج من دُنياه خروجه من
بطن أمه إتما مغبوطا محمودا ، وإتما مذموما مسلوبا . فليعتبر بمن كان قبله من الولّاء
الذين ولّوا مثل ما ولي ، أين صار بهم مرّ الليل والنهار ، وما آتوا به من أعمالهم
الى قبورهم ! ويتزوّد لنفسه الزاد النافع الباقي (يوم يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحَضَّرًا وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وفي فصل آخر :

وقد ولاك أمير المؤمنين ما ولاك من أمور رعيته ، وأشركك فيما أشرك فيه من
أمانته ، ثقة بك ، رجاء لمتابعتك وإيثارك الحق وأهله ، ورفضك الباطل وأهله ؛
وعهد إليك في ذلك بما إن أخذت به أعانك الله وسدّدك ، وإن خالفته خدّلك
وعاقبك .

وفى الحج :

فإن أمير المؤمنين قد آخترك من إقامة الحج لو قد الله وزور بيته، للأمر العظيم قدره، الشريف منزلته؛ فعليك بتقوى الله؛ وإيثار مراقبته، ولزوم الهدى المحمود والطريقة المثلّ والسيرة الجميلة التي تُشبه حالك .

فصل — فإن الله نزه الإسلام عن كل قبيحة ، وأكرمه عن كل رذيلة ، ورفع عن كل دنية ، وشرّفه بكل فضيلة ، وجعل سماء أهله الوقار والسكينة .

فصل — وإن أحق الناس بالازدياد في طاعته ومناجحته وأداء الأمانة في عمله مَنْ عَظُمَ حَقُّ الأمير عليه في الخاصّة بفضل الصنيعة من الأمير عنده ، مع حق الله عليه في العامة بحقّ الولاية .

فصل — وكنتَ سيفًا من سيوف الله ، ونكلاً من أنكاله لأهل الشقاق ، وتجنّ لمن أبتغى غير سبيل المؤمنين ، قد أحكمتك التجاربُ وضرّستك الأمور ، وفُرّرت عن الذكاء وحلبت الدهرَ أشطره .

فصل — أنت ابن الحرية والمرقة ، ومن لا يلحقه عار أبوة ولا بُنوة .

فصل — قد ألتمستُ مواجَهَتَكَ بِشُكْرِكَ ووصف ما أُجِنُّ لك وأخلص من ذلك وأجلّ من قدرك وأعتدّ من إحسانك ، فلَقِيتَنِي عن ذلك تَعَدُّرًا خَلْوَةً مع آتِقْبَاضٍ وحشمة .

(١) كذا في الأصل واختيار المنظوم والمثور لابن طيفور (النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولعلها : « في الحج » .

(٢) في الأصل : « فان الله بحمده الإسلام ... » .

(٣) في الأصل : « واعتد ... » .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذريعة اليك ؛ وما تُنازعني نفسي إلى استعانة عليك إلا أبى ذلك حسنُ الظن بالله فيك، وتأميلُ مُنجح الرغبة إليك دون الشفعاء عندك .

فصل — مثلك تقرب الى الله بالتواضع لنعمته، والإغاثة لمستغيثه، والعائدة^(١) على راجيه بفضله .

فصل — تَبَّأ لمن يأتى رأيك ! وقبحا لعزوب عقلك، وأفن تديريك ! ما أبعد^(٢) مذهبك في الخطأ، وأسوأ أثرك على السلطان، وأقصرَ باعك عن النهوض ! جزالة^(٣) تعقدك، ومهانة تُضريك، وزهو يعلوك، ونخوة يُسمَخ لها عرنيك . لقد آنصرف^(٤) رأى أمير المؤمنين عنك، ودعوت له عتبك، وكشفت له عن قناع سترك، واجتررت^(٥) اليك سخطته وعطفَت نحوك موجدته، وكنت على نصيبك منه والضن بمنزلتك عنده أولى تقدماً وأقرب رُشداً . والله الغنى الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يجعل الدنيا نُصبَ عينه، ينصب فيها للخاصة مكائده، ويرفع عن مصلحة العامة همته، يذهله عن التقوى الهوى، وتُتسيه أيامُ القدرة العثرة، حتى تنصرم مدته وتنقضى دولته، لم يرتن بدنياه سُكراً ولا قَدَم بها الى معاده دُخراً . ورجلٌ لا يُخفَل^(٦) مع صلاح الخاصة مادخل من الخلل في أمور العامة، ولا مع وفور حظه ما أدخل النقص في حظ رعيته . ورجلٌ حاول في ولايته إرضاء من ولى له وعليه، وأعانتته النية وخَذَلته الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا من فوقك،

(١) العائدة : اسم من عاده بمعرفته اذا أقبل . (٢) كذا في الأصل وفيها ضعف لعدم

اتساقها في السياق مع ما بعدها . (٣) الأفن : بالتحريك : ضعف الرأي والتدبير .

(٤) كذا في الأصل . (٥) في الأصل «لا يجمل...» وهو تحريف . وحفله وبه : بالاه .

(٦) في الأصل : «مع وفور خطر...» .

والإقياد والمحبة من دونك، وأعاد الى الناس بك عهد السلف الماضى وعمر بك آثارهم، حتى كأنهم بك أحياء لم تحترهم منية، وجميع لم تنصدغ بينهم فرقة، فليهنئك أن من تقدمك من أهل الفضل فى السيرة غير متقدم لك، ومن معك مقصر عنك، ومن دونك مقتف لأثر^(١)ك. فلا زالت الأيام لك، ولا زالت النعم عنك، ولا آتتقل عرى الأمور وأزقتها عن يدك .

فصل — أبى طبع الزمان أن يسمح لنا بك، كما أبى ذلك فى مثلك، فلم يزل حتى أعترض بمكروهه دونك، وكمن من نعمة ذهلت عنها النفس حين أدبرت بخيرك، فإن تعلق القلب بك على قدرك فى مواهب الله وقدرها عندك .

فصل — ولم تأت فى جميع ما عدت من أياديك شيئاً، وإن كان متناهيًا إلى الغاية، مختاراً كالأمنية، متجاوزاً للاستحقاق، إلا وأنت فوقه والمأمول للزيادة فيه .

وفى كتاب — إن كان ما خبرنى به فلان عن هزل فقد أحوجنا هزلك إلى الحد، ووقفنا موقف المعتذرين من غير ذنب، وإن كان عن حقيقة فقد ظهر لنا من ظلمك وتحريفك ما دل على زهدك منا فى مثل الذى رغبنا منك فيه .

فصل فى كتاب العيد — كتابى إلى الأمير يوم كذا بعد خروجى فيه ومن قبل من المسلمين إلى المصلّى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد، ونحن بخير حال أجمع عليها فريق من المسلمين فى عيد من أعيادهم وجميع من مجامعهم، وكان نخرجنا إلى المصلّى أفضل مخرج، ومنصرفنا عنه أفضل منصرف،

(١) فى الأصل : « وأزمتك ... » . (٢) فى الأصل « ولم يأت » .

بما وهب الله من سكّون العاقمة وهدوئها وألفتها، وأحتشاد الحند والشاكرية^(١) بأحسن الزيّ والهيئة، وأظهر السلاح والعُدّة . فالحمد لله على كذا، وهنّا الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرينٌ وَلِه حليفٌ حَيرةٌ ، أنظرُ بعينٍ كليلَةٍ وأحضرُ بقلبٍ غائبٍ : إلى ورود كتابك بما تعزّمه . فأما النوم فلو مثل لعيني لنفرتُ إلّفاً للشهاد .

فصل في كتاب بيعة — فبايعوا لأمر المؤمنين ولقلائٍ بعده على أسم الله وبركته وصنع الله وحسن قضائه لدينه وعباده، بيعةً منبسطةً لها أكفكم، منشرةً بها صدوركم، سليمةً فيها أهواؤكم، شاكرين لله على ما وفق له أمير المؤمنين .

عدّد معاويةً على الأحنف ذنوباً؛ فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لم تردّ الأمور على أعقابها ! أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، وإن السيوف التي قاتلناك بها لعلّ عواتقنا؛ ولئن مددت [لساناً] بشبر من غدري، لنمدت إليك باعاً من ختر^(٥)، ولئن شئت لتستصفين كدّر قلوبنا بصفو حلمك ؛ قال معاوية : فإني أفعل .

تقدّم رجل إلى سوار، وكان سوار له مُبغضاً، فقال سوار في بعض ما يكلمه به : يابن اللّغناء ! فقال : ذاك خصمي ؛ فقال له الخصم : أعدني عليه^(٦)، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لي بحقي ؛ ففهم، وسأله أن يغفر له ما فرط منه إليه، ففعل .

الأوزاعي قال : دخل نحرّيم بن فاتك على معاوية ، فنظر إلى ساقه فقال : أيّ ساقين ، لو كانتا على جارية عاتق ! فقال له نحرّيم : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) في الأصل «عين جليّة...» . (٣) في الأصل «يعزّم...» . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الختر (بالفتح) : الخديعة والقدور . (٦) أعدني عليه : انصرفني عليه وقوّني . (٧) العاتق : الجارية أول إدراكها ؛ وقيل هي التي لم تزوج .

الخطب

- تَبَعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يُضِلِّه فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له». ووجدت في بعضها: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته». ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: «أيها الناس إن لكم معالِمَ فاتموا إلى معالمكم، وإن لكم نهايةً فاتموا إلى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخذ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشببية قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار». ووجدتُ كلَّ خطبة مفتاحها الحمد إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن ينزل عن المنبر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

- حدثني أبو سهل قال حدثني الطنّافسي عن محمد بن فضيل قال حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن عكيم^(١) قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال:

(١) في الأصل «عبد الله بن عظيم» بالطاء المعجمة بدل الكاف وبالبحث في كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبد الله بن عظيم» فلعل ما في الأصل تحريف عما أثبتنا: قال في التهذيب: «عبد الله بن عكيم الجهني أبو محمد معبد الكوفي». قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبي بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة... الخ وفي الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف... الخ». وإذا كان عبد الله بن عكيم ممن روى عن أبي بكر رضي الله عنه ترجح لدينا أن ما في الأصل محرف عنه.

أما بعد ، فإنى أوصيكم بتقوى الله وحده وأن تُثَنُوا عليه بما هو أهله ، وتَحْلُطُوا
الرغبة بالرهبة ، والإلحاف بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم أعلموا أن الله قد آرتهم بحقه
أنفسكم ، وأخذَ على ذلك موثيقكم ، وأشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي . هذا
كتابُ الله فيكم لا تَفَنِّي عَجَائِبُهُ وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ ، فَصَدَّقُوهُ وَأَنْتَصِحُواهُ وَأَسْتَضِيثُوا مِنْهُ
ليوم الظلمة . ثم أعلموا أنكم تغدُون وتروحون في أجلٍ قد غُيِبَ علمُهم عنكم ، فإن
أستطعتم ألا ينقضَ إلا وأتم في عملٍ لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله .
فسابقوا في مهلٍ ؛ فإن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا
أمثالهم ، والوَحَا الْوَحَا ، والنَّجَاءُ النَّجَاءُ ! فإن من ورائكم طالبًا حثيثًا مره ، سريعًا
[سيره] ^(١) .

وفي غير هذه الرواية : أين من تعرفون من إخوانكم ! قد انتهت عنهم الأعمال ،
ووردوا على ما قدموا وحلوا عليهم بالشقوة والسعادة . أين الجبارون الذين بنوا
المدائن وحصنوها بالحوائط ! قد صاروا تحت الصخر والآكام .

خطبة لأبي بكر أيضا رضى الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي زيد القارئ ^(٣) .

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) الكلمة من العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد وردت فيه هذه الخطبة باختلاف في بعض
الكلمات عما هنا . (٢) كذا في الأصل . وهي غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النسخ .
وضواب العبارة نقلها عن تاريخ ابن جرير الطبري (قسم أول ص ١٨٤٧ طبع ليدن) : « أين من
تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة
فيا بعد الموت » . (٣) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتب التراجم
كأنساب السمعاني وأسد الغابة : وفي الأصل : « من ولد زيد القارئ » .

- إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك . فرفع الناس رءوسهم ؛ فقال : ما لكم يا معشر الناس ! إنكم لَطَعَانُونَ عَجَلُونَ ، إن المَلِكَ إذا مَلَكَ زَهَّده الله فيما في يده ، ورَغِبَه فيما في يَدَيْ غِيَرِه ، وأَنْتَقَصَه شَطْرَ أَجَلِه ، وأشرب قلبه الإِشْفَاقَ ، فهو يحسد على القليل ، ويتسَخَّطُ الكثير ، ويسأَمُ الرِخَاءَ ، وتَنْقَطِعُ عنه لَذَّةُ البَهَاءِ ، لا يستعمل العِبرَةَ ولا يسْكُنُ إلى الثقة ، فهو كالدرهم القِيسِيِّ والسَّرَابِ الخَادِعِ ، جَدَلُ الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، فإذا وَجِبَتْ نَفْسُهُ وَنَضَبَ عَمْرُهُ وَصَحَّ ظِلُّهُ ، حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ وَأَقْلَ عَفْوَهُ . أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ ، وخير الملوك من آمن بالله ، وَحَكَمَ بِكَلَامِ اللهِ وَسَنَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومُفَرِّقَ حَجَّجَةٍ ، وَسَتْرُونَ بَعْدِي مُلْكًا عَضُوضًا ، وَأُمَّةً شَعَاعًا ، ودما مُفَاحًا . فإن كانت للباطل نَزْوَةٌ ، ولأهل الحق جَوَلَةٌ ؛ يَعْفُو لها الأَثَرُ ، وتموت السُّنَنُ ، فالزُّمُوا المساجد ، وَاسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، والزموا الجماعة . وليكن الإبرامُ بعد التشاور ، والصَّفَقَةُ بعد طُولِ التَّنَاطُرِ ، أَى بِلَادِكُمْ خَرَسَةٌ فَإِنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَقْصَاهَا كَمَا فَتَحَ أَدْنَاهَا .

خطبة أبي بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة

- أراد عُمرُ الكلام ، فقال له [أبو بكر] : على رِسْلِكَ . نحنُ المهاجرون أوَّلُ الناسِ إِسْلَامًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وُجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسَهُمْ رَجَحًا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ،

- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ٢١) : «الباءة» . (٢) الْقِسِيُّ مِنَ الدِّرَاهِمِ : الزَائِفُ . (٣) وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَضَبَ عَمْرُهُ ، وَصَحَّ ظِلُّهُ : كُلُّ مِمَّا كَتَبَتْهُ عَنِ الْمَوْتِ . (٤) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ٢١) . وَفِي الْأَصْلِ «... أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ إِلَّا مَنْ آمَنَ...» . (٥) مُلْكٌ عَضُوضٌ : فِيهِ اسْتِبْدَادٌ وَعُسْفٌ . (٦) شَعَاعًا : مُتَفَرِّقَةٌ . (٧) الدَّمُ الْمَفَاحُ : الْمَرَاقُ . (٨) كَذَا بِالْأَصْلِ وَالْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ، وَلَمْ يُنَوِّقْ إِلَى تَصْوِيحِهَا أَوْ تَفْسِيرِ صَحِيحِهَا .

وقدّمنا في القرآن عليكم، فاتم إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفقه، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم^(١)، فجزاكم الله خيرا، نحن الأمراء، وأتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش، وأتم محققون ألا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم .

خطبة لأبي بكر رضى الله عنه

الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال : لما بويع أبو بكر الصديق رضى الله عنه، صعد المنبر فترلى مِرْقاةً من مقعد النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :
إني وليت أمركم ولست بخيركم، ولكنه نزل القرآن وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقي، وأن أحق الحق الفجور، وأن أفواكم عندي الضعيف حتى أخذه بحقه، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق، إنما أنا متبع^(٢) ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني . أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال : ولما ولي عمر صعد المنبر وقال :

ما كان الله لي راني أرى نفسي أهلا لمجلس أبي بكر، ثم نزل عن مجلسه مِرْقاة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : اقرأوا القرآن تعرفوا به، وأعملوا به تكونوا من أهله . إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله . ألا وإني أنزلت نفسي من مال

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٨) : وفي الأصل : «واسيتم» .

(٢) كذا في إنجاز القرآن للباقلافي (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : وفي الأصل : «أما» .

الله به الآية وإلى اليتيم : إن آسْتَغْنَيْتُ عَفَفْتُ وإن افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بالمعروف تَقَرَّمُ^(١)
الْبَهْمَةِ الْأَعْرَابِيَّةِ : الْقَضْمَ لَا الْخَضْمَ .

خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه

قال : ولما ولي عثمان صعيد المنبر فقال :

- رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، فجلس على ذروة المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أول مركب صعب ، وإن مع اليوم أياماً ، وما نكنا خطباء ، وإن نَمَشَ لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

- ١٠ أما بعد ، فإن الدنيا قد أذبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت فأشرفت باطلاع ، وإن المضمار^(٢) اليوم وغدا السباق . ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خسر عمله . ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها . ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقيم به الهدى جاره الضلال .
- ١٥ ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودللتهم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

(١) تَقَرَّمُ الصَّيِّ وَالْبَهْمِ : أَكَلَ أَكَلًا ضَعِيفًا ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا يَأْكُل . وَالْقَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ . وَالْخَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَقْصَى الْأَضْرَاسِ . يَرِيدُ بِهَذَا بَيَانَ الْأَكْلِ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ الْأَكْلُ الْخَفِيفُ الَّذِي تَدْفَعُ إِلَيْهِ حَاجَةُ الْحَيَاةِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «الضَّار» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

خطبة علي عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

أيها الناس، كتاب الله وسنة نبيكم . لا يدعى مدّع إلا على نفسه . شُرِّعَ مَنْ
الجنة والنار أمامه . سابع نجا، وطالب يرجو، ومقصر في النار : ثلاثة ؛ واثنان :
ملك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيديه، لا سادس . هلك من أقبح، وردي من
هو . اليمين والشمال مضملة، والوسطى الجادة : منهج عليه باقي الكتاب وأثار النبوة .
إن الله أدب هذه الأمة بأدين : السوط والسيف ؛ فلا هواده فيهما عند الإمام .
فأستبروا بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم ؛ والتوبة من ورائكم . من أبدى صفحته
للحق هلك . قد كانت أمور ملتئم على فيها ميلة لم تكونوا عندى محمودين ولا مُصيبين .
والله أن لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . أنظروا، فإن أنكرتم فأنكروا،
وإن عرّفتم فأروا . حق وباطل ، ولكل أهل . والله لئن أُمّر الباطل لَقَدِيمًا
فعل ؛ ولئن أُمّر الحق لَرُبَّ وَلَعْل . ما أدبرشيء فاقبل .^(٢)

خطبة أيضا لعلي رضي الله عنه^(٣)

خطب علي حين قُتِلَ عامله بالأنبار فقال في خطبته :

يا عَجَبًا مِنْ جَدِّ هَؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَشْلِهِمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! فُقِبَحًا لَكُمْ وَتَرَحًّا حِينَ صِرْتُمْ
غَرَضًا يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغَزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضُونَ .

(١) أمر (بالبناء للجهول والتضعيف) : سلط . والذي في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢)

ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : « ... ولئن قل الحق ... » وعلى ما ورد

فيهما يكون معنى « أمر الباطل » : كثرو « أمر » وزان فرج . (٢) في العقد الفريد :

« ولقلها أدبر ... » . (٣) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) و نهج البلاغة

(ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف في بعض

الكلمات وزادات عما هنا .

- إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحرّ قلم : حمارة القيظ^(١)، أمهلنا [حتى] ينسلخ الحرّ^(٢)،
وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم : أمهلنا [حتى] ينسلخ الشتاء هذا أو أن^(٣) قر؛
كلّ هذا فرارا من الحرّ والقرّ، فأتتم والله من السيف أقرّ، يا أشباه الرجال ولا رجال!
أحلام الاطفال وعقول ربّات الجبال؛ أفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان، حتى
قالت قريش : ابن أبي طالب شجاع [ولكن] لا يعلم له بالحرب . لله أبوهم ! هل
منهم أحد أشدّ لها مراسا وأطول تجربة^(٤) مني ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين
فهانّا الآن قد نيّفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغني عن شعيب بن صفوان قال : خطب معاوية فقال :

- ١٠ أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يعدّ فيه المحسن
مسيئا ، ويزداد الظالم فيه عتوا ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نخوف
قارعة حتى تحلّ بنا . فالناس أربعة أصناف : من لا يمنع من الفساد
في الأرض إلا مهانة نفسه وكلال حدّه ونضيض وفره^(٥) ، ومنهم المصلت لسيفه^(٦)
والمجلب بخيله ورجله والمعلن بشره^(٧) ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام يتهمزه^(٨)

- ١٥ (١) حمارة القيظ : شدته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) القر يضم
القاف : البرد الشديد . (٤) كذا في العقد الفريد والبيان والتبيين ، بزيادة كلمة « لها » بعد كلمة
« أطول » في البيان والتبيين . وفي الأصل : « هل منهم أحد لها أشدّ مراسا ولا أطول تجربة مني » .
(٥) في الأصل : « رضيض » وما أثبتناه عن البيان والتبيين والعقد الفريد وإيجاز القرآن . ونضيض ،
وفره : قلة ماله . (٦) في الأصل : « بسيفه » بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : أعدّها وقدّمها .
(٨) أوبق دينه : أهلكه .

(١) أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مَنِيرٍ يَفْرَعُهُ، وَلِبَاسٍ الْمَتَّجِرَانِ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَمِمَّا عِنْدَ اللَّهِ
عَوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ [وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا] (٤)
قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَحَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ،
وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمَلِكِ ضُؤُولُهُ
فِي نَفْسِهِ وَاتَّقَطَّاعَ مِنْ سَبَبِهِ، فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالَ عَنْ أَمَلِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ
بِلِبَاسِ الزُّهَادِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَايِجٍ وَلَا مَغْدَى . وَبَقِيَ رَجُلًا غَضَّ أَبْصَارَهُمْ
ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمُخْشِرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ، وَخَائِفٍ مُنْقِمٍ (٨)
وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ، وَدَاغٍ مُخْلِصٍ، وَمُوجِعٍ تَكْلَانٍ، قَدْ أَحْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةَ، وَشَمَلَتْهُمْ
الذَّلَّةُ (٩)، [فَهُمْ] فِي بَحْرِ أَجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وُعِظُوا حَتَّى
مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ
الْقَرْظِ وَقَرَأُضَةِ الْجَلْمِ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ،
وَأَرْفُضُوهَا دَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفُضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إِنْ مَعَاوِيَةَ كَانَ حَبَلًا مِنْ حَبَالِ اللَّهِ ، مَدَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَمُدَّهُ ، ثُمَّ
قَطَعَهُ حِينَ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ ؛ وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ بَعْدِهِ ، [وَلَا أَرْكِيهِ عِنْدَ] (١٠)

- (١) المِقْنَبُ بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يَفْرَعُهُ : يعلوه . وفي الأصل : « يترعه »
وهو تحريف . (٣) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ . وفي الأصل : « وليس المتجران تراهما ... الخ »
وهو تحريف . (٤) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَالْيَبَاسِ وَالتَّبْيِينِ وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ .
(٥) طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ : خَفِضَ . (٦) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ٢٩) وفي الأصل :
« عَلَى حَالِهِ ... » (٧) النَّادِ : النَّافِرُ الذَّاهِبُ عَلَى وَجْهِهِ . (٨) مُنْقِمٍ : مُسْتَحْفٍ .
(٩) الزِّيَادَةُ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ لِلْبَاقِلَانِ . (١٠) الزِّيَادَةُ
عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار اليه [فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم . وعلى رسلكم ! إذا كره الله أمرا غيره .

خطبة لعُتْبَةَ بن أبي سُفْيَان

أبو حاتم عن العُتْبِيِّ قال : احتبست كُتُب معاوية حتى أَرَجَفُ^(٢) أهل مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر والكتاب في يده فقال :

يا أهل مصر ! قد طالت معاتبنا إياكم بأطراف الرماح وظببات السيوف حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تُسِغُنَا حلوقكم ، وأقْدَاء في أعينكم ما تَطْرِف عليها جفونكم .
فحين آشدت عُرَى الحق عليكم عقداً ، وأسترخت عُقْدُ الباطل منكم حلاً ، أرجفتم بالخليفة وأردتم توهين السلطان ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به حديثاً !
فأربحوا أنفسكم إذ خسرتم دينكم ، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السار عنه والعهد القريب منه . وأعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ، فأصلحوا لنا ما ظهر ، نكلكم إلى الله فيما بطن ، وأظهروا خيراً وإن أسررتم شراً ، فإنكم حاصدون ما أتم زارعون . وعلى الله نتوكل ، وبه نستعين .

١٥

خطبة لعُتْبَةَ أيضاً

وبهذا الإسناد أن عتبة خطب أهل مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر ، خَفَّ على ألسنتكم مدح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل وأتم تأتونه ، كالحمار يحمل أسفارا أثقله حملها ولم ينفعه علمها . وإني والله لا أدأوى

(١) في العقد الفريد : « ولا آسى على طلب علم » . (٢) أرجف : خاض في الأخبار التي

أدواءكم بالسيف ما آكتفيت بالسوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرة، ولا أبطئ
عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى ^(١) * ناجزا بناجز، ومن حذر كن بشر ^(٢) *
فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذي ليس فيه
عقاب، ولا بعده عتاب .

خطبة لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتل أخوه مُصعب فقال :

الحمد لله الذي يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء . إنه لن يذلّ من كان الحقّ معه
وإن كان فرداً ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أنا
خبر من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا : قتل مُصعب رحمه الله . فاما الذي أحرّتنا من
ذلك فإن لفراق الحميم لَذعة يجدها حميمه عند المصيبة به ثم يرعوى بعدها ذوو الرأي
الى جميل الصبر وكرم العزاء . وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن
ذلك لنا وله الحيرة . ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا
يأخذونه به . إنا والله ما نموت حبيجا ولا نموت ^(٤) إلا قتلا، قمعصا بالرماح تحت ظلال
السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛ والله إن قُتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام .

(١) كذا في الأصل، ولعلها : « على الأخرى » .

(٢) هذه الجملة التي بين النجمتين وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) في أثناء خطبة أخرى
لعتبة . وفي العقد : « والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منك حتى بذلناها
لكم ناجزا بناجز، ومن حذر كن بشر... » .

(٣) في العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الحجج : أن يأكل البعير لحاء العرغ فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال في اللسان بعد أن ذكر
كلام ابن الزبير : « يعترض بني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة... »
وقصه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عَارِيَةٌ من الملك الأعلى [الذى لا يبيد ذكره ولا يبدل سلطانه] فإن تُقبل على لا آخذها أخذ البطر الأشر، وإن تُدبر عني لا أبك عليها بكاء الخريف المهتر^(٢). ثم نزل.

خطبة زياد البتراء^(٣)

- حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها، وحدثني أبي عن الهيثم بن عدي، قال : لما قدم زياد أميراً على البصرة فنظر إلى أبياتها، قال : رُبَّ فَرِيحٍ بِلَمَارَتِي لَنْ تَنْفَعَهُ ، [و] كَارِهِ لَهَا لَنْ تَضُرَّهُ ؛ فدخل وعليه قباء أبيض ورداء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة بتراء : لم يصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أول من خطبها، ثم قال :
- ١٠ أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علمتم، وشهدت الشهود بما قد سمعتم، وإنما كنت أمراً حفظ الله منه ما ضيع الناس، ووصل ما قطعوا. ^(٤) ألا وإنا قد ولينا ولينا والوالون، وسُسنا وساسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير عُنْف، ولين في غير ضعف. وأيم الله ما من كذبة أكبر شاهدًا من كذبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها مني فأغتمزوها في، وأعلموا أن عندي أمثالها، وإذا رأيتموني أمر

١٥ (١) الزيادة من العقد الفريد : (ج ٢ ص ١٨٣) . (٢) الخرف : الذي فسد عقله من الكبر . والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن . وفي العقد الفريد : « بكاء الخرق المهين » . (٣) وردت هذه الخطبة في النوادر لأبي على القالي (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة . ووردت في الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن سنة ١٨٦٨م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا ويتقدم وتأخير في بعض الجمل والكلمات . (٤) لم ترد هذه القطعة في الخطبة البتراء في مصدر آخر من المصادر التي بين أيدينا إلا في النوادر لأبي على القالي . وقد وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) في خطبة أخرى لزياد .

فيكم بالأمر فأنفذوه على أذلاله^(١) . وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل أمرئ منكم أن يكون من صرعى . وأيم الله لآخذن البرىء بالسقيم، والمطيع بالعاصى، والمقبل بالمدير، حتى تستقيم لي قناتكم، وحتى يقول القائل : «أنج سعد فقد قُتل سعيد» . فقام إليه عبد الله بن الأهمم التميمي، فقال : أيها الأمير، أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب؛ فقال له : كذبت، ذاك نبي الله داود . ثم قام إليه الأحنف، فقال : إنما المرء بجده، والسيف بجده، والجواد بشده؛ وقد بلغك جدك أيها الأمير ما ترى؛ وإنما الحمد بعد البلاء، والثناء بعد العطاء، وإنا لا نثنى حتى نبلى . ثم قام إليه مرداس بن أدية، فقال : قد سمعنا مقالتك أيها الأمير، وإنا خليل الله إبراهيم عليه السلام أدى عن الله غير الذى أديت، قال الله تعالى : (الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)^(٢) * ؛ وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء

- (١) على أذلاله : على طريقه ووجهه . واحده ذل بكسر الذال، وهو ما مهد من الطريق وذل .
- (٢) قال في اللسان مادة « سعد » بعد أن ذكر هذا المثل : « هذا مثل سائر؛ وأصله : أنه كان لضبة ابن أذابان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد ؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل ؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار ما يشاء به، وهو يضرب مثلا في العناية بذى الرحم، ويضرب في الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهري في هذا المكان : وفي المثل ، أسعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء أهو مما يحب أو يكره .
- (٣) كذا في ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبع ليدن والبيان والتبيين والعقد الفريد . وفي الأصل : «نعم بن الأهمم» وقد آثرنا ما في المصادر الأولى لأن الوقوف في مثل هذا الموقف يقتضى شجاعة وجراة، وفي عبد الله بن الأهمم منهما حظ موفور . أما نعم بن عمرو بن الأهمم ، وعبد الله هذا عمه ، فكان كما يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأنيث ...» . وفي النوادر لأبي علي القالي : «صفوان بن الأهمم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهمم . (٤) وردت هذه الجملة في ابن الأثير والعقد الفريد والبيان والتبيين والنوادر لأبي علي القالي باختلاف عما هنا ونصها في ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت، قال الله تعالى : (وإبراهيم الذى وفى ألا تروا وزرة وذر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ...» .

بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدبر ، فقال له : أسكت ، فوالله ما أجد الى ما أريد سبيلاً ، إلا أن أخوض اليه الباطل خوفاً . ثم نزل .

وقال في خطبة له أخرى ^(١) :

حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَسْوِيَهَا بِالْأَرْضِ هَذِمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَجَّ
الليل ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ
أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وقد أحدثتم أحداثًا ، وأحدثنا لكل ذنب عقوبة ؛
فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَاهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْنَاهُ ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْتًا نَقَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ ،
وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ؛ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكُفِّ عَنْكُمْ . وقد كانت
بيني وبين أقوام منكم أشياء قد جعلتها دبراً أذنى وتحت قَدَمِي ، فمن كان محسناً
فليزدَدْ ، ومن كان مسيئاً فليترَعْ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السَّلَّ مِنْ بُغْضِي
لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمْ أَهْنِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْهَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ
أُنَظِرْهُ ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة ^(٢)

دخل وهو متقلد سيفاً متنكب قوساً عربية ، فعلا المنبر فقال :

أَنَا أَبْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا * مَتَى أَضَعُ الْعَامَّةَ تَعْرِفُونِي

١٥

(١) هذه الخطبة وردت في المصادر المتقدمة ، ما عدا النوادر لأبي علي القالي ، في ثنايا خطبته

البراء . (٢) وردت هذه الخطبة في كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكمال للبرد (ص ٢١٥

طبع ليسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكمال لابن الأثير

(ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة لندن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير في بعض الكلمات .

١٠ - إن أمير المؤمنين نَكَبٌ عِيدَانَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فوجدني أمرها عُوداً وأصلها مَكْسِراً ، فوجَّهني إليكم . أَلَا فَوَاللَّهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ ، وَلَأَحْوَنَكُمْ لِحْوِ الْعُودِ ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتِكُمْ ، وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ : «وَأُنْجُ سَعْدُ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ» . أَلَا وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الشَّقَاءُ وَالزَّرَافَاتِ ، فَإِنِّي لَا أُوقِي بِأَحَدٍ مِنَ الْجَالِسِينَ فِي زَرَّافَةٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ . هَكَذَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي عَمِيْدٍ فِي كِتَابِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ . وَقَالَ لِي غَيْرُهُ : هُوَ إِيَّايَ وَهَذِهِ الشَّقَاءُ وَالزَّرَافَاتِ ، وَقَدْ فَسَّرْتُ الْحَدِيثَ فِي كِتَابِي الْمَوْئَلَفِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

خطبة للحجاج أيضا

أَرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ ، فَخُطِبَ فَقَالَ :

١٠ إِنْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، أَهْلِ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، تَزَعَّ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالُوا : مَاتَ الْحَجَّاجُ وَمَاتَ الْحَجَّاجُ ! فَمَهْ ! وَهَلْ يَرْجُو الْحَجَّاجُ الْخَيْرَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ! وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي إِلَّا أَمُوتَ وَأَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ! وَمَا رَأَيْتُ اللَّهَ رَضِيَ بِالْتَخْلِيدِ إِلَّا لِأَهْوَنِ خَلَقَهُ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ . وَلَقَدْ دَعَا اللَّهُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ فَقَالَ : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ إِلَّا الْبَقَاءَ . فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَيُّهَا الرَّجُلُ !

١٥ (١) نَكَبَ عِيدَانَهُ : طَرَحَهَا . (٢) عَصَبُهُ : قَطْعُهُ . وَالسَّلَامَةُ : وَاحِدَةُ السَّلَامِ ، وَهُوَ شَجَرٌ مِنَ الْعُضَاةِ يُخَذُّ مِنْهُ الْقُرْطُ الَّذِي يَدْبِغُ بِهِ ، وَهُوَ شَجَرُ السَّنَطِ . وَلِحَا الْعُودِ : قَشْرُهُ . (٣) كَانَتْ الْإِبِلُ الْغَرَبِيَّةُ إِذَا وَرَدَتْ مَعَ إِبِلِ قَوْمٍ ضُرِبَتْ وَطُرِدَتْ . ضَرَبَهُ الْحَجَّاجُ مُثَلًّا فِي التَّهْدِيدِ وَالْإِنذَارِ . (٤) تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي خُطْبَةِ زِيَادٍ . (٥) فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ «سَقْفٍ» : «وَأَمَّا قَوْلُ الْحَجَّاجِ : (إِيَّايَ وَهَذِهِ الشَّقَاءُ) فَلَا يَعْرِفُ مَا هُوَ ، وَحَكَى ابْنُ الْأَثِيرِ عَنِ الرَّيْشِيِّ قَالَ : قِيلَ وَهُوَ تَصْغِيفٌ ، قَالَ : وَالصَّرَابُ شَفْعًا ، جَمْعُ شَفْعٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ إِلَى السُّلْطَانِ فَيَشْفَعُونَ فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ فَتُهَامُ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَشْفَعُ لِلْآخَرِ كَمَا تَهَامُ عَنْ الْجَمَاعَةِ فِي قَوْلِهِ : إِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتِ » . وَمِنْ هَذَا يَعْلَمُ مَا يَرَى إِلَيْهِ الْمُؤَلَّفُ بِالتَّعْقِيبِ بِالرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ .

وكلكم ذلك الرجل ! . كَأَنِّي والله بكلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا ، وبكل رَطِيٍّ يَابِسًا ، وَنُقِلَ في ثِيَابٍ أَكْفَانُهُ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرُعٍ طُولًا فِي ذِرَاعٍ عَرْضًا ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ ، وَانصَرَفَ الْحَبِيبُ مِنْ وَلَدِهِ يَقْسِمُ الْحَبِيبَ مِنْ مَالِهِ ؛ إِنْ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ يَعْلَمُونَ مَا أَقُولُ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ ، وَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ ابْنِي هَذَا ، وَأَوْصِيَّتُهُ بِخِلَافِ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَسَلَّمَ] فِي الْأَنْصَارِ ؛ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ أَوْصَى أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَأَنْ يُجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَمَرْتُهُ إِلَّا يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلَا يُجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ . إِلَّا وَإِنَّكُمْ سَتَقُولُونَ بَعْدِي مَقَالَةً لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ إظهارها إِلَّا غَفَاتِي ، سَتَقُولُونَ بَعْدِي : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّبَابَةَ ! إِلَّا وَإِنِّي مُعَجِّلٌ لَكُمْ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سَيْفِي ، فَنَجَادُهُ فِي عُنُقِي ، وَقَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ اغْتَرَّ بِي ! فَقَالَ الْحَسَنُ : يُؤْسَا لِهَذَا ! مَا أَغْرَهُ بِاللَّهِ ! .
(١)
وَحَلَفَ رَجُلٌ بِالطَّلَاقِ أَنْ الْحَجَّاجَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ أَتَى امْرَأَتَهُ فَمَنَعَتْهُ نَفْسَهَا ؛ فَأَتَى ابْنَ سِيرِينَ يَسْتَفْتِيهِ ؛ فَقَالَ : يَا بْنَ أَخِي ، إِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضُرَّكَ أَنْ تَزْنَى .

(١) نَجَادَ السَّيْفَ : حَمَلَهُ . وَقَائِمُهُ مَقْبُضُهُ . وَذُبَابُهُ : طَرَفُهُ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : خَلَفَ رَجُلٌ

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ^(١)

حدثني أبو سهل عن إسحاق بن سليمان عن شُعَيْب بن صَفْوَانَ عن رجل من آل سَعِيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أَنْ حَمَدَ الله وَأَثْنَى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تُخْلَقُوا عَبْدًا ، وَلَنْ تُتْرَكُوا سُدىً ، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَنْزِلُ اللهُ فِيهِ لِلْحَكَمِ فِيكُمْ وَالْفَصْلِ بَيْنَكُمْ ، نَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ تَخَرَّجَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَحُرِمَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ غَدًا إِلَّا مَنْ حَذَرَ الْيَوْمَ وَخَافَ ، وَبَاعَ نَافِذًا بِبَاقٍ ، وَقَلِيلًا بِكَثِيرٍ ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ ! أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ ، وَتَسْكُونُ مِنْ بَعْدِكُمُ لِلْبَاقِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى تُرَدَّ إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ ! ثُمَّ إِنَّمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشَيِّعُونَ غَادِيًا وَرَاحِيًا إِلَى اللهِ قَدْ قَضَى نَجْبَهُ ، حَتَّى تُغَيِّبُوهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ فِي بطن صَدْعٍ غَيْرِ مُوسَدٍّ وَلَا مُمَهَّدٍ ، قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ وَبَاشَرَ التُّرَابَ وَوَاجَهَ الْحِسَابِ ، فَهُوَ مَرَّتَيْنِ بِعَمَلِهِ ، غَنَى عَمَّا تَرَكَ فَقِيرًا إِلَى مَا قَدَّمَ . فَاتَّقُوا اللهَ قَبْلَ انْقِضَاءِ مَوَاقِيتِهِ وَتَزُولِ الْمَوْتِ بِكُمْ ! أَمَّا إِنِّي أَقُولُ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرًا مِمَّا عِنْدِي ، فَاسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَ رِدَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ . ١٥

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال : كُنْتُ كَذَلِكَ مَا شِئْتُ أَنْ تَكُونَ ، لَا يَعْلَمُ كَيْفَ أَنْتَ إِلَّا أَنْتَ ، ثُمَّ ارْتَأَيْتَ أَنْ تَخْلُقَ الْخَلْقَ ، فَمَاذَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِكَ ،

(١) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٥)

بزيادة عما هنا . (٢) في الأصل : «وباع نافذا...» بالقاف وهو تحريف . (٣) في الأصل : «وسيكون... حتى يرد...» . ٢٠

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من دَرك : من صُنوف أفواجه
وأفراده وأزواجه ، كيف أدبجت قوائم الذِّرة والبُعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من
الأشباح التي امتزجت بالأرواح ! .

وخطب يوما فسقطت حرادة على ثوبه فقال : سبحان من الحرادة
من خلقه ، أدبج قوائمها ، وطوقها جناحها ، ووشى جلدها ، وسلطها على ما هو
أعظم منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأنفس بضميرها ، فإنها
أسوك^(١) شيء إذا أُعطيت ، وأعصى شيء إذا سُئلت . وإني رأيت الصبر عن محارم
الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دار غرورٍ ومترلٍ باطلٍ ، تُضحك باكيًا وتُبكي
ضاحكا ، وتُخيف آمنا وتؤمن خائفا ، وتُفقر مُثريا وتُثري مُفقرا ، مبالغة غرارة لعبابة
بأهلها ! عباد الله ! اتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ،
فإنه ناسخ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يحلوا
كيد الشيطان كما يحلوا ضوء الصبح إذا تنفس ، ظلام الليل إذا عسعس^(٢) .

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل إذا مشى مشيا ضعيفا .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفي الأصل : « ديار الليل ... » . وتنفس

الصبح : تبليج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حَمدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبةً في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ، وإني لظُلومٌ لها إن لم يرتحنى الله ، ولكن خرجت غَضَباً لله وِـيـنـه ، داعياً إلى الله وإلى سَنَةِ نبيّه ، لما هُدمت معالمُ الهدى ، وأطفئ نورُ أهلِ التقوى ، وظَهَرَ الجبارُ العَـنـيدُ ، المستحِلُّ لكل حُرمة ، والراكبُ لكل بدعة ، الكافرُ بيوم الحساب ، وإنه لابنُ عَمِّ في النَسَبِ وكُفَيْي في الحَسَبِ ؛ فلما رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمره وسألته ألا يَكَلِّني إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابني من أهلِ ولايتي ، حتى أراح الله منه العبادَ ، وطهر منه البلادَ ، بحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ لا بحولِي وقُوَّتِي .

أيها الناس ، إن لكم على-ألا أضَع حجراً على حجرٍ ، ولا لَبَنَةً على لَبَنَةٍ ، ولا أَكْرِي^(١) نهراً ، ولا أَكْثِرُ مالا ، ولا أُعْطيه زوجاً ولا وَلَداً ، ولا أُنْقِلُهُ من بلدٍ إلى بلدٍ حتى أُسَدَّ نَقَرُ ذلك البلدِ وَخَصَاصَةُ أهله ، فإن فَضَلَ فَضْلُ نَقْلَتُهُ إلى البلدِ الذي يَلِيهِ . ولا أُجْعِلُكُمْ في بُعوثِكُمْ فافتنَّكُمْ وأفتنَّ أهليكم ، ولا أَغْلِقُ بابي دونكم فياكُلُ قَويُّكُمْ ضعيفكم ، ولا أَجِـلُّ على أهلِ جزيتكم ما أُجْلِيهم به عن بلادهم وأقطعُ به نَسْلَهُمْ . ولكم على-إدراارُ العطاء في كل سنةٍ والرِّزْقِ في كل شهرٍ ، حتى يستوى بكم الحال فيكونَ أفضلُكم كأدناكم . فإن أنا وقَّيتُ لكم فعليكم السَّمْعَ والطاعة وحسنَ المُوازرةِ والمُكاثفةِ ، وإن لم أَفِ لكم [فلكم]^(٢) أن تَخْلَعُونِي * إلا أن تستيتبوني^(٣) ، فإن أنا تبت

(١) كرى النهر : حفره . (٢) تججير العساكر : حيسهم في بلاد العدو أو الثغور . دون أن يرجعوا إلى أهلهم . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : «ولا أجركم في ثغورك» . (٣) المكاثفة : المعاونة . (٤) التكلفة متقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) وفي الأصل تستيتبوني ، إن تبت ... ؟

قبلتم مني ، وإن عرقتكم أحدا [يقوم مقامى من] يُعرف بالصَّلاح يُعطىكم من نفسه
مثل الذى أعطيتكم فأردتم أن تُبايعوه، فأنا أول من بايعه ودخل في طاعته .

أيها الناس، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر
الله العظيم لى ولكم .

- فلما بُويع مروانُ نَبَشَه وصَلَبَه . وكانوا يقرعون فى الكتب : يا مبدّر الكنوز
ويا سجاداً بالأشجار، كانت ولايتك لهم رحمةً وعليهم حجة، أخذوك فصلابوك .

خطبة أبي حمزة الخارجي^(٢)

- خطب أبو حمزة الخارجي بمكة فذكر رسول الله صلى الله عليه [وسلم]، ثم أبا بكر
وعمر رضى الله عنهما بما هم أهله، ثم قال : وولى عثمانُ فسارست سنين بسيرة صاحبيه
وكان دونهما، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط^(٣) [به] الأوائل، ثم مضى لسبيله .
وولى على فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع^(٣) [له] منارا، ثم مضى لسبيله . ثم ولى معاوية
لعين رسول الله وابن عينه، اتخذ عباد الله خولاً، وهال الله دُولا، ودينه دغلا، ثم
مضى لسبيله ، فآلعه لعه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية، يزيد الخجور، ويزيد القُرود،
ويزيد الفهود، الفاسق فى بطنه والمأبون فى فرجه . ثم اقتضهم خليفة خليفة . فلما
اتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عن ذكره . ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال :
يا كل الحرام، ويلبس الحلة بألف دينار، قد ضربت فيها الأبرار، وهتكت الأستار،
حباية عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه، حتى إذا أخذ الشراب فيه كل مأخذ
قد ثوبه ثم التفت الى إحداهما فقال : ألا أطير! نعم! طر الى النار . ثم ذكر أصحابه

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين

(ج ٢ ص ٦١) . (٣) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين .

فقال : شبابُ اللهِ مكتهلون في شبَّابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشرِّ أعينهم ، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجاءهم ، أنضاءُ عِبَادَةٍ ، وأطلاحُ سَهَرٍ ، ينظرُ اللهُ اليهم في جوف الليل مُنْحَنِيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض رُكَبهم وأيديهم وجَبَاهَهم ، واستقلُّوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السَّهام قد فُوقَتْ ، والرماح قد أُشْرِعَتْ ، والسيوف قد انتَضِيَتْ ، وأرعدت الكتيبةُ بصواعق الموت ، مضى الشابُّ منهم قُدَمًا ، حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، وتخصَّبت محاسنُ وجهه بالدماء ، فأسرعت إليه سباعُ الأرض وانحطَّت إليه طيرُ السماء ، فكم من عينٍ في منقار طائرٍ طالما بَكَى صاحبها في جوفه الليل من خوف الله ! وكم من كَفٍّ زَايَلَتْ مَعْصَمَهَا طالبا اعتمدَ عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : آوِهْ آوِهْ وبكى ثم نزل .

خطبة لِقَطَرِيَّ الخَارِجِيَّ^(٤)

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً ، فَقَالَ : حُمِّلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُجْبَانَا ، وَأُتْرِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانَا ، وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانَا ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانَا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانَا ، فَهَمَّ حَيْرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ صَيًّا ، إِنْ

- (١) أنضاء : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من الثوب . وأطلاح : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو المهزول . (٢) في الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) آوِهْ : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهي : آوِه (بالمد وسكون الهاء) وآوِه بضم الهاء وآوِه (بالمد وواوين) وآوِه (بكسر الهاء) خفيفة وآوِه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها) وآه (بالمد وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة آوِه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) في البيان والتبيين والعقد الفريد « وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنان (بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَأَوْحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ أَوْحَادٌ، وَجِيءٌ أَبْعَادٌ، لَا يُزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ . فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ، وَانْتَفِعُوا بِمَا عَظَمَهُ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ .

وفي خطبة ليوسف بن عمر :

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ! فَمَنْ مِنْ مُؤْمِلٍ أَمَلًا لَا يَلْبُغُهُ، وَجَامِعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٍ مَاسُوفٍ يَتَرَكُهُ، وَلَعَلَهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمَنْ حَقَّ مَنَعُهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا، ^(١) إِحْتَمَلَ لِمَاضِيهِ وَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسَفًا لَاهِقًا، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

وفي خطبة للحجاج :

قال مالك بن دينار: سمعته على المنبر يقول: ^(٢) إِمْرَأُ زَوْرَ عَمَلِهِ إِمْرَأُ حَاسَبَ نَفْسِهِ، ^(٣) إِمْرَأُ فَكْرٍ فِيمَا يَقْرُؤُهُ فِي صَحِيفَتِهِ وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ، إِمْرَأُ كَانَ عِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا، وَعِنْدَ ^(٤) هَمِّهِ أَمْرًا، أَخَذَ بَعْنَانُ قَلْبَهُ كَمَا يَأْخُذُ بِخِطَامِ جَمَلِهِ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهُ .

خطبة للمنصور

خطب المنصور بمكة فقال : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، ^(٥) أَسْوَ سُمْكُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْلِيدِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَبْصِيرِهِ، وَخَازِنُهُ عَلَى فَيْئِهِ أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِئَتِهِ، وَأَقْسِمُ بِإِرَادَتِهِ، وَأُعْطِيهِ بِإِذْنِهِ، قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قُفْلًا إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمُ أَرْزَاقَكُمْ فَتَحْنِي، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفِلْنِي . فَأَرْغَبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَسْأَلُوهُ

(١) الإصر: الثقل . (٢) في العقد « أمرؤ... » بالرفع . وزور عمله : حسنه .

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفي الأصل « عند قلبه... » . (٤) كذا في العقد الفريد

وفي الأصل : « بعنان عمله ... » . (٥) كذا في العقد الفريد، وفي الأصل : « بشيته ... » .

في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه، اذ يقول :
(الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أَنْ يُوفَّقَنِي
لِلصَّوَابِ وَالرَّشَادِ، وَيُلْهِمَنِي الرَّافَةَ بِكُمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ، وَيَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمَ
أَرْزَاقَكُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْكُمْ .

خطبة لداود بن علي

خطب فقال : أحرز لسان رأسه، اتعظ أمرؤ بغيره، اعتبر عاقل قبل أن يُعْتَبَرَ
به، فامسك الفضل من قوله وقدم الفضل من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال :
إن بكم داءً هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفاؤه، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع .

خطبة لداود بن علي أيضا

لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر قام بوجه كورقة المصحف فاستخيا
فلم يتكلم ؛ فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر؛ فقال المنصور : قللت في شيخنا
وكبيرنا ويدعو إلى نفسه فلا يختاف عليه آثان ، فأنتضيت سيفي وغطيت ثوبي
وقلت : إن فعل ناجزته ؛ فلما رقي عتبا استقبل الناس بوجهه دون أبي العباس ، ثم
قال : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله ، ولأثرُ الفِعال عليكم
أجدى من تشقيق المَقال^(١) ، وحسبكم بحتاب الله مُمْتَثَلًا فيكم ، وأبني عم رسول الله
خليفة عليكم . والله قسما برا لا أريد إلا الله به ما قام هذا المقام أحد بعد رسول
الله أحق به من علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا ، فليظن ظأنكم وليهمس
هامسكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشمت^(٢) سيفي .

(١) تشقيق الكلام : إنجازه أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أغمدته ، ويستعمل بمعنى

خطبة لأعرابي^(١)

أما بعد، فإن الدنيا دارُ بلاءٍ والآخرة دارُ بقاءٍ، فخذوا أيها الناس لمقرنكم من مَمَرِكُمْ، ولا تَهَنِكُوا أَسْثَارَكُمْ عند من لا يَخْفَى عليه أسراركم، ففى الدنيا أُحْيَيْتُمْ ولغيرها خُلِقْتُمْ. أقول قولى هذا، والمستغفرُ الله، والمدعوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجب على خلقه، أحمدُهُ وأستعينهُ وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .
أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجس لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه . فأتقوا الله عباد الله ١٠ وبادروا آجالكم بأعمالكم، وأبتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جد بكم، واستعدوا للموت فقد أظلمكم، وكُونُوا قَوْمًا صَبَحَ بِهِمْ فَأَنْتَبَهُوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا؛ فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سُدىً؛ وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموتُ أنْ يَتَرَلَّ به . وإن غاية تنقصها اللحظة وتهديمها الساعة الواحدة بلحيرة يقصر المدة^(٢)، وإن غائباً يحذوه الحديدان الليل والنهار لحرقى بسرعة ١٥ الأوبة، وإن قادماً يحل بالفوز أو بالشقوة لمستحق لأفضل العدة، فاتق عبدُ ربِّه، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشیطان مُوَكَّلٌ به : يُزَيِّنْ له المعصية ليركبها، ويُمَيِّنْهُ التوبة لیسَوِّفَهَا، حتى تهجم

(١) وردت هذه الخطبة فى الأمالى لأبى على آقألى (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية)

بزيادة عما فى الأصل هنا . (٢) لذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) . وفى الأصل : « جدين » . ٢٠

عليه منيته أغفل ما يكون عنها . فialها حسرة على ذى غفلة : أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة ! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ، ولا تقصّره عن طاعته غفلة ، ولا تحلّ به بعد الموت فزعة^(١)؛ إنه سميع الدعاء، وبيده الخير، وإنه فعّال لما يريد .

وفي خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول :

٥ إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرّمته ، ووفّق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وفدى فيه من الذّبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر، ومتقدّم الأيام المعدودات من النّفرة؛ يوم حرام من أيام عظام في شهر حرام ، يوم الحجّ الأكبر، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جلّ وعزّ : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) الآيات ؛ فتقرّبوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم، وعظّموا شعائر الله واجعلوها من طيّب أموالكم وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدارين وارتفع جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين ١٥ الله الله ! فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب والقصاص والصّراط ثم العقاب والثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كلّ في الجنة، والشر كلّ في النار .

(١) كذا بالعقد الفريد، وفي الأصل « مرعة » .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفي الأصل :

« العاملين » .

وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول :

- إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ وَسُنَّةٍ وَابْتِهَالٍ وَرَغْبَةٍ ، يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَافْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، فَعَلَهُ خَاتَمَةَ الشَّهْرِ وَأَوَّلَ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ وَمُتَنَقِّلًا قِيَامَكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ؛ فَأَطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ لِنَفْسَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتَغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَذِكْرُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى .
- ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي اعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَضِرِ الشُّكَّ^(١) فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثَرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونَهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَازِهِ وَكُرْبِهِ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلُمَتِهِ وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَانَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يَجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَدَّلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا إِذْ مُنِعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَتَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهْلُ الْمَبْسُوطُ لَكُمْ .
- وَاحْدَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضَعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْحَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقِلُ بِهِ ، وَمَا يُمِيلُ^(٢) فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ؛ فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرُطُونَ عِنْدَهَا إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . وَلَسْتُ أَنُهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُكُمْ

(١) احتضر : مثل حضر . (٢) العزب بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشجة الموت .
من رعدة واضطراب . (٣) في العقد الفريد : « الأجل » . (٤) يُمِيلُ : يميل .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كل ما لها ينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو الى غيرها . وأعظم مما رآته أعينكم من عجائبها ذم كتاب الله لها ونهى الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَغْرِبُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقال : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الآية . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قوما من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائنها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

كلام من أرتج عليه

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر قال : خطب أمير مرة فاقطع فجبل ، فبعث الى قوم من القبائل عابوا ذلك ولقهم^(١) ، وفيهم يربوعي جلد ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد فتر في الخطبة ، حتى اذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدري ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع اليوم فمغتني . وخطب آخر ، فلما بلغ "أما بعد" بقي ونظر فإذا إنسان ينظر اليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتلمحنى ببصرك أيضاً ! . قال وقال أحدهم : رأيت القراير من السفن تجري بيني وبين الناس . قال : وصعد اليربوعي فخطب فقال : أما بعد فوالله ما أدري ما أقول ولا فيم أقتموني ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ؛ فقال : الزيت مبارك ، فكلوا منه وأدهنوا . قال : فهو قول الشطار اليوم اذا قيل : لم فعلت ذا ، فقل في شأن الزيت وفي حال الزيت .

ولما أتى يزيد بن أبي سفيان الشام والياً لابي بكر رضى الله عنه ، خطب فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله ثم أرتج عليه ، فقال : يا أهل

(١) لقهم : جمعهم . (٢) في الأصل : «أحدهما» . (٣) القراير : السفن العظيمة ، واحدها قرقور . (٤) الشطار : جمع شاطر ، وهو من أعيا أهله خبيثاً ، والمراد بالشاطر هنا : أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتتكت والمضحكات .

(١) الشَّامُ عسى الله أن يجعل من بعد عُسرٍ يُسرًا، ومن بعد عيٍّ بيانا، وأتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمامٍ قائلٍ . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعيد ثابتٌ قُطْنَةُ مَنبراً بِسَجِسْتَانَ حَمِدَ الله ثم أرتج عليه، فترل وهو يقول :
فَإِلَّا أَكُنْ فِكمْ خَطِيباً فَإِنِّي * بِسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لَخَطِيبُ

فقيل له : لو قلتها على المنبر كنت أخطب الناس .

وأرتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أَصْحَى ، فمَكَثَ ساعةً ثم قال : والله لا أجمعُ عليكم عيًّا ولؤمًا، من أَخَذَ شاةً من السُّوقِ فهى له وثمنها على .

وأرتج على خالد بن عبد الله القسريّ فقال : إن هذا الكلام ينجى أحياناً ويعزبُ أحياناً، وربما طَلِبَ فَأَبَى، وكوَرَفَعَسَا، فَالتَّائِي لِحِجَتِهِ، أَيْسَرُ مِنَ التَّعَاطِي لِأَبْيَةٍ؛ وقد يَخْتَلِطُ مِنَ الْجَرَى جَنَانُهُ، وَيَنْقَطِعُ مِنَ الدَّرْبِ لِسَانُهُ، فلا يُبْطِرُهُ ذَلِكَ ولا يَكْسِرُهُ؛
وسأعودُ إن شاء الله .

وأرتج على معن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : "قَتَى حُرُوبٍ لَا قَتَى مَنَابِرٍ".

وكان عبد ربه اليشكريّ عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن، فصعد المنبر فحمد الله وأرتج عليه فسكت، ثم قال : والله إني لأكون في بيتي فتجىءُ على لسانى ألف كلمة، فإذا قمتُ على أَعْوَادِكُمْ هذه جاء الشيطانُ فمحاها من صَدْرِي، ولقد كنتُ وما في الأيام يومٌ أَحَبُّ إلى من يوم الجمعة، فِصْرْتُ وما في الأيام يومٌ أَبْغَضُ إلى من يوم الجمعة، وما ذلك إِلَّا لَخَطِيبَتِكُمْ هذه .

(١) في المصادر التي بين أيدينا : « إلى أمير فاعل ... » . (٢) قُطْنَةُ لقب ثابت هذا لقب به

لأن عينه أصيبت بسهمٍ قند ، فكان يحشوها بالقطن . وصحت إضافة ثابت إلى قُطْنَةُ لأن الأسماء تصح

إضافتها إلى ألقابها . (٣) عسا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْحُ بَنِ حَاتِمِ الْمَنْبَرِ، فَلَمَّا رَأَى جَمَعَ النَّاسِ حَصِرَ، فَقَالَ : نَكَّسُوا رُءُوسَكُمْ
وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ رَكِبَ صَعْبٌ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُفْلَ تَيْسَرٍ .

وَدُعِيَ رَجُلٌ لِيُخْطَبَ فِي نِكَاحِ فَخَصْرٍ، فَقَالَ : لَقَّنُوا مَوْتَائِمَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ؛ فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ حَضَرَتْ : أَلْهَذَا دَعَوَانَا ! أَمَا تَاكَ اللَّهُ ! .

قال عُبيد الله بن زياد : نِعَمَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ وَالتَّشْرِيفُ لِلْخُطْبِ .

قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : تَجَلَّ عَلَيْكَ الشَّيْبُ؛ فَقَالَ : كَيْفَ لَا يُعَجِّلُ عَلَيَّ وَأَنَا أُعْرِضُ
عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .

وَوَلِيَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعْرَفُ بِاللَّدْنَدَانِ بِحِرَائِمَةِ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمَنْبَرَ أَرْتَجَّ عَلَيْهِ،
فَقَالَ : حَيَّاَ اللَّهُ هَذِهِ الْوُجُوهُ وَجَعَلَنِي فِدَاءَهَا، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ طَائِفَتِي بِاللَّيْلِ إِلَّا يَرَى
أَحَدًا إِلَّا أَنَا نِي بِهِ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ . ثُمَّ نَزَلَ .

المنابر

قال بعض المفسرين في قول الله جلَّ وعزَّ (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) إِنَّهُ الْمَنْبَرُ . وقال :
الشاعر :

لَنَا الْمَسَاجِدُ بُنَيْنِهَا وَنَعْمُهَا * وَفِي الْمَنَابِرِ قَعْدَاتٌ لَنَا ذُلُّ

فَلَا تَقِيلُ عَلَيْهِمْ حِينَ نَزَكُهَا * وَلَا لَهْفٌ لَنَا مِنْ مَعْشَرٍ بَدَلُ

وقال الكُمَيْتُ يَذْكُرُ بَنِي أُمَيَّةَ :

مُصِيبٌ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ * لَمَّا قَالَ فِيهَا، مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزِلُ

يُسَبِّحُهَا الْأَشْبَاهَ وَهِيَ نَصِيْبُهُ * لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَا كُلُّ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ، وَقَوَاعِدُ اللَّغَةِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ : « وَلَوْ كُنْتُ أَنَا إِيَّاهُ » .

(٢) الضمير للدنيا .

وقال بعض المحدثين

فأمنبرٌ دَنَسَتْهَ باسِيتُ "أفكلي" * بِرَّكَ لَوِ طَهَّرَتْهَ بَابِنُ "طاهر"
ومرَّ الأَقْبِشِرُ بِمَطَرِ بْنِ نَاجِيَةِ الْيَرْبُوعِيِّ حِينَ غَلَبَ عَلَى الْكُوفَةِ فِي أَيَّامِ الضَّحَّاكِ
ابن قيس الشَّارِي وَمَطَرٌ يَخْطُبُ، فقال :

أبْنِي تَمِيمٌ مَا لِمَنْبِرٍ مُلْكُكُمْ * لَا يَسْتَمِرُّ قَعُودُهُ يَتَمَرَّمُ (١)
إِنَّ الْمَنَابِرَ أَنْكَرْتُ أَشْبَاهَهُمْ * فَادْعُوا خُرَيْمَةَ يَسْتَقِرُّ الْمَنْبِرُ (٢)
خَلَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَايَعُوا * مَطَرًا لَعْمُرِكَ بِنَعَةٍ لَا تَظْهَرُ
وَأَسْتَخْلَفُوا مَطَرًا فَكَانَ كَقَائِلٍ * بَدَلُ لَعْمُرِكَ مِنْ أُمَيَّةٍ أَعُورُ

خَطَبَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَنْبَرِ خُرَّاسَانَ فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ، فَتَفَاعَلَ لَهُ
عَدُوهُ بِالْشَّرِّ وَأَعْتَمَّ صَدِيقُهُ، فَعَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةُ فَقَالَ : لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّ الْعَدُوُّ
وَخَافَ الصَّدِيقُ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَالْقَتُّ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى * كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ
وَقَالَ وَائِلَةُ بْنُ خَلِيفَةَ السُّدُوسِيُّ يَهْجُو عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

لَقَدْ صَبَّرْتُ لِلذَّلِّ أَعْوَادَ مَنْبِرٍ * تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
بِكِي الْمَنْبِرُ الْغَرْبِيُّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ * وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَذُوبُ ١٥

تم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لأبن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

(١) يتمرر : يهزك .

(٢) في الشعر والشعراء للؤلؤ (ص ٣٥٣) «أنكرت أستاذكم» .

صورة ما كتبه الناسخ بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة .

قال بعضهم : بُني الإسلامُ على خمسة : التواضع عند الدولة، والعفو عند
القدرة، والسخاء مع القلة، والعطية من غير منة، والنصيحة للعامة .

وقال بعض الشعراء في الصبر :

وَإِذَا ابْتَلَيْتَ نَجْنَةً فَالْبَسْ لَهَا * ثَوْبَ السَّكْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ

لَا تَشْكُوتْ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا * تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَيُرَوَّى لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا * وَمَا لَزِمَانُنَا عَيْبُ سَوَانَا

وَقَدْ نَهَجُوا الزَّمَانَ بِغَيْرِ جُرْمٍ * وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بَنَاهَانَا

فَدُنْيَانَا التَّصَنُّعُ وَالتَّرَائِي * وَنَحْنُ بِهِ نُتَحَادَعُ مِنْ يَرَانَا

وَلَيْسَ الذُّشْبُ يَا كُلَّ لَحْمٍ ذَنْبٍ * وَيَا كُلُّ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب النهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ الى أنبيائه عليهم السلام

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا خلف بن تميم عن أبي عصمة الشامي عن ابن
أخت وهب بن منبه عن وهب قال : أوحى الله الى نبي من أنبياء بني إسرائيل
يقال له "أرمياء" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظهرائي قومك فأخبرهم
أن لهم قلوبا ولا يفقهون ، وأعيننا ولا يبصرون ، وآذاننا ولا يسمعون ، وأنتي تذكرت
صلاح آبائهم ، فعطفتني ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غيب طاعتي ، وهل
سعد أحد من عصائي بمعصيتي ، وهل شقي أحد من أطاعني بطاعتي ! إن الدواب
تذكر أوطانها فتزير إليها ، وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه
آباءهم ، والتمسوا الكرامة من غير وجهها . أما أحبارهم فأنكروا حق ، وأما قراؤهم

(١) لم نعر على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا . وإما الموجود بها عصمة بن راشد
الأملاكي (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شامي مجهول يروي عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد ،
و يوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازي وعن يذكروضع الحديث ، ولكنه
مروزي وليس بشامي (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني في اسم عصمة واسم نوح بن أبي مريم) .

فعبدوا غيري ؛ وأما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموا من حكمتي ؛ وأما ولاتهم فكذبوا
على وكذبوا رسلي ، خزنوا المكر في قلوبهم ، وعودوا الكذب الستتهم ؛ ولما
أقسم بجلالي وعزتي لأهيجن عليهم جنودا لا يفقهون الستتهم ، ولا يعرفون
وجوههم ، ولا يرحمون بكاءهم ؛ ولأبتعن فيهم ملكا جبارا قاسيا ، له عساكر
كقطع السحاب ، ومواكب كأمثال العجاج ، كان خفقان راياته طيران النور ،
وكأن حمل فرسانه كز العقبان ، يعيدون العمران خرابا ، ويتركون القرى وحشة .
فيا ويل إيلياء وسكانها ! كيف أذلهم للقتل ، وأسلط عليهم السباء ، وأعيد بعد لحب
الأعراس صراخ الهام ، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب ، وبعد شرفات القصور
مساكن السباع ، وبعد ضوء السرج رج العجاج . ولأبدلن رجالهم بتلاوة الكتاب
آتهار الأرباب ، وبالعزيز الذل ، وبالنعمة العبودية . ولأبدلن نساءهم بالطيب
التراب ، وبالمشي على الزرابي الخب^(٢) ، ولأجعلن أجسادهم زبلا للأرض ،
وعظامهم ضاحية للشمس . وفي رواية أخرى : ولأدوسنهم بألوان العذاب ،
حتى لو كان الكائن خاتما في يميني لوصلت الحرب إليه ؛ ثم لأمرن السماء
فليكونن طبقا من حديد ، والأرض فليكونن سبيكة من نحاس ، فإن أمطرت
السماء وأنبتت الأرض شيئا في خلال ذلك فبرحتي للبهائم ، ثم أحبسهم في زمن الزرع
وأرسلهم في زمن الحصاد ، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سأطت عليه الآفة ، فإن
خلص منه شيء نزعته منه البركة ، فإن دعوني لم أجبهم ، وإن سألو لم أعطيهم ،
وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تصرعوا صرفت وجهي عنهم .

(١) إيلياء : مدينة بيت المقدس - (٢) الزرابي : البسط والخب (وزان عنب) :-

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب : أن الله عز وجل أوحى إلى موسى بن مَنَسَّى^(١) بن يوسف أن قُلْ لقومك : إني برىء ممن يَشْحَرُ أو يُشْحِرُهُ ، أو تَكْهَنُ أو تُكْهَنُ لَهُ ، أو تُطَيِّرُ أو تُطَيَّرُ لَهُ ، من آمن بي صادقاً فليتوكل على صادقاً ، فكفى بي ميثياً ؛ ومن عدل عني ووثق بغيري فإني خير شريك أرد عليه ما توسل به إلي ، وأكله إلى من توكل عليه ؛ ومن وكَّته إلى غيري فليستعد للفتنة والبلاء . .

وحدثني بهذا الإسناد قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزبور : يا عبدى الشكور ! إني قد وهبت لك الزبور ، وأتبعته بتضح منى من أعين السطور ، ومن الوحي المحفوظ المحجوب من وراء الستور ، فاعبدنى به في الأيام والليالي والشهور ؛ وأحببني من كل قلبك ، وحببني إلى خلقى ، وأبغض من عبادى كل منافق جهول . قال : يا رب ، كيف أُحِبُّكَ إلى خلقك ؟ قال : تُذَكِّرْهم آلائى .

وبهذا الإسناد قال : أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، وكانت مُحْفَافَةً أمثالا وعبرا وتسبيحا وتهليلا ، فكان فيها : أيها الملك المسلط المغرور المبسلى ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولتبنى المدائن والحصون ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر .

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشعيا : قم في قومك أوج على لسانك ؛ فلما قام شعيا أنطق الله لسانه بالوحي ، فقال : يا سماء استمعي ، يا أرض أنصتي ، فأنصت الأرض واستمعت السماء ؛ فقال : إن الله يقول لكم : إني استقبلت بنى إسرائيل

(١) في الأصل : « ميسا » وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١ : ٤١)

طبع بيروت . (٢) كذا في قصص الأنبياء لأبي إسحاق الثعلبي طبع المطبعة البهية سنة ١٣٠١ هـ

وفي الأصول « عدل بي » . (٣) كذا في الأصول ، وفي قصص الأنبياء « فإنا أغنى الشركاء »

عن الشركة ، أكله إلى من وثق به دونى . ومن وكَّته ... الخ .

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعي لها، فأويت شاذتها، وجمعت ضالتها، وجبرت كسيراها، وداويت مريضها، وأسمنت مهزولها، فبطرت فتناطحت، فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يُخبر اليه آخر كسير. إن الحمار مما يتذكر آريه^(١) الذي شبع عليه فيراجع، وإن الثور مما يتذكر مرجه الذي ين فيه فينتابه، وإن البعير مما يتذكر وطنه الذي يُتبع فيه فينزع اليه، وإن هؤلاء القوم لا يدكرون أني جاءهم الخير وهم أهل الألباب وأهل العقول، ليسوا بإبل ولا بقير ولا حمير. وإني ضارب لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترون في أرض كانت زمانا من زمانها خربة مواتا لا حث فيها، وكان لها رب قوى حليم، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوى وأن يقال له ضيع وهو عليم، فأحاط عليها سياجا وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار، وولى ذلك ذارأي وهمة حفيظا قويا أميناً، فلما جاء إبان إثمارها أثمرت نحروبا، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه ؟ قالوا : كنا نقول : بثت الأرض أرضك، ونشير عليه أن يقطع سياجها، ويهدم قصرها، ويدفن نهرا، ويحرق غرسها حتى تعود خربة مواتا لا عُمران فيها، قال الله تعالى : قل لهم، إن السياج ذمتي، وإن القصر شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القيم نبيي، وإن الغرس مثل لهم، والخزوب أعمالهم الحبيثة؛ وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، يتقربون إلى بذبح الغنم والبقر وليس ينالني اللحم ولا آكله؛ ويدعون أن يتقربوا إلى التقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها ويشيّدون لي البيوت ويزوقون لي المساجد؛ وأنى حاجة بي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها، وإلى تزويق المساجد ولست أدخلها؛ إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح، ويحبسون أنفسهم وعقولهم

(١) الآري : محبس الدواب وجبل تشد به في محبسها .

- وقلوبهم ويغربونها، يقولون: لو كان يقدرُ على أن يجمعَ أَلْفَتَنَا لجمعها، ولو كان يقدر على أن يُفقهَ قلوبنا لفقهها^(١). فاعتمد إلى عودين يابسَيْن فاكتب فيهما كتاباً ثم ائت نادِيَهُم أجمع ما يكونون، فقل للعودين: إن الله يأمرُك أن تعودا عوداً واحداً، فقال لهما ذلك، فاختلطا فصارا عوداً واحداً، وصار الكتاب في طَرَفِ العودِ كتاباً واحداً: يامعشر القبائل، إن الله يقول لكم: إني قدرت على أن أفقه العبدان اليابسة وعلى أن أوّلف بينهما، فكيف لا أقدرُ على أن أجمعَ أَلْفَتَكُمْ إن شئت! أم كيف لا أقدرُ على أن أوّلف قلوبكم! يقولون: صمنا فلم يُرفع صيامنا وصاينا فلم تُنور صَلَاتُنَا^(٢) وزَكِينَا فلم تَزَكَّ زَكَاتُنَا، ودَعَوْنَا بِمَثَلِ حنين الحمام، وبَكِينَا بِمَثَلِ عواءِ الذئب، في كل ذلك لا يُسمعُ منا ولا يُستجابُ لنا، قال الله تبارك وتعالى: سلهم لم ذلك وما الذي منعي أن أجيهم؟ أَلَسْتُ أَسْمَعُ السامعين وأُبْصِرُ الناظرين وأَقْرَبُ المجيبين وأَرْحَمُ الراحمين! أَلَا إِنَّ خَزَائِنِي فَيَّتْ! كيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء! أم لأن ذات يدي قَلَّتْ! كيف ومفاتيح الخير يسدي لا يفتحها ولا يفلقها غيري! أم لأن رحمتي ضاقت! كيف ورحمتي وسعت كل شيء، وإنما يتراحم بفضلها المتراحمون! أم لأن البخل يعتريني! كيف وأنا النِّفَّاح بالخيرات أجود من أعطى وأكرم من سئل! ولكن كيف أرفع صيامهم وهم يَلْسُونَه بقول الزور ويتقَوون عليه بطُعْمَةِ الحرام! كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يُخَادِنِي ويتك محارمي! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قولٌ بالسُّتْمِ والعمل من ذلك بعيد! أم كيف تزكو صدقاتهم وهي من أموال غيرهم! إنما أَجْزَى عليها المغصوبين. وإن من علامة رضاي رضا المساكين.

(١) كذا في قصص الأنبياء. وفي الأصل «قلوبهم» وهو تحريف. (٢) في قصص الأنبياء. (ص ٢٥٢): «فلم تنور قلوبنا...»

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لا تُعجبكما زينة ولا ما مُتَّعَ به ، ولا تُتَمِّدَا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين . ولو شئت أن أُزَيِّنكما بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن قدرته تعجز عما أوتيتما فعلتُ ، ولكني أُرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيقُ غنمه عن مراعي الهلكة ، وإني لأحميهم عيشها وسلوتها ^(١) كما يُحَنِّبُ الراعي الشفيقُ لبله مبارك العر ^(٢) ، وما ذاك لهوأنهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم يكلمه الطمع ^(٣) ولم يُطبعه الهوى ^(٤) . واعلم أنه لن يترين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا ، إنما هي زينة الأبرار عندي ، وأنق ما تزين به العباد في عيني عليهم منها ، لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم التحول والسجود ، أولئك أوليائي حقا . فاذا لقيتهم فاخفيض لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك .

واعلم أنه من أهان لي ولياً أو أخافه ، فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرضني لنفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني فيهم أنه يقوم لي ! أم يظن الذي يعاديني فيهم أنه يعجزني ! أم يظن الذي يبادرني إليهم أنه يسبقني أو يفوتني ! كيف وأنا التأثيرهم في الدنيا والآخرة ، لا أكُلُ نصرهم إلى غيري !

وفي التوراة : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لبنان ، أنت عبدى وأنا إلهك الديان ، لا تستذل

(١) السلوة : رضاء العيش . (٢) العر : جمع أعر وهو الجمل الأجرب .

(٣) في الاصل : « لما يكلمه الطمع » . (٤) يطبعه : ينجسه .

الفقير، ولا تَغِطِ الغنى بشيء يسير؛ وكن عند ذكرى خاشعا، وعند تلاوة وحي طائعا؛ أسمعني لذاذة التوراة بصوت حزين .

- وفيا أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أنزلني من نفسك كهمتك ، واجعلني
دُخْرَكَ في معادك ، وتقرَّبْ الى النوافل أدنك ، وتوكلَّ على أكفك ، ولا تولَّ
غيري فأخذلك ؛ اصبر على البلاء ، وارض بالقضاء ، وكن كسرتي فيك ، فإن
مَسْرَتِي أن أطاع ، وأخي ذكرى بلسانك ، وليكن وُدِّي في قلبك ؛ تيقظ لي
في ساعات الغفلة ، وكن راهبا لي وراغبا الي . أمت قلبك بالخشية ؛ راج الليل
لتحرِّي مَسْرَتِي ، واطمأ لي نهارك لليوم الذي عندي ؛ نافس في الخيرات جهْدَكَ .
قم في الخلقة بعدلى ، واحكم فيهم بنصيحتي ، فقد أنزلت عليك شفاء وساوس
ما في الصدور من مرض الشيطان ، وجلاء الأبصار من غشاء الكلال ؛ ولا تكن
حِلْسًا كأنك مقبورٌ وأنت حيٌ تنفَّس . اَحْلِ عَيْنِكَ بِمَهْمُولِ الْحَزَنِ إذا ضحك^(١)
البطالون . ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من قد ودَّع الأهل وقلَّ الدنيا ، وترك
اللذات لأهلها ، وارتفعت رغبته فيما عند إلهه . طوبى لك إن نالك ما وعدت
الصابرين ! ترجَّ من الدنيا يوما فيوما ، وارض بالبلغة ، وليكفك منها الخس .
تذوق مذاقة ما قد خلا أين طعمه ! وما لم يأت أين لذته ! لو رأيت عينك ما أعددت^(٢)
لأوليائي لذاب قلبك وزهقت نفسك شوقا اليه .

- وفيا قال للحواريين : بحق أقول لكم : إن شجر الأرض بمطر السماء تعيش
وتركو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تبصر وتهتدي ؛ بحق أقول لكم : إنه من ليس
عليه دينٌ أرواح وأقلُّ هما من عليه دين وإن حسنَ قضاؤه ، وكذلك من لم يعمل
(١) الحلس : الذي يلزم بيته فلا يبرحه . (٢) المهملول : المروء . (٣) في الأصل

الخطيئة أرواح وأقل هماً من عمل بها وإن حسنت توبته . إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة خيراً ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة . إن الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صح كفاه القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عابد قد أفسده العُجب . يا بني إسرائيل ، استمعوا قولي ، فإن مثل من يستمع قولي ثم يعمل به مثل رجل حكيم أسس بنيانه على الصفا^(١) ، فطرت السماء وسالت الأودية وضربت الرياح فثبت بنيانه ولم يخر ، ومثل الذي يستمع قولي ثم لا يعمل به مثل رجل سفیه أسس بنيانه على الرمل ، فطرت السماء وسالت الأودية وهاجت الرياح فضربت فسقط بنيانه . يا بني إسرائيل ، ما يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ! وما يغني عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به ! . بحق أقول لكم : إن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله . بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجاً يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم بنوره ولم يمنعكم منه تن قطرانه ، فكذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة من وجدتموها عنده .

بلغني عن محمد بن فضيل عن عمران بن سليم قال : بلغني أن عيسى بن مريم قال لأصحابه : إن كنتم إخواني وأصحابي فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس ؛ إنكم لا تدركون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تتألون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب الشبهة . طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة .

قال : وبلغني أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء^(١) وثبأن^(٢) حافيا مجزوز الرأس والشاربين با كما شعثا مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش ، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين ؛ فقال : السلام عليكم يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلها ، ولا تعجب ولا تخف ، أتدرون أين بيتي ؟ قالوا : أين بيتك يا روح الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطبيي الماء ، وإدامي الجوع ، وداجي رجلي ، وسراجي بالليل القمر ، وصلائي في الشتاء مشارق الشمس ، وطعامي ما تيسر ، وفاكهي ورنيحاني بؤك الأرض ، ولباسي الصوف ، وشعاري الخوف ، وجلبائي الزمني والمساكين ، أصبح وليس لي شيء ، وأمسى وليس لي شيء ، وأنا طيب النفس غني مكثر ، فمن أغنى وأربح مني ! .

١٠ وقرأت في بعض الكتب : عبدى ! ما يزال ملكك كريم قد صعد إلى منك بعمل قبيح ؛ أتقرب إليك بالنعم ، ونتممت إلى بالمعاصي ؛ خيى إليك نازل ، وشرك إلى صاعد .

وفي التوراة : لعلك يا إسرائيل إذا أنت خرجت من البرية فدخلت الأرض المقدسة ، أرض بني آبائك إبراهيم وإسحاق ، فإنها تفيض برا وشعيرا ولبنا وعسلا ، فورثت بيوتا بناها غيرك وعصرت كروما غرسها غيرك ، فأكلت وشربت وتنعمت بشحم ثياب القمح ، ضربت بيدك إلى صدرك ورحمت كما ترحم الدابة برجليها ، وقلت : بشدتي وبقوتي وبأسي ورثت هذه الأرض وغلبت أهلها ، ونسيت نعمتي عليك ! فاقذف الرعب في صدرك إذا أنت لقيت عدوك ، وإذا هبت الريح

(١) الثبان : سراويل صغير يكون لللاحين والمصارعين .

(٢) الصلاء : الوقود أو النار العظيمة . وفي الأصل «صلاقي» بالناء .

فتقعق لها ورق الشجر انهزمت، فأقل رجالك، وأرمل نساءك، وأيتم أبناءك،
وأجعل السماء عليك نحاساً والأرض حديداً، فلا السماء تمطر ولا الأرض تثبت،
وأقل لك البركة حتى تجتمع نسوة عشر يختزن في تنور واحد.

بلغني عن عبد الرحمن المحاربي عن جعفر بن برقان قال: بلغني عن وهب بن
منبه قال: أجد في الكتاب أن قوما يتسدينون لغير العباد، ويختلون الدنيا بعمل
الآخرة، يلبسون مسوك الضأن على قلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل
وأنفُسهم أَمَر من الصبر، أبي يغترون! أم إياي يخادعون! أقسمت لأبعثن عليهم
فتنة يعود الحليم فيها حيران.

وقرأت في الإنجيل: «لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفسدها السوس
والدود وحيث ينقب السراق، ولكن آجعلوا كنوزكم في السماء فإنه حيث تكون
كنوزكم تكون قلوبكم. إن العين هي سراج الجسد فإذا كانت عينك صحيحة فإن
جسدك كله مضيء. وإنه لا يستطيع أحد أن يعمل لربين اثنين إلا أن يحب أحدهما
ويغض الآخر، ويوقر أحدهما ويهين الآخر، فكذلك لا تستطيعون أن تعملوا لله
وللسال. ولا يهمنكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون، أليست النفس أفضل
من الطعام، والجسد أفضل من اللباس!! أنظروا إلى طير السماء فإنهم لا يزرعون
ولا يحدنون ولا يجمعون في الأهراء، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهم، أفلمستم

(١) في الأصل: «ولا السماء»، والسياق يقتضي العطف بالفاء لأنه مفرع على ما قبله.

(٢) أي يطلبون الدنيا بعمل الآخرة: ومثله ما جاء في الحديث: «من أشرط الساعة أن تعطل السيوف
من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين» أي تطلب الدنيا بعمل الآخرة، من خذله إذا خدعه (أنظر اللسان

مادة ختل). (٣) المسوك: جمع مسك (بالفتح) وهو الجلد. (٤) الأهراء: جمع

هرى (بالضم) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام.

- أَفْضَلَ مِنْهُمْ!! وَأَيْكُمُ الَّذِي إِذَا جَهِدَ قَدَّرَ أَنْ يَزِيدَ فِي طَوْلِهِ ذِرَاعًا وَاحِدًا! فَلَمْ تَهْتَدُوا
 بِاللِّبَاسِ! اعْتَبَرُوا بِسُوسِ الْبَرِّيَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُ وَلَا يَغْزِلُ، أَنَا أَقُولُ: إِنَّ سَلِيمَانَ بَوْفَارَهُ
 لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَلْبَسَ كَوَاحِدَةٍ مِنْهُ؛ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُأَيِّسُ عُشْبَ الْأَرْضِ الَّذِي يَنْبَتُ
 الْيَوْمَ وَيُلْقَى فِي النَّارِ غَدًا، أَفَلَسْتُمْ يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ أَفْضَلَ مِنْهُ! وَلَا تَهْتَمُّوا فَقُولُوا: مَاذَا
 نَأْكُلُ وَمَاذَا نَشْرَبُ وَمَاذَا نَلْبَسُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَهْتَمُّ لِذَلِكَ ابْنُ الدُّنْيَا؛ وَإِنْ أَبَاكُمْ الَّذِي
 فِي السَّمَاءِ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ يَنْبَغِي لَكُمْ؛ فَابْدُءُوا فَالْتَمِسُوا مَلَكَوتَ اللَّهِ وَصِدْقِيَّتَهُ، فَإِنَّكُمْ سَوْفَ
 تُكْتَفَوْنَ. وَلَا يَهْتَمُّكُمْ مَا فِي غَدٍ، فَإِنْ غَدًا مَكْتَفٍ بِهِمْ، وَحَسْبُ الْيَوْمِ شَرُّهُ. وَكَمَا
 تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْمِكَالِ الَّذِي تَكِلُونَ يُكَالَ لَكُمْ. وَكَيْفَ تُبْصِرُ الْقِذَازَةَ فِي عَيْنِ
 أَخِيكَ وَلَا تُبْصِرُ السَّارِيَةَ فِي عَيْنِكَ! لَا تُعْطُوا الْكَلَابَ الْقُدْسَ، وَلَا تُلْقُوا لَوْلَاكُمْ
 لِلْخَنَازِيرِ. سَلُّوا تُعْطُوا، وَابْتَغُوا تَجِدُوا، وَاسْتَفْتَحُوا يُفْتَحْ لَكُمْ، وَانْظُرُوا الَّذِي تُحِبُّونَ
 أَنْ يَأْتِيَ النَّاسَ إِلَيْكُمْ فَاتُوا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُ. أَدْخُلُوا الْبَابَ الضَّيِّقَ، فَإِنَّ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ
 إِلَى الْهَلَكَةِ عَرِضَانِ، وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهُمَا كَثِيرٌ. وَمَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ الَّذِينَ
 يُبْلَغَانِ إِلَى الْحَيَاةِ! وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهُمَا قَلِيلٌ».

- وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَتَبْعُكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ؟ فَقَالَ لَهُ عِيسَى: لِلشَّعَالِ بِحَجَرَةٍ، وَلَطِيرِ
 السَّمَاءِ بِكَأَنَّ، وَلَيْسَ لِابْنِ الْإِنْسَانِ مَكَانٌ يُسْنَدُ فِيهِ رَأْسُهُ.
 وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِيِّينَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدْفِنَ أَبِي؟ فَقَالَ لَهُ: دَعْ الْمَوْتَى
 يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَاتَّبِعْنِي. وَقَالَ لِلْخَوَارِيِّينَ: لَا تَتَرَوَّدُوا شَيْئًا، فَإِنَّ الْعَائِلَ مُحَقَّقٌ أَنْ

- (١) فِي الْأَصْلِ: «إِذَا جَهِدَ فَقَدَّرَ» بِالْقَاءِ فِي جَوَابِ إِذَا، وَلَا مَعْنَى لَذِكْرِ الْقَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.
 (٢) الْوَفَارُ: الْعُظْمَةُ. وَفِي الْأَصْلِ: «بَوْفَارُهُ» بِالْقَاءِ، وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحَرَّفًا عَنْ
 (وَفُورِهِ) جَمْعُ وَفْرٍ «بِالْفَتْحِ» وَهُوَ الْغَنَى. (٣) فِي الْأَصْلِ: «تَنْبَتَ» وَتَلَقَّى «... مِنْهُمْ».
 (٤) لَعَلَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ يَرْجِعُ إِلَى عَدَمِ الْإِهْتِمَامِ الْمَأْخُوذِ مِنْ قَوْلِهِ «وَلَا تَهْتَمُّوا»، لَيْسَتْ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ.
 (٥) الصَّدَقِيَّةُ: دَرَجَةُ أَعْلَى مِنَ الْوَلَايَةِ وَأَدْنَى مِنَ النَّبُوَّةِ.

يُطْعَم قُوَّتَهُ ، وَإِنِّي أُرْسِلُكُمْ كَالْحِرَفَانِ بَيْنَ الذَّنَابِ ، فَكُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلَهًا كَالْحَمَامِ . وَإِذَا دَخَلْتُمُ الْبَيْتَ فَسَلِّمُوا عَلَى الْبَيْتِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْبَيْتُ أَهْلًا لِسَلَامِكُمْ فَلْيُصِيبْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِسَلَامِكُمْ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَمَنْ لَمْ يُؤْوِكُمْ وَيَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ ، فَإِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ قَرْيَتِهِ فَانْقُضُوا الْغُبَارَ عَنْ أَرْجُلِكُمْ .

٥ حَذَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبٍ قَالَ : كَانَ فِيمَا نَاجَى بِهِ عَزِيرُ رَبِّهِ : اللَّهُمَّ فَإِنَّ لَكَ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ خَلْقَتَهُ خَيْرَةً اخْتَرْتَهَا ، وَإِنَّكَ اخْتَرْتَ مِنَ النَّبَاتِ الْحَبْلَةَ^(١) ، وَمِنَ الْمَوَاشِيِّ الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْجَمَامَةَ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ بَيْتَ إِبِلْيَاءَ^(٢) ، وَمِنَ إِبِلْيَاءِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَمِنَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ آدَمَ ، وَمَنْ وَلَدَ آدَمَ نُوْحًا ، وَمَنْ وَلَدَ نُوْحَ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ وَلَدَ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، وَمَنْ وَلَدَ إِسْحَاقَ إِسْرَائِيلَ ؛ اللَّهُمَّ فَأَصْبَحْتَ خَيْرَتِكَ قَدْ تَمَّتْ وَنَفَذْتَ فِي كُلِّ مَا اخْتَرْتَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وَلَدِ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُمْ أَصْبَحُوا أَعْبَادًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ وَخَوَلَا لِأَعْدَائِكَ ، فَمَا لَذِي سَلَّطَ عَلَيْنَا ذَلِكَ ؟ أَمِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا ؟ فَانْظُرْ لَنَا وَلَدُنَا ، أَوْ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِنَا ؟ فَمِنْ ضَعِيفٍ خُلِقْنَا ؛ قَالَ : بَغَاءُ فِي الْمَلِكِ فَكَلَّمَنِي ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ سَمِعْتُ صَوْتًا هَالِكًا فَانْظُرْتُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ حَاسِرَةٌ عَنْ رَأْسِهَا ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا ، شَاقَّةٌ جِيهًا ، تَلَطُّمٌ وَجْهَهَا ، وَتَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا ، وَتَحْتُو التَّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِكَ أَيُّهَا الْمَرْأَةُ وَمَا الَّذِي دَهَكَ ؟ أَخْبِرْنِي خَبْرَكَ ، فَقَدْ أَصَابَتْ الْمَصَائِبُ غَيْرَكَ ؛ قَالَتْ : إِلَيْكَ غَنَى أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَإِنَّ رَبِّي هُوَ الَّذِي أَبْكَانِي ،

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي حَيَاةِ الْخِيَوَانِ لِلدِّمِيرِيِّ (ج ١ ص ٢٢٦) : « رَوَى أَحْمَدُ فِي الزَّهْدِ

عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا بِإِيْمَا فِي اللَّهِ تَعَالَى مِثْلَ الْحَمَامِ فَافْعَلُوا » . وَفِي الْإِنْجِيلِ مَتَّى مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (طَبْعُ بَيْرُوتِ سَنَةِ ١٨٨٢ م بِمَجْلَدِ ثَالِثٍ ٢٠ .

ص ١٧ م ١٢) : « فَكُونُوا حِكَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَوُدَعَاءَ كَالْحَمَامِ » . (٢) الْحَبْلَةُ بِالضَّمِّ : الْكُرْمُ

أَوْ أَوَّلُ مَنْ أَصُولُهُ ، وَثَمَرُ السَّلْمِ أَوْ ثَمَرُ الْعُضَاهِ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « بَيْتَا إِبِلْيَاءِ » .

- ومصيبتي أعظم مما ترى ؛ فقلت : فإن في الله عزاءً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، وعوضاً من كل فائت ، فإياه فاستعيني ، وإلى نظره لك فانظري ؛ قالت : اني كنت امرأةً كثيراً مالى ، عظيماً شرفي ، وكنت عاقراً لا ولد لي ، وكنت عند بعلٍ له نِسوةٌ معي وكلهن ولد له غيري ، فلن به حب الولد فصرف وجهه عني ، فحزنت وحزن أهلي وصديقي ، فلما رأيت هواني عليه وسقوط منزلي عنده ، رغبت إلى ربي ودعوتهُ فأجابني ، واستوهبته غلاماً فوهبه لي ، فقررت به عيني ، وفرح أهلي ، وعطف الله به زوجي ، وقطع عني السنة ضرائري ، فرييتُ غلاماً لم تحمِلْ أنثى مثله حسناً وجمالاً ونصرةً وتاماً ، فلما بلغ أشده وكمل به سروري خطبتُ عليه عزيمةً قومي ، وبذلتُ دونه مالى ، وخرجتُ من خلعتي ^(١) ، وجمعتُ رجال قومي ، فخرج يمشي بينهم حتى دخل بيته ، فلما قعد على سريره ، نحر منه فاندقت عنقه فمات ابني وضل عملي وبطل نصيبي وتلف مالى ، فخرجتُ الى هذه البرية أبكيه فيها لا أريد أن أرى أثراً من آثاره ولا أحداً من أصحابه ، ولن أبرح أبكيه حتى ألحق به . قال عزيرٌ : أذكرى ربك وراجعيه ، فقد أصابت المصائب غيرك أما رأيت هلاك إيلياء وهي سيدة المدائن وأم القرى ؟ أو ما رأيت مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحِمك الله ! إن هذا ليس لي بعزاء وليست لي بشيء منه أسوة ، إنما تبكي مدينةً خربت ، ولو تعمّر عادت كما كانت ، وإنما تبغى قوما وعدّهم الله الكرة على عدوهم ، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات ، وعلى مُصيبة لا أستقبلها ^(٢) ؛ قال عزيرٌ : فإنه خلّق لما صار إليه ، وكل شيء خلّق للدنيا فلا بد أن سيفنى ،

(١) الخلع (بالكسر والضم) : المال وخيار ما يتخلع على الانسان . (٢) لا أستقبلها

أى لا أطلب منها إقالة ، لأن الطالب فيها غير مجد ؛ ومنه قول الشيخ :

* ومرتبة لا يستقال بها الردى *

أى لا يرجى فيها إقالة الردى لأنه لا بد من الهلاك .

أما رأيت مدينتنا أصبحت خاويةً على عروشها بعد عمارتها، وأوحشت بعد أنسها
 وأناسها! أو ما رأيت مسجدنا كيف غير حسنه ، وهديم حصنه ، وأطفئ نوره !
 أو ما رأيت عز أهلها كيف ذل ، وشرفهم كيف نحل ، ومجدهم كيف سقط ،
 ونفخهم كيف بطل ! أو ما رأيت كتاب الله كيف أحرق ، ووى الله كيف رفع ،
 وتابوت السكينة^(١) كيف سبي ! أو ما رأيت نساء الملوك وبناتهم في بطون الأسواق
 حاسرات عن السوق والوجوه والأشعار ! أو ما رأيت الأشياء الذين على وجوههم
 النور والسكينة مقرنين في الجبال والقطار ! أو ما رأيت الأحرار والرهبان مصفدين
 في الإسار ، أو ما رأيت أبناء موسى وهارون تضرب عليهم السهام ويقتسمهم
 الأشرار ، وولدان الملوك خدماً للكفار^(٢) ، أو ما رأيت قتلتنا لم يوار أحدا منهم قبر ،
 ولم يعهد أحد منهم الى ولد ، فالحكام مهوتون ، والعلماء يموجون ، والحلماء
 متحيرون ، وأهل الرأي ملقون بأيديهم مستسلمون . قال : فيينا أنا أكلها غشى
 وجهها نور مثل شعاع الشمس حال بيني وبين النظر اليها ، نخمرت من شدته
 وجهي ورددت يدي على بصرى ، ثم كشفت وجهي فاذا أنا لا أحسها ولا أرى
 مكانها ، واذا مدينة قد رفعت لي حصينة بسورها وأبوابها ، فلما نظرت الى ذلك
 حررت صعيقا ، فجاءني الملك فأخذ بضبعي ونعشني وقال لي : ما أضعفك يا عزيز !
 وقد زعمت أن بك من القوة ما تحاطب به ربك وتدلي بالعدر عن الخاطئين من

(١) ورد في دائرة المعارف للبستاني عند الكلام على التابوت ما ملخصه : وتابوت العهد أو الشهادة
 هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج ، وكان موضعه في قدس الأقداس وكان
 اليهود يعتبرون ذلك مقدسا وكانوا يحملونه بالاحتفال أمامهم وهم مسافرون الى أرض الميعاد ... والظاهر
 أنه فقد عند ما هدم بختنصر الهيكل في القدس بإتلافه إياه أو نقله الى بابل . ومن أراد الوقوف على
 تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة . (٢) في الأصل : « خدم الكفار » .
 (٣) نعشه : رفعه وأقامه .

- بنى إسرائيل ؛ قال له عُزَيْرٌ : مثل الذى رأيتُ وعانيتُ أضعفنى وأذهب روحى ؛ قال الملك : فإن المرأة التى كلمتك هى المدينة التى تبكى عليها ، صوّرها الله لك فى صورة أنثى فكلمتك ، فافقه عنها : أما قولها : إنها عمّرتُ زمانا من دهرها عاقرا لا ولد لها ، فكذلك كانت إيلياء صعيدا من الأرض خرابا لا تُعمران فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة .
 (١) وأما قولها : إن الله وهب لها غلاما عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها .
 ٥ بالعمران فابتعث الله منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولدها حين كل فيه سرورها ، فذلك حين غير أهلها نعم الله وبدلوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفسادا ، فغير الله ما بهم وسلط عليهم عدوهم حتى أفناهم ، وقد شفّعك الله فى قومك وكتابك ومدينتك ، وسيعيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانها وأبوابها ، وفيها مساجدها وأنهارها وأشجارها .

- وحدثني بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاق عليهما السلام ويجعله قربانا ، أسرّ ذلك الى خليل له يقال له : العازر ؛ فقال له الصديق : إن الله لا يتلى بمثل هذا مثلك ، ولكنه يريد أن يُجربك ويختبرك ، وقد علمت أنه لم يتلك بهذا ليفتنك ولا ليضلّك ولا ليُعنتك ولا لينقص به بصيرتك وإيمانك ويقينك ، ولا يروعنك هذا ولا تسوء بالله ظنك ، وإنما رفع الله اسمك فى البلاء على جميع أهل البلاء ، حتى كنت أعظمهم فى نفسك وولدك ، ليرفعك بقدر ذلك عليهم فى المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر فى فضيلة الصبر إلا فضل صبرك ، وليس لأهل الثواب فى فضيلة الثواب إلا فضل ثوابك ، وليس لأهل البلاء فى جسيم شرف البلاء إلا فضل شرفك . وليس هذا من وجوه البلاء الذى يتلى الله به أوليائه ، لأن الله أكرم فى نفسه وأعدل فى حكمه وأعدل فى عباده .
 ١٥ (٢)

(١) فى الأصل : « وانما » . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « وأرحم بعباده ... » .

من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا متى حتما على الله أو ردا لأمره أو سُخْطا لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاء فيه والظن به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبداً أحسن علمه بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يُعْزِضْ لهذا البلاء العظيم إلا لحسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماماً ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحدثني بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما لبث في السجن سبع سنين أرسل الله عز وجل إليه جبريل عليه السلام بالبشارة بخروجه ، فقال له : أنعرفني أيها الصديق ؟ قال له يوسف : أرى صورة طاهرة وروحا طيباً لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين ؛ قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقربين ؟ قال جبريل : أولم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن البقعة التي يحملون بها هي أطهر الأرضين ، وأنه قد طهر بك السجن وما حوله يابن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبهنى بالصالحين ، وتسميني بأسماء الصديقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ، وأنا أسيرُ بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريل : لم يكلم قلبك الجزع ، ولم يغير خُلقك البلاء ، ولم يتعاطمك السجن ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم يُنسك بلاء الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُنسك نفسك أباك ولا أبوك ربك ؛ وهذا الزمان الذي يُفكُّ الله به عنقك ، ويُعتق به رقك ، ويُبين للناس فيه حكمتك ، ويُصدق رؤياك ويُصفاك من ظلمك ، ويجمع إليك أحبّتك ، ويهب لك مُلك مصر : يملكك ملوكها ، ويُعبّد لك جبابرتها ، ويُذلّ لك أعزّتها ، ويُصغّر لك عظماها ، ويُخدّمك سُوقها ،

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « فكن عند أحسن علمه فيك ... » (٢) العنود : الأسر والذل ، يقال : عنا في القوم عتوا وعنا صار فهم أسيرا . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٨) : « عنقك » .

ويخولك خوؤها ، ويرحم بك مساكنها ، ويلقى لك المودة والهبة في قلوبهم ،
ويجعل لك اليد العليا عليهم والأثر الصالح فيهم ، ويرى قرعوناً حلقاً يفزع منه
ويأخذه له كربٌ شديدٌ حتى يُسهره ويُذهب نومه ، ويُعَمِّي عليه تفسيره وعلى السحرة
والكهنة ويعلمك تأويله .

- وفي بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكن
معى غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً فريداً . مهموماً حزيناً ، كالطائر
الوحداني يظلُّ بأرض الفلاة ويردُّ ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا
جَنَّ عليه الليل أوى وحده استباحاشاً من الطير واستئناساً بربه جلَّ وعزَّ .
- لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزبير وجدَّ الحجاجُ فيما ترك صُندوقاً عليه أقفال حديد ،
فتعجب منه وقال : إن في هذا شيئاً ، ففتحه فإذا صندوقٌ آخرُّ عليه قُفل ففتحه
فإذا سَفَطٌ فيه دُرَج ، ففتحه فإذا صحيفةٌ فيها : إذا كان الحديث حلقاً ، والميعادُ
خُلُفاً ، والمقنبُ ألفاً ، وكان الولدُ غيظاً ، والشتاءُ قيظاً ، وغاض الكرامُ غيظاً ، وفاض
اللكامُ فيضاً ، فأعترَّ عَفْرُ^(٢) ، في جبل وعمر ، خير من مُلكِ بنى النَّضر . حدثني بذلك
كعب الجبر .

السداء

١٥

- حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثنا جرير عن أنس بن مالك قال : قال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قال "ربُّكم عزَّ وجلَّ ثلاثةٌ : واحدةٌ لي ، وواحدةٌ لك
(١) المقنب كنب : جماعة الخيل والفرسان . (٢) العفر : جمع أعفر وعفراء . والعفرة : غبرة
في بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نثر على هذه النسبة لمن يكنى بأبي مسعود لا في كتب
الأنساب ولا في كتب التراجم وغيرها من الكتب التي بين أيدينا . (٤) في الأصل : «جدير»
بالدال المهملة . ولم نثر على اسم «جدير» بين أسماء الرواة في الكتب التي عندنا . وقد ورد في تهذيب
التنزيل أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدي ثم العنكي وقيل
الجهضمي» . وجرير هذا من رِوَاة عن قتادة عن أنس بن مالك ، ولذا ترجح لدينا أن ما جاء بالأصل
محزف صوابه ما أثبتناه .

يا بن آدم، وواحدة بيني وبينك، فأما التي لي فتخلص لي لا تُشرك بي شيئا، وأما التي لك فأحوج ما تكون الى عملك أوفيكه، وأما التي بيني وبينك فنك الدعاء وعلى الإجابة“.

حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحباب قال حدثنا معاوية قال حدثني أزهر بن سعيد عن عاصم بن حميد قال : سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان يفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم به صلاته في قيام الليل ؟ قالت : كان يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويهلل عشرا ويستغفر الله عشرا، ثم يقول : ” اللهم أغفر لي وأهدني وآرزقني وعافني “، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا الخفاف عن أبي الورداء عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال : ” أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يسكن^(١) فيهما لله رب العالمين وحده لا شريك له . اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا . اللهم إني أسألك خيرا الدنيا وخيرا الآخرة يا أرحم الراحمين “.

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسين أنه كان إذا استسقى قال : « اللهم اسقنا سقيا واسعة وادعة عامة نافعة غير^(٢) الحسين^(٣) »

(١) في نهاية الأرب للتوحي (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية) : « وما سكن فيهما من شيء لله وحده لا شريك له... الخ » . وفي كتاب الأذكار للتوحي : « وما سكن فيهما لله تعالى... الخ » .
(٢) قال ابن خلكان في ترجمة إسحاق بن راهويه : « وراهويه يفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واء مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة... وقيل فيه أيضا : راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء » . (٣) ورد هذا الأثر في كتاب الأذكار للسيوطي (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) في صلاة الاستسقاء، بصيغة تختلف ما هنا في بعض الكلمات وبالزيادة والنقص .

ضارة تعم بها حاضرا وبأدينا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا . اللهم أجعله رزق إيمان وعطاء إيمان إن عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا في أرضنا سكنها ، وأنبت فيها زيتها ومرعاها .

روى الكلبي عن أبي صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضى الله عنه :
 " اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بنى القوم
 إليك لما كان من نيك ، وهذه أدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا
 الغيث " ، فأرخت السماء شأيب مثل الجبال بديمة مطقة .

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز
 عشية عرفة بعرفة وهو يقول : " اللهم زد في إحسان محسنهم ، وراجع بمسيئتهم
 إلى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة " .

حدثنا حسين بن حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا يحيى بن
 أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات :
 " اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به

(١) كذا في الأصل ولسان العرب مادة «سكن» . وفي منتخب كنز العمال المطبوع بها مش مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ : « اللهم أنزل في أرضنا بركتها وزيتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذي تسكن أنقسم إليه .

(٢) في الأصل : « من يتك » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) شأيب جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد في الأصل . وفي تهذيب التهذيب أن من روى عن عبد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . وأهل ما في الأصل محذوف عنه . (٥) في الأصل : « زحر » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما في تهذيب التهذيب .

الى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيباتُ الدنيا، ومَتَّعنا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا،
واجعل ذلك الوارثَ منا، وأنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا“ .

بلغني عن يونس عن الأوزاعي عن حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةٍ ^(١) قال : كان شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ
في سفرٍ، فزلنا منزلاً فقال لفلانمه : اثمتنا بالسفرة نعبث بها ^(٢)؛ فَأُنْكِرْتُ منه، فقال :
ما تكلمت بكلمة مذ أسأمت إلا وأنا أخيطمها وأزقها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها
عني ، واحفظوا عني ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
”إذا كثرت الناسُ الذهبَ والفضةَ فكثرُوا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثباتَ ^(٣)
في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك
قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ،
وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب“ .

بلغني عن الوليد بن مسلم قال حدثنا أبو سامة الدوسي ^(٤) عن سالم بن عبد الله
قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”اللهم ارزقني عينين هطاليتين
تبيكان بذروف الدموع وتشفيانني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس
جسرا“ .

(١) هكذا ضبطه في تقريب التهذيب بضم العين وفتح الطاء . (٢) كذا في مسند الامام أحمد
(ج ٤ ص ١٢٣) وفي الأصل : ”نعبث بها“ وما أثبتناه هو الموافق لقول الزنجشري في أساس البلاغة
ما ذة ”عبث“ » تعال بالسفرة نعبث بها« . (٣) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : » ياشداد
بن أوس إذا رأى الناس يكثرون ... الخ « وفي بقية الحديث بعض زيادات عما هنا ، ولعلها رواية
أخرى . (٤) هكذا ورد في الأصل ، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبي سلمة في الكتب التي
بين أيدينا . (٥) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) هـ » ... تشفيان القلب بذروف
الدموع من خشيتك ... الخ ... « .

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمر بن عمران قال حدثني الحارث بن عنبه عن العلاء بن كثير عن أبي الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : ”يا موضع كل شكوى ويا شاهد كل نجوى بكل سبيل أنت مقيم ترى ولا تُرى وأنت بالمنظر الأعلى“ .

- (١) حدثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان دعاء عيسى الذي يدعو به للرضى والزمنى والعميان والمجانين وغيرهم : ”اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك ، وأنت حاكم من في السماء وحاكم من في الأرض لا حاكم فيهما غيرك ، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك ، قُدرتُك في الأرض كقُدرتِك في السماء ، وسلطانُك في الأرض كسلطانك في السماء ، أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك القديم ، إنك على كل شيء قدير“ . قال وهب : هذا يُقرأ للفرع على المجنون ويُكتب له ويُغسل ويُسقى ، فيراً بإذن الله أي ذلك شاء فعل .

- وحدثني أيضاً بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصلبوه بزعمهم فرفعه الله إليه : ”اللهم أنت القريب في علوك ، المتعالى في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ، أنت الذي نفذ بصرك في خلقك ، وحسرت الأبصار دون النظر إليك وعشيت دنوك ، وشمخ بك العلو في النور ، أنت الذي جليت الظلم

(١) ورد في الأصل ”عبد الرحمن بن عبد المنعم“ وورد في عدة أسانيد أخرى في الأصل نفسه ”عبد الرحمن عن عبد المنعم“ كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذي يروى عنه المؤلف كثيراً هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أمي الأصمعي ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن ادريس بن مناف بن ابنة وهب ابن منبه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقُدرتك، مقدر الأمور بحكمتك، مبتدع الخلق بعظمتك، القاضى فى كل شىء بعلمك؛ أنت الذى خلقت سبعا فى الهواء بكلماتك، مستويات الطباق مدعناط لطاعتك، سماهين العلو بسلطانك، فأجبن وهن دخان من خوفك، فأتين طائعات بأمرك، فيهن ملائكتك يسبحون قدسك بتقديسك، وجعلت فيهن نورا يحلو الظلام، وضياء أضوا من شمس النهار، وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بها فى ظلمات البحر والبر ورجوما للشياطين، فتباركت اللهم فى مفطور سمواتك، وفيما دحوت من أرضك، دحوتها على الماء، فأذلت لها الماء المتظاهرها^(١) فذل لطاعتك وأذعن لأمرك، وخضع لقوتك أمواج البحار، ففجرت فيها بعد البحار الأنهار، وبعد الأنهار العيون الغزار والينابيع؛ ثم أخرجت منها الأشجار بالثمار، ثم جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فأطاعتك أطواؤها، فتباركت اللهم فى صنعك، فمن يبلغ صفة قدرتك ومن يُنعتُ نعتك . تُزَلِ الغيث وتُنشئ السحاب، وتُقَلِّ الرقاب وتَقْضِ الحق وأنت خير الفاصلين . لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن يستغفرك كل خاطئ . لا إله إلا أنت إنما يخشاك من عبادك العلماء الأيكاس . أشهد أنك لست بآله استحدثناه، ولا ربَّ يبدد ذكره، ولا كان لك شركاء يقضون معك فندعوهم وندعك، ولا أعانك أحدٌ على خَلْقِكَ فنشك فيك . أشهد أنك أحدٌ صمدٌ لم تلد ولم يكن لك كفواً أحدٌ، ولم تُتخذ صاحبةً ولا ولدا . اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا“؛ قال وهب : وهذا الدعاء عُوْدَةٌ للشقيقة وغيرها من قولك : ”أشهد أنك لست بآله استحدثناه، الى آخره .

(١) «المتظاهر» بالفاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك الماء الكثير المجتمع يدفع

بعضه بعضا لقوته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل «المتظاهر» بالفاء المهملة .

حدَّثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن عباس قال: "الإخلاص هكذا، وبسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى، والدعاء هكذا، وأشار براحتيه إلى السماء، والابتهاال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورهما إلى وجهه".

حدَّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال: كان داود إذا دعا في جوف الليل قال: "اللهم نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اغفر لي ذنبي العظيم إنك عظيم وإنما يغفر العظيم العظيم، إليك رفعت رأسي عامر السماء نظرت العبيد إلى أربابها. اللهم تساقطت القرى وأبطل ذكورها وأنت دائب الدهر معد كرسى القضاء".

قال: وكان من تجميده: "الحمد لله عدد قطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة، وعدد ما في البر والبحر. والحمد لله عدد أنفاس الخلق ولفظهم وطرفهم ١٠ وظلالهم، وعدد ما عن أيمنهم وشمالهم، وعدد ما قهره ملكه، ووسعه حفظه، وأحاطت به قدرته، وأحصاه علمه. والحمد لله عدد ما تجرى به الرياح، وتجمله السحاب، وعدد ما يختلف به الليل والنهار، وتسير به الشمس والقمر والنجوم. والحمد لله عدد كل شيء أدركه بصره، ونفذ فيه علمه، وبلغ فيه لطفه. والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني. والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، ١٥ وإن كنت بخيلا حين يستقرضني^(٢). والحمد لله الذي أستغفیه فيعافيني، وإن كنت متعرضا لما يهلكني. والحمد لله الذي حلم في الذنوب عن عقوبي حتى كآني لاذنب لي، ولو يؤاخذني لم يظلمني سيدي. والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي،

(١) كذا ورد في الأصل. وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥): «... وبسط يده اليسرى وأشار

٢٠ بإصبعه من يده اليمنى... الخ». وفي نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا في أكثر الألفاظ. (٢) في الأصل: «حتى» وهو تحريف.

وهو ذُنْخَرِي في آخرتي ، ولو رَجَوْتُ غيره لَأَتَقَطَعَ رَجَائِي . والحمد لله الذي تُمَسِّي
أبواب الملوك مغلقةً دوني ، وبأبه مفتوحٌ لكلِّ ما شئتُ من حاجاتي بغير شفيع
فيقضيها لي . والحمد لله الذي أخْلَوَ به في كل حاجاتي ، وأضعُ عنده سري في أيّ
ساعة شئتُ من ساعاتي . والحمد لله الذي يَتَجَبَّبُ إليّ وهو عَنِّي غَيٌّ ، فربِّي أحمدُ
شيءٍ عندي وأحقُّه بحمدي .

وكان من دعاء يوسف : ” يَاعُدَّتِي عند كربتي ، ويا صاحبي في وَحْدَتِي ،
ويا غِيَاثِي عند شِدَّتِي ، ومَفْزَعِي عند فاقتي ، ورجائي إذا انقطعتْ حيلتي ، يا إلهي
والله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، اجعل لي فرجاً ومخرجاً وأقض حاجتي “ .

وكان بَكَّاء بنو إسرائيل يقول : ” اللهم لا تؤذني بعقوبتك ، ولا تمكُرْني في حيلتك ،
ولا تؤاخذني بتقصيري عن رضاك ، عظيم خطيئتي فاغفر ، ويسير عملي فتقبل ،
كما شئت تكون مشيئتك ، وإذا عزمت يمض عزمك ؛ فلا الذي أحسن استغنى
عنك وعن عونك ، ولا الذي أساء استبدَّ بشيء يخرج به من قُدرتك ؛ فكيف لي
بالنجاة ولا توجد إلا من قِبَلِك ! إله الأنبياء ، ووليّ الأنبياء ، وبديعُ مرتبة
الكرامة ، جديداً لا يبلى ، حفيظاً لا ينسى ؛ دائماً لا يبسد ، حيٌّ لا يموت ، يقظانٌ
لا ينام ؛ بك عرفُك ، وبك أهديتُ اليك ، ولولا أنت لم أدْرِ ما أنت ؛ فتباركت
وتعاليت “ .

قال الأزدِي حَدَّثَ عن محمد بن النضر الحارثي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم
قال : ” لا تقطعوا الشهادة على أهل القبلة فإنه من يقطع الشهادة عليهم فأنا منه

(١) في الأصل : « مره » وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام .

(٢) في الأصل : « تسير » .

بريء إِنْ الله كَتَمْنَا مَا يَصْنَعُ بِأَهْلِ الْقَبِيلَةِ“ . وقال : « مِنْ عِلْمِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ كَلِمَةٍ مِنْ سُنَّةِ فِي دِينِ اللَّهِ حَتَّى اللَّهُ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ حَتَّى » .^(١)

قال وقال الأوزاعي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ” اللهم إني أسألك التوفيق لمحبك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك “ .

- محمد بن بشر العبدي قال حدثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر على عليه السلام
 ٥ فرأى رجلاً متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغله سَمْعٌ عن سَمْعٍ ، ولا تُغْلِطُهُ الْمَسَائِلُ ، ولا يُرِمُهُ الْحَاحُ الْمَلْحِينُ ؛ أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَحِلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ؛ فقال على : والذي نفسي بيده ، لو قلتها وعليك ملء السموات والأرضين ذنوباً لَغُفِرَ لَكَ .^(٢)

- دعا أعرابي عند الملتزم فقال : اللهم إني لك على حقوقاً فتصدق بها علي ،
 ١٠ وللناس قبلي تبعات فتحملها عني ، وقد أوجبت لكل ضيف قري ، وأنا ضيفك فاجعل قراي الليلة الجنة .^(٣)

وقال آخر : اللهم إليك خرجت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمني خير ما عندك
 لشراً ما عندي . اللهم وإن كنت لم ترحم نصبي وتعي فلا تحرمني أجر المصاب على
 مصيبتة .

١٥

(١) حثاله : أعطاه . (٢) كذا في الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء في تقريب التهذيب : « محمد بن بشر العبدي » . (٣) لا تغلظه : لا توقعه في الغلط ، وهو من قولهم : أغلظه إذا أوقعه في الغلط . (٤) لا يرمه : لا يمله ولا يضمجه . (٥) الملتزم هكذا ضبطه صاحب المصباح في مادة «لزم» فقال «والتزمته : اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتقدونه أي يضمونه إلى صدورهم» .

وقرأتُ في كتابٍ لشيخٍ لنا : اللهم إنه من تهيأ أو تعباً ، وأعد وأستعدَّ لوفادة مخلوق رجاءَ رِفْدِهِ وطلبَ نِيْلِهِ ، فإن تهيئ وتعبئ وإعدادي واستعدادي لك رجاءَ رِفْدِكَ وطالبَ نائلِكَ الذي لا خطرَ له ولا مِثْلٍ^(١) . اللهم إني لم آتِكَ بعملٍ صالحٍ قدَّمته ، ولا شفاعَةِ مخلوقٍ رجوتُهُ ، أتيْتُكَ مُقِرّاً بِالظُّلْمِ والإِسَاءَةِ على نفسي ، أتيْتُكَ بِأَنِّي لا حِجَّةَ لي ، أرجو عَظِيمَ عَفْوِكَ الذي عُدَّتْ به على الخطَّائين ، ثم لم يمنعك عَكوْفُهُم على عَظِيمِ الجُرمِ أن جُدتَ لهم بالمَغْفرة . فيا مَنْ رَحْمَتُهُ واسعةٌ ، وَفَضْلُهُ عَظِيمٌ اغْفِر الذَّنْبَ العَظِيمَ .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرِّقَاشِيّ : اللهم لا تُدْخِلْنَا النارَ بعد إذ أسكنتَ قلوبَنَا تَوْحِيدَكَ ؛ وإني لأرجو ألا تفعلَ ، ولئن فعلتَ لتَجْمَعَنَّ بَيْنَنَا وبين قَوْمٍ عادِيَنَاهُم فيكَ . ١٠

بلغني عن ابن عَيْنَةَ عن أبي حازم قال : لَأَنَا مِنْ أَنْ أُمْنَعَ الدَّعَاءَ أَخَوْفُ مِنِّي مِنْ أَنْ أُمْنَعَ الإِجَابَةَ .

أُشَدُّنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ابْنِ عَمْرِو الشَّعْرَاءِ فِي وَصْفِ دَعْوَةٍ :

وساريةٍ لم تُسِرْ في الأرضِ تَبْتَغِي * مَحَلًّا ولم يَقْطَعْ بِهَا اليَدَ قَاطِعُ
سَرَتْ حيثُ لم تُسِرِ الرِّكَابُ ولم تُتَخَّ * لَوْرِدٍ ولم يَقْصُرْ لَهَا القَيْدَ مانِعُ
تَحَلَّ وِراءَ اللَّيْلِ واللَّيْلِ سَاقِطُ^(٢) * بِأَرْوَاقِهِ فِيهِ سَمِيرٌ وَهاجِعُ
تَفَتَّحَ أَبْوابُ السَّمَاءِ ودَوَّنَهَا * إِذَا قَرَعَ الْأَبْوابَ مِنْهُنَّ قَارِعُ^(٣)

(١) الخطر بالتحريك : النظير والمثل .

(٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « تظل ... »

(٣) في العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ » .

(١) إذا أوفدت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راءٍ وسامعٌ
وإني لأرجو الله حتى كأني (٢) * أرى بجمل الظن ما الله صانعٌ
وقال آخر :

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ * على فما ينفك أن يتفرجاً
ورُب فتى سُدَّتْ عليه وجوهه * أصاب له في دعوة الله مخرجاً
ونحوه :

إذا تضايقُ أمرٌ فانتظر فرجاً * فأضيقُ الأمر أدناه من الفرج

أخذَ لرجلٍ من العرب مالاً فكتبَ إلى أخيه : يا هذا ، إنَّ الرجلَ ينام على
الثكل ، ولا ينام على الحرب ، وإما رددته ، وإما عرضتُ اسمك على الله تعالى كلَّ
يومٍ وليلةٍ خمسَ مراتٍ .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبي فكتب إلى بكر بن عبد الله يسأله أن
يدعوه ، فكتب إليه بكر : يحق لمن عمل ذنباً لا عُذرَ له فيه ، وتوقع موتاً لا بدَّ له
منه ، أن يكون وجلاً مُشفقاً ، سادعوك ، ولستُ ، أرجو أن يُستجاب لي بقوةٍ
في عملٍ ، ولا براءةٍ من ذنبٍ ، والسلام .

١٥ خَلَفَ بنُ تميم عن عبيد الجبار بن كليب (٤) قال : قال لنا إبراهيم بن أدهم حين
عرَّضَ لنا السُّبُعُ : قولوا : اللهم احْرُسْنَا بعينك التي لا تنام ، واجعلنا في كنفك الذي
لا يُرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، لا نهلك وأنت رجاؤنا ، قال خلف : فما زلتُ أقولها
مذممتها ، فما عرَّضَ لي قطُّ لئس ولا غيره .

(١) في العقد الفريد : * إذا سألت لم يردد الله سؤالها * (٢) في العقد الفريد (ج ١

ص ٣٩٨) : « ... كأنما ... » (٣) الحرب بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله كله ويترك
بلا شيء . (٤) هكذا ورد في الأصل ولم نوفق إلى تحقيق هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا .

قال أعرابي : من أقام بأرضنا فليكثر من الاستغفار ، فإن مع الاستغفار
الْقَطَارُ^(١) .

بلغني عن موسى بن مسعود النهدي^(٢) عن سفيان الثوري عن قدامة بن حَمَاطَةَ
الضبي عن خالد بن منجاب عن زياد بن حدير الأسدي^(٣) أن العلاء بن الحضرمي
عبر إلى أهل دَارَيْنَ البحر بهذه الكلمات : يا حليم يا حكيم يا علي يا عظيم .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام الدستوائي^(٥) عن
حماد عن إبراهيم عن عبد الله في الرجل إذا أراد الحاجة صلى ركعتين ثم قال : اللهم^(٦)
إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرُك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدرُ
ولا أقدرُ ، وتملك ولا أملك ، وتعلم ولا أعلم ، إن كان هذا الأمر الذي أريده
— وتسميه — خيراً لي في ديني وخيراً لي في معيشتي وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخيرة
فيسره لي وبارك لي فيه ، وإن كان شراً لي في ديني وشراً لي في معيشتي وشراً لي
فيما أبتغي فيه الخير فاصرفه عني ويسره لي الخير حيث كان ثم رَضِّنِي [به]^(٧) .

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) في الأصل : « المهدي » بالميم وهو تحريف من النسخ صوابه ما أثبتناه كما في تهذيب

التهذيب والخلصة وتقريب التهذيب . (٣) في الأصل : « جدير » بالجيم وهو خطأ والتصويب

عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلصة . (٤) دارين : فُرْصَة بالبحرين يجلب إليها

المسك من الهند . (انظر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر البكري

البصري الدستوائي بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة إلى دستوا بالقصر وتمتد : كورة من كور

الأهواز كما في تهذيب التهذيب والخلصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء

وقال في النسبة إليها : دستوائي ودستواني . (٦) ورد هذا الدعاء في نهاية الأرب (ج ٥

ص ٣٢٦) باختلاف في بعض الكلمات وزادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَوِيَ عَلَيْهِ بَدَنِي بِعَافِيَتِكَ ، وَنَالَتهِ يَدِي بِفَضْلِ نِعْمَتِكَ ، وَانْبَسَطْتُ إِلَيْهِ بِسَعَةِ رِزْقِكَ ، وَاحْتَجَبْتُ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بِسِتْرِكَ ، وَاتَّكَلْتُ فِيهِ عَلَى أَنْاتِكَ وَحَلَمِكَ ، وَعَوَّلْتُ فِيهِ عَلَى كَرِيمِ عَفْوِكَ .

الأوزاعي قال : من قال : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَبَتُّ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عَدْتُ فِيهِ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتُكَ مِنْ نَفْسِي وَأَخْلَفْتُكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا أُرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ نَخَالَطُهُ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَوْ مَعْصِيَةٍ ارْتَكَبْتُهَا » غفر الله له ولو كانت ذُنُوبُهُ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَرَمْلِ عَالِجٍ ، وَقَطْرِ السَّمَاءِ ^(١) .

وكان مُطَرِّف يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ السُّلْطَانِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا تَجَرَّيَ بِهِ أَقْلَامُهُمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ قَوْلًا حَقًّا فِيهِ رِضَاكَ أَلْتَمِسُ بِهِ أَحَدًا سِوَاكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِشَيْءٍ يَسِينُنِي ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ عِبْرَةً لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَسْعَدَ بِمَا عَلَّمْتَنِي مَنِي ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْتَغِيثَ بِمَعْصِيَةٍ لَكَ مِنْ ضُرٍّ يُصِيبُنِي .

الأزدی عن عبد الواحد بن زيد قال : شهدت مالك بن دينار يوما وقيل له : يَا أَبَا يَحْيَى ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِينَا ، قَالَ : تَسْتَبِطُونَ الْمَطَرَ ! قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ أَسْتَبِطُ الْجَمَارَةَ .

قال أبو كعب : سمعتُ عطاء السلمي يقول : اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتِي فِي الدُّنْيَا ، وَمَصْرَعِي عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَوَحْدَتِي فِي الْقُبُورِ ، وَمُقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ .

(١) عالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه في بعض .

(٢) كذا في الأصل . ولم نعتز على اسم عبد الواحد بن زيد في المراجع الخاصة التي تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله « عبد الواحد بن زياد » لوروده كثيرا في المصادر المتقدمة .

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدّثنا
 زهير عن زبيد اليامي^(١) عن مُرّة عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم
 كما قسم بينكم أرزاقكم ، إن الله يُؤتي المالَ مَنْ يحبّ ومن لا يحبّ ، ولا يؤتي
 الإيمانَ إلا مَنْ يُحبّ . فمن ضنّ بالمسال أن يُنفقه ، وهاب العدو أن يُجاهده ، والليل
 أن يكابده فليكثر من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

ومن جامع الدعاء : اللهم أغني بالعلم ، وزيني بالحلم ، وجملي بالعافية ، وأكرمني
 بالتقوى .

وكان من دعاء أبي الحبيب : اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ، ولا الى الناس
 فنضيع ، اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلى .

ومن دعاء عمرو بن عبيد ، اللهم أغني بالافتقار اليك ، ولا تُغني بالاستغناء عنك .

ابن عائشة عن سلام بن أبي مطيع قال : سمعت ابن عوف يقول : كانوا
 يستحبون من الدعاء : اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمتك لعييدك وإمائك ،
 أنا الذليل ولا أنتصر ، وأنا الظالم ولا أعتذر ، عملت سوءاً وظلمت نفسي وإلا
 تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ، فما أتتها ابن عون حتى أجهد بالبكاء^(٢) .

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اجعلني لك شاكراً ، لك ذكّاراً ، لك
 رهّاباً ، لك مطيعاً ، اليك مخبتاً ، لك أوّاهاً مُنيباً ، ربّ تقبل توبتي وَاغسل حوبتي
 وأجب دعوتي وثبّت حجتي وأهد قلبي وسدّد لساني » .

(١) في الأصل : « النامي » بالنون وهو تحريف وصوابه « اليامي » نسبة الى يام : بطن من همدان ،

كما تقدّم في صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد . (٢) أجهد بالبكاء : هم به وتهياً له .

المناجاة

- (١) حدثني عبد الله بن هارون عن سليم بن منصور عن أبيه قال : كنت بالكوفة
فخرجت في بعض الليل لحاجة وأنا أظن أني قد أصبحت فإذا عليّ ليلٌ فملتُ
إلى بعض أبوابها أنتظر الصبحَ فسمعتُ من وراء الباب كلامَ رجلٍ وهو يقول :
• فوعزتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا
بنكالك جاهلٌ ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مُستخفٌ ، ولكن سؤلتُ لى نفسى ،
وأعاني على ذلك شقوتى ، وغرّنى سترك المرئى علىّ ، فعصيتك بجهلٍ وخالفتك
بجهلٍ ، فالآن من عذابك مَنْ يستنقذنى وبجبلٍ مَنْ أعصمُ إن قطعتَ جبلَك عنيّ ،
فواسواتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للمخفين : جُوزُوا ، وللمثقلين :
١٠ حُطُّوا ؛ أفعِ المثقلين أحطُّ أم مع المخفين أجوز ! ويلي ! كلما كثرتُ سيئى كثرتُ
ذنوبى ؛ ويلي ! كلما طال عمرى كثرتُ معاصيى فمن كم أعود !
أما آن لى أن أستحييَ من ربِّ ! •

- بلغنى عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال : كان داودُ النبي
عليه السلامُ يقولُ فى مُناجاته : سبحانك إلهى ! إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت علىّ
الأرضُ برُحبتها ، وإذا ذكرتُ رحمتك ارتدت إلى رُوحى ، سبحانك إلهى ! أتيتُ
١٥ أطباءَ عبادك ليدأوا لى خطيئتي فكلّهم عليك يدُلُّنى •

حدثني بعضُ أشياخنا قال : كان داودُ الطائى يقول : همك عطّل علىّ
الهمومَ ، وحالفَ بنى وبين الشهادِ ، وشدةُ الشفق من لقائك أوبقَ علىّ الشهواتِ ،
(٢) (٣)

(١) فى المقصد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعوا بعرفات : يارب لم أعصك

٢٠ إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف فى بعض الكلمات ونقص عما هنا •

(٢) أوبق : حبس • (٣) كذا فى الأصل ولعلها "عنى" ليستقيم المعنى •

ومنعني اللذات ، فأنا في طلبك أيها الكريم مطلوب^(١) . وقال : تَعَبَدَ ضَيْغَمٌ قائماً حتى أُقْعِدَ ، وقاعداً حتى استلقَى ، ومُسْتَلْقياً حتى أُخْفِمَ ؛ فلما جَهِدَ رفعَ بصره الى السماء وقال : سبحانك ، عجباً للخلقة كيف أرادت بك بدلاً ! وسبحانك ، عجباً للخلقة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك ! وعجباً للخلقة كيف آنست بسواك .

عُتْبَةُ أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ تَقُولُ :

سبحانك ، ما أضيقَّ الطريقَ على من لم تكن دليله ، سبحانك ما أوحشَ الطريقَ على من لم تكن أنيسه .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِي مَنَاجَاتِهِ بَعْدَ أَنْ قُطِعَتْ رِجْلُهُ [وَمَاتَ ابْنُهُ ^(٢)] : كَانُوا أَرْبَعَةً ، يَعْنِي بَنِيهِ ، فَأَخَذَتْ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتَ ثَلَاثَةً ، وَكَانَ أَرْبَعًا يَعْنِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ وَاحِدَةً وَأَبْقَيْتَ ثَلَاثًا ^(٣) ، لَيْمَنَكَ لَئِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ ، وَلَئِنْ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ .

وَفِي حَدِيثِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : دُلَّنِي عَلَى أَعْبِدِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّنِي عَلَى رَجُلٍ قَدْ قَطَعَ الْجُدَامُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَذَهَبَ بِبَصَرِهِ ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ : مَتَّعَنِي مَا شِئْتَ ، وَسَلَبْتَنِي حِينَ شِئْتَ ، وَأَبْقَيْتَ لِي فِيكَ الْأَمَلَ يَا بَارُّ يَا وَصُولُ .

وَمِنْ دُعَاءِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ : اللَّهُمَّ اقْطَعْ حَوَائِجِي مِنَ الدُّنْيَا بِالشُّوقِ إِلَى لِقَائِكَ ، وَاجْعَلْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي عِبَادَتِكَ ، وَارْزُقْنِي غَمَّ خَوْفِ الْوَعِيدِ ، وَشَوْقَ رَجَاءِ الْمَوْعُودِ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا يُصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي فَكُنْ بِي حَفِيًّا ^(٤) .

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَطْلُوبًا » وَقَوَاعِدُ اللَّغَةِ تَقْتَضِي مَا أُثْبِتَاهُ . (٢) التَّكْلَمَةُ عَنِ الْعَقْدِ

الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) لَيْمَنَكَ : بِمَعْنَى قَوْلِهِمْ : يَمِينُ اللَّهِ .

(٤) الْحَفِيَّ : اللَّطِيفُ إِتْبَارَ الْمَبَالِغِ فِي الْإِكْرَامِ .

باب البكاء

حدثني أبو مسعود الدارمي^(١) قال حدثني جدتي عن أنس بن مالك قال : جاء
فتى من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) [وقال] : إن أمي تُكثر البكاءَ
وأخاف على بصرها أن يذهب ؛ فلو أتيتها فوعظتها ! فذهب معه فدخل فقال لها
في ذلك ؛ فقالت : يا رسول الله ، أرايت إن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرتُ الى
الجنة ، أيبذلني الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى في الدنيا
ثم صرت الى النار ؛ أفيعيد الله بصرى ؟ فقال النبي عليه السلام للفتى : « إن أملك
صدِّيقه » :

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق^(٣) عن الأوزاعي عن
ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمسها النار ؛ عينٌ حرست في سبيل الله ؛ وعينٌ
سهرت في كتاب الله ؛ وعينٌ بكث في سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العُتبي قال حدثنا أبو ابراهيم قال : لا يكون البكاءُ إلا من فضيل
فإذا اشتدَّ الحزنُ ذهب البكاءُ ، وأنشد :

فلئن بكيناه يحقُّ لنا * ولئن تركنا ذاك للكبر^(٤)
فلمثلله جرت العيونُ دماً * ولمثلله جمدت فلم تجر

(١) لم نعر على هذه النسبة في الكتب التي بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٣
ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيما تقدم) . (٢) زيادة يقتضها السياق .

(٣) ورد في الأصل : « أبيه » وهو تحريف لأن الأوزاعي ممن روى عنه (أبو إسحاق الفزاري) ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضا فيتعين حينئذ أن
(أبا إسحاق) هو المقصود في هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٣٨)
وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد في الأصل كلمة « للصبر »
فوق كلمة « للكبر » ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغنى عن أبى الحارث الليث بن سعد عن أبيه عن ابن لهيعة عن أبى قبييل^(١)
 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو^(٢)
 ابن ثمانى حجج ، فنظر الى عباد بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشعر ، وبرانس
 الصوف ، ونظر الى متهمهم أو قال مجتهدهم قد حرقوا التراقي ، وسلكوا فيها^(٣)
 السلاسل ، وشدوها الى حنايا بيت المقدس ، فهاله ذلك ؛ فرجع الى أبويه فمز
 بصبيان يلعبون فقالوا : يا يحيى هلم فلنلعب قال : إني لم أخلق للعب ، فذلك قول
 الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ فأتى أبويه فسألها أن يدرعا الشعر ففعلا ،
 ثم رجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصيح فيه ليلا ، حتى أتت له
 خمس عشرة سنة ، وأتاه الخوف فراح ولزم أطراف الأرض وغيران الشعب ،
 وخرج أبواه في طلبه فوجداه حين نزلا من جبال التيه على بحيرة الأردن وقد قعد
 على شفير البحيرة وأنقع قدميه في الماء ، وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك
 لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك ! فسأله أبواه أن يأكل قُرصا
 كان معهما من شعير ، ويشرب من الماء ففعل وكفر عن يمينه فُدَح بالبر ؛ قال
 الله عز وجل : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ وردّه أبواه الى بيت المقدس ،

- ١٥ (١) في الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ اذ هو الليث بن سعد
 ويكنى بأبى الحارث . ومما يؤيد ما ذهبنا اليه أن بن طيبة ومن بعده روى عنهم الليث بن سعد ولذا
 ترجح لدينا أن ما ورد في الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ وج ٨
 ص ٥٩٩) وطبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد
 في الأصل : « أبى لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة . (٢) في قصص
 الانبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيى أنه أتى
 بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف في بعض الالفاظ وزادات عما هنا .
 (٣) في قصص الانبياء : « ... وشدوا بها الى سواري المسجد » . (٤) نيران : جمع
 غار وهو ما ينجح في الجبل كالمغارة يأوي اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام في صلاته بكى ، ويبكى زكريا لبكائه حتى يُغمى عليه ، فلم يزل كذلك حتى خرفت دموعه لجم خديه ، وبدت أضرأسه ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذنت لى لأتخذت لك لبدا ليوارى أضرأسك عن الناظرين ؛ قال : أنبت وذلك ، فعمدت الى قطعى كبودى فألصقتهما على خديه ، فكان اذا بكى استنقعت دموعه في القطعتين فتقوم اليه أمه فتعصرهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعى أمه .
قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين .

بلغنى عن أبى معاوية عن أبى إسحاق الخميسى^(١) قال كان يزيد الرقاشى يقول :
ويحك يا يزيد ! من يصوم عنك ! من يصلى عنك ! ومن ذا يترضى لك ربك من بعدك ! ثم يقول : يا معشر من الموت موعده ، والقبر بيته ألا تبكون ! قال :
فكان يبكى حتى تسقط أشفاره عينية .^(٢)

بلغنى عن محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن الحسن قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دم في سبيله وقطرة دم في جوف الليل من خشيته ، وما من جرعة أحب الى الله من جرعة مصيبة موجعة ردها بصبر وحسن عزاؤه ، وجرعة غيظ كظم عليها »
مُعتمر بن سليمان عن رجل قال : كان فى وجنتى ابن عباس خطان من أثر الدموع .

(١) فى هامش تهذيب التهذيب ما نصه : « والخميسى بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا فى الخلاصة والتقريب » وفى هامش الخلاصة « أن السمعاني صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التحتانية ثم مهملة مكسورة وهكذا فى لب الباب » . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللغة ، فى تاج العروس : « الشفر بالضم وفتح : أصل منبت الشعر فى الجفن ويجمع على أشفار ، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفى الأصل : « شفار » .

حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير قال حدثنا سيار عن جعفر قال :
كنت إذا أحسست من قلبي بقسوة أتيت محمد بن واسع فنظرت إليه نظرة ؛ قال :
وكنت إذا رأيت وجهه حسبتُه وجهَ ثكلٍ .

وكان يقال : أخوك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه .

تكلّم الحسن يوما حتى أبكى من حوله فقال : عجيج كعجيج النساء ولا عزم ،
وخدعة كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يكون .

أبو عاصم قال : فقد مالك بن دينار مصحفه في مجلسه ؛ فنظر إليهم كلهم
يكون ؛ فقال : كلّم يبي ! فمن سرق المصحف ؟ .

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقى للحنن ؛ وكانت له شعيرات في مُقدّم
صدغه فإذا رُقّ تنفها أو مدّها الى فوق فتقاصّ دمعُه .

قيل لغالب بن عبيد الله : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء ؛ فقال :
هو لها شهادة ؛ قال بعض الشعراء :

سأبيك حتى تُنفدَ العينُ ماءها * ويشفى مني الدمع ما أتوجّع
وقال بعض الكتاب في مثله :

إبك فمن أنفع ما في البكا * أنه للأحزان تسهيل
وهو إذا أنت تأملتَه * حُزنٌ على الخدين محلول

قيل لعفيرة العابدة : ألا تسامين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف
يسأم ذو داءٍ من شيءٍ يرجو أن يكونَ له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « داود » . (٢) العجيج : الصياح ورفع الصوت .

(٣) كذا في الأصل وفي طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفي العقد الفريد (ج ١

ص ٢٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : « غالب بن عبد الله » .

قال ابن أبي الحواري : رأيت أبا سليمان الداراني يبكى ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : إنما أبكي لذلك الغم الذي ليس فيه فرح ، وذلك الأمل الذي ليس له انقطاع .

قال بعضهم : أتيت الشام ، فمررت بدير حرملّة ، وبه راهب كان عيذه عدلاً مزاجاً ، فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : يا مسلم ، أبكى على ما فرطت فيه من عمرى ، وعلى يوم مضى من أجلي لم يتبين^(١) فيه عملى . قال : ثم مررت بعد ذلك فسألت عنه ، فقالوا : أسلم وغزاً فقتل في بلاد الروم .

أشعث قال : دخلت على يزيد الرقاشي فقال لى : يا أشعث ، تعال حتى نبكى على الماء البارد فى يوم الظمأ ، ثم قال : والنفاه ! سبقنى العابدون وقطع بى ، وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

زيد الحميرى^(٢) قال : قلت لثوبان الراهب : أخبرنى عن لبس النصارى هذا السواد ، ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ، قال فقلت : وكلكم معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة ؟ فقال : يرحمك الله ! وأى مصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها ! قال زيد : فلا أذكر قوله ذلك إلا أبكاني .

ابن أبي الحواري قال : دخلت على أبي سليمان وهو يبكى ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : يا أحمد ، إنه إذا جنّ الليل وهدأت العيون وأنس كل خليل بخليله ، فرش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم يُسمع لها وقع على أقدامهم ، وقد أشرف الجليل عليهم فقال : بعينى من تلذذ بكلامى واستراح الى ، فما هذا البكاء الذى أراه منكم ! هل أخبركم أحد أن حبياً يعدب أحبائه ! أم كيف أبيت

(١) فى العقد الفريد : « لم يحسن فيه عملى » . (٢) هكذا فى الأصل ، وفى العقد الفريد

« أبوزيد الحميرى » . (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨) : « وقال أبوزيد » .

قوما، وعند البيات أجدهم وقوفا يَتَلَقُونِي! فَبِي حَلَفْتُ أَنْ أَكْشِفَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ وَجْهِهِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ .

قالت خنساء : كُنْتُ أَبْكِي لَصَخْرٍ مِنَ الْقَتْلِ ، فَأَنَا أَبْكِي لَهُ الْيَوْمَ مِنَ النَّارِ .

قال عمر بن ذرٍّ لأبيهِ : يَا أَبَتِ ، مَا لَكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ أَبْكَيْتَ النَّاسَ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ غَيْرُكَ لَمْ يُبْكِهِمْ ؟ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، لَيْسَتْ النَّائِحَةُ التَّكْلِي مِثْلَ النَّائِحَةِ الْمُسْتَأْجَرَةِ .

وفى بعض ما أوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْخُشُوعَ ، وَمِنْ بَدَنِكَ الْخُضُوعَ ، وَمِنْ عَيْنِكَ الدَّمُوعَ ، وَادْعُنِي ، فَإِنِّي قَرِيبٌ .

وكان عمر يقول : اسْتَغْزِرُوا الْعْيُونَ بِالتَّذَكُّرِ .

التَّهْجِدُ

حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ حَسَنِ الْمُرَّوَزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ أَخْبَرَنِي مَعْمَرُ وَالْأَوْزَاعِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي زَمْعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : كُنْتُ أَيُّتُ عِنْدَ حُجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنْتُ أَسْمَعُ ، إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ ، «سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» الْهُيَّ مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» الْهُيَّ .

حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ حَسَنِ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ قَالَ : سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَزَّعَتْ قَدَمَاهُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : «يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ وَالْخُلَاصَةِ

وَتَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ . (٢) الْهُيَّ بِالْفَتْحِ : الْحَيْنَ الطَّوِيلَ مِنَ الزَّمَانِ ، وَقِيلَ هُوَ مَخْتَصٌ بِاللَّيْلِ

(لِسَانَ الْعَرَبِ) . (٣) فِي الْأَصْلِ : «زِيَادُ عَنْ عِلَاقَةَ» بِالْقَاءِ وَهُوَ خَطَأً صَوَابُهُ «زِيَادُ بْنُ عِلَاقَةَ»

كَأَوْضَعْنَاهُ . (رَاجِعْ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ (ج ٣) ص ٣٨٠ وَج ٤ ص ١١٧ وَج ١٠ ص ٢٦٢ وَطَبَقَاتُ

ابْنِ سَعْدٍ (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل : يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؛ قال : « أفلا أكون عبدا شكورا » .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

بلغني عن رباح عن معتمر عن رجل قد سماه قال : قال يزيد الرقاشي : إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناى ، وعلى الماء البارد السلام . يعنى بالنهار .

وروى جرير عن عطاء بن السائب قال : قال عبيدة بن هلال الثقفي ^(١) : لا يشهد على ليل بنويم ولا شمس بإفطار ؛ فبلغ ذلك عمر فأقدم عليه ليفطرون العيدين .

وروى حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمير بن حبيب قال : كان يقول لأهله : يا أهلاه ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ ، إنه من يسبق الى الماء يظما ؛ يا أهلا ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ ، إنه من يسبق الى الظل يضحى .

قال أبو سليمان الداراني : أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحبت البقاء .

خرج عيسى عليه السلام على الحواريين ، وعليهم العباء ^(٢) وعلى وجوههم النور ، فقال : يا أبناء الآخرة ، ما تنعم المتنعمون إلا بفضل نعيمكم .

(١) هكذا في الأصل ، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى « عبيدة بن هلال » ولم نشر عليه لا في كتب تراجم الرواة ولا في كتب الأنساب وغيرها من الكتب التي بين أيدينا ؛ وفي البيان والتبيين (ج ٣ ص ٨٠) : « ... عن عبدة الثقفي ... » . (٢) العباء بالفتح : كساء من صوف مفتوح من قدام بلبس فوق الثياب .

وقيل للحسن : ما بأل المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خلّوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره .^(١)

حصين بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلاً يقال له همام يقول :^(٢)
اللهم آشفني من النوم باليسير، وأرزقني سهرا في طاعتك ، وكان يصبح وجنته^(٣)
مرجلة ؛ فيقول بعضهم لبعض : إن جمّة همام تخبركم أنه لم يتوسّدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدّهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه . وكان بعضهم يُحيي الليل ، فإذا نظر الى الفجر قال : «عند الصباح يَحمدُ القومُ السرى» .^(٤)

حدثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفضيل بن عياض بيدي ثم قال : يا حسين ، يقول الله : كَذَبَ من ادّعى محبتي وإذا أَجَنَّهُ الليلُ نام غنى ، أليس كلّ حبيبٍ يُحِبُّ خلوةَ حبيبهِ ! ها نذا مُطالِعٌ على أحبائي ، إذا أَجَنَّهُم الليلُ جعلتُ أبصارهم في قلوبهم ، ومثلتُ نفسي بين أعينهم ، نغاطبونى على المشاهدة وكلّمونى على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدثني عبد الرحمن بن يزيد قال : كُنا نغازي عطاء الخراساني^(٥)
فكان يُحيي الليلَ صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر نادانا ونحن في فسطاطنا :
يا عبد الرحمن بن يزيد ، ويا يزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز ، قوموا فتوضّشوا^(٦)

- ١٥ (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «فأسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمام بالفتح والتشديد وهمام بالضم والتخفيف . ولم نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجمة بالضم : مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . (٥) هكذا في الأصل ، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سياق الكلام أن كلمة « نغازي » الواردة في الأصل محذوفة عن كلمة « نقاري » من قارأه مقارأة إذا دارسه أى شاركه في الدرس ؛ وبها يلتئم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصل وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب . وفي الخلاصة : «الغازي» بياء بعد الزاي المعجمة .
- ٢٠

وصلُّوا، فإنَّ قيامَ هذا الليل وصيامَ هذا النهار أيسرُ من شربِ الصديدِ ومن مُقطَّعاتِ الحديدِ؛ فالوَحَا الوحا ثم النجاءُ النجاءُ؛ ويُقبل على صلاتِهِ .

مالك بنِ مغُولٍ^(١) عن رجلٍ من جُعْفَى^(٢) عن السديِّ عن أبي أراكَةَ قال : صَلَّى على الغداةِ ثم جلس حتى أرتفعت الشمسُ كأنَّ عليه كَابَةً، ثم قال : والله ، لقد

- رَأَيْتُ أثرًا من أصحابِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فما أرى أحدا يُشسِّمُهُم، والله .
 إن كانوا يُصْبِحُونَ شُعْنًا غُبْرًا صُفْرًا، بين أعينهم مثل رُكْبِ المِعْزَى، قد باتوا يتلَوْنَ كتابَ الله ، يراوَحُونَ بين أقدامهم وجباههم؛ إذا ذكروا الله مادوا كما يُمِدُّ الشجرُ في يومِ ريحٍ، وأنهملت أعينُهُم حتى تَبَلَّ ثيابُهُم، وكأنَّهُم، والله، باتوا غافلين . يريد أنهم يستقلُّون ذلك .

- ١٠ المحاربيُّ عن الإفريقيِّ قال حدَّثنا أبو علقَمَةَ عن أبي هريرة قال : إن أهلَ السماءِ ليرَوْنَ بيوتَ أهلِ الذِّكْرِ تُضِيءُ لهم كما تضيءُ الكواكبُ لأهلِ الأرضِ .

يَعْلَى بن عُبَيْدٍ عن مُحَمَّد بنِ عَوْنٍ عن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن عيسى قال : كونوا يَنابِيعَ العلمِ، مَفاتيحَ الهدى، أحلاسَ البيوتِ، جُدَدَ القلوبِ، حُلُقَانَ الثيابِ، سُرُجَ الليلِ، تُعرَفُوا في أهلِ السماءِ، وتُخَفَّوْا في أهلِ الأرضِ .

- ١٥ حدَّثني مُحَمَّد بنِ داودَ قال حدَّثنا أبو الربيعِ الزَّهْرَانِيُّ قال حدَّثنا أبو عَوَانَةَ عن المغيرةِ عن إبراهيم : في الرجلِ يرى الضَّوءَ [بالليل]؛ قال : هو من الشَّيْطَانِ، لو كان هذا فضلًا لأُوثِرَ به أهلُ بدرِ .

(١) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال والقاموس وشرحه ، وفي الأصل :

« معول » بالعين المهملة ، وهو محريف . (٢) جعفي : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس

٢٠ جمع جلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلزم البيت ولا يهرع ؛ ومنه الحديث الشريف :

« كونوا أحلاس بيوتكم » أي الزموها . (٤) في الأصل : « تعرفون ... وتحفون ... » وقواعد

ال لغة تقتضي ما أثبتناه ؛ لوقوعهما جوابا للا ممر . (٥) التكلية عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

الموت

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدّثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبد العزيز فأدّمتُ النظرَ اليه ؛ قال : ما تنتظرُ يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما أبيضُّ من شعرك ، ونحلّ من جسمك ، وتغيّر من لونك ؛ فقال : أما والله لو رأيته في القبر بعد ثلاثة ؛ وقد سألت حدّثائي على وجنتي ، وسأل منخرأي صديدا ودودا ، لكنت أشدَّ نكوةً^(١) .

وقال الأصمعيّ : دخلتُ بعضَ الجبايين^(٢) ، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عشرُ سنين ، وهي تقول :

عَدِمْتُ الحَيَاةَ وَلَا نَلْتُمَا * إِذَا كُنْتُ فِي الْقَبْرِ قَدْ أَلْهَدُوكَا
وَكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الْكَرَى * وَأَنْتَ بِيَمِينِكَ قَدْ وَسَّدُوكَا

قال الأزديّ : بلغني أنّ داود الطائيّ مرَّ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ وهي تقول :

يَا أَخَاهُ ! لَيْتَ شَعْرِي :
بَأَيِّ خَدِّكَ تَبْدَى الْبِلَى * وَأَيُّ عَيْنِكَ إِذَا سَالَا
فَصِيعَ مَكَانِهِ ثُمَّ تَعَبَّدَ .

حدّثني محمد بن مرزوق قال حدّثنا محمد بن نصر المعلم قال حدّثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهُنَّ مِنْ أَيْنَ الْمَعْظَمِ وَالْمَحْتَقَرِ
وَأَيْنَ الْمُدِيلِ بِسُلْطَانِهِ * وَأَيْنَ الْمَزْكِيِّ إِذَا مَا أَفْتَحَرُ

(١) النكوة (بفتح النون والكاف) : اسم من الانكار . (٢) الجبايين جمع جباة ،

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانوا جميعاً فما مُخْبِرٌ * وماتوا جميعاً وماتَ الخَبِرُ
تروحُ وتغدو بناتُ الثرى * ^(١)وتمحى محاسنُ تلك الصُّورِ
فيا سائلي عن أناسٍ مَضَوْا * أما لك فيما ترى مُعْتَبِرُ

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغني أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُلُلِ الأَجْبالِ تحرُّسُهُم ^(٢) * غَلَبُ الرِّجالِ فلم تنفعهم القُلُلُ ^(٣)
واستنزَلُوا بعدَ عَزٍّ من معاقِلِهِم * فأَسَكِنُوا حُفْرَةَ يابئس ما نزلوا
ناداهم صَارِخٌ من بعد ما دُفِنُوا * أين الأَسْرَةُ والتَّيجَانُ والحُلُلُ
أين الوجوهُ التي كانت مُحِبَّةً ^(٤) * من دونها تُضْرَبُ الأَسْتارُ ^(٥) والكَلَلُ ^(٦)
فأفصَحَ القَبْرُ عَنْهُمْ حينَ مَآءِهِم * تلك الوجوهُ عليها الدُّودُ تَقْتُلُ
قد طال ما أَكَلُوا دَهْرًا وما نَعِمُوا ^(٧) * فأصْبَحُوا بعدَ طَوِيلِ الأكلِ قَدْ أَكَلُوا

وقال آخر :

رَبِّ قَوْمٍ عَبَرُوا مِنْ عَيْشِهِم * في نَعِيمٍ وسُرُورٍ وَغَدَقَ
سَكَتُ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ * ثم أبكاهم دَمًا حينَ نَطَقَ

(١) في الإحياء للقرطبي : « فتمجرو... » . (٢) القلل : جمع قلة ، وهي أعلى الجبل .

(٣) في تاريخ أبي الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فأغتهم » . (٤) في تاريخ

أبي الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهي السر الرقيق المعروف

في زمننا هذا بالناموسية . (٦) في تاريخ أبي الفدا : « يقتل » وفي اسم الجنس ، كالدود

هنا ؛ يجوز الأمران . (٧) في تاريخ أبي الفدا : « شربوا » .

نزل النعمان ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة عظيمة ليلها، فقال له عدي بن زيد : أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ؛ قال تقول :

رب شرب^(١) قد أبأخوا عندنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضخوا لعب الدهر بهم * وكذلك الدهر حالاً بعد حال

وقال ابراهيم بن المهدي :

بالله ربك كم بيت مررت به * قد كان يُعمر بالذات والطرب
طار عتاب المنايا في سقائفه * فصار من بعدها للويل والحرب^(٢)

أنشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمد

العروضي :

كن كيف شئت فقصرك الموت^(٣) * لا مَرَحَلٌ عنه ولا قوتُ
بيننا غنى بيت وبهجته * زال الغنى وتقوَّض البيت

حدثني يزيد بن أسد عن الطنافسي قال حدثنا أبو محمد قال : كان مالك بن

دينار يخرج الى القبور كل خميس على حمار قوطراني ويقول :

ألا حي القبور ومن يهته * وجوه في القبور أجهته
فلو أن القبور سمعن صوتي * إذا لأجبنني من وجدته
ولكن القبور صمتن عني * فأبت بحسرة من عندهته^(٤)

(١) في الكامل للبرد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : « رب ركب... حولنا * يمزجون... وفي البيت

الثاني « عصف » بدل « لعب » . (٢) في الأصل : « عقار المنايا » . (٣) قصر ك :

قصاراك وغايتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد في مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ وإنما سموا

يزداد (بالدال) ويزدان (بالنون) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذه النسبة .

ثم يبكي ويبكى .

قال معاوية بن أبي سفيان لعبيد بن شربة الجرهمي : أخبرني بأعجب شيء رأيته في الجاهلية ؟ فقال : إني نزلت بحج من قضاة فخرجوا بجانزة رجل من عذرة يقال له حريث وخرجت معهم ، حتى إذا وآروه في حفرة انتبذت جانباً عن القوم وعيناي تذرفان ثم تمتلأت بأبيات شعركنت أروها قبل ذلك بزمان طويل :

تجرى أمور ولا تدري : أوائلها * خير لنفسك أم ما فيه تأخير^(١)
فاستقدر الله خيراً وارضى به * فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينا المرء في الأحياء مغتبطاً * إذ صار في الرمس تغفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحى مسرور

قال : وإلى جاني رجل يسمع ما أقول ، فقال لي يا عبد الله ، هل لك علم بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : لا والله ؛ إلا أتى أروها منذ زمان ؛ فقال : والذي تحلف به إن قائلها لصاحبنا الذي دفنناه آنفاً ، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسر الناس بموته ، وإنك لغريب وتبكي عليه كما وصفت ؛ فعجبت لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله ، كأنه ينظر إلى مكانى من جنازته ، فقلت : « إن البلاء موكل بالقول » ؛ فذهبت مثلاً .

قال أعرابي : خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقدته الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحبت لنزوله الموت .

(١) في درة النواص للحريري (ص ٣٣ طبعة الجواثب) : "وما تدري أعاجلها * أدنى لرشدك"

وفي الأصل هنا : ولا يدري أوائلها * خيراً الخ ... وهو تحريف .

وقال أبو زبيد :

يَمْلِكُ المرءُ بالرجاءِ ويُضحى * غَرَضًا للنونِ نَصَبَ العودِ
كلُّ يومٍ ترميه منها برشقي^(١) * فمصيب^(٢) أو صافٍ غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظمتك أجداتٌ صُمّت * ونَعَتُكَ أزمِنَةٌ خُفّت
وتكلمتُ عن أوجهٍ * تبلى وعن صور شتت^(٣)
وأرتك قبرك في القبو * رِ وأنت حيٌّ لم تَمُتْ

وقال أعرابي : أبعدَ سفرًا أولَ منقَلَةٍ^(٤) منه الموتُ . وقيل لأعرابي : مات
فلانٌ أصحَّ ما كان ؛ فقال : أو صحيحٌ من الموتِ في عُتِقِهِ ! وقال بعضُ المحدثين :
إسمع فقد أسمعك الصوتُ * إن لم تبادر فهو الفوتُ
بل كلُّ اذاشت وعش ناعما * آخر هذا كله الموتُ

وكان صالح المزني يقول في قصصه :

مؤمِّلٌ دنيا لتبقى له * فمات المؤمِّلُ قبل الأملِ
وبات يروى أصولَ الفسيل^(٥) * فعاش الفسيلُ ومات الرجلُ

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكى أحبابهم ثم بُكُوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم * ودَّهم لو قدّموا ما تركوا

(١) الرشق : الشوط من الرمي . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عته ولم يصبه .
(٣) كذا في ديوان أبي العتاهية طبع بيروت . وفي الأصل والمسهودي : « وعن صور سبت » .
(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النخل .

كم رأينا من ملوئِ سُوقَةٍ * ورأينا سُوقَةً قد مَلَكُوا
 قَلْبَ الدهرِ عليهم وَرِكا * فاستداروا حيث دار الفلكُ
 حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِي العَنايَةِ أَنَّهُ قَرَأَ لَهُ بَيْتَانِ عَلَى جِدَارٍ مِنْ جُدُرِ كَنِيسَةِ
 القسطنطينية :

٥ ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا * دارتْ نجومُ السماءِ في الفلكِ
 إلا بَنَقِلِ السُّلطانِ عن مَلِكٍ * كان يَحُبُّ الدُّنيا إلى مَلِكٍ
 وقال آخر :

ما أنزلَ الموتَ حَقَّ مَنْزِلِهِ * من عَدَّ يوماً لم يَأْتِ مِنْ أَجَلِهِ
 والصَّدَقُ والصَّبْرُ يُلْغَانِ بَيْنَ * كَافَا قَرِينِهِ مِنْتَهَى أَمَلِهِ
 ١٠ عليك صَدَقَ اللسانُ مَجْتَهداً * فَإِنَّ جُلَّ المَلاكِ في زَلَلِهِ
 وقال الطِّرِمَاحُ :

فياربِّ لا تَجْعَلْ وفاتِي إن أَتَتْ * على شَرَجٍ يُعَلَى بُكْنِ المِطارِفِ ^(١)
 ولكن أَجْزِئْ بومِي شَهِيداً وَعُصْبَةً * يَصَابُونَ في فَجٍّ مِنْ الأَرْضِ خَائِفِ ^(٢)
 عَصَائِبُ مِنْ شَيْءٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ * هُدَى اللَّهِ نَزَّالُونَ عِنْدَ المَوَاقِفِ ^(٣)
 ١٥ إِذَا فارَقُوا دُنْيَاهُمْ فارَقُوا الأَذَى * وصارُوا إلى مَوْعِدِهَا في المِصاحِفِ ^(٤)
 فَأَقْتُلْ قَعْصاً ثُمَّ يَرْمِ بِأَعْظَمِي * كِضْفَتِ الحَلَّاءِ بَيْنَ الرِّياحِ العَوَاصِفِ ^(٥)
 وَيُصْبِحُ لِحْمِي بَطْنُ طَيْرٍ مَقِيلَةٍ * دُؤَيْنَ السَّمَاءِ في نَسُورٍ عَوَائِفِ ^(٦)

(١) الشرجع: النعش. (٢) رسمت هذه الجملة في الأصل هكذا: «ولكن أجزئ بومي». وقد وردت

هذه الأبيات في الأغاني في ترجمة الطرماح باختلاف كثير في الكلمات عما هنا. (٣) في الأغاني

(ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق): «إلى معاد ما في المصاحف». (٤) قمصه قمصا: قتله مكانه. ٢٠

(٥) الضغت: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس. (٦) العوائف من الطير: التي تستدير

على الشيء حائمة حوله تريد الوقوع.

وهيب بن الورد قال : اتَّخَذَ نوحُ بَيْتًا مِنْ خُصٍّ ، فَقِيلَ لَهُ لَوْ بَنَيْتَ بَيْتًا ؟
فَقَالَ : هَذَا لِمَنْ يَمُوتُ كَثِيرٌ .

بلغني عن إسماعيل بن عيَّاش عن سُرحبيل بن مسلم أن أبا الدرداء كان إذا
رأى جنازة قال : اِغْدِي فَإِنَّا رَائِحُونَ ، أو قال : رُوحِي فَإِنَّا غَادُونَ . وهذا مثل قول لبید :
وإنا وإخواننا لنا قد نتابعوا * لكالمغتدى والرائح المتهجر^(١)

بلغني عن وكيع عن شريك عن منصور عن هلال بن إساف قال : ما من
مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التي يموت فيها . قال الأصمعي : أول
شعر قيل في ذم الدنيا قول ابن خنّاق^(٢) :

هل للفقى من بنات الدهر من راقى * أم هل له من حمام الموت من واقى
قد رجّلوني وما رجّلتُ من شعث * وألبسوني ثيابا غير أخلاق
وطيّبوني وقالوا أيما رجل * وأدرجونى كأني طيّ مخراق^(٣)
هون عليك ولا تؤلّع بإشفاق * فإنما مالنا للوارث الباقي

محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عمير قال : جاء رجل الى النبي عليه السلام
فقال : يا نبي الله ، مالي لا أحب الموت ؟ فقال له : «هل لك مال» ؟ قال : نعم ، قال :
«قدمه بين يديك» ، قال : لا أطيق ذلك ، قال : فقال النبي عليه السلام : «إن المرء
مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به وإن أخره أحب أن يتخلف معه» .

المحاربي عن عبد الملك بن عمير قال : قيل للربيع بن خيثم في مرضه : ألا
ندعوك طبيبا ؟ قال : أنظروني بأثم فكر فقال : (وعادًا وممودًا وأصحاب الرّسّ وقُرُوءًا

(١) كذا في ديوان لبید ، وفي الأصل «المتبجر» بالباء وهو تحريف . (٢) كذا في كتاب
الأوائل لأبي هلال العسكري والقاموس وشرحه مادة «خنق» وفي الأصل «حلاق» وهو تحريف .
(٣) مخراق : ثوب أو منديل يلف ويضرب به .

بينَ ذلكَ كثيراً) قد كانت فيهم أطباءُ، فما أرى المداوى بقيَ ولا المداوى؛ هلك
الناعتُ والمنعوتُ له، لا تدعوا لى طيبيا .

إسحاق بن سليمان عن أبي أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له هجيري^(١)
إلا أن يقول :

٥ تُسَرُّ بِمَا يَبْلَى وَتَفْرَحُ بِالْمَسْنَى * كَمَا اغْتَرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالُمٌ
نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ * وَلَيْسُ لَكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ
وَسَعِيكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّةٌ * كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ

كم من مستقيل يومًا ليس بمستكمله ، ومتنظير غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم
الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

١٠ لَا يَلِيْثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا * لَيْلٌ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن وُرد عن سالم بن بشير
ابن حَجَل عن أبي هريرة : أنه بكى في مرضه فقال : أَمَا إِنِّي لَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ
وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى بَعْدِ سَفَرِي وَقَلَّةِ زَادِي ، وَأَنِّي أَمْسَيْتُ فِي صُعُودٍ مَهِيْطَةٍ عَلَى جَنَّةٍ
أَوْ نَارٍ، وَلَا أَدْرِي عَلَى أَيِّمَا يُؤْخَذُ بِي ! .

١٥ أَبُو جَنَابٍ قَالَ : لَمَّا احْتَضَرَ مَعَاذُ قَالَ لِجَارِيَتِهِ : وَيْحَكَ ! هَلْ أَصْبَحْنَا ؟
قَالَتْ : لَا ، ثُمَّ تَرَكَهَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لَهَا : انظُرِي ! فَقَالَتْ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : أَعُوْذُ بِاللَّهِ
مِنْ صَبَاحِ الْيَوْمِ ! ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ ، مَرْحَبًا بِزَائِرِجَاءِ عَلَى فَاقَةٍ ، لَا أَفْلَحُ
مَنْ نَدِمَ ! اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَتَى لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا لِكُرَى الْأَنْهَارِ وَلَا لَغُرْسِ
الْأَشْجَارِ ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَحَبُّ الْبَقَاءِ لِمُكَابَدَةِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ وَلِظُلْمِ الْهَوَاجِرِ فِي الْحَرِّ
الشَّدِيدِ وَلِمَزَاحِمَةِ الْعِلْمَاءِ بِالرَّكَبِ فِي حَقِّ الدِّكْرِ .

أبو اليقظان قال : لما احتضر عمرو بن العاص جعل يده في موضع الغل من عنقه ثم قال : اللهم إنيك أمرتني ففرطنا، ونهيتنا فركبنا ، اللهم إنه لا يسعنا إلا رحمتك ، فلم يزل ذلك هجيراه حتى قبض .

٥ قيل لأزاد مررد بن الهريذ حين احتضر : ما حالك ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد، ويتزل حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس ، ويقدم على ملك جبار قد قدم اليه العذر بلا حجة !

١٠ حدثني عبدة الصفار قال حدثني العلاء بن الفضل قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه قال : سمعتُ أمية بن أبي الصلت عند وفاته وأغمى عليه طويلا ثم أفاق، ورفع رأسه الى سقف البيت وقال : ليكما ليكما، هأنذا لديكما ، لا عسيري تجميني ، ولا مالي يفديني ، ثم أغمى عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كل عيش وإن تظاول دهرًا * صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في رؤوس الجبال أرمي الوعولا
ثم فاضت نفسه .

١٥ الحكم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهم إن كنت تعلم أني قد ارتكبتُ الأمور العظام جرأةً مني عليك ، فإنك تعلم أني قد أظعنك في أحب الأشياء اليك شهادة أن لا إله إلا أنت ، منّا منك لا منّا عليك . وكان سبب إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائما ، فأتاه آت في منامه فقال :

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة في اللغة الفارسية "آزاد" بالذال المهملة فاعل ما في الأصل

كأني بهذا القصر قد بادَ أهله * وعُرِّي منه أهله ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعد نعمة * إلى جدِّ تَبْنَى عليه جناذُه
فلم يبق إلا رسمُه وحديثُه * تَبْكِي^(١) عليه مَعُولَاتٍ حلائِلُه
فأستيقظ مرعوباً ثم نام فأناه الآتي فقال :

• أبا جعفرٍ حانت وفاتك وانقضت * سُنُوكَ وأمرُ الله لا بدَّ واقعُ
فهل كاهنٌ أعددتَه أو منجمٌ * أبا جعفرٍ عنك المنيَّةُ دافعُ
فقال : يا ربيع ائتني بطهورى ، فقام واغتسل وصلى ولبَّى وتجهَّز للبعث ، فلما
صار في الثلث الأول اشتدَّت علَّته ، فجعل يقول : يا ربيع أَلْقِنِي في حرم الله ،
فمات بئر ميمون^(٢) .

١٠ حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال : قال
الربيع بن بزة : كنت بالشام فسمعتُ رجلاً وهو في الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ،
فقال : اشرب واسقني . ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال :
ده يا زده وده دوازده . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا إله إلا الله ، فقال :
يارب قائلة يوماً وقد لَغِبْتُ * كيف الطريقُ إلى حَمَامٍ منجَابٍ^(٤)

١٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معمر عن أبيه قال : لقن مَيْتَكَ ، فإذا
قالها فدعه يتكلم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضَجِرْهُ .

(١) تَبْكِي (بالشديد) : مثل تَبْكِي بالتخفيف . (٢) بئر ميمون : بمكة منسوبة إلى ميمون

ابن خالد بن عامر بن الحضري . (٣) هذه كلمات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر

ومعنى الثانية عشرة اثنا عشر . وهي كلمات أبرها على لسانه هذيان الاحتضار . (٤) حمام

منجَاب (بكسر الميم) : ينسب إلى منجَاب بن راشد الضبي . ٢٠

قال مالك بن ضيغم : لما احتضر أبي قلنا له : ألا تُوصي ؟ قال : بلى ،
أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنه ويعقوبُ : ((يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)) وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما استطعتم
من المعروف ، وادفونوني مع المساكين .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه ^(١) : كيف تجِدُكَ ؟ قال : في الموت ؛ قال :
لأن تكونَ في ميزاني أحبَّ إليَّ من أن أكونَ في ميزانك ، قال : وأنا والله لأن
يكون ما تُحِبُّ أحبَّ إليَّ من أن يكون ما أُحِبُّ .

احتضر سيبويه النحوي فوضع رأسه في حجر أخيه ففطرت قطرةٌ من دموع
أخيه على خده ، فأفاق من غشيته وقال :

أُخِينِ كَمَا فَتَرَكَ الدَّهْرَ بَيْنَنَا * إِلَى الْأَمَدِ الْآخِصِ وَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَ !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : قيل لهرم بن حبان :
أوص ؛ فقال : قد صدقتني نفسي في الحياة ، مالى شيء أُوصي فيه ، ولكن أُوصيكم
بخواتيم سورة النحل .

قال الشاعر :

مَا ارْتَدَّ طَرْفُ امْرِئٍ بِلِحْظَتِهِ * إِلَّا وَشَيْءٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

وقال آخر :

المرء يشقى بما يسعى لوارثه * والقبر وارث ما يسعى له الرجلُ

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حيان
التيمي عن أبيه قال : أوصى الربيع بن خيثم وأشهد على نفسه وكفى بالله شهيدا

(١) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً : إني رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً ، وأوصي نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العابدin ويحمده في الحامدين وينصح جماعة المسلمين ؛ وأوصي أهله : ألا تُشعروا بي أحداً وسُئِلوني الى ربّي سَلاً .

- ٥ . حدّثني محمد بن أحمد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجرى يقول :
لما مات ذر بن عمر بن ذر قال لأصحابه : الآن يضع الشيخ (لأنه كان به باراً) ؛
فسمعها الشيخ فقال : أتى أضيعُ واللهُ حيٌّ لا يموت ! فلما واره التراب وقف على
قبره وقال : رحمك الله يا ذر ! ما علينا بعدك من خصاصةٍ وما بنا الى أحدٍ مع الله
حاجةٌ ، وما يسرّنى أنى كنت المقدمَ قبلك ، ولولا هولُ المطلع لمتيتُ أن أكون
مكانك ، لقد شغلنى الحزنُ لك عن الحزنِ عليك ، فياليت شعرى ما ذا قلتُ
وما قيل لك ! ثم رفع رأسه الى السماء فقال : اللهم إنى قد وهبتُ حقّ فيا بينى وبينه
له ، فهبْ حقك فيا بينك وبينه له . ثم قال عند انصرافه : مضينا وتركناك ،
ولو أقمنا ما نفعناك .

- ١٥ . حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا شريح بن النعمان عن عبد العزيز بن أبى سلمة
الماجشون عن عبد الواحد بن أبى عون عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله
عنها أنها قالت : « توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بألبالٍ الراسياتِ
ما نزل بأبى لهاضها ، إشرابُ النفاق بالمدينة وارتدت العربُ ، فوالله ما اختلفوا
في نقطة إلا طار أبى بحظها وغنائها ^(١) فى الإسلام » . وكانت مع هذا تقول : « من
رأى عمر بن الخطاب عرف أنه خُلِقَ غناءً للإسلام ، كان والله أحوزياً ^(٢) نسيجاً

(١) فى الأصل : « وغناها » . (٢) الأحوزى : الحسن السياق للا مورو فيه بعض النصار .

وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها». وقالت عند قبره : «رحمك الله يا أبت! لقد قتت بالدين حين وهي شعبة وتفارق صدعه ورجفت جوانبه، إقبضت ما أصغوا إليه، وشمرت فيما ونوا فيه واستخففت من دنياك ما استوطنوا وصغرت منها ما عظموا ورعيت دينك فيما أغفلوا، أطلوا عنان الأمن واقتعدت مطي الحذر، ولم تهضم دينك ولم تشن غذك ففاز عند المساهمة قدحك وخف مما استوزروا ظهرك». وقالت أيضا عند قبره : «نضر الله وجهك يا أبت! فلقد كنت للدنيا مديلا بإدبارك عنها، وللآخرة معزا بإقبالك عليها، ولئن كان أجل الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب فقدك إن كتاب الله ليعد بجمل العزاء عند أحسن العوض منك، فانا أتنجز من الله موعوده فيك بالصبر عليك، وأستعصم منك بالاستغفار لك، عليك سلام الله ورحمته، توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك».

قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن : «رحمك الله أبا محمد! إن كنت لتباصر الحق مظانه، وتؤثر الله عند تداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية، وتستشف جليل معاطم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يدا طاهرة الأطراف نقية الأسرة، وتردع بادرة غريب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرو وأنت ابن

(١) وهي شعبة : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا إليه : مالوا إليه . (٣) شمر : جد .

وفي الاصل : «سموت» وهو تحريف ، اذا ما بعده بعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالاصل .

(٥) الذي في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : «ان كتاب الله ليعد بحسن

الصبر فيك وحسن العوض منك» . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل ،

ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بين أيدينا، فلعلها «عند مداحض الباطل» جمع «مدحضة»

كزلة وزنا ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهي الخطوط التي تبدو في ظاهر اليد

والجبهة .

سلالة النبوة ورضيع لبان الحكمة؛ فإلى رَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَجَنَّةٍ نعيم؛ أعظمَ الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأسى عنه» .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين السعيدى عن محمد بن مُصعب : أن ابن السماك قال يوم مات داود الطائى فى كلامٍ له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه الى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر ، فاتم منه تعجبون وهو منكم يعجب ، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بجهلها قلوبكم استوحش منكم ، فكنتُ اذا نظرتُ اليه نظرتُ [الى] حَيٍّ وسطَ أمواتٍ . يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ! أهنت نفسك وانما تريد إكرامها ، وأتعبتها وانما تريد راحتها ، أخشنتَ المطعمَ وانما تريد طيبه وأخشنتَ الملبسَ وانما تريد لينه ، ثم أمتتَ نفسك قبل أن تموتَ ، وقبرتَها قبل أن تُقبرَ ، وعدَّبتها ولما تُعذبُ ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكرَ ، رغبتَ نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدراً الى الآخرة ، فما أظنك إلا وقد ظفرت بما طالبت ؛ كان سيماك فى سرك ولم يكن سيماك فى علانيتك ، تفقَّهتَ فى دينك وتركْتَ الناس يُغنون ، وسمعتَ الحديثَ وتركْتهم يُحدِّثون ، وخرستَ عن القول وتركْتهم ينطقون ، لا تحسُدُ الأخيارَ ، ولا تعيبُ الأشرارَ ، ولا تقبل من السلطان عطيةً ، ولا من الإخوان هديةً ؛ آنسُ ما تكون اذا كنتَ بالله خالياً ، وأوحشُ ما تكون آنسُ ما يكون الناس ؛ فمن سمعَ بمثلِكَ وصبرَ صبرَكَ وعزَمَ عزَمَكَ ! لا أحسبك الا وقد أتعبت العابدين بعدكَ ، سجنَتَ نفسك فى بيتك فلا مُحَدِّثَ لك ولا جليسَ معك ولا فراشَ تحتك ولا سترَ على بابك

٢٠ (١) الأسى (بضم الـاول ويكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضاً) وهى ما يتعزى به .

(٢) فى الأصل «ولما أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «ولما» وليس هذا من مواضع زيادتها .

وَلَا قَلَّةٌ يُبَرَّدُ فِيهَا مَأْوُكَ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ ، مِطْهَرَتُكَ قَلْبُكَ
وَقَضَمَتُكَ تَوَرُّكَ . داود ما كنت تشتهي من الماء باردَه ولا من الطعام
طيبَه ولا من اللباس لينَه ، بلى ! ولكن زهدت فيه لما بين يديك ؛ فما أصغرَ
ما بذلت ، وما أحقرَ ما تركت في جنب ما أملت ، فلما مِتَّ شَهَرَكَ رَبُّكَ بموتك ،
وَأَلْبَسَكَ رداءَ عملك ، وأكثرَ تبعَكَ ، فلورأيت من حضرك عرفت أن ربَّكَ
قد أكرمك وشرفك ، فلتتكلَّم اليومَ عشيرتُكَ بكلِّ ألسنتها ، فقد أوضحَ ربُّكَ فضلها
بك ، ووالله لو لم يدعُ عبدا إلى خيرٍ بعمله إلا حُسْنُ هذا النَّسْرِ من كثرة هذا التَّبَعِ ،
لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يُضَيِّعُ مُطِيعا ولا يَنسِي صَنِيعا شاكرا ومُثِيبا .

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ،
لحقق رجائي وآمن خوفي .

مات ابنُ لَأَنَسَ بن مالك فقال أَنَسُ عند قبره : اللهم عبدك وولدُ عبدك
وقد رُدَّ إليك ، فارأف به وارحمه ، وجافِ الأرضَ عن بدنه ، وافتح أبوابَ السماء
لرُوحه وتقبَّلْه بقبولِ حَسَنِ . ثم رجع فأكل وشرب وأدهن وأصاب من أهله .
وقال جرير في امرأته :

لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا * لَيْلٌ يَكُورُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُحْيَرُوا * وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

وقفت أعرابية على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالك لعريسك ، ولا همك
لنفسك ، وما كنت إلا كما قال القائل :

رَحِيبُ الذَّرَاعِ بِالتَّى لَا تَسِينُهُ * وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعَا

حدثني محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال : كان سفيان بن عيينة يستحسن شعر عدي بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الأسرة والأذن * حاطأفصت الى التراب الحدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطبأء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوهم والدود^(١)
وصحيح أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للوت من يعود

أخذه على بن الجهم فقال :

كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود

- ١٠ حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن عمير عن ربيعي بن حراش قال : أتيت أهل فقيلى : مات أخوك ، فوجدت أخي مسجى عليه بثوب ، فأنا عند رأسه أترحم عليه وأدعوه إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، قتلنا : وعليك السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان ، وكساني ثيابا من سندس وإستبرق ، وإني وجدت الأمر أيسر مما تظنون .
ولا تتكلموا ؛ إني استأذنت ربي أن أخبركم وأبشركم ، إحملوني الى رسول الله ، فقد عهد إلي ألا أبرح حتى ألقاه ثم طفي^(٢) .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مطرفا كان يسدو على دابته بين المقام فأغفى فإذا أهل القبور جلوس على

٢٠ (١) السعوط : الدواء الذي يؤخذ من الأنف ، والدود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء بالمسعط ويصب في أحد شقي الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدو .

(١) شَفَاهُ قُبُورَهُمْ يَقُولُونَ : هَذَا مُطَرَّفٌ يَرْوِجُ إِلَى الْجُمُعَةِ ؛ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَمَا تَقُولُ الطَّيْرُ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ ، يَقُولُونَ : سَلَامٌ ، يَوْمٌ صَالِحٌ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ تَجْرِيَ الْعَيْنُ الَّتِي حَفَرَهَا — قَالَ سُفْيَانُ : تُسَمَّى عَيْنَ أَبِي زِيَادٍ — نَادَوْا بِالْمَدِينَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَأْتِ قَتِيلَهُ ؛ قَالَ جَابِرٌ : فَأَتَيْنَاهُمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ رَطَابًا يَتَتَوْنَ ، وَأَصَابَتِ الْمِسْحَاةَ رَجُلٌ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَانْفَطَرَتْ دَمًا . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : لَا يُنْكِرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرٌ أَبَدًا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : أَهْلُ الْقُبُورِ يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ^(٣) فَإِذَا أَتَاهُمُ الْمَيِّتُ سَأَلُوهُ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ فَيَقُولُ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ ! فَيَقُولُونَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، سَلِّكَ بِهِ غَيْرُ سَبِيلِنَا .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَبْدِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ السَّائِحُ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ قَالَ : شَهِدْتُ نَابِتَا الْبُنَّانِيَّ يَوْمَ مَاتَ وَشَهِدَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلْتُ قَبْرَهُ أَنَا وَحُمَيْدُ الطَّوِيلُ وَأَبُو جَعْفَرٍ حَسَنٌ مِمَّا بَلَى رَأْسَهُ فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَسْوَى عَلَيْهِ اللَّيْنَةَ سَقَطَتْ مِنْ يَدِي فَلَمْ أَرْ فِي اللَّحْدِ أَحَدًا ، وَأَصْنَى إِلَى حُمَيْدٍ أَنْ اخْتِطَفَ صَاحِبُنَا وَضَعَ النَّاسُ فُسُؤَيْنَا عَلَى اللَّحْدِ وَحَثُّنَا التُّرَابَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِحُمَيْدِ هِمَّةً حَتَّى أَتَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : مَا يُنْكِرُ لَكَ قُدْرَةً ! إِلَّا أَنِّي أَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا يَفْعَلُ هَذَا بِهِ ، فَهَلْ عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ قَالَ :

(١) كذا بالأصل ، ولعل أصله « أشفاء » جمع شفا أى حرف . (٢) انقطرت دما : سالت

دما ، يقال انقطرت قدم فلان أو أصعبه دما أى سالت وفي الأصل : « انقطرت » بالقاف ولم نجد

في كتب اللغة التي بأيدينا صيغة انفعل من قطر . (٣) يتوكلون الأخبار : ينتظرونها ويسألون عنها .

نعم، الربيع بن صبيح وحسن؛ قال : عدلان مرضيان، فبعث أمتاء جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه في قبره .

وحدثني أيضا عن أعرابية كان يُقال لها أم غسان مكفوفة وكانت تعيش بمغزلها وتقول : الحمد لله على ما قضى وارتضى، رضيتُ من الله ما رضى لي ، وأستعينُ الله على بيت ضيق الفناء قليل الكواء^(١) وأستعين الله على ما يطالع من نواحيه . وماتت جارة لها فقيل لها : ما فعلت جارتك ؟ فقالت :

تقسم جارائها بئها * وصارت الى بيتها الأتلد

وقالت يوما : إن تقبل الله مني صلاة لم يعدني، فقيل لها : كيف ذلك ؟ قالت : لأن الله عز وجل لا يثني في رحمته وحلمه، قال : وكنتُ سمعتُ حديثَ معاذ «من كُتِبَتْ له حسنةٌ دخل الجنة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعتُ أم غسان تقول ١٠ هذا، فعرفت تأويله :

الكبر والمشيب

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطية عن شهر ابن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَنْ شاب شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَمْ يَخْضِبْهَا ١٥ أَوْ يَنْتَفِهَا» .

أبو حاتم عن الأصمعي عن شيخ من بني فزارة قال : مررتُ بالبادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على شفيرِ قبرٍ، وإذا في القبور رجالٌ كأنهم الرماح يدفنون رجالاً والشيخ يقول :

(١) الكواء : جمع كتوة وهي الخرق في الخائط .

أُحْثُوا عَلَى الدَّيْسَمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * قَدَمَا أَبَى رَبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى ^(١)

فقلت له : مَنْ المَيْتُ؟ فقال : ابْنِي، فقلت له : مَنْ الذين يَدْفِنُونَهُ؟ قال :
بنوه .

حدثنا أبو عبد الرحمن قال : دخل يونس بن حبيب المسجد يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ ^(٢)
مِنَ الْكِبَرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَتَّبِعُهُ عَلَى مَوَدَّتِهِ : بَلَّغْتَ مَا أَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ !
قال : هُوَ مَا تَرَى فَلَا بَلَّغَتَهُ . ونحوه قولُ الشاعر :
* يَا عَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغَتَهُ *

ويقال في الزبور : « مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ » . وقال محمد بن حَسَّانَ
النَّبِيطِيُّ : لَا تَسْأَلْ نَفْسَكَ الْعَامَ مَا أُعْطَيْتَكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي .

رَأَى ضَرَارَ بْنَ عَمْرِو الضَّبِّيَّ لَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ ذِكْرًا قَدْ بَلَغُوا فَقَالَ : مِنْ سِرِّهِ بَنُوهُ
سَاءَتْهُ نَفْسُهُ .

قال ابن أبي فَنَيْنٍ :

مَنْ عَاشَ أَخْلَقْتَ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ * وَخَانَهُ الثَّقَتَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
قَالَتْ عَهْدُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بَرُّهُ الْكِبَرُ

أَبُو عَيْبَةَ قَالَ : قِيلَ لَشَيْخٍ : مَا بَقِيَ مِنْكَ؟ قَالَ : يَسْقُنِي مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ ،
وَيُدْرِكُنِي مَنْ خَلْفِي ، وَأَنْسَى الْحَدِيثَ ، وَأَذْكُرُ الْقَدِيمَ ، وَأَنْعَسُ فِي الْمَلَا ، وَأَسْهَرُ
فِي الْخَلَا ، وَإِذَا قُمْتُ قُرْبَ بَيْتِ الْأَرْضِ مَنِي ، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَدْتُ عَنِّي ، قَالَ الشَّاعِرُ :
قَالَتْ عَهْدُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بَرُّهُ الْكِبَرُ

(١) كذا بالأصل وجاء هذا البيت في اللسان مادة « دسم » هكذا

أخشي على ديسم من برد الثرى * أبي قضا الله إلا ما ترى

(٢) بالبناء للفعول أى يمشى بينهما معتمدا عليهما للضعفه .

قال عبد الملك بن مروان للُريّان بن الهيثم : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : أَجِدُنِي
قد أَبْيَضَ مِنِّي ما كُنْتُ أُحِبُّ أَبْنِيسُودَ واسودَّ مِنِّي ما كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَبْيَضَ
واشتدَّ مِنِّي ما أُحِبُّ أَنْ يَلِينُ ولانَ مِنِّي ما أُحِبُّ أَنْ يَشْتَدَّ وقال :

سَلْنِي أَتَيْتُكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ * نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسُعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ * وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وسرعة الطرفِ وتَجَمُّعُ النَّظَرِ ^(١) * وَتَرْكُ الْحَسَنَاءِ فِي قُبُلِ الطُّهَرِ
* وَالنَّاسُ يَتَلَوْنَ كَمَا تَهَلَّى الشَّجَرُ *

وقال حميد بن ثور :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَاجَى بَعْدَ صَحَّةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وقال الكيث :

لَا تَغْطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ * أَمْسَى فَلَانٌ لَيْسَتْهُ حَكَمًا
إِنْ سَرَّ طَوَّلَ عَمْرَهُ فَلَقَدْ * أَصْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوَّلَ مَا سَلَمَا

وقال البر بن تَوَلَّب :

يَوَدُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْفَتَى * فَكَيْفَ تُرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

(١) التَّحْمِيجُ : تصغير العين لتمكينها من النظر ، ويقال على إدامة النظر مع فتح العينين ، وهكذا ذكره
الأزهري والجوهري وغيرهما بإحالة المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها ، وفي الأصل : « تَجْمِجُ »
بتقديم الجيم وتأخير الحاء ، وهو موافق لما رواه ابن الأثير في حديث عمر بن عبد العزيز « فطلق يجمع إلى
الشاهد النظر » ثم قال : هكذا ورد في كتاب أبي موسى وكأنه والله أعلم سهو . وقال الزنجشري : هي لغة
في التَّحْمِيجِ (انظر اللسان مادتي جمع وجمع) .

وقال آخر :

كانت فتاتي لا تَلِينُ لغامز * فالأنها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربِّي بالسلامة جاهدا * لِيُصَحِّني ^(١) فإذا السَّلامةُ داءُ

وقال أبو العنابية :

* أَسْرَعَ في نقصِ امرئٍ تَمَامُهُ *

وقال عبد الحميد الكاتب :

تَرَحَّلَ ما ليس بالقافل ^(٢) * وأَعْقَبَ ما ليس بالآئِلِ
فلَهْنِي من الخَلَفِ النازل * ولَهْنِي على السلفِ الراحلِ
أُبْكِي على ذا وأبْكِي لذا * بكاءَ المولمةِ الناكلِ
تُبْكِي من أبْنِ لها قاطِعٍ * وتُبْكِي على أبْنِ لها واصلِ
تَقْضَتْ غَوَايَا سُكْرَ الضبا * وَرَدَّ التُّقَى عِنْدَ الباطلِ

محمد بن سلام الجُمَحِيُّ عن عبد القاهر بن السرى قال : كتب المجاج الى قتيبة
ابن مسلم : إني نظرتُ في سنِّكَ فوجدتُكَ لِدَتِي ^(٣) وقد بلغت الخمسين وإنَّ امرأً
سار الى منهل خمسين عاما لقريبٌ منه . فسمع به المجاج بن يوسف التيمي فقال :

إذا كانت السبعون سِنِّكَ لم يكن * لدائك إلا أن تموتَ طيبُ
وإنَّ امرأً قد سار سبعين حِجَّةً * الى منهل من وَرَدَه لقريبُ
إذا ما خلوتَ الدهر يوما فلا تقل * خلوتُ ولكن قل على رقيبُ
إذا ما أَتَقَضَى القَرْنُ الذي أنتَ منهم * وَخُلِّقْتَ في قَرْنٍ فأنتَ غريبُ

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : « لينجني » . (٢) في الأصل « رحل » .

ولا يستقيم معه الوزن . (٣) لدة الرجل : تربه .

وقال لبید :

أليس ورأى إن تراخت منيتي * لزومُ العصا تُحْنِي عليها الأصابعُ
أخبر أخبارَ القرونِ التي مضت * أدبَ كَأَنِّي كَلَّمَا قَتُّ رَاكِعُ

وقال آخر في مثله :

حنفني حانِيَاتُ الدهرِ حتَّى ^(١) * كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ

وقيل لرجل من الحكماء : مالك تُدْمِنُ إمساكَ العصا ولست بكبير ولا مريض؟

فقال : لأذكرك أني مسافر؛ قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعْفُ أوجبَ حملها * على ولا أني تحنيتُ من كِبَرٍ
ولكنني ألزمتُ نفسي حملها * لأعلمَها أن المقيمَ على سَفَرٍ

ومرَّ شيخ من العرب بغلام فقال له الغلام : أحصدتَ يا عمّاه فقال : يا بني ^(٢)

وتُحْتَصِّدُونَ .

قال الحسنُ في موعظة له : يا معشرَ الشيوخ ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصنع به ؟ قالوا :

يُحْصَدُ . يا معشرَ الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفةٌ ، قال الشاعر ^(٣) :

الدهرُ أبْلَانِي وما أبلَيْتُهُ * والدهرُ غَيْرَنِي وما يَتَغَيَّرُ

والدهرُ قَيْدَنِي بخَيْطِ مَبْرَمٍ * فمَشَيْتُ فِيهِ وَكَلَّ يَوْمٌ يَقْصُرُ ^(٤)

(١) كذا في اللسان مادة «ختل» وفي الأصل «نائبات» . (٢) كذا في اللسان مادة

ختل وفي الأصل «حابل» . (٣) أحصدت : آن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل :

وهذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بينها وبين الجملة التي قبلها وبين المزاد

«ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن عَقِيل :

وأدركتُ مِلءَ الأرضِ ناساً فأصبحوا * كأهلِ الدِّيارِ قَوْضُوا فَتَحَمَّلُوا
وما نحنُ إِلَّا رُفْقَةٌ قد تَرَحَّلْتُ * وأخرى تُقَضِّي حاجَها وتَرَحَّلُ

ذكر أعرابيُّ الشَّيبَ فقال : والله لقد كنتُ أنكرُ الشعرةَ البيضاءَ فقد صرْتُ
أنكرُ السوداءِ ، فياخيرَ بَدَلٍ وياشرَّ مَبْدُولٍ . وقال بعضُ الشعراءِ :

شاب رأسي وما رأيتُ مشيبَ الـ ^(١) أس إِلَّا من فضلِ شيبِ الفؤادِ
وكذاك القلوبُ في كلِّ بؤسٍ * ونعيمِ طلائعِ الأجسادِ
طال إنكارِي البياضَ فإن عُمَةً ^(٢) برتُ شيئاً أنكرتُ لونَ السوداءِ

رأى إياس بن قتادة شعرةَ بيضاءَ في لحيته ، فقال : أرى الموتَ يطلبني وأراني
لا أفوته ، أعوذ بك ياربَّ من فجاءاتِ الأمور ، يا بني سعد قد وهبتُ لكم شبابي
فهبوا لي شيبتي ، ولزم بيتي .

قال قيس بن عاصم : الشيبُ خطامُ المنية .

قال آخر : الشيبُ بریدُ الحمام .

قال آخر : الشيبُ آتومُ الموت .

قال آخر : الشيبُ تاريخُ الموت .

قال آخر : الشيبُ أولُ مراحلِ الموت .

قال آخر : الشيبُ تمهيدُ الحمام .

قال آخر : الشيبُ عنوانُ الكبر .

(١) كذا في الأصل : وهذا يوافق قول أبي عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه

كما في اللسان مادة «بدل» دليل على أن بدل متعة ، وفي العقد الفريد : «مبدل» .

قال عبيد بن الأبرص : * والشَّيبُ شَيْنٌ لِمَن يَشِيبُ * . ويقال : شَيْبَ
الشَّعْرَ مَوْتُ الشَّعْرَاءِ وَمَوْتُ الشَّعْرِ عِلَّةُ مَوْتِ الْبَشَرِ . قال الشاعر :

وكان الشباب الغضُّ لى فيه لَذَّةٌ * فوقَّرنى عنه المشيبُ وأدبا
فَسَقِيًّا ورَعِيًّا للشَّبابِ الذى مضى * وأهلاً وسهلاً بالمشيبِ ومرحبا

وقال أعرابيٌّ - ويقال هى لأبى دُلْفٍ - :

فى كل يومٍ من الأيام نَابِثَةٌ * كأنما نَبَتْ فيه على بَصْرِى
لئن قَرَضْتُكَ بالمقراضِ عن بَصْرِى * لما قَرَضْتُكَ عن هَمِّى ولا لِكْرِى

وقال أعرابيٌّ :

أرى الشَّيبَ مَذْجَاوِزُتُ نَحْسِينِ دَائِبًا * يَدَبُ دَيْبَ الصَّبْحِ فى غَسَقِ الظُّلَمِ
هو السُّمُّ إلا أنه غَيْرُ مُؤْلِمٍ * ولم أَرِ مَثَلَ الشَّيبِ سُمًّا بلا أَلَمٍ

وقال آخر :

قَصَرَ الْحَوَادِثُ خَطْوَهُ فَتَدَانِى * وَحَتَّى صَدَرَ قَنَاتِهِ لَفَتَا نِى
صَحْبَ الزَّمَانِ عَلَى اخْتِلَافِ فُنُونِهِ * فَأَرَاهُ مِنْهُ شِدَّةً وَلَيَانًا
مَا بَالُ شَيْخٍ قَدْ تَخَدَّعَ لِحُمِهِ * أَنْضَى^(١) ثَلَاثَ عِمَائِمِ الْوَانِ
هُودَاءَ دَاجِيَةً وَصَحَقَ مُقَوِّفٍ^(٢) * وَأَجَدُ أُخْرَى بَعْدَ ذَلِكَ هِجَانًا^(٣)
مِمَّ الْمَهَاكُ وَرَاءَ ذَلِكَ كَلَّةٌ * وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَلِكَ مِسْوَانًا

وقال آخر يذكر الشباب :

لما مضى طَائِعَانًا عَنَّا فَوَدَّعْنَا * وَكَانَ كَالْمَيْتِ لَمْ يَحْتَرِكْ لَهُ عَقَبَا
عُدْنَا إِلَى حَالَةٍ لَا نَسْتَطِيعُ لَهَا * وَصَلَ الْغَوَايِ وَعَابَ الشَّيْبَ مِنْ لَبَا

٢٠ (١) أنضى : أبلى وأخلق . (٢) السحق : الثوب البالى ، والمقوف من البرود ما فيه خطوط

بيض . (٣) الهجان : الخالط البياض :

وقال محمود الوزاق :

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجْلِ * وَبُعِدِ فَوَاتِ الْأَمَلِ
وَوَافِدِ شَيْبِ طَرَا * بِعُقْبِ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابٍ كَأَن لَّمْ يَكُنْ * وَشَيْبٍ كَأَن لَّمْ يَزَلْ
طَوَاكَ^(١) بِشَيْرِ الْبَقَا * وَجَاءَ بِشَيْرِ الْأَجْلِ
طَوَى صَاحِبٍ صَاحِبًا * كَذَاكَ انْتِقَالَ الدُّوَلِ

وقال أبو الأسود يذم الشباب :

غَدَا مِنْكَ أَسْبَابُ الشَّبَابِ فَاسْرِعَا * وَكَانَ بَكَارِ بَانَ يَوْمًا فَوَدَّعَا
فَقُلْتُ لَهُ فَادْهَبْ ذَمِيمًا فَلَيْتَنِي * قَتَلْتُكَ عِلْمًا قَبِيلَ أَنْ تُتَصَدَّعَا
جَنَيْتَ عَلَى الذَّنْبِ ثُمَّ خَذَلْتَنِي * عَلَيْهِ فَبُئْسَ الْخِلَّتَانِ هُمَا مَعَا
وَكُنْتَ سَرَابًا مَا ضَحَّحَا إِذْ تَرَكْتَنِي * رَهِينَةً مَا أَجْنَى مِنَ الشَّرِّ أَجْمَعَا

وقال آخر :

اسْتَنْكَرْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا * لَيْسَ الْمَشَيْبُ بِنَاقِصٍ عُمْرِي
وَتَتَفَسَّسَتْ بِي هِمَّةٌ وَصَلَتْ * أُمْلِي بِكُلِّ رَفِيعَةٍ الذِّكْرِ

روى عبد الله بن حفص الطاحي عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدي عن أبيه
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اخْضِبُوا بالسَّوَادِ ، فَانْهَ أَنْسُ لِلنِّسَاءِ وَهَيْبَةً
لِلْعَدُوِّ . قال عمر بن المبارك الخزاعي .

مَنْ لَا تُذْنِي بِمَلَامٍ * وَلِيَكْفِي بِمَدَامٍ
دَقَّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنِّي * وَأَنْتَنِي شَنْ عُرَامِي^(٣)

(١) طواك : جاوزك . (٢) ما ضححا : ما بدا وظهر . (٣) كذا في الأصل ، ومن
المحتمل أن يكون : "رائنتي سن عرامي" والعرام : الشدة والقوة .

وَتَمَشَى الْقَدُّ مِنْ شَيْدٍ * جِي إِلَى الشَّيْبِ التَّوَامِ^(١)
نَظَمَكَ الدَّرَّ إِلَى الدَّرَّةِ * فِي سِلْكِ النَّظَامِ

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبِ * وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِدَاعِي الْمُنُونِ * فَكُلَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
وَقِيلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبِ * فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ * فَكَيْفَ تَرَى حَال مَنْ لَا يَتُوبُ

محمد بن سلام قال : سمعتُ يونسَ بنَ حبيبٍ يقول : لَا يَأْمَنُ مَنْ قَطَعَ
فِي نَحْسَةِ دِرَاهِمٍ خَيْرَ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَكُونَ عِقَابُهُ هَكَذَا غَدًا .

الدينيا

حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثني جدي نحاش عن أنس بن مالك قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ وَسَدَّمَهُ نَزَعُ^(٢) اللَّهِ
الْغَنَى مِنْ قَلْبِهِ ، وَصِيرَ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ
أَصْبَحَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ وَسَدَّمَهُ نَزَعُ اللَّهِ الْفَقْرَ مِنْ قَلْبِهِ وَصِيرَ الْغَنَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأُتِنَتْهُ
الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع عن حماد عن علي بن زيد عن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحَّاك بن سفيان : « مَا طَعَامُكَ » قال :
الْخُبْزُ وَاللَّبَنُ ، قال : « ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَاذَا » قال : ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ ، قال :

(١) التَّوَام : جمع توأم ، وأصله المولود مع غيره في بطن ، ويستمار للزوجات كما وقع في هذا البيت .

(٢) السدَم : اللهجة والولوع بالشئ .

« فَإِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَا يُخْرَجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا » قال : وكان بشيرُ بنُ كعبٍ يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتى أرىكم الدنيا ، فيجىء فيقف بهم على السوق ، وهي يومئذ مَرَبَّلَةٌ ، فيقول : انظروا إلى عسلهم وسمهم وإلى دجاجهم وبطهم صار إلى ما ترون .

حدثني هارون بن موسى قال حدثنا محمد بن سعيد الفزوي عن عمرو بن أبي قيس ^(١) عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فقال : « إذا دخل النور القلب وانفسح شريح لذلك الصدر » ، قالوا : يا نبي الله هل لذلك آية يعرف بها ؟ قال : « نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت » .

بلغني عن العتيبي عن حبيب العدوي عن وهب بن منبه قال : رأينا ورقة يهقو بها الريح ف أرسلنا بعض الفتيان فاتانا بها فإذا فيها : الدنيا دار لا يسلم منها إلا فيها ، ما أخذ أهلها منها لها خرجوا منه ثم حوسبوا به ، وما أخذ منها أهلها لغيرها خرجوا منه ثم أقاموا فيه ، وكأن قوما من أهل الدنيا ليسوا من أهلها ، هم فيها كمن ليس فيها ، عملوا بما يبصرون وبأدروا ما يهذرون ، تتقلب أجسادهم بين ظهرائي أهل الدنيا ، وتتقلب قلوبهم بين ظهرائي أهل الآخرة ، يرون الناس يعظمون وفاة أجسامهم وهم أشد تعظيما لموت قلوب أحيائهم . فسألت عن الكلام فلم أجد من يعرفه .

وقال المسيح عليه السلام : الدنيا قنطرة فأعبروها ولا تعمروها .

(١) كذا في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن سعيد . وفي الأهل « عمر » .

وفي بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا « مَنْ خَدَمَنِي فَأَخْدُمِيهِ ،
وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَخْدِمِيهِ » .

قال بعض العابدين يذكّر الدنيا :

لقد غرّت الدنيا رجالا فأصبحوا * بمترلة ما بعسدها متحول
فساخط أمر لا يُبدّل غيره * وراض بأمر غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل دونه * ومختلج من دون ما كان يأمل

وقال آخر يذكر الدنيا :

خوفُها رَصْدٌ وعيشُها رِنَقٌ ^(١) * وكرّها نَكْدٌ وملْكُها دُولٌ ^(٢)

وقال آخر :

نُزاعٌ لذكر الموت ساعة ذكره * وتعتري الدنيا فتلهو وتلعب
ونحن بنو الدنيا خالقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شيء ^(٣) محبب

وقال يحيى بن خالد : دخلنا في الدنيا دُخولا أخرجنا منها .

ذمّ وجلّ الدنيا عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال عليّ عليه السلام :
الدنيا دارٌ صِدْقٍ لمن صدّقها ، ودارٌ نَجاةٍ لمن فهم عنها ، ودارٌ غِنًى لمن تزوّد منها ، مهبطٌ
وحى الله ، ومصلّى ملائكته ، ومسجدُ أنبيائه ، ومنجى أوليائه ، ربحوا منها الرحمة
واحتسبوا فيها الجنة ؛ فمن ذا يذمّها وقد آذنتُ بينها ونادتُ بفراقها وشبهتُ بسرورها
السرور وببلائها البلاء ترغيباً وترهيباً ؛ فيأبىها الذام الدنيا المعلل نفسه ، متى خدعتك
الدنيا أم متى استندمت اليك ^(٤) ! أم بمصارع آبائك في الليل ! أم بمضاجع أمهاتك في الثرى !

(١) رصد : مرصدة مرثقة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا

هم منها ، ولهذا كانت محبوبة لهم . (٤) استندمت اليك : فعلت ما تذهبها على فعله .

كَمْ مَرَضَتْ بِيَدِيكَ، وَعَلَّتْ بِكَفِّكَ، تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُ الْأَطْبَاءَ،
غَدَاةً لَا يُغْنِي عَنْهُ دَوَاؤُكَ، وَلَا يَنْفَعُكَ بِكَأُوكَ .

كان إبراهيم بن أدهم العجلي يقول :

نَرْقَعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا * فَلَا دِينَائِيَّ وَلَا مَا نَرْقَعُ^(١)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أما ما مضى فُحْمٌ وأما ما بقي فآمانٌ .
قال سفيان :

أوحى الله تعالى الى نبي من الأنبياء « اتَّخِذِ الدُّنْيَا طَرًّا وَالْآخِرَةَ أُمًّا » .
قال الشعبي : ما أعلم لنا وللدنيا مثلاً إلا ما قال كثير .

أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِمَلُومَةٍ * لَدَيْنَا وَلَا مَقْلَةٍ^(٢) إِنْ تَقَلَّتْ

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفي النار بالتبن .

قال ابن مسعود : الدنيا كلها غمومٌ، فما كان فيها من سرور فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا .

وقال بعض الحكماء : مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ إِنْ أَرْضَى
إِحْدَاهُمَا اسْتَخْطَ الْأُخْرَى .

قال سفيان : ترك لكم الملوك الحكمة فاتركوا لهم الدنيا .

وقال آخر : إِنْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَوْدَقَتْ^(٣) وَأَنْعَظَ النَّاسُ .

(١) كذا ورد في الإحياء للغزالي (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مصر وهو المعروف في رواية هذا البيت
وفي الأصل : « تمزق » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تبفضت ، وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة . (٣) يقال : ودقت الفرس تدق
ودقا واستودقت اذا طلعت الفحل .

قال وهيب بن الورد : مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَتَيْمَّ لِلذَّلِّ .

قيل لمحمد بن واسع : إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالذَّوْنِ ؛ فَقَالَ : إِنَّمَا رَضِيَ بِالذَّوْنِ مَنْ رَضِيَ
بِالدُّنْيَا .

قيل لعلّ بن الحسين : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرِ الدُّنْيَا خَطَرًا
لِنَفْسِهِ .

كَانَ يَقَالُ : لَأَنَّ تَطَلَّبَ الدُّنْيَا بِأَقْبَحِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تُطَلَّبَ
بِأَحْسَنِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الْآخِرَةُ .

قَالَتِ امْرَأَةٌ لِبُعْلِهَا رَأَتْهُ مَهْمُومًا : مِمَّ هُمُّكَ ؟ أَبِالدُّنْيَا فَقَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْهَا
أَمْ بِالْآخِرَةِ فَزَادَكَ اللَّهُ هُمًّا ! .

الثَّوْرِيُّ قَالَ : قَالَ الْمَسِيحُ : حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهَا دَاءٌ
كَثِيرٌ ؛ قِيلَ : مَا دَاءُهُ ؟ قَالَ : لَا يَسْلُمُ^(١) [صَاحِبُهُ] مِنَ الْفَخْرِ وَالْكَبَرِ ؛ قِيلَ : وَإِنْ
سَلِمَ ؟ قَالَ : يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

بَلَغْنِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قُضَيْلٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَالِمِ بْنِ
أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : يَا أَهْلَ حِمَاصَ ، مَا لِي أَرَاكُمْ تَجْعَلُونَ كَثِيرًا ، وَتَبْنُونَ
شَدِيدًا ، وَتَأْمَلُونَ بَعِيدًا ! إِنْ مِنْ قَبْلِكُمْ جَمْعُوا كَثِيرًا وَبَنَوْا شَدِيدًا وَأَمَلُوا بَعِيدًا فَصَارَ
جَمْعُهُمْ بُورًا وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا وَأَمْلُهُمْ غُرُورًا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : يَا أَهْلَ
دِمَشْقَ ، مَا لَكُمْ تَجْعَلُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ !
أَلَا إِنْ عَادَا وَثَمُودَ كَانُوا قَدْ مَلُّوا مَا بَيْنَ بَصَرَى وَعَدَنَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَنَعَاءً ، فَمَنْ
يَشْتَرِي مَيِّمًا مَا تَرَكَوا بِدَرَاهِمٍ !

(١) زيادة يظلمها السياق :

بلغنى عن داود بن المحبر عن عبد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريد البصرة ، حتى اذا كنا بين الرصافة وحمص سمعنا صائحا يصيح من بين تلك الرمال — سمعته الآذان ولم تره العيون — يقول : يا مستورا يحفوظ ! اعقل في ستر من أنت ! فإن كنت لا تعقل [من أنت^(١)] في ستره فاتق الدنيا فإنها حمت الله ؛ فإن كنت لا تعقل كيف نتيقها فصيرها شوكا ثم انظر أين تضع قدميك منها ! .

قال المأمون : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما أحسنت أن تصف نفسها صفة أبى نواس في هذا البيت :

إذا اختبر الدنيا ليبت تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق
قال المسيح عليه السلام : أنا الذى كفات الدنيا على وجهها ، فليست لى زوجة تموت ولا بيت يحرب .

قال أبو العتاهية :

يامن ترفع للدنيا وزيتها * ليس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زى مسكين
وقال أخروذكر الدنيا :

إذا تم أمر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم
وقال آخر :

لا تبتك للدنيا ولا أهلها * وإيك ليوم تسكن الحافرة^(٢)
وإيك اذا صيح بأهل الثرى * فاجتمعوا فى ساحة الساهرة^(٣)
وإلك يا دنيا لقد قصرت * آمال من يسكنك الآخرة

٢٠ (١) زيادة يتطلبها السياق . (٢) أى الأرض التى تحفر فيها قبورهم ، فساها الحافرة والمراد المحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ، قال تعالى : (فاذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التى لم توطأ وقيل : هى أرض يجتدها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة مهر) .

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

- قام فقال : ^(١) إنه لما تَهَلَّ علينا ما تَوَعَّرَ على غيرنا من الوصول اليك ، فُنا مَقَامَ الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من فَرِيضَةِ الأمر والنهي عند انقطاع عُذرِ الْكِتَابَيْنِ ، ولا سِيَّما حين اتَّسَمَت بِمِيسَمِ التواضع ووَعدتَ الله وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِيثارَ الحقِّ على ما سواه ، بجمعنا وإيَّاكَ مَشْهُدٌ من مشاهد التمحيص لِيُتِمَّ مُؤَدِّينا على موعود الأداء وقَائِلُنَا على موعود القبول ، أو يَزِيدَنَا تَمْحِيطُ الله إِيَّانَا في اختلاف السرِّ والعَلَانِيَةِ ، ويُحَلِّقُنَا حَلِيَّةَ الْكَذَّابِينَ ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَنْ حَجَبَ اللهُ عَنْهُ الْعِلْمَ عَذَّبَهُ عَلَى الْجَهْلِ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ وَأَدْبَرَ عَنْهُ ، ومن أهدى اللهُ إِلَيْهِ عِلْمًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَقَدْ رَغِبَ ١٠ عن هَدِيَّةِ الله وَقَصَّرَ بِهَا ، فاقبل ما أهدى اللهُ إِلَيْكَ من ألسنتنا قبولَ تَحْقِيقِ وَعَمَلِ لا قبولَ سَمْعِ ورياءٍ ، فإنه لا يَعْدَمُكَ مِنْهَا إِعْلَامٌ لِمَا تَجْهَلُ أو مَوَاطَاةٌ عَلَى مَا تَعْلَمُ أو تَذَكُّيرٌ مِنْ غَفْلَةٍ ؛ فقد وَطَّنَ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى تَزْوِلِهَا تَعْزِيَةً عَمَّا فَاتَ وَتَحْصِينًا مِنَ التَّمَادِي وَدَلَالَةٍ عَلَى الْخُرُوجِ ، فقال : ﴿وَمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ؛ فَأُطْلِعَ اللهُ عَلَى قَلْبِكَ بِمَا يُنَوِّرُهُ مِنْ إِيثارِ الْحَقِّ وَمُتَابَدَةِ الْأَهْوَاءِ . ١٥ ولا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ البغي والفسادِ في الأرض وما يحولُ بين الحقِّ وأهله من الطمع ؛ فخرَجَ المنصورُ

(١) انظر بالمقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي .

بفلس ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه، فصلى الرجل ركعتين واستلم الركن
 وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من
 ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد
 حشوت مسامعى ما أرمضنى^(١) ؛ قال : يا أمير المؤمنين إن أمنتى على نفسى أنباتك
 بالأمور من أصولها، وإلا آحتجزت منك وأقتصرت على نفسى فيها لى شأغل^(٢)، فقال :
 أنت [أمن] على نفسك [فقل] ؛ فقال : إنا الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين
 ما ظهر من البنى والفساد لأنت ؛ قال : ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء
 فى قبضتى والحلو والحامض عندى ! قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك !
 إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع
 أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحص والأجر وأبوابا من الحديد وحجبة
 معهم السلاح ثم سجنك فى نفسك فيها عنهم، وبعثت عمالك فى جباية الأموال وجمعها
 وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع، وأمرت ألا يدخل عليك من الناس إلا فلان
 وفلان نفر ستمتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى
 ولا الضعيف الفقير، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر
 الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيك وأمرت ألا يحجبوا عنك^(٣)، تجبى
 الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله فإنا لا نخونه وقد سجن
 لنا نفسه ! فأتهموا ألا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج
 لك عامل فيخالف أمرهم إلا قصبوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره^(٤)،

(١) أرمضنى : أوجعنى وآلمنى . (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (٤) قصبوه : عابوه

وشتموه وبالعقد الفريد « خنونه » .

- فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمهم الناس وهابوهم، فكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والأموال ليَقْوُوا بها على ظلم رعيّتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيّتك لينالوا به ظلم من دونهم، فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء مُتَظَلِّمٌ حَيْلَ بينه وبين دخول مدينتك، فإن أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بظانّك [خبره^(١)] سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مَظْلِمَتَهُ اليك، فإن المتظلم منه له بهم حُرْمَةٌ، فأجابهم خوفا منهم؛ فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه، فاذا أُجْهِدَ وأُحْرجَ وظَهَرَتْ، صَرَخَ بين يديك، فُضِرْبَ ضَرْباً مُبْرَحاً، ليكون نكالا لغيره، وأنت تنظر فلا تُنْكِرُ، فما بقاء الإسلام على هذا! وقد كنتُ يا أمير المؤمنين [أسافر^(٢)] الى الصين فقدمتها مرّة وقد أُصِيبَ مَلِكُهَا بِسَمْعِهِ، فبكى يوما بكاء شديدا فخشه جلساؤه على الصبر فقال: أَمَا إِنِّي لست أبكى للبلية النازلة بي، ولكنني أبكى لمظلومٍ بالباب يصُرخُ ولا أسمعُ صوته ثم قال: أَمَا إِذْ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنْ بَصَرِي لَمْ يَذْهَبْ نَادَوْا فِي النَّاسِ أَلَا يَلْبَسُ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مُتَظَلِّمٌ، ثم كان يركب الفيل طرفق نهاره، وينظر هل يرى مظلوما. فهذا يا أمير المؤمنين مُشْرِكٌ بالله غلبت رأفته بالمشركين شخ نفسه وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شخ نفسك! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبدا في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مأل، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه، ولست

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا في العقد الفريد «غنه» وفي الأصول «غده» وهو تحريف.

بالذى تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد
السلطان فقد أراك الله عبداً فى بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة
وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع
المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا
منزلة لا تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين، هل تُعاقب من عصاك
بأشد من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذى خولك ملك
الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود فى العذاب الأليم، قد رأى
ما قد عُقد عليه قلبك وعمَلته جوارحك ونظر اليه بصرُك واجترحتَه يدك ومشت اليه
رجلاك، هل يغنى عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا اتزعه من يدك ودعاك
الى الحساب، فبكى المنصور وقال: يا ليتنى لم أُخلق! ويحك! فكيف أحتال لنفسى
قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفزعون اليهم فى دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك
يرشدوك، وشاورهم فى أمرك يسدّدوك، قال: قد بعثت اليهم فهربوا منى، قال:
خافوا أن تجعلهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع
الظالم وخذ الفىء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا
الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأمة، وجاء المؤذنون فسلموا عليه
فصلى وعاد الى مجلسه وطُلب الرجل فلم يوجد.

مقام آخر والمنصور يخطب

خطب المنصور حميد الله ومعنى فى كلامه، فلما انتهى الى أشهد أن لا إله إلا
الله وثب رجل من أقصى المسجد فقال أذكرك من تذكر، فقال المنصور: سمعنا من
فيهم عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن أكون جبّاراً عصبياً وأن تأخذنى العزة بالإثم

لقد ضَلَلْتُ اِذَا مَا اَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْقَائِلُ مَا أَرَدْتَ بِهَا اللَّهُ وَلَكِنْ
حَاولْتُ أَنْ يَقَالَ : قَامَ فَقَالَ لِعَوِيقَ فَصَبَرَ ، وَأَهْوَنَ بِقَائِلِهَا لَوْ هَمَمْتُ ، فَاهْتَبَلَهَا ^(١) وَيْلَكَ
إِذْ عَفَوْتُ ، وَإِيَّاكُمْ مَعَشَرَ النَّاسِ وَأَخْتَهَا ، فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا نَزَلَتْ وَمَنْ عِنْدَنَا انْبَثَتْ
فَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ يُصَدِّدُوهُ كَمَا أوردوه ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خُطْبَتِهِ فَقَالَ : وَأَشْهَدُ أَنَّ
هَذَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

مقام عمرو بن عبَّيد بين يدي المنصور

قال للمنصور : إِنْ اللَّهُ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِها ، وَإِذْ كَرَلَيْلَةً
تَمَحَّضُ عَنْ يَوْمٍ لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ ، فَوَجَّهَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ قَوْلِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : يَا عَمْرُو
غَمَمْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ عَمْرُو : إِنْ هَذَا صَحْبِكَ عَشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَرْكَبْ عَلَيْكَ عَلَيْهِ أَنْ
يَنْصَحَكَ بِوَمَا وَاحِدًا وَمَا يَمَلِّ وَرَاءَ بَابِكَ شَيْءٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سَنَةِ نَبِيِّهِ ؛ قَالَ
١٠ أَبُو جَعْفَرٍ : فَمَا أَصْنَعُ ! قَدْ قُلْتُ لَكَ : خَاتَمِي فِي يَدِكَ فَتَعَالَ وَأَصْحَابُكَ فَاكْفِنِي ؛ قَالَ
عَمْرُو : ادْعُنَا بَعْدَكَ تَسْخُ أَنْفُسُنَا بِعَوْنِكَ ؛ بِيَابِكَ أَلْفَ مَظْلَمَةٍ ارْدُدْ مِنْهَا شَيْئًا نَعْلَمَ
أَنَّكَ صَادِقٌ .

مقام أعرابي بين يدي سليمان

١٥ قام فقال : إِنْني مُكَلِّمُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَلَامٍ فِيهِ بَعْضُ الْغِلْظَةِ فَاحْتَمِلْهُ إِنْ
كَرِهْتَهُ ، فَإِنْ وَرَاءَهُ مَا تُحِبُّهُ إِنْ قَبِلْتَهُ ؛ قَالَ : هَاتِ يَا أَعْرَابِي ؛ قَالَ : فَإِنِّي سَأُطْلِقُ
لِسَانِي بِمَا تَحَرَّسْتُ عَنْهُ الْأَلْسُنُ مِنْ عِظَمِكَ تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ إِمَامَتِكَ ، إِنَّهُ قَدْ

(١) فَاهْتَبَلَهَا أَيِ اغْتَنَمَهَا ، وَالْإِغْتِنَامُ : الْإِغْتِنَامُ وَاتِّهَازُ الْقِرْصَةِ . (٢) فِي الْأَصْلِ

«أَغَمَمْتُ» وَلَمْ يُجَدِّ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا «أَغَمَّ» مُتَعَدِّيًا وَإِنَّمَا يَقَالُ : «غَمَّ الْأَمْرَ» مِنْ

اكتشفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حربٌ للآخرة سَلَمٌ للدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمك الله عليه، فإنهم لن يألوا الأمانة تضييعاً والأمة عَسْفًا وخسْفًا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت، فلا تُصلِّح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبنًا مَنْ باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت يا أعرابي^(١) فقد سلَّمت لسانك، وهو أقطع سيفيك؛ فقال : أجل، لك لا عليك .

مقام أعرابي بين يدي هشام

قال : أتت على الناس سنون، أما الأولى فَلَحَّت اللحم^(٢)، وأما الثانية فَأَكَلَت الشَّحْمَ، وأما الثالثة فَهَاضَت العظم^(٣)، وعندكم فضولُ أموالٍ، فإن كانت لله فاقسِمُوها بين عبادِهِ، وإن كانت لهم فقيمَ تحظرُ عنهم ! وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصدقين؛ فأمر هشامُ بمالٍ فقسِمَ بين الناس وأمرَ للأعرابي بمالٍ؛ فقال : أكلَ المسلمون له مثل هذا؟ قالوا : لا ولا يقوم بذلك يَدُ مالِ المسلمين؛ قال : فلا حاجة لي فيما يبعثُ لائمة الناس على أمير المؤمنين .

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

ذكره عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام قال : دخلتُ عليه فقال : ما الذي بَطَّأ بك عني؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين وما الذي تريد مني؟ فقال : الاقتباسُ منك؛ قلتُ : انظر ما تقول، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن بشيرٍ أن رسول الله

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفي الأصل «لقد» .

(٢) من لحوت الشجرة إذا أخذت لحاءها وهو قشرها .

(٣) هاض العظم يهضه هضاً فانهاض : كسره بعد الجبور فهو مهيض .

- صلى الله عليه وسلم قال : ” مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ نَصِيحَةٌ فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنَ اللَّهِ بِشُكْرٍ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَزِدَّادَ إِثْمًا وَلِيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا ، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهَ ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ “ ، فَلَا تَجْهَلَنَّ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ أَجْهَلُ ؟ قَالَ : تَسْمَعُ وَلَا تَعْمَلُ بِمَا تَسْمَعُ . قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : فَسَلَّ عَلَى الرَّبِيعِ السَّيْفَ .
- وقال : تقول لأُمير المؤمنين هذا ! فاتَّهَرَهُ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : أَمْسِكْ . ثُمَّ كَلَّمَهُ الْأَوْزَاعِيُّ ، وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ هَذِهِ الْخِلَافَةِ بِالَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ ، وَاللَّهُ سَأَلُكَ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَفَتِيلِهَا وَتَقِيرِهَا ، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عُروَةُ بْنُ رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” مَا مِنْ رَاغٍ بَيْتٍ غَاشًا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ “ ، فَخَفِيقٌ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرَعِيَّتِهِ نَظَرًا ، وَلَمَّا اسْتَطَاعَ ١٠ مِنْ عَوْرَاتِهِمْ سَاتَرًا ، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا ، لَا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ مِنْهُ رَهَقًا وَلَا مُسِيئُهُمْ عَدْوَانًا ؛ فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يَسْتَاكُ بِهَا وَيَرْدَعُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ ؛ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : ” يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ! إِفْذِنَهَا لَا تَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ رُعبًا “ . فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَشَقَّقَ أَبْشَارَهُمْ وَأَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ ! يَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ ١٥ مِنْ نَفْسِهِ بِخَدَشِ خَدَشِهِ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونِ أَمْتِكَ “ . وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شُرْبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَارِهَا ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ قُدَّةٌ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها “ . إِنَّ الدُّنْيَا تَقْطَعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لَمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَضِلَّ إِلَيْكَ . يَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ٢٠

(١) ثياب أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَنْ يَتَمَصَّهُ ! ولو أنْ ذُنُوبًا
 من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجَنَّهُ فكيف بمن يتَجَرَّعُهُ ، ولو أنْ
 حَلَقَةً من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لذاب ، فكيف مَنْ سَلَكَ فِيهَا وَيُرَدُّ (٣)
 فضلها على عاتقه ! وقد قال عمر بن الخطاب : « لا يُقَوِّمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ
 الْعَقْدَةِ ، بَعِيدُ الْفِرَّةِ ، لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يُحْنِقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَةٍ ،
 وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ » .

وَأَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ أَرْبَعَةً : أَمِيرُ يَظْلِفُ نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَصَلَاتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ صَلَاةٍ وَيُدُّ اللَّهُ بِالرَّحْمَةِ عَلَى رَأْسِهِ تُرْفَرُفُ ، وَأَمِيرُ
 رَتَعٍ وَرَتَعُ عُمَّالِهِ ، فَذَلِكَ يَحْمِلُ أَثْقَالَهُ وَأَنْثَالَهَا مَعَ أَنْثَالِهِ ؛ وَأَمِيرُ يَظْلِفُ نَفْسَهُ وَيَرْتَعُ
 عُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ؛ وَأَمِيرُ يَرْتَعُ وَيَظْلِفُ عُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ شَرُّ
 الْأَكْيَاسِ .

وَأَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قَدْ أَبْتَلَيْتَ بِأَمِيرٍ عَظِيمٍ عُرِضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَنَّهُ وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ؛ وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ : ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ : أَنَّ الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمُ ،
 وَالْكَبِيرَةَ الضَّحْكُ ، وَقَالَ : فَمَا ظَنَنْتُمْ بِالْكَلَامِ وَمَا عَمَلْتُمْ الْأَيْدَى ! فَأَعْيِذُكَ بِاللَّهِ أَنْ
 يُحْمِلَ إِلَيْكَ أَنْ قَرَأْتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَتَفَعَّعَ مَعَ الْخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ ؛ فَقَدْ

(١) الذنوب : الدلو التي دون الماء ، تذكر وتؤنث . (٢) آجنه : جعله آجنا أى متغير الطعم
 واللون ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة متعدية منه ، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها
 قياسية . (٣) في الأصل : « فيه » . (٤) لا يحق في الحق على جرة : لا ينطوي على حقد
 ودغل . وأصل الإحناء : لحوق البطن بالصاب والتصاقه به . والجزرة (بالكسر) : ما يخرج من البئر من جوفه
 ويمضغه . فكنى عمر رضى الله عنه بعدم الإحناء على الجزرة عن عدم إضمار الحقد والغيظ . (٥) يظلف
 نفسه : يكفها . (٦) في الأصل « أن يحملها » ومرجع الضمير هاهنا مذكور .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا صفيّة عمّة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله إني لا أغني عنكما من الله شيئا" . وكان جدك الأكبر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة ؟ فقال : "أى عمّ نفس تُحييها خيرٌ لك من إمارة لا تُحييها" ، نظراً لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن سنته جناح بعوضة ، فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا . هذه نصيحتي إن قبلتها فلنفسك عملت ، وإن رددتها فنفسك بخست ، والله الموفق للخير والمعين عليه ؛ قال بلى ! تقبلها ونشكر عليها ، وبالله نستعين .

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد : وفدت عليه فوجدته قد بدأ يشربُ الدّهْن ، وذلك في عام باكرٍ وسَمِيهٍ وتنايعٍ وَلِيّيه ^(١) وأخذت الأرضُ زُرْعُها ، فهي كالزرايةِ المَبْشُوثةِ والقُبْاطِيّ ^(٢) المنشورة ، وثرأها كالكَافور لو وُضِعَتْ به بَضْعَةٌ ^(٣) لم تُتَرَّبْ ، وقد ضُربتْ له سُرادقاتُ حَبَرٍ ^(٤) بعث بها اليه يوسفُ بن عمر من اليمن تسلاً كالعِقيان ، فأرسل الىّ فدخلت عليه ، ولم أزل واقفا ، ثم نظر الىّ كالمستنطق لي ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتمّ الله عليك نعمه ودفع عنك نقمه ؛ هذا مقامُ زَيْنَ الله به ذكري وأطاب به نشري ، اذ أَرَانِي وجهَ أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامي هذا شيئا هو أفضل من أن أنبّه ^{١٥} أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمّد الله على ما أعطاه ، ولا شيء أحضر من حديث

(١) الوسمي : مطر الربيع الأول سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولي (وزان غنى) :

المطر بعد الوسمي . (٢) الزراية : البسط الملتونة . والقباطي (بضم أوله وتشديد آخره) أرفقح الأول مع تخفيف الآخر) : جمع قبليّة (بضم القاف) وهي ثياب تكان بيض رفاق تعمل في مصر .

(٣) البضعة (بالفتح وتكرس) : القطعة من اللحم . (٤) حبر (وزان غنى) : جمع حبرة (كمنبة) وهي الخيط من البرود ، يقال : برد حبرة على الإضافة والوصفية . ^{٢٠}

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لي فيه حدثته به ؛ قال : هات ؛ قلت : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له فَنَاءُ السِّنِّ وَصِحَّةُ الطَّبَاعِ وَسَعَةُ الْمُلْكِ وَكَثْرَةُ الْمَالِ ، وذلك بِالْخَوَرَنَقِ ، فأشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره : هل علمتم أحدا أوتى مثل الذى أوتيتُ ؟ فقال رجل من بقايا حَمَلَةِ الْحِجَّةِ : إن أُذِنْتَ لي تَكَلَّمْتُ ؛ فقال : قل ، فقال : أَرَأَيْتَ مَا جُمِعَ لَكَ ، أَمِ شَيْءٌ هُوَ لَكَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ ، أَمْ هُوَ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ وَكَذَلِكَ يَزُولُ عَنْكَ ؟ قال : لا ! بل شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي فَزَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَكَذَلِكَ يَزُولُ عَنِّي ؛ قال : فَسِرَرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ لَدُنْهُ وَتَبْقَى تَبِيعَتُهُ ، تَكُونُ فِيهِ قَلِيلًا وَتُرْتَبِنَ بِهِ طَوِيلًا ؛ فَبِكَيْ وَقَالَ : أَيْنَ الْمَهْرُبُ ؟ قال : إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ فِي مُلْكِكَ فَتَعْمَلَ فِيهِ بَطَاعَةَ رَبِّكَ ، وَإِمَّا أَنْ تُلْقَى عَلَيْكَ أُمَسَاحَا^(١) ثُمَّ تَلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ فِيهِ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْكَ أَجْلُكَ ؛ قال : فَإِنِّي إِذَا أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ ؟ قال : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ وَصِحَّةٌ لَا تَسْقُمُ وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى ؛ فَأَتَى جَبَلًا فَكَانَ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَأَنشَدَهُ قَوْلَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرَنَقِ إِذَا أَصَابَ * بَحْجَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْتَدُّ * لِمُلْكٍ وَبِالْبَحْرِ مُعْرِضًا وَالسَّيْدِ^(٢) يُرُ
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غَيْبُ * سَطَّةٍ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

فَبِكَيْ هَشَامٍ وَقَامَ وَدَخَلَ ؛ فَقَالَ لِي حَاجِبُهُ : لَقَدْ كَسَبْتَ نَفْسَكَ شَرًّا ، دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتُحَدِّثَهُ وَتُلْهِمَهُ وَقَدْ عَرَفْتَ عِلَّتَهُ فَمَا زِدْتَ عَلَى أَنْ نَعَيْتَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ . فَأَقَمْتُ أَيَّامًا أَتَوَقَّعُ الشَّرَّ ، ثُمَّ أَتَانِي حَاجِبُهُ فَقَالَ : قَدْ أَمَرَ لَكَ بِجَائِزَةٍ وَأَرِنَا لَكَ فِي الْإِنْصِرَافِ .

(١) الْأَسَاخ : جَمْعُ مَسِجٍ (بِالْكَسْرِ) وَهُوَ الْكِسَاءُ مِنْ شَرِّ كُتُوبِ الرِّهَانِ (٢) مُعْرِضًا : مَنْ أَمْرَضَ الشَّيْءَ إِذَا ظَهَرَ وَبَرَزَ .

مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ،
وكم من قومٍ قد غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
من الدنيا مُرَمِلِينَ لم يأخذوا لِمَا أَحَبُّوا من الآخرة عُدَّةً ولا لِمَا كَرِهُوا جُنَّةً ،
واقسم ما جمعوا من لم يَحْمِذْهم وصاروا الى من لا يَعِذُّهم . فانظر الذي تُحِبُّ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فَقَدِّمه بين يديك حتى تخرج اليه ، وانظر الذي تَكْرَهُ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فابتغ به البَدَلَ حيث يجوز البَدْلُ ؛ ولا تَذْهَبْ الى سِلْعَةٍ
قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك . يا أمير المؤمنين ، اِفْتَحِ الأبوابَ ، وَسَهِّلِ
الْمَحْجَبَ ، وَاَنْصُرِ الْمَظْلُومَ .

١٠ مقام الحسن عند عمر بن هبيرة

كُتِبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ الى الحسن وابن سيرين والشعبي فَقَدِّمَ بهم عليه ، فقال
لهم : إن أمير المؤمنين يكتبُ الى في الأمر ، إن فعلته خفتُ على ديني ، وإن لم أفعله
خفتُ على نفسي ؛ فقال له ابن سيرين والشعبي قولا رَقَّقا فيه ، وقال له الحسن :
يا ابن هبيرة ، إن الله يَمْنَعُكَ من يزيد ، وإن يزيد لا يَمْنَعُكَ من الله . يا ابن هبيرة ، خَفِ
الله في يزيد ولا تخفِ يزيدَ في الله . يا ابن هبيرة ، إنه يُوشِكُ أن يبعثَ الله اليك مَلَكًا
فَيُتْرَكَ عن سريرك الى سَعَةِ قِصْرِكَ ، ثم يُخْرِجُكَ عن سَعَةِ قِصْرِكَ الى ضِيقِ قَبْرِكَ ،
ثم لا يُنْجِيكَ إِلَّا عَمَلُكَ . يا ابن هبيرة إنه لا طاعةَ لِخُلُوقٍ في معصيةِ الْخَالِقِ ، فَأَمْرُ له
بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبي بالفين ، فقالا : دَقَّقْنَا فَرَقَّقْنَا لَنَا .

باب من المواعظ

كلام للحسن

قال في كلام له : أُمِتُّكُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ ، وقد أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ فَمَاذَا
تَنْتَظِرُونَ ! المعينة ؟ فَكُنْ قَدْ . هَيَّاتِ هَيَّاتِ ! ذَهَبَتِ الدُّنْيَا بِحَالٍ بِمَا لَهَا ،
وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ أَطْوَافًا فِي أَغْنَاقِ بَنِي آدَمَ ، فَيَا لَهَا مَوْعِظَةٌ لَوْ رَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ
حَيَاةً ! إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِكُمْ ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا كِتَابَ بَعْدَ كِتَابِكُمْ ؛
أَنْتُمْ تُسَوِّقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تُسَوِّقُكُمْ ؛ وَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ أَنْ يَلْحَقَ آخِرُكُمْ .
مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَأَاهُ غَادِيَا رَائِحًا لَمْ يَضَعْ لَبْنَةً عَلَى لَبْنَةٍ وَلَا قِصْبَةً
عَلَى قِصْبَةٍ ، رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ ؛ فَالْوَحَا الْوَحَا ، وَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ . عَلَامَ تَعْرَجُونَ ؟
أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ وَأَنْتُمْ كُلُّ يَوْمٍ تَرْذَلُونَ . لَقَدْ صَحِبْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ صَحْبَتُهُمْ قُوَّةَ الْعَيْنِ
وَجَلَاءَ الصَّدُورِ ، وَكَانُوا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ أَشْفَقَ مِنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ
تُعَذِّبُوا عَلَيْهِمْ ، وَكَانُوا فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .
إِنِّي أَسْمَعُ حَسِيصًا ، وَلَا أَرَى أُنَيْسًا ؛ ذَهَبَ النَّاسُ ، وَبَقِيَتْ فِي النَّسْنَسِ ؛ لَوْ تَكَاشَفْتُمْ
مَا تَدَانَيْتُمْ ؛ تَهَادَيْتُمُ الْأَطْبَاقَ وَلَمْ تَهَادُوا النَّصَائِحَ . يَا بَنِي آدَمَ ، إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَيْسَ بِالتَّحَلُّ
وَلَا بِالتَّقْنَى ، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَّ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَهْمَالُ .

كلام لبعض الزهاد

لَا تَفْتَرِكْ بَطُولَ السَّلَامَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الشُّكْرِ ، وَلَا تُعْمِلَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ فِي مَعْصِيَتِهِ ؛
فَإِنْ أَقَلَّ مَا يَجِبُ لِمَهْدِيهَا أَلَّا تَجْعَلَهَا ذُرْبَةً إِلَى مَخَالِفَتِهِ . وَاسْتَدْعِ شَارِدَ النِّعَمِ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ . (٢) تَرْذَلُونَ : تَصِيرُونَ أَرْدَالًا ، وَالْأَرْدَالُ : جَمْعُ رَذَلٍ وَهُوَ الدَّرَنُ

بالتوبة ، واستدّم الراهن منها بكرم الحوار ، واستفتح باب المزيّد بحسن التوكّل .
 أو ما علّمت أن المستشعر لذلّ الخطيئة المخرج نفسه من كُلف الطاعة نطفُ الشاء^(٢) ،
 زمرُ المروءة ، قصي المجلس ، لا يُشاوَر وهو ذو بَلاء^(٣) ، ولا يُصدّر وهو جميل الرواء ،
 غامضُ الشخص ضئيلُ الصوت نزرُ الكلام يتوقع الإسكات عند كل كلمة ، وهو
 يرى فضلَ مزيته وصریحَ لبّه وحسنَ تفضيله ، ولكن قطعه سوء ما جنى على
 نفسه ، ولو لم تطلّع عليه عيونُ الخليفة لهجست العقول بإداهانه . وكيف يمتنع من
 سقوط القدر وظنّ المتفرّس من عُرَى من حيلة التقوى وسلب طبايع الهدى !
 ولو لم يتفشّ ثوب سريره وقبيح ما أجنّ من مخالفة ربه لقطعه العلم بقبيح ما قارف
 عن افتدار ذوى الطهارة في الكلام وإدلال أهل البراءة في الندى .

كلام لغيلان

١١ إن التراجع في المواعظ يُوشك أن يذهب يومها ويأتى يوم الصاخة ، كل الخلق
 يومئذ مُصيحٌ يستمع ما يُقال له ويُقضى عليه ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع
 إلا همساً . فاصمت اليوم عما يُصميتك يومئذ ، وتعلم ذلك حتى تعلمه ، وابتغى حتى
 تجده ، وبادر قبل أن تفجأك دعوة الموت ، فإنها عنيفةٌ إلا بمن رحم الله ، فيه حمك
 ١٥ في دار تسمع فيها الأصوات بالحسرة والويل والنبور ، ثم لا يُقالون ولا يُستعبون .
 انى رأيت قلوب العباد في الدنيا تخشع لأمر من هذا وتقسو عند هذا ، فانظر الى
 نفسك أعبد الله أنت أم عدوه ، فيارب متعبّدته بلسانه ، مُعادي له بفعله ذلول في الانسياق
 الى عذاب السعير في أمانة أضغاث أحلام يعبّرها بالأمانى والظنون . فاعرف نفسك

(١) كذا في الأصل ، وفي البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٢ «كف العصمة» . (٢) نطف الشاء :

قليله . وزمر المروءة : قليلها . (٣) البلاء : رأى الجيد . (٤) أى باللين له والمصانة .

(٥) كذا في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠ ، وفي الأصل «المخربين» .

وَسَلَّ عَنْهَا الْكَتَابَ الْمُنِيرَ، سُؤَالَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ ، وَعِلْمَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ ،
فَإِنَّ الرَّبَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَعِذِرُ بِالْتَعَذِيرِ وَالتَّغْرِيرِ ، وَلَكِنْ يَعِذِرُ بِالْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ . اِكْتَسَ
نَصِيحَتِي ؛ فَإِنَّهَا كُسُوةٌ تَقْوِي وَدَلِيلٌ عَلَى مَفَاتِحِ الْخَيْرِ ، وَلَا تَكُنْ كَعُلَمَاءِ زَمَنِ الْهَرَجِ
إِنْ وَعِظُوا أَنْفُوا ، وَإِنْ وَعَظُوا عَنُفُوا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

كتاب رجل الى بعض الزهاد

كتب اليه : إِنْ لِي نَفْسٌ تُحِبُّ الدَّعَاةَ ، وَقَلْبًا يَأْلَفُ اللَّذَاتِ ، وَهَمَّةً تَسْتَقِيلُ
الطَّاعَةَ ؛ وَقَدْ وَهَمْتُ نَفْسِي الْآفَاتِ ، وَحَدَّرْتُ قَلْبِي الْمَوْتَ ، وَزَجَرْتُ هِمَّتِي عَنْ
التَّقْصِيرِ ؛ فَلَمْ أَرْضَ مَا رَجَعَ إِلَيَّ مِنْهُمْ ، فَأَهْدِلِي — رَحِمَكَ اللَّهُ — مَا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى مَا شَكُوتُ إِلَيْكَ ؛ فَقَدْ خَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ الْإِسْتِعْدَادِ .

فكتب اليه : كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ قَلْبٍ يَأْلَفُ الذَّنْبَ ، وَنَفْسٍ تَطْمَئِنُّ إِلَى
الْبَقَاءِ ، وَالسَّاعَاتُ تَتَقَلَّبُ وَالْأَيَّامُ تَطْوِي أَعْمَارَنَا ؛ فَكَيْفَ يَأْلَفُ قَلْبٌ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ ،
وَكَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ لَا تَدْرِي لَعَلَهَا لَا تَطْرِفُ بَعْدَ رَقَدَتِهَا إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ! وَالسَّلَامُ .

وكتب رجل من العباد الى صديق له :

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الْيَقِينِ مُتَفَقِينَ ، وَفِي الْعَمَلِ مُتَفَاوِتِينَ ، وَرَأَيْتُ الْحِجَّةَ
وَاجِبَةً ، فَلَمْ أَرِ فِي يَقِينٍ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ عَمَلٍ حِجَّةً ، وَلَا فِي عَمَلٍ كَانَ بِغَيْرِ يَقِينٍ
مَنْفَعَةً ؛ وَرَأَيْتُ مَنْ تَقْصِيرِ أَنْفُسَا فِي السَّعْيِ لِمَرْجُوٍّ مَا وَعَدَتْ وَالْهَرَبِ مِنْ مَخُوفِ
مَا حُدِّرَتْ ، حَتَّى أَسَاءَهَا ذَلِكَ إِلَى أَنْ ضَعُفَتْ مِنْهَا النِّيَّةُ وَقَلَّ التَّحْفُظُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا
السَّقَطُ^(١) وَالْإِفْخَالُ وَاشْتَعَلَتْ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ، وَدَعَاها ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي فُضَائِحِ

(١) السَّقَطُ : الخلل من القول والفعل .

- اللذات، وهي تعلم أن عاقبتها الندم، وثمرتها العقوبة، ومصيرها إلى النار إن لم يعف الله—عجبت لعمل امرئ كيف لا يشبه يقينه، ولعلم موقن كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه، حتى لا تكون الرغبة منه إلا إليه والرهبة منه إلا له. وزادني عجباً أنني رأيت طالب الدنيا أجداً من طالب الآخرة، وخائفها أتعب من خائف الآخرة، وهو يعلم يقيناً أنه ربّ مطلوب في الدنيا قد صار حين نيل حتماً لطالبه، وأنه ربّ مخوف فيها قد لحق كرهاً بالهارب منه فصار حظاً له، وأن المطلوب إليه من أهلها ضعيف عن نفسه محتاج إلى ربه مملوك عليه ماله مخزونة عنه قدرته. وأعلم أن جماع ما يسعى له الطالب ويهرب منه الهارب أمران: أحدهما أجله، والآخر رزقه، وكلاهما بعينه شاهد على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه. فلم أدر حين صار هذا اليقين في موضع الإيمان يقيناً لا شك فيه، كيف صار في موضع العمل شبيهاً بالشك الذي لا يقين فيه! وكيف، حين اختلف في أمر الآخرة، لم يختلف في أمر الدنيا، فيكون خائف الآخرة لربه تخائف الدنيا لسلطانها صبراً له على تجشّم المكروه، وتجترأً منه لتقصّص الغيظ، واحتمالاً منه لقادح التّصب، وعملاً له بالسخره، وتحفظاً من أن يضمر له على غش أو يهّم له بخلاف؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يظهر له بقول أو فعل؛ ولو علمه ما قدر له على قطع أجل لم يقن ورزق لم ينفد؛ فإن ابتلي بالسخط من سلطانه فكيف حزبه ووحشته، وإن أنس منه رضا عنه فكيف سروره واختياله! فإن قارف ذنباً إليه فكيف تضعضعه واستخذاؤه،^(١) فإن ندبه لأمر فكيف خفته ونشاطه! وإن نهاه عنه فكيف حذره وأتاعظه! وهو يعلم أن خالقه ورازقه يعلم سرّه وجهره، ويراها في متقلبه ومشواه، ويعاينه في فضائحه وعورته، فلم يزفه عنها حياءً منه ولا تقيّة له، قد أمره فلم ياتمر، وزجره فلم يزدجر،

(١) اصطفاؤه : خضوعه .

وَحَدَّرَهُ فَلَمْ يَحْذَرْ، وَوَعَدَهُ فَلَمْ يَرْغَبْ، وَأَعْطَاهُ فَلَمْ يَشْكُرْ، وَسَتَرَهُ فَلَمْ يَزِدْ بِالْإِسْتِزَاةِ تَرْضَا
لِلْفَضَائِلِ، وَكَفَاهُ فَلَمْ يَقْنَعْ بِالْكَفَايَةِ، وَصَوَّنَ لَهُ فِي رِزْقِهِ مَا هُوَ فِي طَلَبِهِ مُشْبِعٌ^(١)، وَيَقْظُهُ
مِنْ أَجَلِهِ لِمَا هُوَ عَنْهُ لَاهٍ، وَفَرَّغَهُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَا هُوَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ مَشْغُولٌ، فَسَبْحَانَ
مَنْ وَسَّعَ ذَلِكَ حَامِلَهُ وَأَقَمَّهُ مِنْ عِبَادَةِ عَفْوِهِ؛ وَلَوْ شَاءَ مَا فَعَلُوهُ؛ وَلَا يُسْأَلُ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

فأجابه : إني رأيتُ الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظيمِ المواضعِ في أمرِ
الدنيا والدينِ، فهو غايةُ علمِ العالمِ وبصيرِ البصيرِ ونهيمِ السامعِ، ليس كسائرِ الأشياءِ التي
تدخلُها الشبهاتُ ويَجْرَحُهَا الإغفالُ ويشوبُها الوهنُ؛ وذلك أن الله تعالى جعل
مَغْرِسَ القلبِ؛ وأغصانه العملَ، وثمرته الثوابَ . وإنما جعلَ القلبَ لليقينِ
مَغْرِسًا، لأنه جعلَ الخمسَ الجوابَ لعلمِ الأشياءِ كلها إلى القلبِ : السمعَ والبصرَ
والمحسَّةَ والمذاقةَ والاسترواحَ . فإذا صارتِ الأشياءُ إليه مَيِّزًا بينها العقلُ، ثم صارتِ
بأجمعها إلى اليقينِ، فكان هو المُنْتَبِتُ لها والمَوْجَّهَ كُلِّ واحدةٍ منهن جهتها . ولولا
معرفة القلبِ بالعقلِ الذي جعله الله لذلك، لم يَفْرُقْ سَمْعٌ بين صوتين مختلفين، ولا بصرٌ
بين صورتين متقاربتين، ولا محسَّةٌ بين شيئين غير متشابهين . ولليقين بعد ذلك
مَنْزِلَةٌ يَعْرِفُ بها حَالُ الضَّارِّ والنافعِ في العاقبة عند الله تعالى . فلما صار اليقينُ
في التشبيه كالشجرة النابتة في القلب، أغصانها العملُ وثمرتها الثوابُ، أخبر ذلك أنه
قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتًا بلا عمل، وأنه
كما لا تكون الأغصان نابتة بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعًا إلا بيقين،
وكما أنه لا تُخْلَفُ الثمرة في الطيب والكثرة إذا كان الأصل نابتًا والأغصان ملتفةً،

- فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وجسّن عمله . وقد تعرض للأعمال عوارض من العِلل : منهنّ الأمل المثبّط ، والنفس الأمارّة بالسوء ، والهوى المزيّن للباطل ، والشیطان الجارّی من ابن آدم مجرّی الدم ، يضرّرن بالعمل والثواب ، ولا يبلغ ضررهنّ اليقين ، فيكون ذلك كبعض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتدوى أغصانها وتثور ورقها وتمنع ثمرتها والأصل ثابت ، فاذا تجلّت الآفة عادت الى حال صلاحها . فاذا يُعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ فإنما العجب من خلاف ذلك ! ولعمري لو أشبه عمل امرئ يقينه فكان في خوفه ورجائه كالمعاین لما يُعاینه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر الى ما وعد وأوعّد ، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء ، حتى يأتي على نفسه أوّل لحظة ينظر بها الى النار خوفا لها أو الى الجنة أسفا عليها اذا حرّمها ، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعاین له يوم القيامة . وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل ! وأما قولك : « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه تخف الدنيا لسلطانه » ، فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره ، وهو بعجلته موكل بحبّ الأعجل فالأعجل مما يشتهى ، وزاده حرصا على المخلص من المكروه وطلباً للمحبوب حاجته الى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طبع عليه القلب من حبه وسهّل على المخلوقين من طلبه ، لما انتفع بالدنيا مُتَفَعّ ولا عاش فيها عاش . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحبتها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليت به لذنب سلف مني ، وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت مني فهو ثواب

عَجَلٌ ، وهو مع هذا يعلم أن حلوم المخلوقين الى الضيق ، وأن قلوب أكثر مُسَلِّطِيهِمْ الى القسوة ، وأن العيب عنهم مستورٌ ، فليس يلتمس ملتصقهم إلا علم الظاهر ^(١) ولا يضع إلا به ، ولا يلتفت من أمرئ الى صلاح سريرته دون صلاح علانيته . ومن طباع الإنسان اللؤم ، فليس يرضى اذا خيف إلا بأن يُنْذَل ، ولا اذا رُجِيَ إلا بأن يُتْعَب ، ولا اذا غَضِبَ إلا بأن يُخَضَّعَ له ، ولا اذا أمر إلا بأن يُفْعَدَ أمره ، ولا ينتفع المتشفع ^(٢) بإحسانه عنده اذا أساء ولا المطيع بكثرة طاعته في المعصية الواحدة اذا عصى ، ولا يرى الثواب لازماً له ولا العقاب محجوراً عليه ، فإن عاقب لم يستبق ، وإن غَضِبَ لم يتنبأ ، وإن أساء لم يعتذر ، وإن أذنب اليه مذنب لم يغفر ، واللطيف الخبير يعلم السريرة فيغفر بها العلانية ، ويحو بالحسنة عشرة من السيئات ، ويصفح بتوبة الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دُعِيَ أجاب ، وإن استغفر غفر ، وإن أطيع شكر ، وإن عصى عفا ، ومن وراء عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمته التي وسعت كل شيء ، وشهادة الحق التي لا يزكو إلا بها عمل ، وشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا كله مثبت لليقين باسط للأمل مُبْطِلٌ عن العمل إلا مَنْ شاء الله وقيل ما هم . فلا تَحْمِلْ نَظْفَ عَمَلِكَ عَلَى صِحَّةِ يَقِينِكَ فَتُوهِنَ إِيْمَانُكَ ، ولا تُرَخِّصْ لِنَفْسِكَ فِي مُقَارَفَةِ الذُّنُوبِ ، فَيَكُونَ يَقِينُكَ خَصْماً لَكَ وَحُجَّةً عَلَيْكَ ، وَكَذَّبَ أَمْلَكَ وَجَاهِدَ شَهْوَتَكَ ، فَانْهَمَا دَاءَ الْخَوْفَانِ عَلَى دِينِكَ الْمُتَعَوِّثَيْنِ عَلَى هَلَاكَكَ . وأسأل الله الغنيمة لنا ولك .

موعظة مستعملة

وكيع عن مسعر عن زيد العمي ^(٤) عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : مَنْ عَمِلَ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، (١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل « المتنع » . (٣) المتعوان : المتعاون . (٤) سمي زيد هذا العمي لأنه كان كلما سئل عن شيء قال « حتى أسأل عمي » وقيل : هو منسوب الى بني العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب في اسم زيد بن الحواري) .

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس . ومن أصلح سريره أصلح الله له علانيته .

موعظة لعمر بن عتبة

العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

- كان أبونا لا يرفع المواعظ عن أسماعنا ، فأراد مرةً سفرًا فقال : يَا بَنِي تَالُفُوا
 ٥ النعم بحسن مجاورتها ، والتمسوا المزيد فيها بالشكر عليها ، واعلموا أن النفوس أقبل
 شيء لما أُعْطِيَتْ وأعطى شيء لما سُئِلَتْ ، فاحملوها على مطيةٍ لا تُبْطِئُ إذا رُكِبَتْ ،
 ولا تُسَبِّقُ وإن تُقَدِّمَتْ ، عليها نجا من هرب من النار ، وأدرك من ساقى إلى الجنة ؛
 فقال الأصاغرُ : يَا أَبَانَا ماهذه المطية ؟ قال : التوبة .

صفات الزهاد

١٠

حدثني عبد الرحمن العبدى عن يحيى بن سعد السعدى قال :

- سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا : يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؟ قال :
 هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين
 نظر الناس إلى عاجلها ، فأما اتوا منها ما خَشَوْا أَنْ يُمَيَّتَهُمْ وتركوا منها ما علموا أَنْ سَيَرُكُهُمْ ،
 ١٥ فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نائلها
 رفضوه وما عارضهم من رفيعها بغير الحق وضعوه ، فهم أعداء ما سألَمَ النَّاسُ وسَلِمُوا
 ما عَادُوا ، خَلَقَتْ^(١) الدنيا عندهم فليس يعْمُرُونَهَا ، وماتت في قُلُوبِهِمْ فليس يُحِبُّونَهَا^(٢) ،
 يَهْدِمُونَهَا وَيَدْنُونَ بِهَا آخِرَتَهُمْ ، وَيَدْعُونَهَا وَيَشْتَرُونَ بِهَا مَا بَقِيَ لَهُمْ ، ونظروا إلى أهلها

(١) خلقت (بفتح اللام وضمها) : بليت . (٢) كذا بالأصل غير مستند لضمير الجماعة ،

ووجهه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

صَرَخَى قَدْ خَلَتْ مِنْهُمْ الْمَثَلَاتُ فَأَحْيَا ذَكَرَ الْمَوْتَ وَأَمَاتُوا ذَكَرَ الْحَيَاةَ ، بِهِمْ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ عَلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عَمَلُوا ، لَا يَرُونَ نَائِلًا مَعَ مَا نَالُوا ، وَلَا أَمْنًا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

• حَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَصْلُوحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْبُحِيِّ :

٥ ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرض ، فاذا فيهم شاب ذابل ناكل ، فقال له عمر : يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أمرأض وأسقام ، فقال عمر : لتصدقني ، قال : يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغر في عيني زهرتها وحلاوتها ، واستوى عندي حجرها وزهرها ، وكأنني أنظر الى عرش ربي بارزا ، وإلى الناس يساقون الى الجنة وإلى النار ، فأظلمات لذلك نهاري وأسهرت له ليلي ، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وجنب عقابه . ١٠

بلغني عن إسحاق بن سليمان عن أخيه عن الفياض عن زبيد الياحي عن معاذ ابن جبل :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبَاءٍ مُظْلِمَةٍ" . ١٥

وعن وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دهم قال :

قال علي عليه السلام : تعلموا العلم تعرفوا به وأعملوا به تكونوا من أهله ، فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه الحق تسعة أعشراهم^(٢) لا ينجو فيه إلا كل نومة ، يعني

(١) نسبة الى يام بطن من ممدان ، انظر تهذيب التهذيب في اسم زبيد بن الحارث ، وفي الأصل

٣٠ « النامي » وهو تحريف . (٢) جمع عشير كالعشيرة من عشرة .

(١) الميِّتَ الذِّكْرُ، أولئك أئمة الهدى ومصابيحُ العلم ليسوا بالعُجُلِ المذاييعِ البَذْرِ (٢) . وقال
على عليه السلام أيضا: إن الدنيا قد ارتحلت مُدِيرَةً وإن الآخرة قد ارتحلت مُقِيلَةً،
ولكل واحدة منهما بُنُونٌ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .
ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيباً .
ألا من اشتاق إلى الجنة سَلَاً عن الشهوات، ومن أشفق من النار رَجَعَ عن الحرُمات،
ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . ألا إن لله عبداً كن رأى أهل الجنة
في الجنة مُخَلَّدِينَ وأهل النار في النار مُعَسَّدِينَ، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة،
وأَنفُسُهم عفيفةٌ، وحوائجهم خفيفةٌ، صَبَرُوا أياماً قليلةً لعقبى راحةٍ طويلة، أما بالليل
فصافوا أَقدامَهم، تجرى دُموعُهم على خدودهم، يجارون إلى الله: ربَّنَا ربَّنَا
يطلبون فَكَأَنَّ رِقَابَهُمْ؛ وأما بالنهار فخلماءُ عُلَمَاءُ بَرَّةٍ أَتَقِيَاءُ كَأَنَّهُم القِدَاحُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
الناظر فيقول: مَرَضَى، وما بالقوم من مَرَضٍ، ويقول: خَوِلَطُوا، ولقد خالط
القومَ أَمْرٌ عَظِيمٌ .

حدثنا إسحاق المعروف بآبن رَاهَوِيَّه أَن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ كَانَ يَقُولُ :
يَا بُنَيَّ كُنْ مِمَّنْ نَأَى بِهِ عَمَّنْ نَأَى عَنْهُ يَقِينٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ ،
لَيْسَ نَأْيُهُ تَكْبَرًا وَلَا عَظَمَةٌ ، وَلَا دُنُوهُ يَحْدُجُ وَلَا خِلَاطِيَّةٌ ، يَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَهُ ، وَهُوَ
إِمَامٌ مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يَعْجَلُ فِيمَنْ رَابَهُ وَيَعْفُو إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ ، يَنْقُصُ فِي الَّذِي لَهُ
وَيَزِيدُ فِي الَّذِي عَلَيْهِ ، لَا يَعْزُبُ حِلْمُهُ وَلَا يَحْضُرُ جَهْلُهُ ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ

(١) في الأصل : « الميت الدنا » وما أثبتناه يدل عليه قول أبي عبيدة في تفسير النومة من هذا
الأثر : الغامل الذكر الغامض في الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذاياع وهو الذي لا يكتُم
السِّرَّ . (٣) جمع بذور وهو من يبذر السِّرَّ أى يفشيهِ بين الناس . (٤) كذا بالأصل
والسياق يقتضى أن يكون « ودنا به من » . (٥) رابه : شككه وأوجب عنده الريبة .

منه مأمونٌ ، إن رُجِيَ خاف ما يقولونَ واستغفروا لا يعلمون ، إن عصته نفسه
 فيما كرهت لم يطعها فيما أحببت ، يصمتُ ليسلمَ ويخلو ليغتمَ وينطقُ ليفهمَ ويخالطُ
 ليُعلمَ . ولا تكن يا بُنَيَّ ممن يُعَجَّبُ باليقين من نفسه فيما ذهبَ وينسى اليقين فيما
 رجا وطلبَ ، يقول فيما ذهب : لو قد رشيء كان ، ويقول فيما بقي : ابتغ أيها
 الإنسان ؛ تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن ، طال عليه الأمل فقرَّ ،
 وطال عليه الأمد فاعتزَّ وأعذر^(١) إليه فيما عُمرَّ وليس فيما عُمرَّ بمُعذرٍ ، عُمرَّ فيما يتذكر فيه
 من تذكر ، فهو من الذنب والنعمة موقر ، إن أُعطي لم يشكر ، وإن مُنِع لم يعذر ،
 يُحبُّ الصالحين ولا يعمل عملهم ويُبغِضُ المسيئين وهو أحدهم ، يرجو الأجر
 في البغض على ظنه ولا يخشى اليقين من نفسه ، يخشى الخلق في ربه ولا يخشى
 الرب في خلقه ، يعوذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعَيِّدَ الله منه مَنْ هو تحته ،
 يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسر من عمله ، يُبصر العورة من غيره
 ويُغفلها من نفسه ، إن صلى اعترض ، وإن ركع رُبض ، وإن سجد نقر ، وإن جلس
 شعر ، وإن سأل ألحف ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ ، وإن حَدَّثَ أَخْلَفَ ، وإن وُعِظَ كَلَحَ ،
 وإن مُدِحَ فَرِحَ ، يَحْسُدُ أَنْ يُفْضَلَ ، وَيَزْهَدُ أَنْ يُفْضَلَ ، إن أُفِضَ في الخير يرم^(٢)
 وضعف واستسلم وقال : الصمتُ حُكْمٌ ، وهذا ما ليس لي به علم ، وإن أُفِضَ^(٣)
 في الشر قال : يُحْسَبُ بي عِيٌّ ، فتكلم يجمع بين الأراوى والنعام وبين الخال والعَمَ
 ولأَمَ ما لا يتلاءم ؛ يتعلم للراء ، ويتفقه للرياء ، ويبادر ما يفنى ، ويؤاكل ما يبق .

(١) أى أعذر الله إليه ، يقال : أعذر الله الى من بلغ الستين من العمر ، أى لم يبق فيه موضعاً للاعتذار

حيث أمهته طول هذه المدة . (٢) بـ ثابت له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أى لم يثبت له عذر .

(٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشيء أى تكلفه . (٤) الإخلاف في المستقبل

كالكذب في الماضي ، وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله . (٥) كـ : كثر في عبوس .

(٦) سئم وضجر . (٧) حكم : حكمة . (٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدثني محمد بن داود عن أبي شريح الخوارزمي قال : سمعت أبا التريغ الأعرج
عمرو بن سليمان يقول :

قال الحسن بن علي : ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني ،
وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه
فلا يتشهى ما لا يحل ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد
يداً إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا
قال بد القائلين ، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الحد فهو الليث عاديأ ، كان إذا
جامع العلماء على أن يسمع أحرص منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام
لم يغلب على السكوت ، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرض
له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه فخالفه ، كان لا يلوم
أحدًا على ما قد يقع العذر في مثله . زادني غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً
وشهوداً عدولاً .^(١)

وفي كلام علي رضي الله عنه لكئيل حين ذكر حجج الله في الأرض فقال : هجم
بهم العلم على حقائق الأمور ، فباشروا روح اليقين ، واستلنوا ما استوعر المترفون ،
وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل
الاعلى ؛ هاه شوقاً إلى رؤيتهم .^(٢)

قال رجل ليونس بن عبيد : تعلم أحدًا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله
ما أعرف أحدًا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ! قيل : فصنفه لنا ؛ قال : كان

(١) في الادب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣٠ : « كان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك

في شراء ، ولا يدل بحجة ، حتى يرى قاضياً الخ » . (٢) في نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع

بيروت سنة ١٨٨٥ « أم » وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه ،
وإذا ذكرت النار فكأنها لم تُخلق إلا له .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
معمّر عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : ما مثل قراء هذا الزمان إلا كمثل غنم
ضوائن ذات صُوفٍ عجافٍ أكلت من الحمض^(١) وشربت من الماء حتى انتفخت
خواصرها ، فترت برجل فأعجبته ، فقام إليها فعبط منها شاة^(٢) فإذا هي لا تنقي^(٣) ، ثم عبط
أخرى فإذا هي كذلك ، فقال : أف لك ، سائر اليوم .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمّر عن يحيى بن المختار
عن الحسن قال : إذا شئت لقيته أبيض^(٤) بضاً حديد النظر ميت القلب والعمل ، أنت
أبصر به من نفسه ؛ ترى أبداناً ولا قلوب ، وتسمع الصوت ولا أنس ، أخصب
السنة وأجذب قلوب .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قال سُفيان : الزهد في الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس الغليظ .
قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أت رجلاً في ترك الدنيا مثل أبي ذر وأبي الدرداء
وسلمان ، ما قلنا له : إنك زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض ، والحلال
المحض لا نعرفه اليوم ، وإنما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشبهات ؛ فالحلال حساب ، والحرام

(١) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنقي : ليس لها نقى لضعفها وهزالها .

والنقى : المخ . (٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدم ما يصلح أن يكون مرجعاً للضمير في قوله « لقيته » .

وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة « بض » : وفي حديث الحسن « تلقى أحدهم أبيض بضاً » .

(٥) من البضاضة وهي رقة اللون وصفائه .

عذابٌ، والشبهات عتابٌ، فَأَنْزِلِ الدُّنْيَا مِثْلَةَ الْمَيْتَةِ خُذْ مِنْهَا مَا يُقِيمُكَ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ حَلَالًا كُنْتَ زَاهِدًا فِيهَا، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا لَمْ تَكُنْ أَخَذْتَ مِنْهَا إِلَّا مَا يُقِيمُكَ كَمَا يَأْخُذُ الْمَضْطَرُّ مِنَ الْمَيْتَةِ، وَإِنْ كَانَ عِتَابٌ كَانَ الْعِتَابُ يَسِيرًا. ومثله قول بعضهم : ليس الزهد بترك كل الدنيا، ولكن الزهد التهاونُ بها وأخذُ البلاغ منها. قال الله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، فأخبر أنهم زهدوا فيه وقد أخذوا له ثمنًا .

قال أبو سليمان الداراني : الرضا عن الله والرحمةُ للخلق درجةُ المرسلين ، وما تعرف الملائكةُ المقربون حدَّ الرضا . وقال : أرجو أن أكون قد نلتُ من الرضا طرفًا، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضيًا . قال : وليس الحمد له أن تحمده بلسانك وقلبك مُقتصرٌ على المصيبة، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبك مسلمٌ راضٍ .

• وقال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : بلغني في قول الله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلُوبٍ سَلِيمٍ﴾ أنه الذي يلقي ربه وليس فيه أحدٌ غيره ؛ فبكي وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنة أحسنَ من هذا . وقال : كل قلب فيه شركٌ فهو ساقط . قال : وما في الأرض أحدٌ أجْدُّ له محبةً ولكن رحمة . وقال : ينبغي للخوف أن يكون أغلب على الرجاء ، فإذا غلب الرجاء على الخوف فسَدَ القلبُ .

وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبيجر : أن رجلاً يكنى أبا سعيد كان يقول : والله ما رأيتُ قُبْرَاءَ زَمَانٍ قَطُّ أَغْلَظَ رِقَابًا وَلَا أَدَقَّ ثِيَابًا وَلَا آكَلَ لَمُخَ الْعَيْشِ مِنْكُمْ .

أبو أسامة عن حماد بن زيد عن اسحاق بن سويد قال :

قال مطرف: أنظروا قوما اذا دُكُّوا دُكُّوا بالقراءة فلا تكونوا منهم، وقوماً اذا دُكُّوا دُكُّوا بالفجور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .

أوصى ابن مُحَيْرِيز رجلاً فقال: إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف وتَسأل ولا تُسأل وتمشي ولا يُمشي اليك، فافعل .

قال أيوب: ما أحبَّ الله عبداً الا أحبَّ ألا يُشعربه .

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال: جاء شريح بن عبيد الى أبي عائد الأزدي فقال: يا أبا عبد الله، لو أحييت سنة قد تركها الناس: إرخاء طرف العمامة من الجانب الأيسر! قال: يا بن أخي، ما كان أحسنها! تركها الناس فتركها، ما أحبَّ أن أعرف في خير ولا شر .

كلام من كلام الزهاد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا عبد الله ابن عبد العزيز قال:

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل: يا فلان، هل أنت على حال أنت فيها مستعد للموت؟ قال: لا، قال: فهل أنت مجمع على التحول الى حال ترضى بها؟ قال: ما شخّصت نفسي لذلك، قال: فهل بعد الموت دار فيها مُستعْتَبٌ؟ قال: لا، قال: فهل تأمن الموت أن يأتيك؟ قال: لا، قال فهل رضى بمثل هذا الحال عاقل! .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني غير واحد عن معاوية ابن قُرة قال:

(١) مجمع: عازم . (٢) المستعْتَب: الطلب الى المني. أن يرجع عن إساءته .

قال أبو البرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أراض الله عنه أم ساخط عليه. وأبكاني فراق الأحبة: حزنه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

٥. كان عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول : تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من القصار .^(١) قال : وقال الفضيل : أصل الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يزويها عنه ويمرمرها عليه بالعمى مرةً وبالجوع مرةً وبالحاجة مرةً ، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها : تسقيه مرةً صبراً ومرةً حُضْضاً، وإنما تريد بذلك ما هو خير له .

١٠. وقال السري : ليس من أعلام الحب أن تُحب ما يُبغضه حبيبك . أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة لنفسك، وأما انقطاعك إلى فتعززك بي، ولكن هل عادت لي عدواً أو واليت لي ولياً .

- قال مالك بن دينار : بلغنا أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء، فغمز بعض بنيه النساء، فراهم فقال : مهلاً يا بني مهلاً ! قال : فسقط عن سريره فانقطع نخاعه^(٥) وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيوش . وقيل له : ما يكون من جنسك حبراً أبداً ، ما كان غضبك لي إلا أن قلت يا بني مهلاً يا بني مهلاً .

(١) القصار : المحقر للثياب ، سمي بذلك لأنه يدقها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يحيزها ويعدنها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض

(بضم أوله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ، ويقال على صنع من نحو الصنوبر والمتر

له مرة كالفلقل . (٥) النخاع : الحيط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتشعب منه

شعب في الجسم .

صَمْرَةَ بن ربيعة قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: اِرْضَ بالله صاحبا ودَعِ الناسَ جانبا .

كانَ يَشْرِبُ الحارث يقول : أربعة رفعهم الله بغير كبيرِ عملٍ في الظاهر
لَا يَطِيبُ المَطْعَمُ : إبراهيم بن أدهم وسالم الخواص وهيب المكي ويوسف
ابن أسباط .

وحدثني أبو حاتم أو غيره عن العُتْبِيِّ قال: سمعت ابن عيينة يقول: أربعٌ ليس عليك
في واحدةٍ منهنَّ حسابٌ: سَدُّ الجَوْعَةِ، وَبَرْدُ العَطْشَةِ، وَسِتْرُ العَوْرَةِ، وَالْاِسْتِكْنَانُ؛
ثم تلا: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْلِمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى) .

بلغني عن يعلى عن سُفْيَانَ : قال على عليه السلام لرجل : كيف أتم ؟ قال :
نرجو ونخاف ؛ قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه ،
ما أدري ما خوفُ رجلٍ عَرَضَتْ له شهوة فلم يدعها لما يخاف ! وما أدري
ما رجاءُ رجلٍ نزل به بلاءٌ فلم يصبر عليه لما يرجو .

بلغني عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال : إن كان الفضلُ
في الجماعة فإن السلامة في العزلة . وبلغ الفضيل هذا فقال: سمعتُ كلاماً أحسن منه!
قال ابن المبارك : رَكِبْتُ مع محمد بن النضر الحارثي السفينة فقلتُ : بأيّ
شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت : ما تقول في الصوم في السفر؟ فقال : إنما هي
المبادرة ؛ فجاءني والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعْبِيّ .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قال : قيل لأبي حازم : ما مالك؟
فقال : الثقة بما في يد الله واليأس مما في أيدي الناس . وقال أبو حازم : إنه
ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم ، فأثر نفسك أيها المرءُ بالنصيحة على

ولذلك، واعلم أنك إنما تخلف مالك في يد أحد رجلين: عامل فيه بمغصية الله فتشقى بما جمعت له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيت له؛ فأرج لمن قدمت منهم رحمة الله، وثق لمن خلقت منهم برزق الله.

وقال أبو حازم: إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها ما يكفيك، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك.

ونظر أبو حازم الى الفاكهة في السوق فقال: موعذك الجنة. ومرّ بالجزارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمين فاشتر منه؛ قال: ليس عندي ثمنه؛ قال أنا أنظرك؛ ففكر ساعة ثم قال: أنا أنظر نفسي.

قال سفيان: حلف أبو حازم لجلسائه: إني لأرضى أن يتقى أحدكم على دينه كما يتقى على نعله.

حدثني محمد بن زياد الزبادي قال حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصحّة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس».

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو ربيعة فهد بن عون عن حماد بن سلمة عن يعقوب قال: سمعت الحسن يقول: ابن آدم، إنما أنت عدد، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك.

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي عن الحسن بن ذكوان رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أوصاني ربي بتسع خصال وإني موصيكم بها:

(١) كذا بالاصل. ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر أن «يتقى» يحرف «على» فلهذا محرف

عن «يتقى» والإبقاء على الشيء: الإرعاء والمحافظة عليه.

بالإخلاص في السر والعلانية، والعَدْل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى،
وأن أعفو عمن ظلمني، وأصل من قطعني وأعطى من حرمني، وأن يكون صمتي
تفكراً، ومنطقي ذكراً، ونظري عبراً» .

مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن حميد قال : كان ابن عمر يقول : البرُّ
شيء هين : وجه طليق وكلام لين .

جعفر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتَّقُوا السَّحَّارَةَ ، فإنها تسحرُ
قلوبَ العلماء . قال : وسمعتَه يقول : وَدِدْتُ أَنْ رَزَقْتُ فِي حَصَاةِ أَمِّهَا حَتَّى
أَمُوتَ ، وَلَقَدْ اخْتَلَفْتُ إِلَى الْخَلَاءِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي .

بشر بن مصلح عن أبي سعيد المصيصي عن أسد بن موسى قال : في الجوع
ثلاثٌ خلال : حياة القلب ، ومَدَلَّةُ النفس ، ويورث العقل الدقيق السماوى .

سالم بن سالم البلخي عن السري بن يحيى قال : كان الحسن إذا عاد مريضاً
لم ينتفع به يوماً وليلة ، وإذا شيع جنازة لم ينتفع به أهله وولده وإخوانه ثلاثاً .

خلف بن تميم قال : قال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق ، أحبُّ أن تقبلَ
منى هذه الحبَّة كُسوَّةً ، قال إبراهيم : إن كنت غنياً قبلتها منك ، وإن كنت فقيراً
لم أقبلها ، قال : فإنى غنى ، قال : كم عندك ؟ قال : ألفان ، قال : فسرُّك أن
تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم ، قال : أنت فقير ، لا أقبلها .

قال عبيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفضيل نعوذُه ، فقال :
زَوِّجْكَ وَخَوَّلْكَ وَصَرَفْ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَسْغُلُكَ عَنْهُ مَنْ أَنْتَ وَمَا أَنْتَ !
ثم شَقَّ شَهْقَةً ، وَأَضْجَعَهُ رَجُلٌ كَانَ عِنْدَهُ وَغَطَّى عَلَيْهِ ثَوْباً وَهُوَ لَا يَعْقِلُ ، وَنَزَلْنَا .

بكار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

قال أبو حازم : السِّرُّ أَمْلُكُ بِالْعَلَانِيَةِ مِنَ الْعَلَانِيَةِ بِالسِّرِّ، وَالْفِعْلُ أَمْلُكُ بِالْقَوْلِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ ، فَإِذَا كُنْتَ فِي زَمَانٍ يُرْضَى فِيهِ مِنَ الْفِعْلِ بِالْقَوْلِ وَمِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ ، فَأَنْتَ فِي شَرِّ زَمَانٍ وَشَرِّ أَنْاسٍ .

- ابن أبي الحوارى قال : ذكرت لأبى سليمان أمرأتى والشغلَ بها ، فقال :
 ٥ إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ مِنْ قَلْبِكَ أَنَّكَ تُرِيدُ الْفِرَاقَ لَهُ فَرُغَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الرَّاحَةَ مِنْهَا لِتَسْتَبْدِلَ بِهَا ، فَهَذِهِ حِمَاةٌ . قَالَ : وَرَأَيْتُهُ حِينَ أَرَادَ الْإِحْرَامَ فَلَمْ يُلَبَّ حَتَّى سَرْنَا مَلِيًّا وَأَخَذَهُ كَالْغَنِيِّ وَجَعَلَ رَأْسَهُ عِنْدَ رُكْبَتِهِ بِفِعْلٍ تَجَمُّلُهُ يَحْجِفُ وَتَجَمُّلُ يَثْقُلُ حَتَّى سَرْنَا هَوِيًّا^(٢) ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ ، بَلَّغْنِي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « يَا مُوسَى مُرْ ظَلَمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَقُولُوا مِنْ ذِكْرِي ، فَإِنِّي أَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَنِي مِنْهُمْ بَلْعَنَةً حَتَّى يَسْكُتَ » . وَيَحْكُ يَا أَحْمَدُ بَلَّغْنِي أَنَّهُ مِنْ حَجٍّ مِنْ غَيْرِ حِلَّةٍ ثُمَّ لَبَّى ،
 ١٠ قَالَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : لَا لَيْكَ وَلَا سَعْدِيكَ حَتَّى تَرُدَّ مَا فِي يَدَيْكَ ، فَمَا يُؤْمِنُنَا أَنْ يُقَالَ لَنَا ذَلِكَ . قَالَ وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : يَحْيِيكَ وَأَنْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَيُسِيرُ لَكَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ دُونَهُ لِيَرْجِعَ عَلَيْكَ شَعِيرَةً ؛ يَعْنِي إِبْلِيسَ .

- قال المسيح لأصحابه : بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ ، إِنْ مَنْ طَلَبَ الْفِرْدَوْسَ نَخِزُ الشَّعِيرَةَ لَهُ
 ١٥ وَالنَّوْمُ فِي الْمَزَابِلِ مَعَ الْكِلَابِ كَثِيرٌ .

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول قال :
 ٢٠ كُنَّا أَجْنَتَةً فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِنَا فَسَقَطَ مِنْ سَقَطٍ وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ ، ثُمَّ كُنَّا مَرَّاضِعَ فَهَلَكَ مِنَّا

(١) وردت هذه الكلمة مرسومة في الأصل هكذا : « وَاِنَّمَا كُنْتَ » . ومن المحتمل أن يكون

صوابها « إِمَّا كُنْتَ » : على أنها « إِنْ » الشرطية مدغمة في « مَا » الزائدة ، فكنتها الناصح « إِنَّمَا »

(٢) هويًا : ساعة من الليل . (٣) جمع مرضع (بفتح الضاد) أى رضيع .

من هلك وبقي من بقي ، وكنا أيقاعاً ، وذكر مثل ذلك ، ثم صرنا شباناً ، وذكر مثل ذلك ، ثم صرنا شيوخاً لا أباً لك فما نتظر وما نريد ! وهل بقيت حالة ننقل اليها .

قال وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم ، فيأتيه الله برزقه من قبل سُرته ، وغذاؤه في بطن أمه من دم حيضها ، فمن ثم لا تحيض الحامل ، فاذا سقط استهل استهلاً إنكاراً لمكانه ، وقُطعت سُرته وحول الله رزقه الى ثدى أمه ثم حوله الى الشيء يُصنع له ويتناوله بكفه ، حتى اذا اشتد وعقل قال : أين لي بالرزق ! يا ويحك ! أنت في بطن أمك وفي حجرها تُرزق حتى اذا عقلت وشببت قلت : هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق ! ثم قرأ (يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) .

١٠ عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النضر الحارثي اذا لم يكن في صلاة استقبل القبلة ، فقعدها اليه بعد العصر فقال : بلغني أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ألف مرة في دُبُر صلاة العصر ، رُفِع له عمل نبي ، ثم قال : قد أكثرت الكلام .

١٥ وقال سعيد بن عمر الكندي دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بلّه في الماء بملح جريش ، فقال له : كيف تشتهي هذا ! قال : أدعُه حتى أشتيه . ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : ما أدملك ؟ قال : الزيت ، قال : أما تأججه ؟ قال : اذا أجمته تركته حتى أشتيه . قال : وكان ماء داود في دَنٍّ مُقِيرٍ في الصَّيف

(١) في الأصل : « مله » . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل

به الخبز أي شيء كان - (٤) تأججه : تكرهه وتمله . (٥) مقير : مطلى بالقار وهو شيء أسود

٢٠ تطلّى به السفن ، وقيل هو الزفت .

والشئاء، فقال له بعض أصحابه : لو بردت الماء ! فقال داود : اذا أصبت في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فمتى تُحبّ الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال : قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب ريحٌ ما جلس إلى منكم اثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المالُ إلا من أربع : سهم في قِءِ المسلمين ، أو عطية عن ظهريدٍ ، أو إرث بكتاب الله ، أو تجارة من حلال ؛ ولا يُقتل مسلم إلا بهذه الخصال : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل فيقتل ، أو حارب الله ورسوله وقطع الطريق .

قال سليمان بن المغيرة سمعت ثابتاً يقول : والله لحمل الكارات أهون من العبادة . قال : ولا يُسمّى الرجلُ عابداً وإن كانت فيه خصلةٌ من كل خير حتى يكون فيه الصوم والصلاة ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيان قال : كان عيسى بن عتبة يسجد حتى إن العصفير ليقعن على ظهره ويتزلن ، ما يحسبونه إلا حرم خائط .

حدثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال : شكأ أهل مكة إلى الفضيل القحط ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ! . قال : وسمعتة يقول : استخبروا الله ولا تحيروا عليه ، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان هلاكه فيه ! أما رأيتموه سأل ربه طرسوس فأعطىها فأسرف صار نصرانياً^(١) .

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس ، ومن أبو يونس ! بكي حتى عمي ، وطاف حتى أقعد ، وصلى حتى حذب .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من

ثغور المسلمين ، استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتصر وقتل بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام ، وأقام نفريسير على الجزية (انظر معجم البلدان في اسم طرسوس) .

حدثني محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصاري عن بهز بن حكيم قال :
صلى بنا زُرَّارَةُ بن أوفى الغدَّاءَ ، فقرأ الإمامُ ﴿ فَإِذَا تُقَرِّبُ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، فخر مغشياً عليه ، فحملناه ميتاً .

ابن أبي الحواري قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاة تُبَلِّغُكَ
نصف الطريق ، والصوم يُبَلِّغُكَ بابَ الملك ، والصدقة تُدْخِلُكَ عليه .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوب فقال : رحمه الله — ثلاثاً — لقد قَدِمَ المدينةَ مرَّةً
وأنا بها ، فقلت : لأفعدنَّ له ، لعلِّي أتعَلِّقُ عليه بسقطة ، فقام من القبر مقاماً ما ذكرته
قطَّ إلا أقشعر جلدِي .

روى ابنُ عَاشٍ عن سعيد بن أبي عروبة قال : حجَّ الحجاج فترل بعضَ المياه
ودعا بالغدَّاءَ ، فقال لحاجبه : انظر من يتعدى معي وأسأله عن بعض الأمر ؛
فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيَّ بين شِملتين من شَعَرَ نائم ، فضربه برجله وقال :
أنت الأمير فاتاه ؛ فقال له الحجاج : اغسل يدك وتعدَّ معي ؛ قال : إنه دعاني من
هو خير منك فأجبته ؛ [فقال له الحجاج : من الذي دعاك ؟] . قال : الله تعالى دعاني
إلى الصوم فصُمت ؛ قال : في هذا اليوم الحار ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرَّ منه ؛
قال : فأفطر وتصوم غدا ؛ قال : إن ضمنت لي البقاء إلى غد ؛ قال : ليس ذاك
إلي ؛ قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ! قال : إنه طعامٌ طيب ؛
قال : إنك لم تُطِيبه ولا الخباز ، ولكن طيِّبته العافية .

ونحو هذا حدَّث الأصبغي عن شبيب بن شبة قال : تكأ في طريق مكة بجاء
أعرابيَّ في يومٍ صائِفٍ شديدٍ الحرِّ ومعه جاريةٌ سوداءٌ وصحيفةٌ ، فقال : أفیکم

كاتب ؟ قلنا : نعم ؛ وحضر غداؤنا فقلنا : لو دخلت وأصبحت من الطعام ! قال :
 إني صائم ؛ قلنا : في الحر وشدة وجفأ البادية ! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن
 فيها ، وستكون ولا أكون فيها ، ولا أحب أن أغيب أيامي ، ثم نبذ إلينا الصحيفة ،
 وقال : أكتب ولا تزيد على ما أقول حرفا : هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل
 الكلابي ، أعتق جارية له سوداء يقال لها لؤلؤة ، ابتغاء وجه الله تعالى وجواز العقبة ،
 وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء ، المنّة لله عليها وعليه واحدة . قال الأصمعي :
 فحدثت بها الرشيد ، فأمر أن يُعتق عنه ألف نسمة أو مائة نسمة ، ويكتب لهم
 هذا الكتاب .

قال خالد بن صفوان : يث أتمنى ليلتي كلها ، فكبست البحر الأخضر بالذهب
 الأحمر ، فإذا الذي يكفيني من ذاك رغيفان وكوزان وطمران ! .

رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له ، فقال : هذا بعد ما كنتم
 فيه من الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما فقدنا إلا الفضول .

سمعت بعض العباد يقول : علامة التوبة الخروج من الجهل ، والتدب على
 الذنب ، والتجافي عن الشهوة ، واعتقاد مقت نفسك المسؤلة^(١) ، وإخراج المظلمة ،
 وإصلاح الكسرة ، وترك الكذب ، وقطع الغيبة ، والانهاء عن خدن السوء .

لقى زاهدا زاهدا فقال له : يا أحمى ، إني لأحبك في الله ؛ قال الآخر :
 لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله ؛ قال له الأول : لو علمت منك
 ما تعلم من نفسك ، لكان لي فيما أعلم من نفسي شغل عن بغضك .

(١) في الأصل : « المسؤلة » .

كان الثوري مستخفياً بالبصرة، فورد عليه كتاب من أهله، وفيه : " قد بلغ بنا الجهد الى أن نأخذ النوى فنرضه ثم نخلطه مع التبن فنأكله "؛ فحرك ذلك من قلبه، ورعى بالكتاب الى أخ له ؛ فقرأه فدمعت عينه، ثم قال : يا أبا عبد الله، لو أنك حدثت الناس اتسعت واتسع هؤلاء ! فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : ٥ ٥ اسمع حديثاً أحدثك به ثم لا أكلّمك بعده سنة : رُئِيَ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ تَجَدَّدَ ، فَقِيلَ : مَا هَذَا النُّورُ ؟ فَقِيلَ : حَوْرَاءُ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا فَبَدَتْ شَإْيَاهَا ؛ فَتَرَى لِي أَنْ أَغْرَرَ بِتِلْكَ وَأَصِيرَ إِلَى مَا تَقُولُ !

أراد قومٌ سفراً فحادوا عن الطريق وابتعدوا الى راهبٍ منفردٍ في ناحية ، فنادوه فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضلّنا فكيف الطريقُ ؟ قال لهم : ها هنا، وأوماً الى السماء ، فعلموا الذي أراد، فقالوا : إنا سائلوك، أفتُجيبنا أنت ؟ قال : سلوا ولا تُكثروا، فإنّ النهار لن يرجع والعمر لن يعود والطالب حثيثٌ في طلبه ذو اجتهاد ؛ قالوا : ما الخلقُ عليه غداً عند مليكهم ؟ فقال : على نيّاتهم ؛ فقالوا : إلّا المومئِلُ ؟ قال : الى المُقَدَّم ؛ قالوا : أوصنا ؛ قال : تَزَوّدوا على قدر سفركم ، فإنّ خيرَ الزاد ما بَلَغَ الحَمْلُ ؛ ثم أرشدهم الى المحبّة واقمّع ^(١) .

وقال آخر : قلت لراهب : عِظْنِي عِظَةً نَافِعَةً ؛ فقال : جَمِيعُ المَوَاعِظِ مُنْتَظِمَةٌ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ؛ قلت : ما هو ؟ قال : تُجْمَعُ عَلَى طَاعَتِهِ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ حَوَيْتَ المَوَاعِظَ وَالْأَذْكَارَ . ١٥

الأصمعيّ : قيل لأعرابيٍّ معه ماشيةٌ : لمن هذه الماشية ؟ قال : لله عندي .

كان ابن السماك يقول في كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أمهلكم ، أمّا تستحيون

من الله من طول ما لا تستحيون ! ٢٠

(١) انقمع المرء : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قَصَرَ بكم ضعفُ فكُفُوا
عن المعاصي .

كان مالك بن دينار يقول في قَصَصِهِ : ما أَشَدَّ فِطَامَ الكبير ! ويُشَدُّ :
وتَرَوْضُ عِرْسَكَ بعد ما هَرِمْتَ * ومن العناءِ رياضةُ الهَرِمِ

كان أعرابيٌّ يسرق الإبلَ يُسمَّى يزيدَ، ثم تاب وقال :
أَلَا قُلْ لِرُعَيَانَ الْمُخَائِضِ ^(١) أَهْمَلُوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد
وإنَّ امرأً ينجو من النار بعد ما * تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لِسَعِيدُ
وقال نصيح الأسدي :

كفى نَظْفًا بالمسْرءِ يا أمَّ صالح * ركوبُ المعاصي عامدًا واحتقارُها

كان خالد بن معدان يقول :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزِرْغَ وَأَبْصُرْتَ حَاصِدًا * نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

قال منصور بن عمار : ما أرى إِسَاءَةً تَكْبُرُ عَنْ عَفْوِ اللَّهِ فَلَا تَأْتِسُ ، وربما

أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عُتَيْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ عَنْ مُسَيِّكَةَ عَنْ

عائشة رضي الله عنها أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصَحْفَةٍ فِيهَا خُبْرُ شَعِيرٍ
وَقِطْعَةٌ مِنَ الْكَرْشِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَبَحْنَا الْيَوْمَ شَاةً فَمَا أَمْسَكْنَا مِنْهَا إِلَّا هَذَا ،
قال : ” بَلْ كُلَّهَا أَمْسَكْتُمْ إِلَّا هَذَا “ .

(١) في اللسان (مادة بعر) : « لرعيان الأباعر » .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

استقبل عامر بن عبد قيس رجلاً في يوم حلبة ، فقال : من سبق يا شيخ ؟
 فقال : المقربون . وأتى به عثمان وأُقيِد في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً يطأ
 في عباءة ، فأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : ما بالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمّرتُم
 الدنيا وأحربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران الى الخراب .

قال الحسن : نعم الله أكثر من أن تُشكر إلا ما أعان عليه ، وذُنوبُ ابن آدم
 أكثر من أن يُسَلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه .

وقال الحسن : تنفق دينك في شهوتك سرفاً ، وتمنع في حق الله درهما ، ستعلم
 بالضعف .

خرج المسيح من بيت مُوسى ، ف قيل له : يارُوحَ الله ، ما تصنع عند هذه ؟
 فقال : إنما يأتى الطبيب الى المرضى . ومَرَّ بقوم شتموه فقال خيراً ، ومَرَّ بآخرين
 شتموه فقال خيراً ؛ فقال رجل من الحواريين : كلما زادوك شراً زدت خيراً ، كأنك
 تُغريهم بنفسك ! فقال : كل إنسان يُعطى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للذنين ؛ فقال سليمان : فأين
 رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين .

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظْنِي ؛ فقال : لا أرضى نفسى لك ،
 إني لأصلى بين الغنى والفقر ، فأميل على الفقير وأوسع للغنى .

نظرت امرأة الى أخرى وحوّلها عشرة من ولدها كأنهم الصقور ، فقالت :
 لقد ولدت أُمكم حزناً طويلاً .

(١) كذا بالأصل . وفي البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : «أعرابيا
 أشقى في بيت» .

أَحْضِرْتَنِي كَانَ فِيهِ زَهْوٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يُبْكِيكُمَا ؟
قَالَا : الْخَوْفُ عَلَيْكَ لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ فَقَالَ : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ الَّذِي
يَبْدُ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ بِأَيْدِيكُمَا .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي
لم يأت على يومك الذي أنت فيه ، فإن يك من أجلك يأت فيه رزقك ، وأعلم أنك
لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك . قال النابغة
في نحوه :

ولست بجائس لغد طعاماً * حذار غد لكل غد طعام

تذاكر حذيفة وسلمان أمر الدنيا ، فقال سلمان : ومن أعجب ما تذاكرنا
صعود غنيات الغامدي سرير كسرى ، وكان أعرابي من غامد يرعى شويهاً له ،
فإذا كان الليل صيرها إلى عرصة إيوان كسرى ، وفي العرصة سرير رُخام كان يجلس
عليه كسرى ، فتصعد غنيات الغامدي إلى ذلك السرير .

دخل أبو حازم المسجد فوسوس إليه الشيطان : إنك قد أحدثت بعد وضوئك ،
فقال : وقد بلغ هذا من نصحك ! .

قال الزبير : يكفيننا من خضمكم القضم ، ومن نصمكم العنق . قال رجل لأُم الدرداء :
إني لأجد في قلبي داء لا أجد له دواء ، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً ؛ قالت :
إطلع في القبور وأشهد الموتى .

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعنق (بالتحريك) :
سير مسبط نسيج واسع الإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السير . يريد أن يقول : يكفيننا
منكم القليل بدل الكثير .

قيل للربيع بن خَيْم : لو أرحت نفسك ! قال : راحتها أريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتاباً أنه معذبٌ رجلاً واحداً خلقتُ أن أكونه ، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبٌ لا محالة ما ازددتُ إلا اجتهداً لئلا أرجع على نفسي بلاءة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة ، فقال لهم : دعونا من النساء ، وأميدونا بالدعاء .

قيل لبعض العباد : مَنْ شَرَّ الناس؟ قال : من لا يُبالي أن يراه الناس منسياً .

قال المسور بن مخرمة : لقد وارت الأرض أقواماً لو رأوني معكم لاستحييتُ منهم .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : عجبت لمن يهلك والنجاة معه ؛ قيل : وما هي ؟ قال : الاستغفار .

كان فتى يُحَالِسُ سُفْيَانَ الثَوْرِيَّ ولا يتكلم ، وكان سُفْيَانُ يحب أن يتكلم ليسمع كلامه ، فتر به يوماً فقال له : يا فتى ، إن مَنْ كان قبلنا مرؤاً على خيل وبقينا على حمير ديرة ؛ فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إن كُنا على الطريق فما أسرع لحُقُوقنا بالقوم ! .

قال الحسن : إن خَفَقَ النعل خلف الرجل قل ما تَلَبَّثَ الحق . وذكر عنده الذين يلبسون الصوف ، فقال : ما لهم تفاقدوا ! — ثلاثاً — أَكْثَرُوا الْكِبَرَ في قلوبهم وأظهروا التواضع في لباسهم ، والله لأحدُهم أشدُّ مُجَبَّأً بِكِسَائِهِ من صاحب المطرف بطرفه . ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده ريحٌ قَدْرَ طَيِّبَةٍ ، فقال : يا أبا سعيد ، إن قَدْرَكَ لَطِيْبَةٍ ؛ قال : نعم لا رغبى مالك وصحناه فرقد .

٢٠ (١) تفاقدوا : دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً . (٢) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

طَلِبَ أَبُو قَلَابَةَ لِلْقَضَاءِ فَاحْتَقَ بِالشَّامِ هَرَبًا، فَأَقَامَ حِينًا ثُمَّ قَدِمَ الْبَصْرَةَ؛ قَالَ
أَيُّوبُ فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ وَلَيْتَ الْقَضَاءَ وَعَدَّاتَ بَيْنَ النَّاسِ رَجَوْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ
أَجْرًا؛ قَالَ لِي : يَا أَيُّوبُ، إِذَا وَقَعَ السَّابِجُ فِي الْبَحْرِ فَكَمْ عَسَى أَنْ يَسْبَحَ !

قَالَتْ امْرَأَةٌ أَبِي حَازِمٍ يَوْمًا لَهُ : يَا أَبَا حَازِمٍ، هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ هَجَمَ وَلَا بَدَّ لَنَا مِمَّا
يُصْلِحُنَا فِيهِ، فَذَكَّرَتِ الثِّيَابَ وَالطَّعَامَ وَالْحَطَبَ؛ فَقَالَ : مِنْ هَذَا كُلُّهُ بُدٌّ، وَلَكِنْ
خُذِي مَا لَا بَدَّ مِنْهُ : الْمَوْتَ ثُمَّ الْبَعْثَ ثُمَّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ.
قَالَ أَبُو الْعَتَّاهِيَّةِ :

أَطِيعِ اللَّهَ بِجُهْدِكَ * عَامِدًا أَوْ دُونَ جَهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَط * لَبَّ مِنْ طَاعَةِ عَبِيدِكَ

وقال أيضا :

أَرَى أَنَا سَاءَ بِأَدْنَى الدِّينِ قَدْ قَنَعُوا * وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعِيشِ بِالدُّونِ
فَاسْتَغْنِ بِالْدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اس * تَغْنِي الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

مَا الْفَقْرُ عَارٌ وَلَا الْغِنَى شَرَفٌ * وَلَا سَخَاءٌ فِي طَاعَةِ سَرَفٍ
مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ * وَكُلُّ شَيْءٍ أُخْرَتَهُ تَلَفٌ
تَرْكُكَ مَالًا لَوَارِثٍ يَتَرُ * نَهُ مَاهٍ وَتَصَلَّى بِحَرِّهِ أَسْفُ

وقال أبو الْعَتَّاهِيَّةِ :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ * وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الدُّلُّ وَالنَّدَمُ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيَّةٌ نَقِصَةٌ * إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

قال علي بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .
 قيل لابن سيرين : ما أشد الورع ! قال : ما أيسره ! اذا شككت في شيء فدعه .
 قال رجل لحذيفة : أخشى أن أكون منافقا ، فقال : لو كنت منافقا لم تخش .
 وقال محمود الوراق :

يا ناظراً يرئو بعيني راقداً * ومُشاهداً للأمر غير مشاهد
 تصل الذنوب إلى الذنوب وترتبي * درك الحناني بها وفوز العابد
 ونسيت أن الله أخرج آدمًا * منها إلى الدنيا بذنب واحد
 وقال وضاح الين :

مالك وضاح دائم الغزل * ألت تخشى تقارب الأجل
 يا موت ما إن ترأل معترضا * لآمل دون منتهى الأمل^(١)
 تنال كفاك كل مُسهلة * وحوت بحير ومعقل الوعل
 صل لذي العرش واتخذ قدماً * تُجيك بعد العثار والزلل

قيل ليوسف عليه السلام : مالك تجوع وأنت على خزان الأرض ؟ قال :
 أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

وقال أمية بن أبي الصلت :

هما طريقان فائز دخل الـ * الجنة حقت به حداثتها
 وفرقة في الجحيم مع فرق الشيطان يشقى بها مُراقبتها
 تعرف هذا القلوب حقاً اذا * همت بخير ما عوانتها
 وصدها للشقاء عن طلب الـ * الجنة دنيا والله ما حقتها

(١) لم يوجد في الأصل من هذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أبتناه عن الأغاني في ترجمة

عبدُ دعا نفسه فعاتبها * يعلم أن البصير راقعها
 اقترب الوعد والقلوب إلى الله وحب الحياة سائقها
 ما رغبة النفس في البقاء وأن * تحيا قليلاً والموت لاحقها
 أمامها قائد إليه ويح * مدوها حيثما إليه سائقها
 قد أيقنت أنها تصير كما * كان يراها بالأمس خالقها
 وأن ما جمعت وأعجبها * من عيشة مرة مفارقها
 من لم يمت عبطة يمت هرماً * للوت كأس والمرء ذائقها

قال بعض الزهاد : إن صفاء الزهد في الدنيا وكماله ألا تأخذ من الدنيا شيئاً ولا
 تتركه إلا لله ، فإذا كنت كذلك كان أخذك تركاً ومعاملتك لله فيها ربحاً ، وإن صفاء
 الرغبة في الدنيا وكمالها ألا تأخذ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها ، فإذا كنت كذلك كان
 تركك أخذاً وفوت ما فات عليك منها حسرة .

حبس بعض الملوك رجلاً ثم غفل عنه إلى أن مضى عليه زمان ، فقال للوكل
 به : قل له : إن كل يوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤس ، والأمر قريب ،
 والحكم الله عز وجل . والسلام .

(١) يقال : مات عبطة إذا مات شاباً صحيحاً .

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً
على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة .

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع
شعرية ونثرية في نحو ست صفحات منقول جملها عن العقد ، وليست من تأليف
ابن قتيبة .

كِتَابُ

عِبْرَاتُ الْأَخْبَارِ

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثاني

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة - كتاب العلم والبيان - كتاب الزهد

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

فهرس

المجلد الثاني من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

صحيفة

١	تشابه الناس في الطبائع وذمهم
٥	رجوع المتخلق الى طبعه
٧	باب الشيء يفرط فينتقل الى غير طبعه
٨	باب الحسد
١٢	باب الغيبة والعيوب
٢٠	باب السعاية
٢٥	باب الكذب والقحة
٣٠	باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر
٣٧	باب الحق
٦٢	طبايع الانسان
٦٩	ما نقص خلقه من الحيوان
٧٠	المشتركات من الحيوان
٧١	المتعاديات
٧١	الأمثال المضروبة بالطبايع
٧٣	الأنعام
٧٨	السباع وما شاكلها

صفحة

الذئب ...	٨٢
الفيل ...	٨٣
الفهد ...	٨٣
الأرنب ...	٨٣
القرود والدب ...	٨٤
مصايد السباع العادية ...	٨٤
النعام ...	٨٥
الطير ...	٨٨
البيض ...	٩٢
الخفافيش ...	٩٢
الخطاف والزرزور ...	٩٣
العقاب والحدأة ...	٩٣
الغراب ...	٩٤
القطا ...	٩٤
باب مصايد الطير ...	٩٤
الحشرات ...	٩٥
النبات ...	١٠٥
المجاعة ...	١٠٨
الجن ...	١٠٩

كتاب العلم والبيان

العلم ...	١١٧
الكتب والحفظ ...	١٣٠
القرآن ...	١٣١

صفحة	
١٣٤	الحديث
١٤٠	الأهواء والكلام في الدين
١٥٢	الرد على الملحدين
١٥٥	الإعراب واللمح
١٦١	التشادق والغريب
١٦٦	وصايا المعلمين
١٦٨	البيان
١٨١	الاستدلال بالعين والاشارة والنسبة
١٨٢	الشعر
١٨٦	حسن التشبيه في الشعر
١٩١	الآيات التي لا مثل لها
١٩٧	التلطف في الكلام والحواب وحسن التعريض
٢١٥	مقطعات ألقاظ تقع في الكتاب والكلام
٢٢٥	ألقاظ تقع في كتب الأمان
٢٢٦	ألقاظ تقع في كتب العهود
٢٣١	الخطب
٢٣١	خطبة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه
٢٣٢	خطبة لأبي بكر أيضا
٢٣٣	خطبة أبي بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة
٢٣٤	خطبة لأبي بكر رضى الله عنه
٢٣٤	خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه
٢٣٥	خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه
٢٣٥	خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه
٢٣٦	خطبة على بعد مقتل عثمان

صفحة	
٢٣٦	خطبة أيضا لعل رضى الله عنه
٢٣٧	خطبة لمعاوية رحمه الله
٢٣٨	خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية
٢٣٩	خطبة لعتبة بن أبى سفيان
٢٣٩	خطبة لعتبة أيضا
٢٤٠	خطبة لعبد الله بن الزبير
٢٤١	خطبة زياد البتراء
٢٤٣	خطبة للمهاجر حين دخل البصرة
٢٤٤	خطبة للمهاجر أيضا
٢٤٥	خطبة أخرى للمهاجر حين أراد الحج
٢٤٥	خطبة للمهاجر أيضا
٢٤٦	خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله
٢٤٦	خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد
٢٤٧	خطبة للمهاجر
٢٤٧	خطبة سليمان بن عبد الملك
٢٤٨	خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد
٢٤٩	خطبة أبى حمزة الخارجي
٢٥٠	خطبة لقطري الخارجي
٢٥١	وفى خطبة ليوسف بن عمر
٢٥١	وفى خطبة للمهاجر
٢٥١	خطبة للنصور
٢٥٢	خطبة لداود بن على
٢٥٢	خطبة لداود بن على أيضا
٢٥٣	خطبة لأعرابي

صفحة	
٢٥٣	خطبة المأمون يوم الجمعة...
٢٥٤	وفى خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول
٢٥٥	وفى خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول
٢٥٦	كلام من أرتج عليه...
٢٥٨	المنابر...

كتاب الزهد

٢٦١	ما أوحى الله جل وعز الى أنبيائه عليهم السلام
٢٧٧	الدعاء
٢٩١	المناجاة
٢٩٣	باب البكاء
٢٩٨	التمجد
٣٠٢	الموت
٣١٩	الكبر والمشيب
٣٢٧	الدنيا

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

٣٣٣	مقام صالح بن عبد الحليل بن يدى المهدي
٣٣٣	مقام رجل من الزهاد بين يدى المنصور
٣٣٦	مقام آخر والمنصور يخطب
٣٣٧	مقام عمرو بن عبيد بين يدى المنصور
٣٣٧	مقام أعرابي بين يدى سليمان
٣٣٨	مقام أعرابي بين يدى هشام
٣٣٨	مقام الأوزاعي بين يدى المنصور

صفحة	
٣٤١	مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام...
٣٤٣	مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز...
٣٤٣	مقام الحسن عند عمر بن هبيرة...

باب من المواعظ

٣٤٤	كلام للحسن
٣٤٤	كلام لبعض الزهاد
٣٤٥	كلام لفيلان
٣٤٦	كتاب رجل الى بعض الزهاد
٣٤٦	وكتب رجل من العباد الى صديق له ، وجواب صديقه عليه
٣٥٠	موعظة مستعملة
٣٥١	موعظة لعمر بن عتبة
٣٥١	صفات الزهاد
٣٥٨	كلام من كلام الزهاد

كشـف

بيان المطبوعات المعدة للبيع بدار الكتب المصرية

عدد الأجزاء	الثنى للأفراد	الثنى للكاتب	أول عشرة أجزاء
مليم	مليم	مليم	مليم
١ المصحف الشريف المذهب	٢	—	٢
١٤ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ... (ثمان الجزء)	١٥٠	—	١٤٠
١ مسالك الأبصار	١٥٠	—	١٢٠
٢ أساس البلاغة ... (ثمان الجزء)	٢٥٠	—	٢٣٠
١ التاج	١٥٠	—	١٢٠
١ الأصنام	٦٠	—	٤٠
١ الأغانى (وجار طبع الأجزاء الباقية)	٢٠٠	—	١٨٠
٦ نهاية الأرب (وجار طبع الأجزاء الباقية) ... (ثمان الجزء)	١٥٠	—	١٢٠
٢ عيون الأخبار (وجار طبع الأجزاء الباقية) (»)	١٥٠	—	١٢٠
٢ ديوان مهيار (وجار طبع الجزء الثالث) (»)	١٥٠	—	١٢٠
٩ فهرس الكتب العربية (عدا الجزء الثانى) والتركية والفارسية §	٥٠٠	—	٥٠٠
٣ فهرس الكتب العربية (وجار طبع الأجزاء الباقية) (ثمان الجزء)	٥٠	—	٥٠
١ فهرس الكتب الافرنجية (جزء أول ، مطبوع باللغة الفرنسية و خاص بمصر)	٤٥٠	—	٤٥٠
١ فهرس الكتب الافرنجية (جزء ثان ، مطبوع باللغة الفرنسية و خاص بالشرق)	٥٠٠	—	٥٠٠
١ فهرس النقود العربية (مطبوع باللغة الانجليزية) ...	٦٠٠	—	٦٠٠
١ مجموعة الخطوط العربية §	٥٠٠	٢	٥٠٠
١ التحفة السنية	٥٠	—	٥٠
١ خريطة الممالك الاسلامية	٤٠	—	٤٠

(§) لا تباع المجموعة وفهرس الكتب العربية إلا باذن خاص .